كتاب زهر المعاني

تأليف

الداعي إدريس عماد الدين القرشي

المتوفى سنة ٨٧٢ هجرية

تقديم وتحقيق

الدكتور مصطفى غالب

Bibliotheca Alexandrina
0124178

كتاب
زهر المعاني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1411هـ - 1991م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت - الحمراء - شارع اميل اده - بناية سلام
هاتف ٨٠٢٤٢٨ - ٨٠٢٤٠١ - ٨٠٢٢٩٦
بيروت - المصيطبة - بناية طاهر هاتف ٣٠١٠٣٠ - ٣١١٣١٠
ص.ب ١١٣/٦٣١١ تلكس ٢٠٦٦٥ LE - ٢٠٦٨٠ - لبنان

كتاب
زهر المعاني

تأليف

الدّاعي إدريس عماد الدّين القُرشي
المتوفى سنة ٨٧٢ هجريّة

تقديم وتحقيق
الدكتور مصطفى غالب

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

مقدمة

كنا قد نشرنا منذ سنوات السبع الرابع ، والسبع الخامس ، والسبع السادس ، من كتاب عيون الأخبار ، وفنون الآثار ، من تأليف الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي المتوفي سنة 872 هجرية ، واليوم ننشر له كتاب زهر المعاني النادر القيم الذي يعالج فيه المؤلف نظرية التوحيد والتجريد والتنزيه عند الإسماعيلية منطلقاً من توحيد المبدع سبحانه إلى ضرورة معرفة كمال الأول والثاني وحصول عالم الجسم وصعوده إلى العالم الروحاني ، إذا كان هذا الجسم قد استفاد إبان وجوده في عالم الكون والفساد من العلوم العرفانية وارتشف من رحيق الأنوار الشعشعانية السرمدية فانتقلت نفسه من حد القوة إلى حد الفعل حيث السعادة الأبدية والكمال المثالي المطلق .

ويلاحظ أن إدريس عماد الدين قد جمع في هذا السفر القيم مجمل عقائد الإسماعيلية ما كان منها علمياً أو عملياً وقد جعله في 21 باباً ، تكلم في الباب الأول عن إثبات المبدع واستناد الموجودات إلى هويته وفي الباب الثاني تحدث عن سلب الأسماء والصفات عنه تعالى ، وفي الباب الثالث تعرض لمواقع أسماء الله الحسنى ومن المستحق أن يشار بها إليه . وفي الباب الرابع يصف وجود عالم الإبداع في أول وهلة ، وفي الباب الخامس يتكلم عن سبق الأول من عالم الإبداع إلى التوحيد ، وفي الباب السادس يؤكد كون الإبداع الأول هو الأول لعالم الإبداع ، ويحدثنا في الباب السابع عن كيفية الانبعاث وما هو المنبعث الأول المكنى عنه باللوح ، وما له من الشرف على عالمه ، وفي الباب الثامن يستعرض توالي رتب عالم الإبداع وتفاضلهم .

وينتقل في الباب التاسع إلى رتبة العاشر من العقول وكيفية تخلفه وانابته وما ألزم من تدبير العالم ، ثم يتكلم عن الهيولي والصورة وما وجد عنها في الباب العاشر ، وفي الباب الحادي عشر يعالج قضية المواليد التي هي المعادن والنبات والحيوان ، ثم يتلفت

إلى ذكر آدم الكلي في الباب الثاني عشر وما استحقه من المقام الأشرف الأكمل ، وفي الباب الثالث عشر يأتي دور الأنبياء والخلفاء، ثم يتحدث عن دور النبي محمد (صلعم) في الباب الرابع عشر ، ويأتي على ذكر الإمام علي بن أبي طالب في الباب الخامس عشر وعالي فضله ، وفي الباب السادس عشر يتكلم عن فاطمة والسبطين ، وفي الباب السابع عشر يأتي على ذكر الأئمة من ذرية النبي (صلعم) وعالي فضلهم ، ثم يتكلم عن الإمامة والإمام في الباب الثامن عشر ، ويخصص الباب التاسع عشر للحدود وما يقام منهم للهداية ، وفي الباب العشرين يستعرض قضية قائم القيامة الذي يعتبره للنطقاء والأئمة الختام ، ويفرد الباب الواحد والعشرين لمعاد الأضداد والمخالفين .

هذه الأمور كلها تحدث عنها الداعي المطلق إدريس عماد الدين بأسلوب علمي مكين معتمداً على آراء وأقوال من تقدمه من الدعاة والفلاسفة والعلماء ، حتى جاء كتابه شاملاً كاملاً ووافياً ، لولا بعض التحاملات والهنات التي وجهها لمن كانوا في زمانه أو قبل زمانه يخالفونه في الرأي ويناصبونه العداء .

والشيء الذي لا يمكن أن نصدقه أو نؤمن به تلك الروايات والمعاجز الخارقة التي ذكر أن الإمام المستعلي قد قام بها في القصر الملكي بالقاهرة عندما اجتمع مع أخويه نزار وعبد الله ، فالمستعلي كما هو معروف تاريخياً كان صغير السن لا يملك من أمره شيئاً وكان الأمر والنهي بيد خاله الأفضل الجمالي ، وهو وحده الذي لعب الدور الرئيسي في تنحية نزار وإبعاده عن الخلافة .

وكم كنا نتمنى لو أن إدريس عماد الدين وهو العالم الكبير قد ابتعد عن مثل هذه السفاسف لكان بلغ بمؤلفاته وما خلفه للأجيال القمة ، وخلده التاريخ بأحرف من نور ، ولكن ما باليد حيلة فهذه رغبته !!

الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي

هو إدريس عماد الدين بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن حاتم القرشي أول مؤرخ إسماعيلي ، أرخ لدور الستر الأول وللعهد الفاطمي ، وللدعوة الإسماعيلية في اليمن ، وأغلب المؤرخين والباحثين يعتمدون اليوم في دراساتهم المتعلقة بالإسماعيلية على ما تركه من كتب ومؤلفات تاريخية وعقائدية ، لها أكبر الأثر في الكشف عن بعض الزوايا الغامضة التي رافقت الدعوة الإسماعيلية منذ وجودها وحتى نهاية العهد الفاطمي في مصر واليمن .

ولا عجب من ذلك لأن المنصب الذي كان يحتله باعتباره (الداعي المطلق التاسع عشر) ونائب غيبة الإمام المستور أبو القاسم الطيب قد خوله حفظ التراث الفاطمي

الذي نقل من القاهرة بعد انتهاء الحكم الفاطمي فيها ، وبذلك تسنى له الاطلاع على ما حوته تلك المصنفات من علوم ومعارف ، فعبّ من ينابيعه واستخرج من كنوزها العامرة الدرر النادرة التي رصع فيها مؤلفاته الكثيرة .

ويؤسفنا أن نقول بأننا لا نملك أية إشارة إلى تاريخ ولادته ، ولكننا نرجح أن ولادته كانت في أواخر القرن الثامن أو مطلع القرن التاسع الهجريين ، وفيما عدا ترجمة حياته التي وجدناها في مخطوطة إسماعيلية يمنية بعنوان « منتزع الأخبار » فليس هناك إلا نتف صغيرة عنه لا تفيدنا بشيء عن تاريخ حياته ولا عن الدور الذي لعبه بوصفه نائب الغيبة والداعي المطلق .

يقول مؤلف « منتزع الأخبار » إن إدريس عماد الدين بدأ عمله كداعي مطلق سنة 832 هـ وتوفي سنة 872 هـ بعد أن انقضى على استلامه أربعون عاماً وتسعة أشهر وستة أيام : « تسلم الدعوة بعد وفاة ابن أخيه الداعي علي بن عبد الله بن علي في نصف النهار من يوم الخميس الثالث من صفر سنة 832 هـ واسمه الداعي الأجل سيدنا إدريس ابن الداعي الحسن ابن الداعي عبد الله فقام بالدعوة خير قيام .

وأقامها في الجزائر الثلاث على أحسن نظام ، وهدى المسترشدين إلى طريق الرشاد ، وأوضح لهم المبدأ والمعاد ، ودعاهم إلى الإسلام والإيمان ، وعبادة الملك المنان . وكان من شأنه أنه لا يرضى من الإنسان غير إيمانه ، ولا يلتفت نحو شيء من فضله غير إذعانه . . . »[1] .

وصنف الكتب والرسائل ، وأوضح المشكلات والمسائل ، في السير والأخبار ، والحجج الواضحة لدين الواحد القهار ، وصرح موضحاً ما كان مرموزاً في كتب المتقدمين من الدعاة من الدقائق ، وفي التأويل والأسرار والحقائق .

ومن مؤلفات الداعي إدريس عماد الدين الهامة كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار في سبعة مجلدات[2] ، ورسالة البيان ، وكتاب نزهة الأفكار في جزءين : ذكر في الجزء الأول تاريخ الدعوة في اليمن من أيام قيام الداعي الذؤيب بن موسى حتى أيام جده عبد الله . وفي الجزء الثاني استمر في ذكر الحوادث التي جاءت في الشطر الأخير من حياة الداعي عبد الله حتى سنة 853 هجرية وتعرض لذكر الدعوة وسيرة الدعاة بعد الإمام الطيب وكيف كانت الدعوة للأئمة المستورين . وكتاب روضة الأخبار وبهجة الأسمار وهو تكملة

---

(1) منتزع الأخبار ، مخطوطة ورقة 234 المجلد 25 .

(2) حققه مصطفى غالب من منشورات دار الأندلس بيروت .

لسرد حوادث اليمن التاريخية من سنة 854 حتى سنة 870 هجرية . وكتاب أسماء نفوس المهتدين ، وكتاب هداية الطالبين ، ورسالة مهديات البهتان .

وقد أورد مؤلف « منتزع الأخبار » أبياتاً من شعر إدريس عماد الدين في وصف وباء حل باليمن فأصابها بكارثة مروعة حتى لم يبق إلا البهائم ترعى ولا راعي لها ، وانتهى الوباء إلى صنعاء فمات جل أهلها ، ومات صاحب دولتها وملكها ، ولم يبق إلا قليل من أغنياء الناس وأهل الرئاسة فيهم والزعامة وذلك في شهر محرم أول سنة أربعين وثمانمائة ، وشاع الموت فيما حول صنعاء من البلدان ، وحل مع جملة الناس بهلان ، ونال في حراز حصين أمر شديد وصل بنا منه ما كنا عنه . وفني الكثير من جم العديد . ثم يورد ما قاله شعراً في هذه المناسبة الداعي إدريس عماد الدين :

وإني لذو صبر على كل كارث ... ولكن توالت للخطوب وقائع
وجار علي الدهر فاغتال أسرتي ... وأصاب قلبي بالردى متتابع
وغارت بحور العلم منهم وأنزلت ... عن الأفق الأعلى النجوم الطوالع
خلت منهم للصالحات جوامع ... وأقفر من تلك الوجوه المجامع
أولئك أصحابي الذين أعدهم ... وألقى بهم ما نابني وأدافع
فمن أين لي في العالمين لمثلهم ... إذا عددت في الأكرمين الضائع

هذا هو الداعي المطلق إدريس عماد الدين وهذه هي مؤلفاته التي أتى على ذكرها صاحب كتاب منتزع الأخبار ؛ ولا نعلم فيما إذا كان له مصنفات أخرى أغفلها صاحب المنتزع . ولما قربت ساعة الرحيل عن هذه الدنيا الفانية نص على ولده الحسن بن إدريس وعزره بابن عمه عبد الله ابن الداعي علي ابن الداعي الحسن فخر الدين وتوفي يوم التاسع عشر من ذي القعدة سنة 872 وبلغت أيام دعوته أربعون سنة وتسعة أشهر وستة أيام .

تحقيق الكتاب

اعتمدنا في تحقيق ومطابقة هذا الكتاب على نسختين خطيتين : الأولى حصلنا عليها من أحد الأصدقاء من مدينة سورت في الهند وقد رمزنا إليها بالحرف (ن) كتبت على ورق مصقول بمداد أزرق والعناوين بالحبر الأحمر ، تقع في 403 صفحات ، مقاس الصفحة 14 × 22 سم ، وتشتمل كل صفحة على 14 سطراً . جاء في نهاية النسخة ما يلي : « وقع الفراغ من نساخة هذا الكتاب المبارك في اليوم السابع عشر من شهر شعبان سنة 1288 من هجرة النبي المختار صلّى الله عليه وآله الأطهار ، ما جن الليل وأضاء النهار » .

تعتبر هذه النسخة جيدة فيها بعض النقص في عناوين الأبواب ، ولكنها مع كل

هذا أفادتنا في المطابقة واعتبرناها الأصل كونها أقدم من النسخة الثانية وأصلح .

أما النسخة الثانية فقد أهدانا إياها الشيخ علي بن الشيخ يوسف نجم الدين من اليمن وتقع في 398 صفحة ، مقاس الصفحة 16 × 24 سم ، وتشتمل كل صفحة على 13 سطراً ، جاء في نهايتها ما يلي : « أنهينا نسخ هذا الكتاب الموسوم بزهر المعاني للداعي إدريس عماد الدين قدس الله روحه ليلة الخميس الخامس عشر من رمضان المبارك سنة 1367 من هجرة سيد الأنبياء محمد (صلعم) » رمزنا إليها بالحرف (م) .

ورغم أن هذه النسخة قد كتبت بخط سيء وصعب القراءة فقد كانت كاملة بعناوين الأبواب ، وعلى الهامش بعض الشروحات والتعابير التي تدل على أنها قوبلت على نسخة أخرى ، فيها أخطاء كثيرة وعبارات استخلصناها من النسخة الأولى (ن) ووضعناها في أماكنها .

وفي النهاية أقدم جزيل الشكر للاخوان على مساعدتهم في تقديم النصائح والإرشادات مع بعض المخطوطات ، فلهم تقديري وإعجابي أعاننا الله على رد الجميل بمثله والسلام .

بيروت في 1980/10/10

الدكتور مصطفى غالب

كتاب زهر المعاني في توحيد المبدع سبحانه ، ومعرفة كمال الأول والثاني ، وحصول عالم الجسم وارتقائه إلى العالم الروحاني . تأليف مولانا وسيدنا داعي الجزيرة اليمنية ، وأمين الدعوة الطيبية ، عماد الدين ، عمدة العلماء الموّحدين ، إدريس بن حسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن حاتم بن حسين ، آدام الله تأييده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا ترتقي إليه الأوهام ، وأجزل من عوارف الخيرات مزيده ، ولا تدركه رويات الأفهام ، ولا يعبر عنه بأحرف الكلام ، ولا يشار[1] إليه بالصفات والأسماء ، إلّا ما أدت الضرورة إليه من تعبير العلماء ، دلالة عليه لضيق العبارة ، وتنزيهاً له عن الاسم والصفة والإشارة ، فإن وصف بالوحدة فهي صفة من وحده ، وإن عبر عنه بالمبدع فالإشارة إلى من أبدعه وأوجده ، إن قيل خلق فالمخلوق غني وإلى صفوته ، فمن خلق أشير ، وكفى أبدع الإبداع قبل الكون والكيان ، وجعله سابقاً للوقت والأوان ، فكيف يحيط علم بنى[2] الزمان والمكان بمن سبقت مبدعاته الزمان والمكان ، أشهد أن لا إله إلا الله الذي تاهت في صفة إبداعه العقول ، وولهت (2) وعجزت عن إدراكه فوقفت حائرة وتدلهت ، وأشهد أن صفوته من الخلق وخيرته الذي جاء بالصدق سيد الأولين والآخرين ، وخير الماضين والغابرين[3] ، محمد رسوله الذي اختاره واصطفاه ، وطهر من الأوضار ، وصفا صلى الله عليه من نبي صدع بما أمر به معلناً ، ونادى موضحاً ، لفضل وحيه مبيناً ، فقال محدثاً بما أنعم عليه : (اللهم والي من والاه)[4] من كنت مولاه ، فعلي مولاه ، وعلي وصيه ، وصفوته ، ومنتجبه ، وخيرته ، علي بن أبي طالب المشار إليه بالنبأ العظيم ، المخصوص بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[5] الذي قام به الدين على ساق ، وأوتي الفضل بالاستيجاب

---

(1) يشار : سوار في ن .

(2) بنى : سقطت في م .

(3) الغابرين : الغائرين في ن .

(4) اللهم والي من والاه : وأولاه في م .

(5) سورة 43 اية 4 .

والإستحقاق ، وجاهد في سبيل الله حتى أذل الله بسيفه أهل العناد والشقاق ، وعلى الأئمة من ذريته الذين استقرت الإمامة فيهم ، وورثوا كلمة الله تعالى إماماً بعد إمام على تواليهم أغصان الشجرة المباركة النبوية[6] ، وأثمار الدوحة الشريفة العلوية ، الذين أتاهم الله المراتب الشريفة السنية ، وجعلهم العترة الطاهرة والذرية ، واجتباهم من البرية ، آباء مولانا أمير المؤمنين ، صاحب الوقت الذي سمى فضله عن الوصف والنعت ، ووارث سابع الأشهاد ، وبقية من قال الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[7] الإمام من نسل الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين ، وسلم عليهم أجمعين ، تسليماً متصلاً إلى يوم الدين .

أما بعد : فإني لما هداني الله ببركات حدود وليه المنيبين بشريف ولائه ، وجعلني من جملة[8] خول عبيده وأوليائه ، فضلاً من الله تعالى ونعمة[9] ومنة منه ومن (3) أسبابه ، ورحمة لا أقوم بشكرها ، ولا أستطيع أن أبوء بعدها وحفرها ، كان الواجب عليَّ الشكر لولي النعمة ، وأن أودي طاقة من ذلك تأدباً ، بآداب إتباع الأئمة ، وأدل على فضل من هدانيْ ، وأُولي التابعين من فضله ما أولاني ، لقول النبي (صلعم) : من أسدى إليه نعمة ، فليشكرها . ولقوله (صلعم) : إذا أنعم الله على عبده بنعمة أحب أن يرى الناس أثرها عليه . فألفت هذا الكتاب ليقف عليه الناس المأنوسون[10] بالحكمة ، ويطلع عليه من ألهمه الله وشده من إتباع الأئمة ، ولا أنسب إلى نفسه إلاّ ما كان من القصور عن شاو العلماء ، والتخلف عن مجاراتهم في حلبة سباق بث النعماء[11] ، لكن ما كان من فضله فنسبته إلى من هداني ، وإلى من أرشدني ، ولنعمه أولاني ، وهو الذي أفوه به غرفة[12] من بحره ، ومن تنسيمة[13] من ريحه ، الزكيِّ عبوّ نشره ، ووسمت هذا الكتاب بكتاب زهر المعاني ، في توحيد المبدع ومعرفة الكمال الأول والثاني ، وحصول عالم الجسم وارتقائه إلى العالم الروحاني ، لكون ما فيه زهرة للنفوس ،

---

(6) النبوية : النوبوية في ن .

(7) سورة 13 آية 7 .

(8) جملة : جولة في ن .

(9) ونعمة : وعمه في م .

(10) المأنوسون : المواسون في م .

(11) النعماء : النغماء في ن .

(12) غرفة : سقطت في ن .

(13) تنسيمة : وسيمة في م .

ونواراً تنسم به روح الحياة ، وتكتسي بأنواره ، ولله المنة ، ولرسوله وللمؤمنين ، وأسئل الهداية إلى المنهج المبين ، وأن لا يخرجني فيها أؤمله ، وأرصن[14] من المسددين في دينهم الموفقين ، وأن يسلك بي مسلك[15] أهل التقى والرشاد ، ولا يجعلني من أهل الخطأ والفساد ، بحق فضل أوليائه صفوة العباد ، وخيرة الله في البلاد ، وأنا آخذ عهد (4) الله الأكيد ، وميثاقه الشديد ، على من صار كتابي هذا إليه ، أن لا وقف عليه ، ولا أطلع على ما فيه ، وما يحتوي في مطاويه ، إلاّ يفسح من إليه الاطلاق ، فمن يعطي مما أعطاه[16] ولي الله بالاستيجاب والاستحقاق ، وكل من أبدى شيئاً من سره ، أو نظر إليه بغير فسح ولي أمره ، فعليه لعنة الله التي لعن بها إبليس وأخرجه من حوله وقوته ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، ومن الله أستمد التوفيق ، وأسأل الله الهداية في النهج[17] القديم القويم ، وأن يتجاوز عني فيها أبديه ، ويجعل ذلك خالصاً لوجهه لا يشوبه شائب يغيره ، بحق صفوته من عباده ، وخيرته في بلاده .

وترتيب هذا الكتاب على ما أسرده من الأبواب ، والله الموفق للصواب .

الباب الأول : في إثبات مبدع الحق سبحانه ، وتقدست[18] اسمائه ، واستناد الموجودات إلى هويته ، جل ثنائه .

الباب الثاني : في سلب الأسماء والصفات عنه جلّ وعلى ، وأنها لا توقع عليه ، ولا يوصف بها ، ولا يشار بها إليه .

الباب الثالث : في مواقع أسماء الله الحسنى ، ومن المستحق أن يشار بها إليه .

الباب الرابع : ويعني في صفة وجود عالم الإبداع في أول وهلة[19] ، وتساويهم في الوجود الأول على التفضيل والجملة .

الباب الخامس : في سبق الأول من عالم الإبداع إلى التوحيد ، وما اختص به لسبقه من إمداده بنور التأييد .

---

(14) وأرصن : ورص في م .

(15) بي مسلك : سلوكي في ن .

(16) أعطاه : غطاه في م .

(17) النهج : الرهاج في ن .

(18) تقدست : كرست في ن .

(19) وهلة : نواهله في م .

الباب السادس : في كون الإبداع الأول لعالمه أولاً ، وعلة بها كان تواليهم على الولاء .

الباب السابع : في ذكر المنبعث المكنى عنه باللوح ، وماله من الشرف على عالمه ، وأنه يتلو الأول ويقفوه في جميع مراسمه .

الباب الثامن : في توالي مراتب عالم الإبداع ، وتفاضلهم على قدر سبقهم ، وما أتوه من (5) عظيم فضلهم ، وشريف حقهم .

الباب التاسع : في عاشر الرتب وتخلفه وإنابته ، وما ألزم من تدبير العالم الذي عليه وجب .

الباب العاشر : في الهيولي ، والصورة ، وما وجد عنهما من الأفلاك والأمهات ، وما نضد[20] فيهما على أحسن الترتيب ، والثبات .

الباب الحادي عشر : في ذكرى المواليد التي هي المعادن ، والنبات ، والحيوان ، وكيف ظهور[21] صفوتها وخلاصتها ، الذي هو الإنسان .

الباب الثاني عشر : في ذكر آدم الكلي الأول ، وما استحقه من المقام الأشرف الأكمل ، وذكر دوره الذي هو دور الكشف والظهور ، وما كان فيه من السعادة الكلية ، وجريان الأفلاك بمساعدة المقدور[22] .

الباب الثالث عشر : في ذكر الأنبياء الذين قاموا بالشرائع والمستقر[23] منهم ، والمحملَ للأمانات في الودائع ، وذكر من قام بعدهم من الأنبياء والخلفاء ، وما خصهم الله به من الفضل ، واصطفى .

الباب الرابع عشر : في ذكر محمد (صلعم) ومقامه الأفضل المحمود ، وما استحق[24] من الفضل ، وأنه خير الخلق ، وصفوة الوجود .

الباب الخامس عشر : في ذكر علي وصي محمد وخليفته ، وعالي فضله ، وما خصه

---

(20) نضد : وطد في م .

(21) ظهور : بظور في م .

(22) المقدور : القدرة في ن .

(23) والمستقر : القرار في م .

(24) استحق : محق في م .

الله تعالى به من شريف قدره ، وسامي محله .

الباب السادس عشر : في ذكر فاطمة البتول والسبطين ، وكون الإمامة رجعت بعد الحسن مستقرة لا تخرج من عقب الحسين .

الباب السابع عشر : في ذكر الأئمة من ذرية محمد (صلعم) وعالي فضلهم ، وسامي شرفهم ، وعظيم محلهم .

الباب الثامن عشر : في الإمامة والإمام ، وما عبر به من ذكر الناسوت[25] ، واللاهوت في الكلام .

الباب التاسع عشر : (6) في ذكر الحدود ، وما يقيم أولياء الله منهم للهداية للبقاء الأبدية ، وحقيقة الوجود .

الباب العشرين : في ذكر قيام[26] القائم سلام الله على ذكره ، الذي هو للنطقاء ، والأئمة الختام ، وبه الكمال لعدتهم والتمام ، وما يكون على يديه من الثواب ، والعقاب ، والصعود في زمرتهم إلى العالم الروحاني ، الذي إليه المرجع والمآب .

الباب الواحد والعشرين : في ذكر معاد الأضداد والمخالفين لأولياء الحق[27] ، وما يردون فيه من إدراك الجحيم ، وموارد العذاب الأليم ، على قدر أعمالهم السيئة المنكرة ، وعداوتهم للصفوة من خلق الله المطهرة[28] ، ومصيرهم إلى العذاب الأكبر ، هو سجين أعاذنا الله من ذلك ، وجميع أتباع أوليائه الطاهرين ، وجعلنا ممن يسلك الطريقة المحمودة ، ومات على العمل الصالح وحسن العقيدة ،ولا جعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالين ، بحق محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين .

المؤلف

---

(25) الناسوت : السانوت في م .

(26) قيام : قوام في ن .

(27) الحق : الحقائق في ن .

(28) المطهرة : الطاهرة في ن .

الباب الأول : نقول وبالله وببركات أوليائه القوة والحول ، ومنهم وبهم نرجو العصمة في الفعل والقول : إن الله تعالى جلت هويته ، وعظمت قدرته ، هو مبدع المبدعات قبل وجود المخلوقات ، وجميع ما في العالم الروحاني اللطيف[29] ، والعالم الجرماني الخفيف ، والعالم الجسماني الكثيف ، شاهد له بالربوبية ، ناطق لمن عقل وتدبر لمن أوجده بالوحدانية ، وقد سئل رسول الله (صلعم) عن معرفة الله فقال : تدلك الصنعة على صانعها ، والفعل على فاعله ، وذلك موجود في الخلقة ، واضح في الفطرة . إذ كل صنعة تدل على أن لها صانعاً ، وكل حكمة (7) تدل على أن لها حكيماً محكماً ، وكل علم يدل على أن له عالماً عاماً ، فإذا كان ذلك في كل شيء موجود استدللنا بالخلق وبالموجود على موجده . وإنا إذا نظرنا في الخلقة الجسمانية وما يظهر عنها من المواليد وانتهاؤها إلى الوجود ، الإنساني ، والشخص الأدمي ، واجتماع النفس والجسد في شخص واحد بعد اجتماع الطبائع الأربع المتضادات ، دلنا ذلك على أن له موجداً وخالقاً هو الذي جمع[31] بين اللطائف ، والكثائف ، بحسن التقدير ، وكمال التدبير ، وألف بين البائنات من طبائعه المتضادة في العالم الصغير . ثم إذا نظرنا في ذلك ، وأجدنا الفكرة ، وسألنا من أمرنا الله تعالى أن نستمع أمره ، دلنا ذلك على أن المواليد ظهرت في الأرض بتدبير الأفلاك والسموات ، وسير النجوم[32] في بُروجها وما لأفلاكها من الحركات ، وان العالم بسمائه ، وأرضه ، ونجومه ، وبروجه ، وأقطاره ، وأفلاكه ،

---

(29) اللطيف : الشيف في م .

(30) تدل : مل في ن .

(31) جمع : وجاع في م .

(32) النجوم : النجوية في م .

وسكونه ، وحراكه ، خامد هامد غير عاقل ولا مدرك ، وإن حركاته الدائرة ، وأفعاله الواردة والصادرة ، بفعل فاعل ، وعمل عامل ، منه الحركة والسكون ، والتهيىء بما يوجد يكون . ولما أجدنا في ذلك الفكرة ، رفعنا إلى من أمرنا الله تعالى بسؤاله من العترة ، فعلمنا من قبلهم ، وتحققنا بما أنعموا علينا وهدونا إليه بتطولهم وتفضلهم ، أن العالم الروحاني هو المحرك لهذه الأفلاك ، والمدبر لها ، الذي بفعله[33] سكونه والحراك ، وذلك ما ورد عن النبي (صلعم) في شرعه ، واني عنه في شريف وضعه ، من تلك[34] الملائكة الموكلين بالعالم ، المحركين له الحراك الدائم ، ثم إنا علمنا منهم ، وأخذنا عنهم ، أن العالم الروحاني متقاطرة فيه الرتب ، لكل مرتبة مرتب هو لها الأصل ، و (8) السبب ، وانها مستندة إلى أول كاستناد[35] الأعداد إلى الواحد الذي هو لها أول ، وعليه في عددها المعول ، وذلك هو المسمى بالعقل الأول ، والموجود الأول ، الذي هو من العالم[36] الروحاني الشريف السابق الأفضل ، ودلنا ذلك أن له موجداً أوجده ، وموحداً أحده ، منه ظهر عن فعل أصدره ، وهو مبدع المبدعات ، ومخترع المخترعات ، الذي أخرجها إلى الوجود من العدم ، وفطر المحدثات من المخلوقات بعد القدم ، ولولا هويته المتعالية ، لم يكن وجود ، ولا خالق موجود ، ولا عاد ولا معدود ، فتعالى الله الذي هو عجزت العقول عن وصف هويته ، وشهد ما أبدعه وخلقه بآلهيته ، فعن هويته ظهرت المبدعات ، فكان السكون والحركات ، هو من ورائها في حجاب من العظمة والبهاء ، والنور والضياء ، والعزة والكبرياء ، عجزت عن إدراكه المبدعات ، وسهت[37] لتلالي أنواره المشعشعات ، فهذه شهادة العالم الروحاني والجسماني لخالقه ، ودلالة متخلفة على المبدع تعالى وسابقه .

ثم إنا إن نظرنا إلى ما أورده الأنبياء عليهم السلام في أوضاعهم ، وأتوا به في شرعهم[38] المتلالي منه نور شعاعهم ، وما ضمنوا ذلك من المعاني اللطيفة ، والأسرار الخفية الشريفة ، وأتى به الأوصياء والأئمة عليهم السلام ، في الخلق الديني ، والوجود الصوري ، وجدنا فيه عالماً قائماً بإزاء العالم اللطيف الروحاني ، ومقابلاً لما في الخلقة من

---

(33) بفعله : بفضله في ن .

(34) تلك : ذلك في م .

(35) كاستناد : استناد في ن .

(36) العالم : المعالم في م .

(37) وسهت : وأكمهت في ن .

(38) في : سقطت في م .

العالمين الجرماني والجسماني ، عقولاً مقدسة لطيفة ، وأنواراً مبرضة شريفة ، وسموات بما دونها محيطة ، وأرضاً قابلة مستمدة بسيطة ، ووجدنا ذلك (9) قد وجد فيه مقابلة عالم الإبداع والخلق ، وشهادة مبنية بإثبات المبدع الحق ، إذ كان صدر الدين من حيث صدر الخلق ، وموجده هو الذي أوجده وبه أمر .

وعن الأول الذي هو أيس من ليس ظهور ما ظهر عنه وصدر ، وعلمنا أن لهذا وهذا موجداً ومبدعاً ، جل متعالياً أن يكون بصفة من صفات ما أوجده ، وممتنعاً ، وكانت الشهادة بثبوت الموجد سبحانه قائمة ، والدلالة على هويته المتعالية لازمة ، وقد أوضح ذلك سيدنا المؤيد في الدين[39] عصمة الموحدين ، بقوله : الحمد لله الذي خلق العالم الجسماني جامعاً لمحاسن التقدير ، وشاهداً بحسن التدبير ، للحكيم الخبير ، الذي هو على كل شيء قدير ، لسموات رفع سمكها وسواها[40] ، واغطش ليلها ، وأخرج ضحاها[41] ، وأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، وجبال شامخة أرساها ، إكمالاً للخلق الطبيعي ، وادراراً للرزق الجسداني ، وقابل ما خلقه من العالم الجسماني بالعالم الروحاني ، الذي هو المعاد ، وإليه يصير المعاد ، فزينه بسموات نفسانية ، ذات شهب نورانية ، وأرض مقدسة روحانية ، يخرج بإذن ربها نباتها أقواتاً للأرواح اللطيفة ، وأنشأ للصور القدسية الشريفة حكمة لمن تدبرها بالغة ، ونعمة سابغة . فقد أوضح أعلى الله قدسه ، كون الخلقة الدينية قابلة[42] للخلقة الجسمانية الطبيعية ، وكلاهما شاهد بحسن التدبير ، ولطف التقدير ، لمن جلت فردانيته ، وتعالت وحدانيته ، فالمراقي في الخلقة الدينية كلما إرتقى درجة (10) ، وعلا منزلة ومرتبة ، بان له من الدلائل على توحيد الخالق سبحانه ما لم يخطر بباله ، ولا نظن أن ذلك يتهيأ لأمثاله ، فجل الله المبدع الخالق المصور الذي عجزت عنه ضرورة العبارة ، ولم يوصف إلا لما إضطرت إليه العقول من الإشارة ، فهو مؤيس الأيس ، والطرق مفسدة ، أن يقال إنه ليس ، فلولا وجود هويته المتعالية لما كان لشيء من الروحانيات والجسمانيات وجود ، ولا ظهرت حركة ولا همود ، وقد أوضح ذلك سيدنا الداعي أحمد بن عبد الله الكرماني في كتاب (راحة العقل)[43] وأتى فيه بما هو أكبر الدلائل على إثبات الصانع ، وبه يبطل

(39) يعني المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة الذي لعب دوراً فعالاً في عهد الخلفاء الفاطميين .

(40) وسواها : ساواها في ن .

(41) ضحاها : ضاحاها في ن .

(42) قابلة : قابلوا في م .

(43) راحة العقل لحجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني نشره مصطفى غالب في بيروت ـ لبنان .

قول الضالين الذين وقفوا عند خلقه من الأفلاك والطبائع ، فقال في المشرع الأول من السور الثاني[44] من هذا الكتاب المذكور : ولما كانت الموجودات بعضها في وجوده مستند إلى بعض ، وكان لو كان ذلك البعض الذي يستند هذا البعض في وجوده إليه وبه يتعلق وجوده غير ثابت في الوجود ، ولا موجوداً ، لكان وجود هذا البعض محالاً ، فلما ثبت أنه لا وجود لهذا إلّا بذاك ، كان منه العلم بأن الذي تنتهي إليه الموجودات التي به (توجد وإليه)[45] تستند وعنه توجَد هو الله الذي لا إله إلّا هو محال (ليسيته ، باطل لاهويته)[46] إذ لو كان ليساً لكانت الموجودات أيضاً ليساً ، فلما كانت الموجودات موجودة كانت ليسيته باطلة .

فهذا قول الداعي ناطق بإثبات الهوية المتعالية ، بشهادة الموجودات الجسمانية الدانية ، والروحانية العالية ، وميدان ما أورده الهداة في إثبات المبدع سبحانه متسع واسع الهوية التي لا ترقي إليه الأوهام ممتنع ، وفيما أوردناه في هذا (11) الباب كفاية لمن فتح عين بصيرته ، ونظر إلى البراهين الواضحة حالياً ثمرة فكرته ، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزيغ عن سبيل توحيده ، وأن لا يقطعنا عن الإتصال بأوليائه وحدوده ، ولا حول ولا قوة ، إلّا بالله العلي العظيم ، وببركات أوليائه ، نرجو النجاة من التعطيل ، المورد في إدراك الجحيم .

الباب الثاني : في سلب الأسماء والصفات عن المبدع سبحانه والإبانة أنها لا تقع بالحقيقة عليه ولا يوصف بها ، ولا يشار[47] بها إليه ، وأنه تعالى لا يتناهى إليه بصفة ، ولا يدرك بحقيقة المعرفة . إنا قد أتينا في الباب الذي قبل هذا الباب على[48] إثبات الهوية المتعالية عن الصفات ، بما فيه مقنع لمن ألقى السمع وهو شهيد ، ممن إستقام على طاعة أولياء[49] الله الهداة ، ونقول[50] الآن : أن الأسماء والصفات غير واقعة على المبدع حقيقة الوقوع ، ولا يعبر بها عنه بالقول المنطوق به المسموع ، جل أن تقع الأسماء

---

(44) راحة العقل صفحة (129 ـ 130) تحقيق مصطفى غالب منشورات دار الأندلس بيروت .

(45) توجد وإليه : سقطت في ن و م . وجدناه في نص راحة العقل المشار إليه أعلاه .

(46) ليسيته ، باطل لاهويته : سقطت في ن و م . عثرنا عليه في نص راحة العقل فاصلحناه .

(47) يشار : سقطت في ن .

(48) على : سقطت في م .

(49) أولياء : ولاء في ن .

(50) ونقول : سقطت في ن .

والصفات عليه ، وتعالى أن يشار إليه ، فإن قلنا أبدع ، فالمبدع وصف ، وإن قلنا خلق فالمخلوق عُني ، وإن قلنا أوجد فإلى الموجد أشير وكني بما أدت إليه ضرورة العبارة ، والحروف المستعارة ، وإن من الأسماء والصفات التي وردت في القرآن العظيم من السميع ، والعليم ، والقادر ، والحكيم ، وسائر الصفات معبرة عما أوجده في خلقه ، وغير واقعة إلاّ مجازاً على عالم الإبداع لشرفه وسبقه ، إذ كانت الصفات على مثلها تدل ، وفي شكلها تحل ، والباري تبارك وتعالى غير ذي جسم ، فيوصف بصفات الأجسام ، ولا هو عقل ، فيوصف بما توصف به العقول من الكمال والتمام ، ولا (12) تحيط به الأماكن فتحده ، ولا يوقع عليه اسم الوحدانية فيعده ، وهو مبدع الواحد ، وجاعله علة العلل ، وموجد الأحد ، الذي له الأعلى من المثل والأهام ، ولا تحفه[51] العقول ولا تقدره ، فمن نفاه غرق من التعطيل في قعر بحره ، ومن شبهه وقع في ضنك الشرك به وضيقه وحصره ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[52] فالأسماء والصفات ، والإشارات ، والعبارات قاصرة عنه ، واقعة على من دونه ، جارية إلى عباد ممن أوجده يعبدونه ، ويشكرونه على جليل أنعامه ، ويحمدونه من روحاني خارج عن الأجسام ، وديني من ذوي الأقدار الجسام ، يسبحون مبدعهم وله يشكرون ، وعن تقديسه وتوحيده[53] لا يفترون . قال سيدنا الداعي المؤيد في الدين قدس الله روحه[54] في بعض مناجاته : اللهم يا من وقع اعترافنا بصدق ما قاله في حكيم ذكره ، إذ يقول وقوله الحق : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ إنا نسألك المسامحة لمن هو من رق العبودية في ضيق الانحصار ، إذا تناول ذكرك بغير ما أنت أهله بحكم الاضطرار ، فإنما هو ذنب مشفوع بالاستغفار . هذا قوله أعلى الله قدسه يدل بذلك على أن الأسماء والصفات ليست تقع على الباري تعالى إلاّ بحكم الإضطرار ، إذ لا بد من (الإشارة إليه بهذه)[55] العبارة ، وأن يكنى ، وبالأسماء إليه يشار ، وهو متنزه عن الإشارة ، متعالي عن أن يرتقى إليه بالعبارة . وإنما ذلك لضرورة من تكلم ، وحاجته إلى أن يرتقي من الأسماء والصفات بسلم ، ثم أنه يسلبها عن المبدع ويوقعها بحيث يجب أن توقع ، وقد قيل إن الأسماء والصفات تقع على الجسمانيات حقيقة ، وعلى الروحانيات مجازاً ، ولا تقع

(51) تحفه : تحافه في م .

(52) سورة 6 آية 91 .

(53) وتوحيده : سقطت في ن .

(54) وردت هذه المناجاة في المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة الفاطمي .

(55) الإشارة إليه بهذه : سقطت في ن .

على (13) الباري لا حقيقة ولا مجازاً .

وقد روي أن كميل بن زياد سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[56] عليه السلام عن توحيد مجرد ، بلسان صدق مفرد ، فقال عليه السلام : يا كميل من أجاب عن التـوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشار إليه فهو ثنوي ، ومن نطق[57] فيه فهو جاهل ، ومن سكت عنه فهو غافل ، ومن ظن أنه واصل فليس له حاصل ، وكل ما ميزتموه بأوهامكم في أصدق معانيه فمصروف عنه ، مردود إليكم ، مصنوع محدث شلكم . وروي أيضاً أن رجلاً سأله فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك ؟ فقال : أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ فقال : لا تدركه العيون[58] بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان ، قريب من الأشياء غير ملامس ، بعيد منها غير مباين[59] (متكلم لا بروية ، مريد لا بهمة)[60] ، صانع بلا جارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، [كبير لا يوصف بالجفاء ، بصير لا يوصف بالحاسة][61] رحيم لا يوصف بالرقة ، تعنو الوجوه لعظمته ، وتخضع القلوب من مخافته .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن أول الديانة بالله تعالى معرفته ، وكمال معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه ، وإقامة حدوده ، شهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كل مخلوق أن لـه خالقاً ليس بصفة ولا موصوف ، وشهادة كل موصوف بالإقتران وشهادة الاقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل وشهادة الصفة والموصوف جميعاً أن الحدث الممتنع من الأزل ، ومنفي عنه تعالى[62] .

وقال الشيخ الحميد أبو يعقوب السجستاني في (إثبات النبوات)[63] : فسبحان المتعالي عن درك الصفات ، وإحاطة له أريف (14) اللغات ، لا يلحقه أحكام

---

(56) ابن أبي طالب : أبو بن طالب في م .

(57) نطق : خطأ في ن .

(58) العيون : الأعيان في م .

(59) يقال إن الذي سأل هو ذعلب اليماني والنص وارد في نهج البلاغة الخطبة رقم (174) صفحة 120 من المجلد الأول .

(60) متكلم لا بروية ، مريد لا بهمة : سقطت في ن و م .

(61) كبير لا يوصف بالجفاء ، بصير لا يوصف بالحاسة : سقطت في ن و م .

(62) تعالى : سقطت في م .

(63) إثبات النبوات كتاب من تأليف أبو يعقوب السجستاني لا يزال مخطوط في مكتبتنا الخاصة .

التبديل ، ولا اختلاف التحويل ، ولا تعتوره هِمم الأحلام ، ولا حضور رويات الافهام ، ولا جولان خواطر الأوهام ، ولا ينال بحس ، ولا ينعت بجنس ، ولا يخطر في الظنون ، ولا تراه العيون ، ولا يوصف بالحواس ، ولا يدرك بالقياس ، ولا يشبه بالناس ، المنزه عن ضد شاف ، أو ند مكاف ، أو شبه شيء لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، فهو المتعالي عن شبه المحدودين المباين ذوات الموجودين ، تحيرت الأوهام في نعت جبروته ، وحصرت الأفهام عن صفة ملكوته ، وقصرت الألباب عن استشعار(64) معرفة ديمومته ، وكلت الأبصار عن إدراك كيفية عظمته ، الدال بتدبير التراكيب ، وتقدير التراتيب ، في السقف المرفوع ، والمهاد الموضوع ، والإنسان المصنوع ، على أن ذلك محدث مبدع ، مخالف لمبدعه الذي ليس له مثل ولا شبه ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ، وتعلىّ بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون ، غير ذي ند ، لأن الند إنما يناده مكاف ، ولا ذي ضد ، لأن الضد إنما يضاده مناف ، دل على هويته بخلقه وآثاره ، وعلى أسمائه بأنبيائه وأخياره ، فليس للعقل في نيل سمائه مجال ، إذ تشبيه المبدع بمبدعاته محال ، جل أن يحده تفكير ، أو يحيط به تقدير ، أو يكون له كفواً ونظير، ونشهد شهادة هي فاتحة الإحسان ، ومرضاة الرحمن ، أن لا إله إلاّ الذي لا يبلغ مدحه قائل ، ولا ينقص خزائنه نائل .

وقال سيدنا حميد الدين قس : إذ هو تعالى من حيث هو لا صفة له ولا نعت ، ولا حد ولا شبه ، ولا نظير ولا وزير ، [فهو من حيث هو لا يدرك ولا تعتوره الصفات ، ولا تنبىء عنه العبارات](65) ، في عالمي الجسم والعقل ، وهويته (15) هوية ليست بهوية يمكن أن يكون لغيره من مبدعاته مشاركة فيها ، إذ لو أمكن أن يشاركه شيء فيها من بعض الجهات لوجب أن يكون ذلك الشيء مجانساً(66) له من الجهة التي لم تقع المشاركة فيها .

وإذا كان التباين(67) موجود الكل فهما بما يختص به أو لواحد منهما وجب أن يتقدمهما من خصصهما بما باين كل واحد منهما صاحبه ، ووافق به صاحبه ، فيكون هو المعبود لا غيره . وبعد فإذا قيل إنه (تعالى) واحد ، وعالم ، وقادر ، وحي ، وغير

---

(64) استشعار : أشعار في م .

(65) فهو من حيث هو لا يدرك ولا تعتوره الصفات ، ولا تنبىء عنه العبارات : سقطت في ن .

(66) مجانساً : مبالساً في م .

(67) التباين : التوازن في ن .

ذلك ، فليس ذلك وله بعلم ، وحياة ، وقدرة ، ليصير بها موصوفاً ، بل بمعنى أنه فاعل الواحد ، والعالم ، والقادر ، والحي ، وغير ذلك .

وقال أيضاً قس في موضع[68] آخر : الحمد لله الذي عزّ عن أن يكون له مثال ، وجل أن ينعته بوجه من الوجوه مقال ، الذي حارت العقول فيه ، فلا تنهض لطلب ذلك فيما تسمه به ، إلّا منعها[69] العجز عن الوصول إليه ، وتاهت الألباب فيما لا توري زنداً في قصد ما تجعله له صفة إلّا ملكها الجهل ، بما تقضي به عليه ، أحمده حمد من يقر بما عقل به ذاته من أنه فقط ، ولا أحد من مبدعاته إله ، ولا شيء من مخترعاته إلّا بالتسبيح له أواه ، وأشهد حقاً بما عليه نشأت ، مما أرجو به الخلاص ، وأنال به الفوز ، حين لات مناص ، من أن الإلهية ليست لشيء مما يدرك بعقل أو بنفس ، ولا لما يحكم عليه بوهم أو حس ، إلّا لما تقنط الأنفس عند الإقرار به إلى القول بأنه الله الذي لا إله إلّا هو ، ولا معبود سواه .

فهذا قوله قسّ ونقول : إن المبدع سبحانه إن قلنا إنه عالم فقد أوجبنا علماً ، وعالماً ، ومعلوماً ، وإن قلنا قادراً ، فقد (16) أوجبنا قدرة ، وقادراً ، ومقدوراً عليه . فإن كانت قدرته على ما أوجد وخلق ، فهل كان قبل أن يوجد قادراً ؟ فإن قيل كان قادراً ، كان ذلك اسماً قديماً معه ، وإن قيل بعد أن خلق وأوجد كان ذلك الاسم محدثاً ، وكان محلاً[70] للمحدثات ، وكذلك سائر الأسماء والصفات . وإن قلنا إنه قادر وفي خلقه من يقال إنه قادر ، وإن كانت قدرة الله سبحانه هي القدرة التامة الكاملة ، وما دونها فهي الناقصة ، في ذلك مشاركة . وقد قال النبي (صلعم) : الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء على المسح[71] الأسود . فلا سبيل إلى الخروج من الإشراك إلّا نفي الأسماء ، والصفات ، والنعوت ، والإشارات ، عن الله تعالى ، خالق المخلوقات ، والإقرار أن ما نصفه به لضرورة العبارة ، وإنها لا تقع عليه حقيقة ، ولا تستقيم لمن أوقعها على الهوية المتعالية طريقة ، والمعرفة بأن العجز[72] عن إدراكه إدراك ، وهو متعالي أن يشار إليه ، فيقال ذاك .

---

(68) موضع : موضوع في م .

(69) منعها : شملها في ن .

(70) محلاً : محللاً في ن .

(71) المسح : المسيح في م .

(72) العجز : الفجر في ن .

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : العجز عن درك الإدراك إدراك ، والبحث عن كنه سر الذات إشراك ، والكشف عن مستجنات الغيوب غمي عليه من ظلمات العجز أفلاك ، ولا يقال إنه شيء ، لا الشيء صفة لما أبدعه ، وخلقه ، ونشأه ، وأوجده ، وصنعه[73] .

قد قال سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه : الأشياء تنقسم على ثلاثة أقسام : أولها وأشرفها وأكملها ما يكون لا بزمان ، ويختص ذلك باسم الإبداع ، وثانيها الذي هو أوسطها ما يكون مع الزمان ، ويختص ذلك باسم الإنبعاث ، وثالثها الذي هو دونها ، وأحسن ما يكون بزمان[74] ، ويختص فلك (17) باسم الأحداث ، وكان ما يكون بزمان هو الفعل الصادر عن علة فاعلة ، وهي بعد الزمان والمكان ، وذلك يختص بعالم الكون والفساد ، والحي القادر العالم هو الموجود الأول ، ولا يقال إن المتعالي سبحانه شيء لا كالأشياء ، فالشيء يقتضي شيئاً شيئه[75] ، ومن قال لا اعرف إلاّ بأنه هو ، فذلك إشارة إلى معلوم .

ومن قال إن أفعال العباد ترضيه وتسخطه ، فقد أجرى عليه الحالات ، لاستحالته من السخط إلى الرضا عند وجوب الطاعة ، ومن الرضى إلى السخط لوجوب المعصية ، وأفعال العباد[76] راجعة عليهم ، والمبدع الحق متعال عن ذلك ، بقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه وَمَنْ أساء فعليْها وما ربُّك بظلامٍ للْعبيدِ ﴾[77] وهذه سماء المحدثات ومبدعها متعال عنها ، لأن المبدع لا يشبه شيئاً مما أحدث ، ولو أشبه شيئاً منها بوجه من الوجوه لكان محدثاً، لا محدثاً غير إن عللنا الخلقة وكونها بعد أن لم تكن، فعلمنا أن لها مبدعاً تعجز عقولنا عن إدراكه ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقال أيضاً : تعالى من هو من العلاء في ذروة لا يجوز أن يكون غير يسبقه ، ويتناول عليه ، فيكون هو دونه ، فهو من فوق نهاية المراتب في الجلال ، والعظمة ، والكبرياء ، والثناء ، والقدرة ، والبهاء ، على أمر يضيق مجال العقول في الإحاطة به ، تعالى الله علواً كبيراً .

---

(73) وصنعه : وشفاه في م .
(74) بزمان : سقطت في م .
(75) شيئه : شياءه في ن .
(76) العباد : العهاد في ن .
(77) سورة 41 أية 46 .

وقال العالم عليه السلام : الحمد لله الذي تشبيهه إشراك ، وتعطيله هلاك ، والعجز عن إدراكه إدراك . وقال عليه السلام : وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده ، لا شريك له ، المتعالي عن الأشياء ، والأضداد ، والمتكبر عن[78] الأكفاء ، والأنداد ، والمتجبر عن الولادة والأولاد ، المتقدس عن المقدار (18) والأعداد ، الذي علا بجوده[79] عن صفات كل مخلوق ، وسمات كل مربوب ، لا يقدر العقل مع جلالة مرتبته ، وسمو رفعته ، باصناف قواه على أن يدرك شيئاً من جلالته ، وأن يحيط بأدنى قدرة من قدره التي بها أبدعه ، إلاّ بالإقرار بأنيته . ثم يبقى بعد الإقرار[80] متحيراً كليلاً في نفي ما يتصور به عنه من إثباته إثباتاً بعد نفي ، ونفياً بعد إثبات ، ولا يبلغ مرتبته إلاّ بما يحيط قوته من إثبات محض ، الإقرار بالعجز ، والخضوع لمن أبدعه ، ووجده ، وأظهره ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون ، علواً كبيراً .

وقال سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه : ثم أن المبدع الأول الذي هو الإبداع التام الكامل مع تمامه وكماله ، لا يحيط علماً بما عنه وجوده سبحانه أصلاً ، ولا يعقله ، ولا يهتدي إلى شيء عند الإثبات لذلك ، ولا ينهض لأمر يعقله في ذلك ، إلاّ وهو بكونه نهاية النهايات كلها ، في الأشياء كلها ، شرفاً . وكان من ذاته استعارة ، وفي ذاته وجده ، فلا يحصل إلاّ على تصور ذاته ، فيرجع خاسراً عالماً بأن ذلك غير مقدور عليه .

ولما كان الإبداع فعلاً[81] ووجوداً محضاً ، ووجهه إلى أن يكون موجوداً ، فهو عما هو خارج عن ذاته الذي عنه صدر إلى الوجود في شغل ، ولا سبيل له إلى ملاحظته والإحاطة به ، فهو متحير ، ومع كونه متحيراً ، فهو مشتاق إلى الملاحظة للإحاطة ، وأنى له ذلك ، والإمتناع قد حجبه ، فتحيره كتحير الطالب للقبض عليه[82] بيده ، والمشتاق إلى اعتلاء الشمس ببصره ، فهو في حيرته ، وليس له من العلم أكثر من علمه بذاته ، بأنها مبدعة مشتاقة إلى علم ما عنه (19) وجدت ، متحيرة فيه ، وليس كونه عاجزاً عن عقل ما عنه وجوده وإدراكه ، ومتحيراً فيه لنقصان في ذاته على حسب ما يكون في ذواتنا بجهلنا ما لا نعلمه ، بل لكون المتعالي سبحانه على أمر لعظيم عن الإدراك ، ويتعالى عن

---

(78) عن : سقطت في ن .

(79) بجوده : جواده في م .

(80) الإقرار : القرار في ن .

(81) فعلاً : فعال في ن .

(82) عليه : على في ن .

إحاطة عقل به ، إذ الإدراك من المدرك[83] إنما يكون بالقيام تجاه المطلوب علمه ، وطلب ما ينعته به منه . فالعقول تكيع عن ذلك ، وتعجز ، وتتحير فيه ، وتقصر ، مثل قصور أبصارنا عن مقابلة عين الشمس ، لا لنقصان فيها عن الإدراك ، بل لكون عين الشمس فيما عليه هويتها على الضوء ، تخطف الأبصار إذا قابلتها ، فتعجز وتبرق فتنقلب عنها خاسئة ، وهي حائرة[84] . هذا قوله أعلى الله قدسه .

وقد ورد عن أولياء الله عليهم السلام ، من نفي الصفات عن المبدع وتنزيهه عن أن يدرك ، أو يتوهم ، أو يحد ، أو يوصف ، أو ينعت ، أو يكيف ، ما يطول شرحه ، وينير صحبه ، وإن الإنسان ليعجز عن إدراك حده الداني إليه ، الذي تعويله في استفادته عليه ، فكيف له أن يتناهى إلى معرفة المقام الأعظم الذي منه صدر الدين وعليه عمدة الموحدين ؟ وكيف له أن يتناهى[85] إلى معرفة عقل عالم الإبداع ، المتصل إليه من مبدعه عظيم النور والشعاع ، إن ذلك عن إدراكه في المكان البعيد ، وسبيله منسدة إلاَّ بما يستملأ من أرباب التأييد[86] ، فكيف للعقول أن تصف مبدع المبدعات ، وموجد الأرضين والسموات ، الذي سارت بأمره الأفلاك ، وجرت بقدرته في بروجها الأملاك ؟ إن دون ذلك حجباً ، واستاراً ، وشهباً ، وأنواراً ، من عز الربوبية ، و(20) عظمة الإلهية ، تكمه أبصار القلوب ، وتردعها عن الترقي إلى معرفة علام الغيوب ، تاهت الأوهام ، وقصرت الأفهام ، ووقفت عبارة الكلام ، بعد الأمل في ذلك والمرام ، وجدت سرادقات العجز مضروبة ، وذكيات العقول ممنوعة محجوبة ، جل مبدع المبدعات أن ينعت بالصفات ، أو يوصف بالذات ، أو يحد بالجهات ، أو يدرك بالعقول الصافيات ، أو يشبه بشيء من المحسوسات[87] ، والمعقولات ، ولا إله إلاَّ الله ، والحمد لله حمد الشاكرين ، الواقفين بالعجز عن إدراكه وقوف القاصرين ، وعليه نتوكل ، وبه نستعين .

الباب الثالث : في مواقع أسماء الله الحسنى ، ومن المستحق أن يشار إليه بها ويكنى ، نقول : إنا قد أتينا في إثبات المبدع سبحانه المشار إليه بالهوية ، وشهادة

---

(83) المدرك : الدارك في م .

(84) حائرة : حوارة في م .

(85) يتناهى : يتباها في ن .

(86) التأييد : التوريد في م .

(87) المحسوسات : الحواس في م .

الصفة ، لطيفها وكثيفها ، له بالإلهية . ثم أوردنا من تنزيهه عن الأسماء والصفات والنعت بما ينير برهانه ، ويتضح بحمد الله وعونه بيانه ، فنريد أن نبين في هذا الباب مواقع الصفات ، ومواضع الإشارات ، المشار إليه بالأسماء الحسنى ، والتي لها بذلك يكنى وإليه يعنى[88] ، فنقول : إن الله سبحانه وجلت هويته ، لما كان متعالياً متنزهاً[89] أن يتصف بالصفات ، وأن ينعت بالنعوت والسّمات ، وكان قد ورد في القرآن الكريم بذكرها ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[90] وجب أن نعرف هذه الأسماء ، ونتوجه بها إلى خالقها ، الذي علا عن صفاتها ، وسمى ، فنقول : أسماء الله الحسنى التي يعرف بها توحيده ، وتنزيهه ، وتجريده ، (21) وعقول روحانية ، وحدود نورانية ، بها عرف ، ومنها إستمد بحر توحيده وغرف ، وهي تدل عليه ، وتشير إليه ، كما يدل الاسم على المسمى ، وتشير الصفة إلى المعنى ، وإن كان تعالى لا يقال عليه مسمى ، ولا شيء من ذلك يُعنى ، فلا بد من ضرورة العبارة والنطق بالحروف المستعارة ، فكأن أشرف أسمائه ، وأجل ما أوجده في عالم صفاته ، هو العقل الأول ، والموجود الأول الذي أشار إليه العلماء ، ودل[91] عليه الحكماء ، وهو أفضل الأسماء .

وقد قال بعض الحدود أعلى الله درجاتهم في صفاته : هو اسم الله الأعظم ، والمسمى الأعظم ، والمسمى لجميع الموجودات ، الداعي إلى ذاته بذاته ، الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، الناص من الإمام الماضي على الإمام الآتي في آخر دقيقة ، وبالظاهر بالآتي في الحال ، لكونه المسلم المتسلم الذي لا يغيب طرفة[92] عين ، أزلي ، أبدي ، سرمدي الغاية ، يظهر بما يشاء ، كيف شاء ، بأجل هياكله النورانية ، وأدناها إليه من حدوده الروحانية ، منه البداية ، وإليه النهاية ، وهو الواحد الأحد ، السابق لجميع الموجودات ، الموحد لمبدعه ، المنزه عن السمات ، وذلك[93] واقع عليه ، وعلى كل عقل روحاني ، ومقام نوراني ، من أنبياء الله وأوليائه ، وحدود دينه ، الدالين على توحيده المبين لتنزيهه ، وتجريده ، فكل[94] مقام في عصره فهو يقع عليه ما يقع على

(88) يعنى : سقطت في ن .
(89) متنزها : موازنا في م .
(90) سورة 7 آية 180 .
(91) ودل : ودلاله في م .
(92) طرفة : طرفه في ن .
(93) وذلك : سقطت في م .
(94) فكل : وكلّ في ن .

الإبداع ، ويتصل به ما إتصل به من مبدعه ، من نور (22) الشعاع ، هو اسم الله الأعظم ، وبابه الأكرم ، والطريق الأقوم .

وقد قال سيدنا المؤيد في الدين ، أعلى الله قدسه ، في صفة العقل السابق في عالم الإبداع والقدس ، ومقام العظمة الذي هو جنس لكل جنس : الحمد لله مبدع الأحد كاملاً ، ولذاته عاقلاً ، وباختراعه كافلاً ، الكائن لكل مفعول فاعلاً ، ولكل محمول حاملاً ، لا يستند إلاّ إلى هويته من مسند ، ولا يقوم إلاّ بعمل وحدانيته من عمد[95] ، وكل من عداه معتمد[96] عليه ، ومستند في وجوده إليه ، الأول الذي هو منبع البركات ، وعلة السكنات والحركات ، فلو كان أول قبله لاختلت أوليته ، أو علة لوجوده اعتلت وحدانيته ، وأزليته .

وقال في موضع آخر : وأشهد أن لا إله إلاّ الذي لا يوصل إلاّ بحدوده إلى معرفة توحيده ، وأهل الزيغ يتناهون في تشبيهه وتحديده .

وقال في بعض مناجاته : اللهم يا من جل عن علة المحدود ، وعلا عن ذكر الموجود ، فظهر في حدوده ، ودل بما ظهر من مبدعاته على توحيده .

وقال في بعض خطبه : وأشهد أن لا إله إلاّ الذي من الحد في حدوده ، سقط عن معالم توحيده ، ومن عدل عمن شهد لهم كتابه بالتطهير ، فقد عدل عن حكم تعديله إلى التجوير ، أحده[97] إذا قام في كل عصر منهم هادياً نصبه للدين داعياً ، وللإيمان منادياً ، فمن من به أمن ، ومن زاغ عنه امتحن وأمتهن ، ومن خالف محدوده وحاد عن[98] حدوده ، سلبه الله مسعوده .

وقال أيضاً قدس الله روحه : وبرأ (23) البرايا في القدم ، وأوجد لهم ذاته كما حكم ، حكم بالحق ولم يدع إلى عدم ، فهو الظاهر لتثبيت الحجة عليهم ، وهو الباطن الذي لا يدرك بالحواس والأوهام ، في العالم الذي براه ، فكل ينظر إليه على قدر صفاه ، أو كالناظر إلى وجهه في المرآة ، أنس إليهم ، لتثبيت الحجة عليهم ، إذ هم يعجزون[99]

---

(95) عمد : عمل في ن .

(96) معتمد : عمل في ن .

(97) أحده : أوجده في م .

(98) عن : في في ن .

(99) يعجزون : عاجزون في م .

عن إدراك كيفيته ، ولا يبلغون بعقولهم معرفة ماهيته ، وحقيق على من لم يصح له الوجود ، ولا معرفة الحدود ، أن يلزم الإنكار والجحود .

وقد روي عن مولانا الصادق عليه السلام والصلاة أنه سمع رجلاً يقول : الله أكبر . فقال : مم ذا ؟ فقال : من كل شيء يقال إذا حددته ، بل الله أكبر من أن يحد ، أو يوصف ، أو ينكر ، أو يعرف ، ولا يحد بالإشباح ، ولا يقرن بالأرواح ، ولا بالجدود والنواح ، تعالى أن يحد ، أو يحس ، أو يمس ، أو يجس ، أو يدرك بعقد ضمير ، أو إحاطة[100] تفكير . وما كان من أي التشبيه فمراده أولياءه الذين هم صفاته الحسنى ، وأسماءه العليا ، وإلاّ لم يصح عقد التوحيد ، ولا يبين الإزدواج من التجريد ، جل عن العقول أن تحصره ، وعن العيون أن تبصره ، وعن الحجب أن تستره ، وعن الأزمنة أن تغيره ، وعن الأمكنة أن تعتوره ، وتعالى عن الأضداد ، والأنداد ، وفعل الفساد ، وإخلاف الميعاد ، وتكليف ما يعجز عنه[1] العباد .

وقد أوضح ذلك سيدنا حميد الدين وأبانه ، وأبدى للناظرين بعيون عقولهم برهانه ، حيث قال في كتاب (24) (راحة العقل)[2] وهو قوله : وإن سعادة الأنفس بالتعليم من الهداة المرسلين مثل نبينا محمد (صلعم) والأئمة من ذريته القائمين مقامه في الهداية والتفهيم ، وإن سعادتها لا تتم إلاّ باستفادة ما تتعلمه وتعلمه منهم ، وأن تعلم وتعتقد في توحيدها ، إن المتعلق به الوجود سبحانه ليس له في الموجودات لا صورة ولا صفة ، ولا أمر من الأمور يكون للعقول بها وصلة إلى الإحاطة به بحسب تصورها ، وإن كل متصور ومنبأ عنه بلغة من اللغات فهو خلقه وفعله ، تعالى وتكبر .

وإذا قصد أحدنا الإخبار عنه بما يحسب أنه دقق ، ونظر ، وفكر ، وقدر ، وتوهم ، كان ذلك الذي حسبه تاماً كافياً في الإخبار عنه تعالى منقلباً إلى صفة ما هو داخل في الموجود التي هي مخترعة محدثة ، كانقلاب ما يراد به الإعراب عن الهمزة التي ليست لها صورة في اللغة ، إما إلى الألف ، وإما إلى الواو ، وإما إلى الياء التي هي من اللغة ومبانيها ، وهذه جملة ورائها تفصيل يحيط بها من كان أخانا حقاً ، هذا قوله قدس

---

(100)إحاطة : حواطة في ن .

(1) عنه : سقطت في ن .

(2) ويثبت الكرماني في كتابه راحة العقل أن المبدع الأول كامل بالفعل ، مستغني عن غيره ، الموجود عنه الناقص المحتاج في فعله إلى غيره الذي هو الأول في الوجود ، والسابق في الوجود ، والتام في الوجود ، والتمام في الوجود ، والعقل الأول ، والحد الأول ، والمبدع الأول ، وهو المتصور أنه لم يكن .

الله روحه ، مبيناً فيها للتوحيد ومنزهاً لله جلّ وعـلا عن الأسماء الـواقعة عـلى صفوتـه مما أبـدعـه ، وأوجـده من الحـدود ، والهمــزة التي عنى إنها لا صـورة لهـا وإنها تنقلب إلى الألف ، والواو ، والياء . فأشار بالهمزة إلى الأسماء والصفات ، وأنها لا تقع على الباري سبحانه ، وأنه متعالي عنها ، متنزه منهـا ، فليست له صـورة ينعت بها ، ولا يتـوصل إلى معرفته بسببها ، وكان ذلك إشارة إلى العقـل الأول ، الذي (25) هـو كالألف ، وهـو أول الحروف العلوية ، والمتوجه إليـه الاسم دون الهويـة العلية[3] ، والـواو على سـادس النطقاء الذي جمع شرائعهم في شريعته ، ودعواتهم في دعـوته ، واليـاء إشارة إلى الـوصي القائم في آخر الزمان الذي هو صاحب الكشف للتأويـل[4] والبيان ، إيـاه عنى بقول الله سبحانه في القرآن : ﴿ هَلْ ينظُرونَ إلاَّ تأوِيلَهُ يَوْمَ يأْتِي تأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسوُهُ مِن قَبْـلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾[5] وهو صـاحب ، يوم الفصـل ، الجامـع لجميع الخلق ، وهو اليوم المعلوم ، المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إن الأولِـينَ والآخِرِينَ * لَمَجْمُـوعُونَ إلى ميقاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[6] . فقد إتضح المعنى في وقوع الأسماء والصفات ، وتعالى الله عما يوسم به من النطق على جميع اللغـات ، والتوحيـد ، وإثبات المبـدع سبحانـه موحـد الأحد ، وجاعله علة المبدعات والمخلوقات ، مثل مـا الواحـد علة العدد ، والتنزيه هـو سلب الأسماء والصفات عن الله الواحد المعبـود وإيقاعهـا على صفـوة ما أبـدع ، وخلق من الحدود، والتجريد هو سلب الإلهية عنهم، وإثباتها لمبدعهم الـذي عجزوا عن إدراكـه[7]، فمن سمى إلى وصفه وقع في حبـائل العجـز وإشراكه ، ذلكم الله ربكم ، لا إلـه إلاَّ هو فاعبدوه ، له الحكم وإليه ترجعون .

قال بعض الحكماء الفـاضلين : إنما يقـال لله واحد جـلّ وعزّ لم يـزل قبل الخـلائق متوحداً بالأزل ، لا ثاني معه ولا خلق ، ثم أبدع الخلق ثـانياً ، وخلق الخلق كله محتـاجاً بعضه إلى بعض، ممسكاً بعضه (26) بعضاً، متعادياً ومتضـاداً، ومتشاكـلاً ومزدوجـاً، ومتصلاً ومنفصــلاً[8]، واستغنى عـزّوجــلّ عن الخـلائق، فلم يحتـج إلى شيء فيكــون ذلــك الشيء مقروناً به لحاجته إليه ، ولا ناواه شيء فيكون ذلك الشيء ضداً له ، ومضراً بـه ، ويكون

---

(3) العلية : العالية في م .

(4) للتأويل : للوتيل في ن .

(5) سورة 7 آية 53 .

(6) سورة 56 آية 49 ، 50 .

(7) إدراكه : دركه في ن .

(8) منفصلاً : واصلاً في م .

ذلك الضد والقرين بائناً له، بل توحد بالغنى عن جميع خلقه، لأنه كان قبل كل شيء، فالأولية دلت على الوحدانية ، إذ لم يكن قبله شيء متوحداً بالأزلية ، كما توحد هو بها ؛ فيكون هو ثانياً بالإبداع .

فالواحد اسم يدل على نظام واحد ، يعلم باسمه أنه واحد ليس قبله شيء ، والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء ، بل هو قبل كل شيء عدد ، وهو خارج من العدد . والواحد كيف ما أردته أو جزئته لم يزد فيه شيء ، ولم ينقص منه شيء[9] ، تقول : واحد في واحد واحد ، فلم يزد على الواحد شيء . وتقول نصف الواحد ونصف واحد ، فلم يتغير اللفظ على الواحد ، فدل أنه لا شيء قبله .

وإذا دل أنه لا شيء قبله ، دل أنه محدث الشيء ، وإذا دل أنه محدث الشيء ، دل أنه معنى الشيء ، فإذا كان هو معنى الشيء دل أنه الشيء بعده ، فإذا لم يكن قبله شيء ، ولا بعده شيء ، فهو المتوحد بالأزل . فلذلك قيل الواحد هو واحد واحد .

هذا قول الحكيم الفاضل وإنما وصف[10] العقل بأن اسم الواحدية والأحدية واقع عليه بالحقيقة ، لأنه السابق إلى توحيد مبدعه ، وموجده ، ومعليه ، وموحده ، وبذلك تأزل ونال[11] الكمال الثاني بعد الكمال (27) الأول . والواحد هو أول العدد ، فإذا عددت ، وثنيت ، وثلثت ، بالغاً ما بلغ فالواحد موجود فيه غير خارج منه . وفي ذلك دلالة على أن جميع الخلقة شاهدة للباري سبحانه بالربوبية ، دالة على العقل الذي له رتبة الواحدية ، وأن جميع الحدود عاليهم ودانيهم موحدون لمبدعهم ، دالون على معرفة موجدهم ومخترعهم ، معترفون بسبق الأول عليهم الذي هو واحد الآحاد ، متوحد كل منهم في رتبته[12] القائم فيها ، بالإصدار ، والإيراد ، كل لمن فوقه مربوب ، وكلهم عن غيب ذي العزة محجوب ، حجب مقربون ، وعباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون ، ومن يقل منهم إني إله من دونه ، فذلك نجزي الظالمين ، وجميع ما كدر من الصفات ، وأشير به إلى غيب الغيوب بشيء من الأسماء ، والإشارات ، فإنه واقع

(9) ولما كان الإبداع والمبدع لا يدينان بالوجود إلا للهوية التي عنها وجود كل شيء ، فقد انبنى على ذلك أن يكون الإبداع عين المبدع . فكذلك الموجود الأول العقل الأول تتعدد نسبه وتتكثر إضافاته إلى ما سواه من الموجودات ، ولكنه يظل مع ذلك واحداً أبداً .

(10) وصف : وصل في ن .

(11) نال : نول في م .

(12) رتبته : مرتبته في ن .

على حدوده ، وبذلك معرفة توحيده ، فلا إله إلاّ الله الذي وله فيه أول الوجود ، ونزهه عن سمت كل شيء موجود ، شهادة تكتب مع شهادة العارفين ، وتنادي بالوقوف في لوله فيما أبدعه الحق سبحانه عن حدوده مع الواقفين ، وعلى الله نتوكل وبه نستعين .

الباب الرابع : في صفة وجود عالم الإبداع[13] في أول وهلة ، وتساويهم في الوجود الأول على التفصيل والجملة ، نقول وبالله نستعين ، وعليه نتوكل ، ومن بركات أوليائه نستمد التوفيق والتسديد : في القول والعمل ، (28) مما أخذناه عن أهل الفضل والكمال ، وأجبناه به لما كورنا السؤالان مبدع المبدعات ، المتقدس عن الأسماء والصفات ، أبدع عالم الإبداع دفعة واحدة من غير شيء ، فيكون لهم هيولي أولى ، ولا مع شيء فيكون له ما أوجده مشابهاً ومماثلاً ، ولا في شيء فيكون لهم مقلاً ، ولا لشيء فيكون لهم قصداً موصوفاً به ، جلّ وعلى ، بل كما وصف سيدنا الداعي حميد الدين قدس الله روحه ، بقوله : ودار الإبداع ، والإنبعاث لا عائق فيها لخلوها من المواد التي تعوق وتجردها منها ، وكونها صوراً محضة لا تعتلق بمادة ولا بها مادة فتحجزها عن الفعل .

وإذا كان لا عائق فيها فوجود موجوداتها بلا زمان دفعة واحدة ، مثل وجود إشراق بسيط الهواء عن ضوء الشمس لا بزمان ، وإضاءة الزمان البيت المظلم دفعة واحدة بلا زمان ، وكفعل الطبيعة في محاكاتها تلك الأفعال المرتفعة عن الزمان فيما تخرجه إلى الوجود ، مثل الطلع الذي تخرجه بكمه ، وحباته ، وأعذاقه ، في بدء أمره من الجمار معاً ، على أصغر شيء غير هيئته من غير أن يتقدم شيء منه على شيء مما يتعلق به بالكمال الأول ، وكالرمان الذي تخرجه من الجلنار بحباته وأقسام[14] باطنه وقشوره ، على أصغر شيء صيغة[15] ، وأرق شيء جسماً من غير أن تخرج شيئاً منه بعد شيء ، بل معاق .

ولما كان الأمر في وجود تلك الأشياء والمبادي على هذه الصيغة معاً ، وبالضد مما عليه وجود الحدود (29) السفلية ، بكون تلك على غاية الكمال أولاً ، وهذه على غاية

---

(13) عالم الإبداع : يعني لا يكون شيء يتقدم على الإبداع فيصير الإبداع كالمادة القابلة له لما في ذلك من انجرار وجود ليس من إبداع الهوية المتعالية فيما يفوت الوهم توهمه فيصير كل منهما باختصاصه بما وقعت به الغيرية مبايناً للآخر ، فيجب بذلك وجوده يكون عنه وجودهما جميعاً . وكون ذلك محالاً ثبت أن عين الإبداع هو المبدع وهو الإبداع .

(14) وأقسام : وقسمات في م .

(15) صيغة : لغوة في ن .

النقصان ، ولا استحال أن يكون وجودها بزمان ومدة .

وقال في ذلك الشخص الفاضل صاحب الرسائل سلام الله عليه : إن الأمور أوجدت دفعة واحدة ، كان الله تعالى قدر أمر خلقه لما بدأه[16] بالقوة في دفعة واحدة ، وبالفعل[17] على التدريج ، حتى يكون نهاية تمامه ، وكماله ، وبلوغه إلى الحال الأفضل ، والأمر الأكمل .

فهذا قوله صلوات الله عليه . وكان ذلك العالم متساوياً في الوجود الأول ، والكمال الأول ، لا سبق[18] لشيء منه على شيء ، ولا فضل ، إذ لو كان لشيء على شيء فضل ، لكان ذلك غير عدل من المبدع جلّ جلاله ، أن يجعل شيئاً سابقاً وشيئاً لاحقاً ، وإنما كان فضلهم على قدر سبقهم ، وتخلفهم على قدر توقفهم ، بما نورده في هذا الكتاب ، ونسرده فيما يأتي من الأبواب ، وكانت موجودة فيهم الحياة ، والقوة ، والعلم ، والقدرة ، في كمالهم الأول ، ما لا يحصيهم العدد ، ولا يدرك كثرتهم أحد ، إلّا من أوجدهم ، وأبدعهم ، وابتدأهم ، واخترعهم على غير مثال ، وهو الله جلّ جلاله الكبير المتعال .

فكان هذا الكمال الذي أوجدوا فيه هي[19] الحياة القابلة للكمال الثاني ، والحاملة للصفات الشريفة على جميع المعاني .

قال سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه : وكانت هذه الأمور المتعالية في الشرف إذا رفعت في الوهم عن الحي لم ترفع الحياة ، وإذا رفعت الحياة استحال وجودها سائرها ، كان من (30) ذلك الإيجاب بأن هذه الامور من القدرة ، والعلم ، والحق ، والوجود ، وغيرها كلها متعلقة بوجود الحياة ، ومستندة إليها في البقاء . وإن الحياة هي الجوهر القابل وكلها لاحقة به ، وهي الذات الموجودة عن المتعالي سبحانه ، وهي الكمال الأول والحاملة لغيره ، وما سواها تابع وجوده لوجودها ، محمول فيها يجري منها مجرى الكمال الثاني ، فهي كالمركز ، وما سواه كالدائر عليه ، وقد أصبح صفة هذا الوجود .

ويقول عن تلك[20] الذوات الداعي أبو يعقوب السجستاني قدس الله روحه في

---

(16) بدأه : وجاه في ن .

(17) بالفعل : سقطت في م .

(18) سبق : سباق في م .

(19) هي : هو في ن .

(20) ويقول عن تلك : سقطت في ن .

كتابه الذي سماه إثبات النبوات : الحمد لله الذي جاد بتأيس الأيسيات لا من أيس ، ومن باظهار الخباء والخفيات[21] لا من قوة ، الذي يجود أبرز في أول أيس صور الأشياء كلها دفعة واحدة ، من غير تقديم ولا تأخير ، إتحد الجود بالمجود عليه ، واتحد الموجود بالجودية ، كبرر اللطائف والكثائف لم تبخس. حظ ذرة واحدة مع صغرها وقلتها ، ولاحظ المحرك لهذه ، والدائرة الفلكية مع شرفها وسمعتها عن الأيس الأول ، بل الأشياء متفاوتة متضادة متساوية في خير الأيس الأول من جهة مختلفة من قبلها ، عاجزة كلت أفكار الأيسيات ، ومنتهى الخفيات ، فضلاً عمن جاد بها ، فلا إله معه في هذه القدرة ، ولا نظير له في هذا الجود ، ولا مثال عنده في هذا التدبير ، ولا مادة لديه في هذا الإبداع ، ولا حاجة له إلى هذا الإختراع ، ولا ضرورة به (31) في هذا الإنشاء ، فهو في هذه القدرة ، والجود ، والتدبير ، والإبداع ، والإختراع ، والإنشاء مقدس ، منزه عن أن يدركه أحد ، أو يحيط بجلالة قدرهُ أيس ، الذي غرس في أول أيس صورة كل جلي وخفي ، وجعله سابقاً عند كل آخر ، وبدى فهو الذي سبحه ، وقدسه ، من كل لفظ وضمير ، ونزهه عن كل إشارة عنده وتقدير ، فسبحانه من إله قام بأمره الواحد هذان العالمان بما فيهما من عجائب الحكمة ، وبدائع التدبير ، الذي لو قاس العاقل اللبيب كيفية كون أدنى المخلوقين مع أشرفهم في دفعة واحدة لحار عقله وتاه ، ولو تفكر فيه الفطن الأريب لرجعت فكرته خاسئة كليلة ، فكيف يقدر أحد على أن يدرك المبدع الحق الذي بأمره قام العالمان مع ما فيهما من التفاوت ، لولا يقدر أحد أن يدرك تسبيحه ، وتقديسه ، حق سبحانيته وقدسانيته إلى قوله ، لأنه بأمر واحد اخترع الأيسيات دفعة واحدة كما شاء وكما أراد ، ولا حاجة له بعد ذلك إلى تحويل وتغيير .

هذا قوله أعلى الله قدسه ، موضحاً لوجود ما أوجده المبدع من عالم الإبداع في أول وهلة ، وكون الأشياء كلها مبروزة في ذلك الوجود ، ومن ذلك الوجود ظهر المبدع المبرز على عالمه في السبق الأول[22] في توحيد المبدع الحق ، ومنه ترتب عالم اللطافة على قدر سبقه ، وكان من دون الأول السابق فيها دونه ، وفي أفقه لا يسبق (32) سبوق سابقاً ،

---

(21) يلاحظ أن شيوخ الدعوة الإسماعيلية يجردون الله تعالى من كل صفة وينزهونه التنزيه كله ، وينفون عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية ـ ومخلوقاته ـ التي هي الصور الجسمانية .

(22) يعتبر المبدع الأول أو الموجود الأول أو العقل الأول أو السابق علة جميع الموجودات فجميع مراتب الموجودات واقعة تحته لأنه أصلها ، والمعلول لا يعطي ولا يوجد فيه إلا ما أفاضت عليه علته بذاتها لأن ما كان في المعلول موجوداً في العلة التي عنها كان المعلول موجوداً .

ولا يكون داني بعالي لاحقاً ، على قدر درجاتهم في تـوحيد المبـدع ، ومراتبهم في الفضـل والشرف السامي المرتفع ، وذلك الوجود[23] أيضاً كان تخلف مـا تخلف فسقط وتكثف ، وكان منه العالم الجرماني والجسماني ، على قدر تخلفه في قبول دعوة ذلك العالم الروحـاني ، والتخلف سبب التكثف ، ومن قبـل عجزهم وتـوقفهم عن تسبيـح مبـدعهم سقـطوا أو وقعـوا في الكثافـة ، وعن اللطافة أنحـطوا ، ولم يكن للشر أصل في الإبـداع[24] ، لكن حدث بالتخلف الذي هو سبب الكثافة الموقعة في مهاوي عالم الطباع .

قال الشخص الفاضل صاحب الرسائـل سلام الله عليـه وصلاتـه في الرسـالة[25] الجـامعة : فقـد بان بـالبرهـان وصح ، أن الشر لا أصـل له في الإبـداع ، وسمى عجـز الأشيـاء بحدوث بعضهـا عن بعض شراً بمعنى التخلف عن اللحـوق بـدرجـة الفـاضـل المتقدم عليه ، فمتى غفل المفضول عن اللحوق بدرجـة الأفضل ، ورضي لنفسـه بالمقـام الأخس الأرذل فهـو الشر المحض البعيد عن الخـير ، والنحس البعيد عن السعـد ، وقد ضرب النبي المصطفى محمد (صلعم) مثلاً في وجود هذا العالم عن المبدع الحق سبحانـه فيما أتى به في شرعه ، وأبانه في وضعه ، وجعل ما أتى به من قراءة القرآن على مـا أنزل ، والقيـام بشرائطه ، ومـا حث عليه من الـطهارة ، والـديانـة ، والصـلاح ، والأمـانـة ، والعـدل ، وكـظم الغيظ ، وإطفاء ثائرة الشر ، والقيـام بـالمفـروضـات ، والأعـمال الواجبات ، والطاعات ، و (33) والإستقامة على الثلاث ، وحسن السياسات ، وغـير ذلك من الأعمال الصالحات ، والإستقامة على الثلاث طاعات ، فكانت هذه الأوامر أولاً مشابهاً لذلك العالم في كماله الأول ، وإليه قصـد ، وعليه عـول ، فمتى كان إنسـان قائـماً بتلك الشروط والأوضاع ، كان مهيأ لقبول ما قبلته العقـول من كمالهـا الثاني ، وارتفعت إليه في العالم الـروحاني ، ومتى تخلـف ، وقصر ، وهبط ، وانحـدر ، ورجع ، وتقهقـر ، وانظر من أين كان الفضلاء ، وظهر الأوليـاء ، إلاّ من قبول تلك الأوامـر ، والتوقي إلى الإحاطة بما فيها من السرائـر ، ومن أين هبط الهابـطون ، واختلف المختلفون ؟ قـال الله تعالى : ﴿ يَا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[26] فكان

(23) الوجود : الموجود في ن .

(24) يعتقد شيوخ الدعوة أن المبدع الحق سبحانه عن كل خير وشر ، أبدع الأول خيراً كله بذاته وبنظره ، ولم يوجد في ذاته ولا فيما تـولد من نـظره شيء من الشرور البتة . والخـير موجـود في جوهـريته . ولما كانت الخيرات في جوهريته موجودة كانت الشرور في جوهريته معدومة .

(25) الرسالة الجامعة حققها ونشرها الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار صادر في بيروت .

(26) سورة 8 آية 24 .

هؤلاء لم يسموا مؤمنين إلّا وقد صدقوا النبي عليه السلام ، وقاموا بظاهر شريعته ، وما في عظيم دعوته ، ثم دعاهم إلى الحياة الباقية ، باستجابة الدعوة الثانية ، واتباع الوصي والعترة الشريفة الفاضلة ، ليحيوا حياة أبدية ، ويكملوا[27] كمالاً ثانياً ، يشابهون به العقول في دار الأزل والأزلية ، وكانت الحياة مثل الولاية التي ارتفعت عن المستجيب ، ولم يقم بأوامرها ، ولم يثبت على باطن الدعوة ولا ظاهرها ، وارتفعت عنه الفضائل ، وكان محطاً للذنوب والرذائل ، جعلنا الله ممن[28] اعتصم بأوليائه فنجا ، وجعل لنا من ضيق الأمثال إلى سعة المعاني مخرجاً ، فتدبر يا أخي أمر عالم الإبداع ، فاعرف ما وضع من شريف (34) الأوضاع ، لعلك أن تخلص[29] من ظلمات عالم الطباع ، وتلحق بجنس الأجناس ، وعالمه في زمرة نوع من الأنواع ، إذا برزت اللطائف عن الكثائف ، وتجلت المعاني عن أستارها والمعارف ، وجعلنا الله وإياك من أتباع الهادين ، واسمعنا نداء المنادين ، وجعلنا من المؤتلفين في دينه لا من المختلفين المتعادين ، بحق محمد وآله امين امين .

الباب الخامس : في سبق الأول من عالم الإبداع إلى التوحيد ، وما اختص به لسبقه من امداده بنوره التأييد . نقول : ولله الحمد والشكر على نعمائه ومنه ، ونستمد الخير والتأييد ببركات أوليائه ، إنا قد ذكرنا إبداع غيب الغيوب سبحانه الذوات متساوية في كمالها الأول على جميع الحالات ، وأنهم لما كانوا كذلك متساوين في الكمال الأول[30] ، متهيئين للكمال الثاني ، الذي عليه المعول ، سبق منهم سابق إلى الفكرة فيه ، وفي أبناء جنسه ، ونظر من ذاته بذاته من غير معلم ولا ملهم إليه وإليهم ، فعلم أن له مبدعاً موجداً ، فبرز على أبناء جنسه موحداً منزهاً لباريه ، مقدماً لمبدعه ومنشيه ، شاهداً باثبات الإلهية ، ناطقاً بالإشارة إلى الهوية ، فنزه المبدع عما يوصف به ، وأبناء جنسه أيضاً في فطنته ، وصادق حدسه ، ولو كان له معلم ، أو مشير ، أو ملهم ، لكان ذلك

---

(27) ويكملوا : ويكلموا في ن .

(28) ممن : من من في م .

(29) تخلص : خلاص في ن .

(30) لما كان العقل جوهراً محيطاً بالأشياء كلها ، لا بد من أن يحكم عليه بالسبق في الوجود قبل كل محاط به ، ولو سبقه شيء من المحاطات العقلية بعد وجود العقل ، كانت تلك المحاطات مما يخرج عن إحاطة العقل قبل وجود العقل ، ولا يمكن توهم شيء أنه يحيط العقل به مرة ، ومرة لا يحيط به ، ثم لا يخلو من ذلك الوهم : اما أن يكون عقلياً أو غير عقلي . فإن كان عقلياً ، فقد أحاط العقل به . وإن كان غير عقلي ، بطل أن يدرك شيء موهوم لا من جهة العقل . فإذاً العقل لا يسبقه شيء من الموجود .

الاختصاص له تجويراً لمن خصه بذلك دون عالمه ، واصطفاه عليهم ، واختاره من بينهم لمراحمه ، فلما (35) سبق إلى التوحيد وفاه منزهاً لمبدعه بلسان التجريد مقدساً لمن أبدعه أيساً من ليس، وكونه بعد أن لم يكن كوناً، أوجده في غير مكان يقله، حيث عز مبدعه أن يكون له فيما أوجده معيناً ، كان أول عالمه سبقاً وكمالاً ، واسماهم مقاماً ، وأعلاهم جلالاً ، وطرقه من مبدعه المادة والتأييد[31] ، واتصلت به الكلمة التي استحق بها الأزل والتأييد[32] ، واستحق الفضل والعلاء ، والنور ، والإشراق والضياء ، والقدرة والسناء ، وصار مطرحاً لشعاع النور من غيب الغيوب ، ومواصلاً بما قصرت عنه العقول من السر المحجوب ، واختصه مبدعه واصطفاه ، وقربه وناجاه ، ورفع درجته وأعلاه ، ووحده وأسناه ، وجعله أسمه الأعظم ، وسماه الأشرف الأكرم .

فكان أولاً كالواحد الذي هو أول الأعداد ، وسابقاً لعالم القدس المكنى عنه بعالم الآحاد ، وجعله مبدعه حجابه الأدنى ، وبابه الأرفع الأسنى ، معنى المعاني ، وغاية الكمال الثاني ، وسابقاً للعالم الروحاني ، نور الأنوار ، وسر الأسرار ، المكنى عنه بالمؤمن المهيمن العزيز الجبار ، قال النبي (صلعم) : أول ما خلق الله العقل ، فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر . فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعزّ عليَّ منك ، بك أثيب ، وبك أعاقب . فكان إقباله بالإستمداد من مبدعه ومؤيده ومعليه ، إلى أسمى[33] المراتب الروحانية ، ومصعده وإمداده لعالمه الشريف الروحاني ،(36) وشكره لمبدعه الذي به فاضت أنواره على العالم القدساني ، ووجود النسبة الأشرف عنه ، وظهور مراتب[34] عالم الإبداع متوالية منه ، وإدباره هو ظهور النسبة الأدنى المكنى عنها بالهيولي والصورة ، وتخلفها عن العالم الأسنى ، لما غدت في الأبعاد الثلاثة محصورة ، وذلك كما رأينا من ناطق دورنا صلى الله عليه وكونه[35] أفضل المقامات ، والسابق في الفضل إلى أرفع الغايات ، وإقباله هو استمداده من مفيده الذي هو ربه الذي أصعده وأرقاه ، وإقباله على وصيه بما أصعده وأعلاه ، وإفادة الحدود العالين ، مما استمده من نور عالم القدس ، وإفاضته عليهم مما اتصل به من العقل والنفس ، وإدباره هو نضده

---

(31) التأييد : سقطت في ن .

(32) التأييد : الأوابيد في م .

(33) أسمى : سماوات في ن .

(34) مراتب : رواتب في م .

(35) وكونه : وكأنه في ن .

لأوامر شريعته ، وتجسيده لما نزل الروح الأمين على قلبه ، ليؤديه إلى أمته ، إذ كان كالعقل[36] السابق شرفاً وفضلاً .

والمقامات الشريفة من حدود وصيه لعالم الإبداع الذين علوا محلاً ، وشرعه وما فيه من التكاليف والأوضاع ، مقابلاً لما عليه الوجود في عالم الطباع ، وهو مستمد ممن حض على ولايته وفاه ، يوم الغدير بالنص عليه مشيراً إلى نوره ، الذي الأنوار دون غايته ، هنالك الولاية[37] لله الحق ، وبيان توالي المراتب عاليها ودانيها ، الشريف الروحاني السابق لعالمه المعظم القدساني ، وإنه لما سبق إلى توحيد مبدعه ، ومنشيه ، ومخترعه ، إشتاق إلى إدراكه (37) فوقف والهاً مقصراً ، ووجد من أنوار الربوبية ماأرجع بصر بصيرته خاسئاً منحسراً ، فلما وله في مبدعه وتحير ، ووله فيه من دونه من سائر العقول وقصر ، إستحق أن يشار إليه باسم الله ، وهو مشتق من إله يأله ، والوله التحير ، وذلك لتحيره في إدراك الغيب سبحانه وجل عن التشبيه ، والتمثيل ، وقصور من دونه من العقول السابقة عن إدراكها له ، ولهما فيه ، وبذلك نطق الكتاب الكريم بقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[38] فالمراد باسم الله هو العقل الأول المشير إلى الهوية المتعالية بقوله هو خارجاً من ظلمة النفي ، إلى ضياء الإثبات ، مشيراً إلى الغيب سبحانه بالطف الإشارات ، شاهداً له بالإلهية ، ناطقاً بالوحدانية .

وذلك عمله الذي استحق به اتصال المادة التي هي علمه ، وبذلك كان فضله ، وشرفه ، واستحق أن يعلو اسمه ، وكانت شهادة الملائكة هو نطق الإنبعاث الأول لمبدعه بالتوحيد ، واعترافه بسبق الأول وفضله عليه ، وقصده له بالتسبيح ، والتحميد ، تعظيماً لمن أوجده من العدم ، وأبدعه سابقاً لعالم الحدوث والقدم ، وأولو العلم هم أهل الجنة الإبداعية ، ومن قام بعدهم من المقامات الشريفة العلية . فجميعهم بتوحيد المبدع سبحانه ناطقون ، وإلى الاعتراف بفضل من تقدمهم من تلك العقول الشريفة سابقون ، وجميع أسماء الله الحسنى واقعة على العقل الأول الذي هو في غاية الكمال (38) والتمام ، وعلى من يقوم في العالم من المقامات الشريفة الظاهرون بالإمامة . والإمام ، الباطنون بالغيب الذي لا تسمو إليه الأوهام ، كما قال بعض الأئمة عليهم السلام : ظاهرنا إمامة ، وباطننا غيب لا يدرك . إشارة بالغيب إلى المبدع الأول المتحد بهم ،

---

(36) كالعقل : فالفعل في ن .

(37) الولاية : الهواية في ن .

(38) سورة 3 آية 18 .

المحتجب[39] بالمصطفين المختارين من حجبهم ، وإلى هذا الحد الجليل المخصوص من مبدعه بالتفضيل ، إشارة مولانا الشخص الفاضل صاحب الرسائل في الرسالة الجامعة بقوله : وأما الواحد الموصوف بالجلالة والعظمة المشار إليه بالوجود ، وأنه مبدأ كل موجود ، ويقبل فيض الجود ، وإليه ينتهي الحدود ، فهو العقل الأول ، ومبدعه يجل عن وصف الواصفين ، ونعت الناعتين ، وإنما يقال هو لا إله إلاّ[40] هو إيماناً وتسليماً .

فهذا القول إثبات التوحيد ، ولذلك صار الأصل المعتمد عليه في كل شريعة ودين ، في ذلك أن العقل نفى عن ذاته الإلهية واثبتها لمبدعه ، فقال : لا إله إلاّ هو ، فوحّد مبدعه ، فهو عقل في إثبات الوحدة المحضة ، وذلك لاتصال التأييد به متواتراً ، لا يفتر ولا يزول ، بل متصل دائم أبداً . ولذلك قال الله تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[41] وهذا قوله (صلعم) .

وقد سئل سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه هل على الابداع تكليف ؟ فقال : التكليف على وجهين : تكليف مطلق ، وهو تكليف الأجرام ، والأفلاك ، على جريانها . وتكليف غير مطلق ، وهو عبادة البشر ليصير (39) من جهله ونقصه إلى غاية الشرف ، وعبادة العقل لمبدعه هي نفي الإلهية عن ذاته ، وإثباتها لمبدعه من جهة الإقرار به ، والخضوع له ، والإبتهال إليه ، والتسبيح والتقديس لا من جهة الإدراك ، فهو قبلة القبل ، وميزان العدل في التوحيد ، وإمداده لما دونه ، إنما لو انقطع لحظة[42] لفسدت السموات والأرض ، وأبطل التوحيد ، وانقطع التأييد ، وعطلت الحدود ، وصار أمر العالم إلى الفناء .

وليس للإفادة عنه عمل ، نوره وضياءه الثواب للمؤمنين ، وناره العذاب للجاحدين ؛ وقال أيضاً : الإبداع الذي هو المبدع لا يجوز أن يكون له مثل في الوجود بالنوعية فيكونا إثنين ، وذلك يوجب إنقسام ما عنه وجوده بضرب[43] من الإنقسام حتى

---

(39) المحتجب : المحتج في م .

(40) إلاّ : سقطت في ن .

(41) سورة 16 آية 96 .

(42) لحظة : وحظه في ن .

(43) بضرب : ضرْوب في ن .

وجد عن كل قسم ما أوجبته نسبته ، فأوجب أنه لا يكون ناقصاً ، وأنه ليس له مثل في عالمه ، فهو الإبداع ، وهو المبدع ، وهو الواحد ، وله الوحدة ، وليس له سابق في الوجود فيكون علة له ، وواسطة بينه[44] وبين مبدعه ، ولا معه ثان مساو في كماله وتمامه ، وإنما سمي الإبداع نسبة إلى مبدعه جلّ وعلا ، الذي اصطفاه ، واختاره ، واجتباه ، ورفع مقامه وأعلاه ، وذلك الفعل الصحيح السوي الصادر عن مبدعه جلّ وعلا ، وتقدس ، وتعالى ، وسمي المبدع نسبة إلى ذاته التي[45] هي ابتداء وجوده ، وكونه مع عالمه ، والمبدع لكون ذاته من جملة تلك الذوات المبدعة ، وكانت صورته في ذاته مودعة ، حتى خرج كاملاً بالفعل ، بغير (40) زمان ، بل لحق كماله الأول كماله الثاني دفعة واحدة ، كأسرع من لمح بالبصر ، إذ لا زمان هناك ، ولا أوان ، ولا وجود سابق لذلك الوجود ولا كيان ، قال سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه في كتابه الموسوم براحة العقل .

نقول : لما كانت الأفعال كثيرة ، وكان كل فعل يحصل في الوجود يختص باسم يباين به الآخر بحسب ما عليه وجوده ، وكان الإبداع فعلاً ما خص لما كان وجوده لا من شيء في الوجود يتقدم عليه فيكون مادة له ، ولا بواسطة بينه وبين ما عنه وجوده ، ولا بآلة ولا على شيء ، ولا لغرض لما عنه وجوده باسم الإبداع ، وأشير إليه بهذا الاسم إعلاماً بأنه وجد ، ولما كان له عين في الوجود وأنه وجد لا من شيء يتقدم عليه .

ولما كان قولنا الإبداع موجباً أن يكون شيئاً واحداً ، والمبدع موجباً أن يكون شيئين هما : الإبداع ، وما بالإبداع صار مبدعاً[46] . والمعلوم أن المفعول هو ما صار بفعل الفاعل مفعولاً ، والفعل شيء ، وما صار بالفعل مفعولاً شيء آخر ، وبطل أن يكون شيء يتقدم على الإبداع فيصير الإبداع للإبداع كالمادة القابلة له لما في ذلك من انجرار وجود ليس من إبداع الهوية المتعالية سبحانها فيما يفوت الوهم توهمه ، فيصير كل

---

(44) بينه : بيانه في م .

(45) التي : سقطت في ن .

(46) إذا كانت الأيسيات غير متناهية ، أو جاز أن يكون أيس منها غير متناه ، لزم أن يكون غير متناه كلها . والذي لا نهاية له غير مبدع . لأن المبدع إنما يصير مبدعاً بالإبداع ، وما يحتاج أن يصير شيئاً بالإبداع . كانت النهاية فيه موجودة ، لأن الغير التناهي لا تنال فيه أولية ما ، ولأن عدم أوليته عدم إبداعه ، إذ الإبداع يوجب أولية المبدع . فأما الإبداع نفسه ، فهو الليس بمعنى نفي الأيسية والليسية . وكل ثابت في المبدعات والمخلوقات عنه لا يمكن أن يكون غير متناه ، إذ وراء الإبداع لا يمكن علة لظهوره .

منهما باختصاصه بما به وقعت الغيرية مبائناً للآخر ، فيجب بذلك وجود ما يكون عنه وجودهما جميعاً . وكون ذلك محالاً ، ثبت أن عين الإبداع هو المبدع ، وهو الإبداع . ثم أن المبدع الذي هو الإبداع لما كان على الحالة التي هو عليها (41) من خلوة من مادة بها وجوده ، ومما يعلل ما عنه وجد ، وقيامه شيئاً حقاً ، وشيئاً محضاً ، لم يخل من إمارات تدل على أن وجوده لا بذاته من كونه على صيغة تجمع حالتين : صفة ، وموصوفاً . هي طبيعة ما يكون واقعاً تحت الإختراع من غير أن يكون الأمر عنه لبساطته على ما عليه الموجودات عندنا من أن تكون الصفة شيئاً ، والموصوف[47] شيء آخر ، مثل السرير الذي هو صورة مادة ، وليست المادة بصورة ، ولا الصورة بمادة ، وهما غير إن بهما عين السرير بل على أن تكون الصفات التي يوصف بها تابعة لتلك الذات الموصوفة[48] في وجودها عند الإضافة ، مثل الإنسان الذي هو باضافته إلى ذاته مولود ، وباضافته إلى أبويه ولد ، وباضافته إلى من ولد من أبويه أخ .

إلى قوله : وهذه الصفات والمعاني تلحقه بالإضافات ، وكانت تلك الحالتان هما الكمال الأول ، الذي به يتعلق وجود الذات التي هي الموصوف ، والكمال[49] الثاني الذي به يتعلق وجود شرف الذات التي هي الصفة . فالكمال الأول كالحامل مثاله ، والكمال الثاني كالمحمول بيانه . هذا قوله ، قدس الله روحه ، مبيناً كون العقل على حالة واحدة ، وإنه بكونه إبداعاً ، ومبدعاً ، غير مباين الذات ، وأن ذلك بالغيب ، والإضافات من حيث نسبته إلى مبدعه الذي عنه وجوده ، ونسبته إلى ذاته . وان كماله الأول كالمثال ، وشرف ذاته بالكمال الثاني الذي هو البيان ، وإن العقل قد صار كماله الأول والثاني شيئاً واحداً لا فرق بينهما ، كما (42) نشاهده من الهواء البسيط ، الذي إذا وقع عليه النور والضياء كان شيئاً واحداً ، لا فرق بين الضياء والهواء القابل له ، كذلك لا فرق بين ذات العقل وصورته ، إذ كماله الأول قد لحق كماله الثاني دفعة واحدة ، وشاهد ذلك كل ما رأيناه[50] من تعليم الفاضلين للمتعلمين القابلين فلما أرقوهم إلى المعرفة والبيان كان ما كان عندهم أولاً من الألفاظ وما عرفوه من المعاني

---

(47) والموصوف : والصفوف في ن .

(48) الموصوفة : الواصفة في ن .

(49) والكمال : والكيال في م .

(50) أن الحدود الروحانية والجسدية الدينية على مختلف مراتبهم هم المكلفين وحدهم بفتح أبواب الحقيقة بما استمدوه من قوى روحانية ودينية تخولهم القيام بهذه المهمة ، التي هي مهمة التعليم والإفادة الباطنية التي تظهر مفاهيم الحقيقة والشريعة .

حيان ، إذا تصوروه بأوهامهم في حد اللطافة ، إذا كـان ما تلطف لحق بملطفه فهما على حالة سواء لا فرق بينهما .

ألا ترى أنك قد تتصور المحسوسات بعقلك فيما أداه إليك بصرك ، فإذا تصورتها معقولاً غنيت عن البصر ، وصرت تنظرها في حال حد اللطافة . وإنا قد قربنا القول تعريفاً لطالب الفائدة ، وتقريباً[51] لفهمه ، لا أن لك الأمر يقاس بشيء مما عندنا ، إذ كان من الكمال ، والتمام ، في حالة شريفة لا نهاية وراءها، ولا غاية بعدها، وأين تقاس غاية اللطائف المتجردة من اللطائف التي هي ملامسة للأجسام وبها متحدة ، إن ذلك في المكان البعيد ؟ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك ، وبصرك اليوم حديد ، أزال[52] الله عن أبصارنا ، وقلوبنا الغشاوة ، وجعلنا ممن عرف معنى التلاوة ، بفضل أولياء الله الطاهرين ، وببركات من لا يزالون إلينا بعين رحمتهم ناظرين ، والحمد لله رب العالمين .

الباب السادس : في كون الإبداع الأول لعالمه أولاً وعلة بها كان تتاليهم وتواليهم على الولاء . (43) نقول ومن الله المعونة بلطفه وتأييده ، ومن بركات أوليائه ، وحدوده : إنا قد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا الباب العقل الأول ، وما هو به من التمام ، والكمال ، والرفعة ، والجلال ، وأن ذلك في غاية يقصر عنها الوصف ، ويقف دونها النضد والرصف ، وإنما أوردنا ما أوردناه دلالة على سبقه وعلى فضله ، وتنبيهاً[53] على ما أختص به من الشرف الذي به توحد عن وجود من هو في كماله كمثله . وقد أورد أولياء الله وحدودهم في ذلك من بحار العلوم ما يبعد قعرها على الغامسين ، ويضيء مشكاة[54] أنوارها للقابين الذين هم[55] من جانب الطور السنين . ونقول : إن العقل الأول لما سبق إلى التوحيد والتنزيه لمن أبدعه ، والتجريد ، واتصلت به من مبدعه الأنوار القدسانية ، والإفاضات الشريفة الروحانية ، كان لعالمه أولاً ، وعلة بها كان تواليهم ، وتتاليهم على الولاء ، مقتدين بتسبيح مبدعهم ، وموجدهم بفعله ، ومستمدين مغترفين

---

(51) وتقريباً : وتقاربا في ن .
(52) أزال : زلال في م .
(53) وتنبيهاً : تلابياً في ن .
(54) مشكاة : شكواه في ن .
(55) الذين هم : سقطت في م .

من معين تأييده ، المفيض عليهم من هتانه لا من وبله ، ومعترفين مما أختص بـه من عالى شرفه وفضله[56] .

وكان السابق الأول[57] ، والموجود الأفضل ، الذي علتـه لتلك العقول الشريفـة المعول ، منه يستمدون ، ويقتبسون عنه ، ينبعثون بـالأنوار القـدسية الشريفـة المضيئة ، وينجون ، وهو الواسطة بينهم وبين مبدعهم جلّ وعلا ، وحجابه الأرفـع الأعلى ، وهـو من النور والبهاء ، والعزة والكبريـاء ، والجلالـة والضياء ، في أمـر عجزت العقـول عن (44) إدراكه ، ووقفت وقوف القـاصر الساكن عن حـراكه ، وبينهـا وبينه حجـاب من أنواره المتلالية ، وصفاء ذاته المتعالية ، ومواده الشريفـة المتواليـة ، وهو متـوحد في رتبتـه التي هي رتبة الوحدة ، وعنه وجدت مراتب عالم الإبداع الشريفة متتاليـة بعده ، فهـو لها أول كالواحد الذي هو أول العدد ، وعليه تعول ، وإليه تسند .

ولـما اتصلت به مـواد مبدعـه وأنواره منشية ومخترعـة ، أفاضهـا على من دونـه من العقول الشريفة ، والأنوار المقدسة اللطيفة ، وإلى مـا واصله من غيب الغيوب ، وأطلع عليـه من سر المكنون المحجـوب ، وأشار صـاحب الرسـالـة الجـامعـة ، ذات الفـوائـد النافعة ، سلام الله عليه ، وصلواته ، بقوله : وكان عهده الذي عهـده إليه إطـلاعه لـه على ما أطلعه عليه من علمه المكنون ، وسره المخزون ، علم ما كان وما يكون ، بما كان من خلقـه إياه من نـوره وجلالـه الذي لا يـطلق عليه صفـة تبدو بـآلة الحـدث ، إذ كان المحـدث لا يصف إلّا مثله ، والبـاري جـلّ جـلالـه منـزه عن صفـات الـواصفـين من الـروحانيـين والجسمانيـين ، وإنما يقـال ما يقـال من ذلك ليقـرب من إفهام المخلوقـين ، ويتقرر وجوده في عقول الجسمانيين بأنه واحد لا ثاني له ، وهو الواحـد الذي واحـد العدد يدل على أول إبداعه المحض ، الذي لا ثان له ، ولا كفـو في الشبه ، والمثال . وذلك أن الواحد لا يتوهم متوهم أن قبله شيء من العدد تقدمه ، إذ هو أول موجود[58] فـاض منه

(56) وفضله : وظله في ن .

(57) أي لم يسبقه شيء من الأعداد ، لا من الأفـراد ولا من الأزواج . والسابق الأول في الـوجود عن طـريق الإبداع تتعدد نسبه وتتكثر إضافاته إلى ما سواه من الموجودات ولكنه يـظل مع ذلـك واحداً أبـداً . وهو الذات لجميع المعقولات : لأن ذات المعلول هي ذات العلة ، لعدم اختلافها في ذواتها .

(58) يعني أن المبدع الأول كامل في الفعل ، مستغني فيه عن غيره ، الموجود عنه الناقص المحتـاج في فعله إلى غيره الذي هو الأول في الوجود ، والسابق في الوجود ، والتام في الوجود ، والتمام في الـوجود ، والعقـل الأول ، والحد الأول ، والمبدع الأول ، والمترتب أولاً في الوجود ، وهو المتصور أنه لم يكن . فوجد عـلى طريق الإبداع كاملاً أزلياً ، ذلك هو الملك المقرب والاسم الأعظم .

الجود ، وكان الموجود الذي لم يتقدمه (45) وجود شيء ، الـواحد وفـاض منه الثـاني ، فهذا هو الذي بمنزلة الواحد في العدد الذي هو الإبداع الأول ، والأحد باثبات الألف هو المبدع سبحانه .

إذ كـانت الألف متقـدمـة الحـروف ، وثبت الألف في الأحـد مـرتـين بصـورتـين مختلفين ، فالأولة مفردة بذاتها ، والثانية مخالفة لصورة الألف الأولة ، لأنها ألف منعطفـة بعضهـا عـلى بعض ، فـالألف الأولة من الأحـد هي الأحـديـة ، والألف الثـانيـة هي الواحدية ، فواحديته في أحديته ، ولا حد له يوصف به ، ولا يشار إليه إشـارة أينية فهـو الأحد ، وأول مبدع أبدعه هـو الواحـد المنبعث منه الآحـاد ، ومبدأ أصـل ينبوع ينـابيع الأزواج ، والأفراد .

فهـذا قولـه سلام الله عليـه ، أبان فيـه ما اتصـل بالمبـدع من مبدعـه من مكنـون علمـه ، ومخزون سره ، الـذي عهد بـه إليه ، وأطلعـه عليـه ، وجعـل أنـه أول العـدد كالواحد ، وإذا كان كالواحد فظهور الأعداد من الواحد ، وكذلك ظهور المراتب السامية في عالم الإبداع ، وعالم الدين ، من هذا العقل الشريف ، والجـوهر اللطيف ، الـذي به بان التوحيد ، ومنه ابتدأ التنزيه ، والتجريد ، ودونه وقفت إشارات الحدود[59] .

وليس قوله الأحد بواقع على المبـدع تعالى حقيقـة الوقـوع ، وإنما يقـع على الفعـل المكنى عنه بالقلم في الشرع المـوضوع ، فمنـه نشـأت الآحـاد ، وعنـه ظهـرت الأزواج والأفراد ، وهو عنصر العناصر الشريفة ، ومبتدأ (46) العقول السـامية اللطيفـة ، فهو الكامل المـوصوف بـالكمال ، وعنـه نشأت العقـول المجردة بـأمر ممده الكبير المتعـال ، السامي عن الأشباه والأمثال ، ومن هذا الحد الشريف المبدأ وإليـه المآل ، وأن في وجـود الواحد في كل زمان ، وحين ، وأوان ، الذي هو مقام العظمة ، العظيم قدره ، السامي ذكره ، وكون الحدود منه منشأها ، وعنـه مبدأهـا في الوجـود الصوري ، والمعنى اللطيف النوري ، دلالة على توحد ذلك العقل الشريف بما اختص بـه ، وأن العقول الـروحانيـة

---

(59) يرى حكماء الدعوة وفلاسفتها أن الإبداع الذي هو المبدع لا يجوز أن يكون عـاقلاً إلاّ لـذاته فقط بكـونه أشرف الموجودات ، وإذا كان هو أشرف الموجودات فمعقـوله يجب أن يكـون أشرف موجـود ، ولا شيء في الموجودات أشرف منه ، فهو عاقل لذاته فقط ، ثم بكونه أجل المخترعات من البسائط يقتضي أن يكـون عقله لما يكون أجـل البسائط ، وليس في المـوجودات شيء أبسط منـه ، فهو لا يعقـل إلا ذاتـه دون مـا سواها ، ثم عقل العاقل لم يعقله لنيل الكمال وتقويم الذات ، وليس كماله في عقل شيء هـو أشرف منه سواه فيضطر إلى عقله فينال كماله .

موجودة بسببه ، فأين يتاه بثواقب العقول ؟ وأين يطمح السائل بالمسؤول ؟ يـظنونـه[60] بالمكان البعيد ، وهو منهم أقرب من حبل الوريد ، وفيها يستفيد المستفيـد ، المستبصر من معلمه الصادق ، ويستمد من مرشده وملهمه الحقـائق ، دلالة عـلى فيض تلك الأنوار ، وإشارة يستنيرىها أهل الإستبصار ، فمن عرف الحقيقـة من الرمـز[61] والمعنى ، فقد فـاز بالمقام الأفضـل ، والمحل الأسنى ، وقـد يكنى عن[62] الإبداع بـالعلة الأولى ، لأنه أول العلل ، وبـه وجود مـا دونه في عـالم اللطافـة والأزل ، ومـا دون ذلـك في عـالم الكثـافـة والعمل ، إذ كانت المـوجودات مستنـدة إليه ، ومعـولة في الـوجود الأول والثـاني عليه ، وشاهد عليه ما نجدة ونشاهده في الأمور الطبيعية ، في كون كل شيء له علة عنها وجد ، ومنها أخرج وأرقى وأصعد ، وذلك بتدبير الملائكة[63] الروحانيين ، بأمر الله رب (47) العالمين ، ثم ما نجد عليه حدود الدعوة ، وقانون الأمور الدينية ، من استناد كل حد إلى العالي عليه ، وهو علته الذي بدء منه فيرجع إليه ، فدلنا على أن ذلك العقـل الشريـف ، والمعنى اللطيـف ، هـو علة جميع الأشيـاء ، علة عاليهـا ودانيها ، وإليـه استناد خفيهـا ، وباديها .

وقد أوضح ذلك الداعي الأجل ، والسيد الأفضل ، أحمد بن عبد الله الكرماني في (راحة العقل)[64] بقوله : قلنا أن الذي يترتب أولاً في الوجود هو المتصـور أنه لم يكن ، فوجد على طريق الإبـداع ، والإختراع لا من شيء ، ولا عـلى شيء ، ولا في شيء ، ولا بشيء ، ولا لشيء ، ولا مـع شيء ، الـذي هـو المسمى[65] الأول ، فيكـون وجـوده من طريق الترتيب وجود ثابتاً[66] ، ووجوداً أولاً ، بكـونه نهايـة أولة ، وعلة أولى بهـا يتعلق وجود ما سواها من الموجودات ، متوجهاً فيه نحو النهـاية الثـانية ، كـما يكون الـواحد في وجود الأعداد مترتباً أولاً ثابتاً ، بكونه نهاية أولة ، وعلة أولى بها يتعلق وجود مـا سواه من الأعداد ، متوجهاً فيه نحو النهاية الثانية .

---

(60) يظنونه : يرونه في ن .

(61) الرمز : الومز في م .

(62) عن : من في ن .

(63) الملائكة : الملوكة في ن .

(64) راحة العقل تأليف الكرماني حققه ونشره الدكتور مصطفى غالب المشرع الأول من السور الثالث صفحة (157 ـ 158) منشورات دار الأندلس بيروت لبنان .

(65) المسمى الأول : الشيء الأول في نص راحة العقل صفحة 157 .

(66) ثابتاً : اثباتاً في ن وم .

هذا إثباته من جهة ترتيب الموجودات . ومن جهة اتجاه الفعل ، وصدوره إلى الوجود ضرورياً ،فإن الأول إن لم يثبت وجوده لم يكن للثاني طريق إلى الوجود ، والثاني إن لم يثبت وجوده لم يكن للثالث طريق إلى الوجود ، وإذا لم يكن للثاني والثالث وجود إلا بثبوت وجود ما يكون أولاً لهما ، وسبباً لوجودهما (48) فمن وجود الثالث والرابع وغيرهما من الموجودات ، قيام الدليل على وجود أول لها ثابت ، وسبب لولاه لما وجد ما سواه ، فقد ثبت للموجودات بوجودها مبدأ أول ، عنه ترتبت في الوجود ، وذلك المبدأ الأول نسميه العقل الأول ، والموجود الأول[67] ، الذي وجوده لا بذاته ، بل بإبداع المتعالي سبحانه إياه .

ثم نقول بالعكس ، لما كانت الموجودات مستندة في وجودها إلى علل سابقة عليها ، وكان كل موجود منها في ذاته فعلاً لما يتقدم عليه منها ، ومفعولاً له من مادة ، وفاعلاً لغير دونه من مادة ، كان من وجود الموجودات العلم بأنها منتهية إلى علة تنتهي العلل إليها ثابتة ، هي في ذاتها فعل صادر عمن لا يستحق أن يقال إنه فاعل ، وهي مفعولة لا من مادة ، وهي فاعلة لا في مادة هي غيرها : وذلك أن وجود الموجود يتعلق بثبوت ما يتقدم عليه من علته التي لولا ثبوتها لما وجد ، كالتسعة[68] التي هي علة لوجود العشرة ، ومتى لم يثبت وجودها إستحال وجود العشرة[69] . فلما كانت الموجودات موجودة ثابتة ، ثبت أن العلل ثابتة ، وأنها لا تزال ترتفع عن الكثرة عند التوجه نحو الأول منها ، وتقل إلى أن تنتهي إلى شيء واحد ثابت هو علة تنتهي إليها العلل ، مثل[70] التسعة من الأعداد التي وجودها يدل على وجود الثمانية ، ووجود الثمانية يدل على وجود السبعة ، فلا تزال ترتفع عن الكثرة تحليلاً إلى ما منه وجدت ، إلى أن تنتهي إلى واحد ثابت (49) هو علة لجميعها ، وبه قوامها ، فيكون ذلك الواحد المتقدم الرتبة وجوده لا بذاته ، بل هو في ذاته فعل عمن لا يستحق أن يقال إنه فاعل ، وهو مفعول لا من مادة ، وفاعل لا في مادة هي غيره . وإنما قلنا أنه هو[71] فعل في ذاته لكونه أول موجود على ما بيناه فيما بعد عن الذي لا يستحق أن يقال إنه فاعل ، فيكون بكونه فاعلاً

---

(67) الأول : سقطت في ن وم فأخذناها من أصل راحة العقل ص 158 .

(68) كالتسعة : سقطت في ن .

(69) العشرة : سقطت في م .

(70) مثل : سقطت في ن وم فأخذنا من أصل راحة العقل ص 159 .

(71) هو : سقطت في ن .

فعلاً ، فيقتضي كونه فعلاً ما يكون عنه هويته ، ويؤدي ذلك إلى ما لا يتناهى على ما بيناه في رسالتنا المعروفة « بالروضة »[72] يشهد بما قلناه من ثبوت أول به يتعلق ما سواه تحليلنا الموجودات إلى عللها وانتهائها[73] إلى واحد وجوده لا بذاته بل عن غيره : وذلك أنا وجدنا الإنسان الذي هو آخر الموجودات ، وهو النهاية الثانية لها منحلاً إلى أشياء كثيرة مفعولة فيها هي كالمادة التي منها فعل ، وهي كلها دار الطبيعة ، وإلى أشياء كثيرة فاعلة صارت دار الطبيعة مادة لها يفعل فيها الإخراج ما من شأنه أن يوجد منها إلى الوجود ، مثل الإنسان وغيره ، وهي كلها قائمة بالفعل ، وهي[74] الملائكة الموكلة بالعالم ، فهو - أعني الإنسان - فاعل في مواد هي غيره عند إيجاده الصورة الصناعية ، ومفعول من دار الطبيعة ، وفعل للملائكة القائمة بالفعل ، وفاعليته بكونه فعلاً لغيره الذي قام بفعله أعني إيجاده ، ووجدنا دار الطبيعة والفاعلين فيها منحلة إلى أشياء ليست في الكثرة مثل دار الطبيعة بما تجمعه والفاعلين فيها ، بل أقل وهي الهيولي (50) والصورة معاً ، وما صارت الهيولي والصورة مادة له في تكوين الأفلاك والإستقصات[75] من الملائكة ، أعني العنصر القائم بالفعل ، ودار الطبيعة ، والفاعلون فيها فاعلة للإنسان وغيره من أنواع الموجودات ، ومفعولة مما منه وجدت ، أما دار الطبيعة فمن الهيولي والصورة ، وأما الفاعلون فمن فاعل مثلهم سابق عليهم ، وفعل للملك القائم بالفعل الذي هو سابق للجميع ، وفاعليتها بكونها فعلاً للذي قام بفعله إياها ، إلى قوله أعلى الله قدسه : ولما كان موجوداً من أنفس البشر من خرج إلى الفعل مثل الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة عليهم السلام ، وتابعيهم بنيلهم[76] الكمالين ، واستيفائهم السعادتين ، ومصيرهم مجمعاً للفضائل ، صفراً من الرذائل تاماً ، كان القائم بالفعل التام في ذاته ، وفعله ، الذي به كمالهم وارتقاؤهم[77] إلى درجة القيام بالفعل ، وباستنادهم إليه كان وجودهم[78] تامين ، ولولاه لما كان لهم خروج إلى الفعل موجوداً .

هذا قوله أعلى الله قدسه ، قد أبان فيه ما ذكرناه ، وأوضح ما شرحناه ، من كون

---

(72) رسالة الروضة من تأليف حجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني ولا تزال مخطوطة لم تنشر حتى الآن .

(73) وانتهائها : نهايتها في م .

(74) وهي : سقطت في ن . راحة العقل طبعة بيروت ص 160 .

(75) والاستقصات : والقصات في م .

(76) بنيلهم : بنوالهم في ن .

(77) وارتقاؤهم : ورقائهم في ن .

(78) وجودهم : وجوده في ن .

الإبداع الأول هو الشيء الأول ، الكائن قبل الأشياء ، والكائن في الترتيب أولاً ، ذاته علة لما كان من الموجودات وبه بقاها ، والثبات روحانيتها ، وجرمانيتها ، وجسمانيتها ، وهو العلة الأولى القائم بالترتيب ، كالواحد الذي هو علة العدد ، وكذلك سمي بالواحد الأحد ، وأنه المبدأ الأول الذي عنه رتبت في الوجود ، ذوات الموجودات ، لما كانت مستندة (51) إلى عللها ، ومضافاً إلى آخرها إلى أولها ، الذي هو سبب وجودها ، وأصل صدورها وورودها ، ثم أبان سيدنا إبراهيم بن الحسين الحامدي[79] قدس الله روحه ، حيث علم على قول الداعي حميد الدين : وكان كل موجود منها في ذاته فعلاً لما يتقدم عليها ، فقال : إفهم الفصل بأن كل موجود مستند إلى علته السابقة عليه في الوجود بمادته له وتأييده ، وذلك من سيدنا إبراهيم بن الحسين تبيين وإيضاح ، وإعلان وإفصاح ، إنه لا يقال أنه علة الأشياء إلاّ لما كانت مستندة كاستناد الأبناء إلى الآباء ، فلولا وجود الآباء ما كان للأبناء وجود . وكذلك يكون النسق في توالي الرتب والحدود ، وإلاّ فالموجود هو المبدع المتقدس عن الصفات والأسماء ، المتعالي أن يشار إليه ، أو يعبر عنه ، أو يكنى ، وأن العقل لم يظهر شرفه ، وفضله ، وعلوه ، على أبناء جنسه ، إلاّ بما أمده به من أوجده من العدم ، وجعله سابقاً للعالم الحدث والقدم ، وذلك مشاهد موجود فيما ترتبت عليه المراتب في دار الدعوة ، وانتهاء الحدود إلى باب الإمام عليه السلام ، القائم بإفادة من دونه من الحدود والمراتب ، خروجاً من العدم إلى الوجود .

ولم يكن ذلك من فعله إلاّ بمادة من ممده ومؤيده ، ومنشيه الإنشاء الصوري ، ومؤيده الذي هو إمامه ، وبه كماله وتمامه ، الصادر وجود الواحد في كل عصر وزمان عمن لا يقال أنه فاعل تقدست اسمائه وجل ثنائه[80] فبذلك تعتبر ، وفيه آيات لمن (52) تدبر ، إنه قد جمع في عالم الدين ما في عالم الخلق ، فترتبت حدوده كترتب عالم الإبداع على درج السبق .

---

(79) إبراهيم بن الحسين الحامدي هو الداعي المطلق لطائفة البهرة المستعلية خلف الداعي المطلق الذؤيب بعد وفاته ، سنة 536 هجرية . وزع الدعاة في بلاد اليمن والهند والسند ونقل مقر دعوته إلى صنعاء . له عدة مؤلفات منها كتاب الابتداء والانتهاء ، وكتاب تسع وتسعين مسألة في الحقائق ، وكتاب الرسائل الشريفة في المعاني اللطيفة ، وكتاب كنز الولد الذي حققناه ونشرناه بواسطة دار الأندلس بيروت لبنان . توفي في شهر شعبان سنة 557 هجرية .

(80) ثنائه : سواءه في ن .

وقد أوضح سيدنا حميد الدين قدس الله روحُه فيما أوردناه في هذا الفصل أن إستناد عالم الإبداع إلى هذا العقل الأول ، وعليه في وجودها الثاني المعول ، وكذلك وجود ما كان عن عالم الطبيعة الذي هو من الهيولي والصورة ، بتدبير الملائكة[81] وهم العقول الروحانيون ، والملائكة المقدسون النورانيون ، الفاعلون للعالم الممدون للقائم بتدبيره ، والمؤيدون له في إتمام خلقه وتسخيره[82] ، وذلك لوجود الإنسان الذي هو النهاية الثانية . وكان الإنسان بالحقيقة هو إنسان كل زمان ، وعين الأعيان ، فصفوة الوجود والكيان ، وبجمعهم هو القائم بالفعل صاحب التأويل ، المشار إليه بيوم الفصل .

وأبان حميد الدين أن جميع الحدود في عالم البشر ، ومن خرج إلى الفعل من الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة وتابعيهم ، بنيلهم[83] الكمالين ، واستيفائهم السعادتين ، ومصيرهم مجمعاً للفضائل ، دلالة على العقل القائم بالفعل ، التام الكامل ، الذي هو فيما دونه فاعلاً ، فهو الكامل بالحقيقة ، التام القائم في العالم الروحاني ، كما قام في العالم الديني[84] الإمام ، والحديث في ذلك يطول ، وقد أوردنا من المعاني ما كشفنا حجبها لأولى البصائر الثاقبة ، والعقول لا فليتدبره قاريه حق التدبير ، ويكمل له ويوفيه النظر والتفكر ، ولا يتقدم لقراءة هذا الكتاب إلاّ من صلحت نيته ، وخلصت (53) طويته ، وإلاّ كان وبالاً عليه ، وكان نوره مشعباً لبصر قلبه ، وجالباً للضرر إليه ، فنسأل[85] الله تعالى العصمة لنا والنجاة ، وأن يجعلنا من الشاربين من ماء عين الحياة ، بحق محمد وآله السادات الهداة .

الباب السابع : في اللوح الذي هو المنبعث الأول ، وماله من الشرف على عالمه ، وأنه يتلو الأول ويقفوه في جميع مراسمه[86] . إنا قد ذكرنا سبق الإبداع الأول إلى التوحيد ، وما إستحق لذلك من التفضيل على أهل عالمه والتمجيد ، فصار لمبدعه أرفع الحجب ، وهو الملقب بالملك المقرب ، وانتهى من الكمال والتمام ، إلى حيث يقصر عنه

---

(81) الملائكة : الملاكة في ن .

(82) تسخيره : تسخاره في م .

(83) بنيلهم : نوالهم في م .

(84) الديني : الرين في ن .

(85) فنسأل : سؤال في ن .

(86) مراسمه : مواسمه في م .

وصف الواصفين ، ويعجز عن إدراكه الملائكة الروحانيون ، عجز الحائرين الواقفين . ثم أنه تلاه مقتدياً بفعله ، وسالكاً سبيل شرفه وفضله ، شخص من عالم اللطافة قفاه بالتوحيد لمبدع المبدعات واثبت الهوية المتعالية عن الصفات ، واعترف أن له ولأبناء جنسه موجداً ، ونطق بالشهادة في عالمه موحداً ، معترفاً بفضل العقل المتقدم له ، وشرف[87] سبقه ، مقراً بشريف منزلته ، غير جاهل لعظيم حقه ، فاستحق أن اتصل به التأييد من المبدع الحق بوساطة العقل السابق عليه ، وجرت البركات القدسية اللطيفة إليه ، فصارت له على عالمه بعد سابقه الفضل والكمال ، وشرف الرفعة[88] والجلال ، وصار العقل به محتجباً ، واستحق أن يكون كمثله ملكاً مقرباً ، ولنور ما (54) شرف من تأييده مغرباً ، ولمن كان بعده من العقول الروحانية أصلاً وسبباً ، فهو كالأول في فضله ، ولولا شرف السبق ، وعلو المقام الذي انتهى إليه قبله ، وكونه أولاً في توحيد المبدع الحق ، وما طرقه[89] من البهاء والنور ، والجذل والسرور ، والفضل العظيم المشهور ، ما كمل به الكمال الثاني ، وحاز جميع الأوصاف الشريفة والمعاني ، وفاق على جميع العالم الروحاني ، وهو المكنى عنه باللوح ، والعقل الثاني ، وإليه توجهت الإشارات في المعاني ، واحتجب به العقل كاحتجاب مبدعه به ، وجعله الأصل الذي اتصل[90] بالمادة إليه من سببه ، وذلك لشرفه ، وعلوه ، وسموه ، وقربه منه ودنوه . فاختص بما لم يختص به أحد من العقول ، وتلقى ما واصله من مبدعه بوساطة سابقه بالقبول ، وسمي اللوح لكونه الذي نقش فيه القلم علم ما كان وما سيكون ، وأطلعه على سره المكنون ، وذلك كما ينقش[91] في اللوح بالقلم ، وكما إستفاد الوصي عن النبي في العالم الشرعي صلى الله عليهما وسلم .

وكل عقل وجد روحاني وجسماني فهو قلم لتاليه لوح لسابقه ، الذي هو في الفضل يليه . ويروى عن الرسول (صلعم) أنه قال : أول ما خلق الله من خلقه القلم ، ثم أجرى نهراً أحلى من الشهد ، وأشد بياضاً من اللبن ، وألين من الزبد ، وأمر القلم فاستمد منه ، ثم خلق اللوح ، فقال للقلم : اكتب فيه ، فقال : ما أكتب ؟ فقال :

---

(87) وشرف : سقطت في م .

(88) الرفعة : الوقعة في ن .

(89) وما طرقه : طراق له في ن .

(90) إتصل : سقطت في م .

(91) ينقش : يقش في ن .

إكتب ما كان ، وما يكون ، إلى يوم القيامة . وهو اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في القرآن ، والعقل (55) هو القلم ، والنمر هو ما أمده الله تعالى به من المواد اللطيفة التي عرف بها ما كان وما يكون ، في الحدث والقدم ، واللوح فهو القابل الشريف أمره ، والسابق بعده إلى توحيد مبدعه ، وقبول ما فاض من فضل سابقه وبره .

وكان وجوده عن السابق إنبعاثاً ، وهو شكره وحمده لمن أوجده في حال الكمال ، واختصه بالرفعة والجلال ، وأمده بكلمته فلا تنقطع عنه بالإتصال ، كما قال سيدنا المؤيد في الدين قدس الله روحه : أحمده[92] إذ حمده مكون الأكوان ، المنبعث منه مخترع الزمان والمكان . وكما قال في صفة العقل الأول وهو قوله : إن العقل لما كان من الكمال بحيث لا يتحرك لقصد بل حركته نشكر المنعم الذي أبدعه ، وهو إنبعاث النفس منه دفعة واحدة ، كقوله سبحانه : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[93] وهذا قوله قدس الله روحه : وكيفية الإبداع ليست ككيفية الإنبعاث ، بل إن الأول لما نظر إلى كماله ، وتمامه ، وضيائه ، وبهائه ، ونوره ، وسنائه ، وما واصله من مبدعه ، ومؤيده ، ومختصه[94] وممجده ، ظهرت له من ذلك مسرة وإستبشار ، فسطع منه الثاني الذي هو نور الأنوار .

وكان كمال الإنبعاث وتمامه وبهائه وعلاه ، هو من نور السابق الساطع ، وضيائه اللامع . كما ذكر ذلك سيدنا حميد الدين قدس الله روحه حيث قال : وإن العقل الأول الذي هو المبدع الأول من شيء خص باسم الإبداع لكونه ذات الفعل الصادر إلى الوجود عن المتعالي سبحانه (56) لا من أيس يجري منه مجرى المادة من ذوات الموجودات ، وبينا أن علم كيفية الإبداع في حجاب أيست العقول من أن يكون لها إلى رفعه والوصول إليه سبيل[95] بكونه مما لا يحويه ذواتها واحتياجها عند النهوض لتطلب ذلك، إلى خروجها من كونها عقولاً ، وفي خروج العقل من كونه عقلاً بطلان ذاته ، وقيام الدليل على أن كيفية الإبداع لا ككيفية الإنبعاث ، التي قد أحاطت العقول النيرة بها فأخبرت عنها ، إذ لو كانت مثلها كان الإبداع إنبعاثاً ، والإنبعاث إبداعاً ، فبطل أن يكون كهي بما بيناه فيما تقدم .

---

(92) أحمده : حمادة في ن .

(93) سورة 54 آية 50 .

(94) ومختصه : ومنصبة في ن .

(95) سبيل : سوابل في م .

والإنبعاث إنفعال ما لا عن قصد أول ، وهو وجود يحصل عن ذات جامعة لأمرين بأحدهما تكون محيطة ، وبالآخر تكون محاطة ، فتشرق تلك الذات عند ملاحظتها ذاتها ، وإغتباطها بها ، فيحصل من بين الأمرين[96] خارجاً عنها ، أمر يثبت بثبوت الذات ، وذلك أن الإبداع الذي هو المبدع ، لما كان حياً لذاته ، وقادراً لذاته ، وعالماً لذاته ، وكاملاً وأزلياً ، وعقلاً وعاقلاً ، وغير ذلك على ما بيناه فيما تقدم من كونه نهاية في الفضائل ، وأحاطت ذاته لقدرتها بذاته فلاحظها وعقلها ، إحاطة بها ، وصارت ذاته التي هي عقل عاقلة لذاته التي هي معقولة لذاتها ، التي هي عقل ، ولم يعقه عائق لا من خارجه ولا من ذاته عما توجبه قدرته التامة ، فرأى[97] ما أحبه من ذاته في أنه أول في الوجود لا يتقدمه شيء ، وأنه علة بها يتعلق (57) وجود الموجودات ، وأنه النهاية في السناء ، والنور والضياء ، والمجد والعلاء ، والعظمة والكبرياء ، والقدرة والبهاء ، وأنه محض الفعل الحاصل في الوجود بلا واسطة بينه وبين المتعالي سبحانه ، إغتبط بذاته بما عليه أمرها عند تلك الملاحظة إغتباطاً يفوق كل إغتباط ، وابتهج بأمره إبتهاجاً لا يمكن قياسه إلى الموجود منه في أنفسنا ، مع نقصها عند إدراك المطلوب ، والظفر بالمحبوب . بل أعظم ، وأكبر ، فكان عن ذلك بإشراق ذاته عند إحاطته بذاته وعقله إياها ، وملاحظته لها في ذاته ، فرحاً بها كسطوع[98] نور عنه على نحو ما يكون من الدم عند ورود المسرة على النفس بلقاء معشوقها ، ومعاينة محبوبها ، من نفوذ لون حمرته الباطنة في أقاصي البدن إلى خارج الوجنتين ، وظهورها في بشرة الوجه ، إلا أن تلك الحمرة لوجود العوائق في الذات التي ظهرت فيها ، ويعجزها ما لا يفارقها ، ولا يكون لها نفوذ من أقاصي البدن أكثر من ظهورها في سطح بشرة الوجه ، وذلك النور لخلو الذات التي سطع منها من العوائق ، ولتمام قدرتها ، ما يفارقها عند[99] سطوعه ، فيقوم خارجها ثابتاً قائماً بحسب ما عليه علته ، مثل ما يكون من الشمس إذا أشرقت على وجه الماء ، أو على وجه المرآة المجلاة من إنبعاث ضوء[100] خارج عنها قائم بذاته ، وجوده بوجود الشمس وإشراقها ، حتى إننا لو توهمنا كون الشمس في موضع من السماء ثابتة أبداً ، و (58) هي مشرقة على مرآة أو وجه ماء ، باقيين أبداً ، لكان الضوء المنبعث عنهما موجوداً أبداً ،

---

(96) الأمرين : أمارين في م .

(97) فرأى : فروى في ن .

(98) كسطوع : طوع في ن .

(99) عند : عل في ن .

(100) ضوء : وضوء في م .

إذ ذات المبدع الذي هو العقل الأول في الإشراق الذي يليق بها ، لا كالشمس ، بل أعظم ، وذاته في الصفاء لا كوجه الماء ، وكالمرآة بل أصفى ، وذاته في الجمال والبهاء أجل وأبهى ، من كل جميل وبهي ، فملاحظة المبدع الأول الذي هو العقل الأول ذاته ، وعقله إياها ، وإحاطته بها ، كملاحظة الشمس وجه المرآة ، وإشراقها عليها ، وكون الذات معقولة منورة كالمرآة المشرقة بنور الشمس ، ووجود المنبعث خارجاً عن العقل الأول كوجود الضوء خارج المرآة ، بتعكيسها ما لمع فيها من نور الشمس إلى خارجها .

وكون العقل والمعقول ذاتاً واحدة ، وشيئاً واحداً ، ككون الشمس والمرآة من حيث الجسمية ذاتاً واحدة ، وشيئاً واحداً ، وكون ذات العقل الأول من جهة نسبة[1] كونها عاقلاً ، وعقلاً ، أشرف من شرفها من جهة نسبة كونها معقولة ، وإن كانت الذات من جهة كونها مبدعة واحدة ، لكون الشمس أفضل من المرآة المشرقة وأشرف منها ، وإن كانا من جهة ذواتها الجسمية شيئاً واحداً ، فالإنبعاث سطوع نور عن ذات المبدع الذي هو العقل الأول ، ثابت قائم على السبيل الذي ذكرناه .

وقد ينبعث من العقول التي في دار الطبيعة وتخرج إلى الفعل ، وتنال كمالها الثاني ، بزمان ما يجري هذا المجرى ، وذلك أن أنفس[2] النطقاء التي قد صارت عقولاً محضة (59) لا تزال في بدء أمرها تصطاد المعارف من خارجها ، بالحواس التي هي الآلات لها ، وتقتنيها حتى تستغني بما يشيع فيها من أنوار عالم القدس عن مرافدة الحواس إياها ، فتصير النفس بعد ما كانت مخدومة من جهة الحواس بأن تؤدي إليها المعارف خادمة لها بقوتها ، وإتصالها بينابيع النور والضياء ، ونظرها بما تصورته إلى ذاتها بأن تراها قدرتها وقوتها ، فتؤدي ما تحققت في ذاتها ، وتزايدت قوى النفس في تصورها إلى خارجها ، فتجعل القوة المشتركة التي هي القوة المتخيلة التي كانت تقبل من الحواس صور المحسوسات ، وتؤدي إليها خدمة لها ، وهي أقرب الأشياء إليها ، متشكلة بصورتها[3] والقوة المتخيلة تدفع إلى خارجها ، بتزايد القوة من الذات المفكرة ، كما كانت تتسلم الصور من خارج فتؤديها إليها فيتشكل الهواء عن القوة المتخيلة كما كانت تتشكل[4] عن الهواء ، فيقوم للحاسة مثالاً قائماً تراه ، فتكون تلك الصورة الماثلة إنبعاثاً عن النفس التي

---

(1) نسبة : سبة في م .

(2) أنفس : أوسس في ن .

(3) بصورتها : مصور لها في م .

(4) تتشكل : مشكل في ن .

قد أرتقت إلى درجة العقول ، ونالت كمالها الثاني .

هذا قوله فبين أعلى الله قدسه كيفية الإبداع ، وكونه في حجاب أيست العقول عن إدراكه ، ووجدت عنه مواقعاً من أسوار العجز وأفلاكه ، وأنها إن طلبت ما لا تناله خرجت من كونها عقولاً ، وصار المعلوم عندها مجهولاً ، فوقفت وقوف العجز عند إدراك المبدع ، فكيف تستطيع إدراكاً للمبدع الذي له ما (60) أوجد واخترع ؟ إن من دون ذلك من سرادقات الربوبية أستاراً من ضياء الإلهية ، أضواء تكمه البصائر ، وأنواراً ، وأبان كيفية الإبداع والإنبعاث ، وأن الإبداع هو ظهور العقل عن مبدعه الذي لا يوصف بشيء من الصفات ، ولا تنتهي إليه أنواع الإشارات .

وظهور الإنبعاث هو أنه لما عاين ذاته ونظر جلالها ، وجمالها ، وكمالها ، بما واصلها من المبدع ، واتحد بها من أنوار المخترع ، ظهر نور تحار فيه الأبصار ، وتعجز عن إدراكه العقول السابقة والأفكار ، فكان ذلك إنبعاثاً عنه ، وموجوداً ثابتاً منه ، وذلك كقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : أنا من أحمد كالضوء من الضوء[5] ، وذلك لما كان نور النور ، ومعنى المعاني الذي أبرزه الله مع النبي محمد في الظهور ، وهو النور الذي أنزل معه ، وأبان بحدوده من دعوته ما شرعه .

وقد مثل سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه ظهور الإنبعاث على الإبداع مثالاً محسوساً ، وضرب المثل فيه بما يكون من إبتهاج المحب إذا وجد محبوبه ، الذي يجعله له أنيساً ، وبما يظهر من نور الشمس المضيئة عند مقابلة المرآة الجلية ، ثم أبان في قوله الذي أوردناه إنبعاث ما ينبعث من عقول عالم الطبيعة ، بما تصطاد من المعارف شيئاً فشيئاً ، ونحالاً فحالاً ، بما ترفعه من المحسوسات إلى العقول حتى تصير[6] المحسوسات عندها ، وتعاينها حقيقة[7] بعد الإشكال[8] ، بالبراهين الجليلة (61) ، فهنالك تستغني عن الحواس ، وترجع إلى مشابهة الملائكة من مماثلة الناس ، وليست كالإنبعاث الأول الذي ظهر من العقل دفعة واحدة ، كما قال الله تعالى :﴿ وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ﴾[9] .

إذ ذلك العالم خارج عن الزمان المفصل المقدر ، وهذا الإنبعاث الأول هو المعبر

---

(5) الضوء : سقطت في ن .

(6) تصير : صورت في م .

(7) حقيقة : سقطت في ن .

(8) الإشكال : الأشغال في ن .

(9) سورة 54 آية 50 .

عنه بجنة المأوى ، إذ إليه تأوي العقول والنفوس ، فما تصاعد في عـالم العقل بـأمر الملك القدوس ، من المعقول والمحسوس ، وسدرة المنتهى ، هو العقل الأول الـذي هو إنتهـاء الحـدود ، وغايـة المـوجـود ، وهـو عن نـور العقـل ، كـما قـد ضرب المثـل فيـما أتى عن النبي (صلعم) أن حواء خلقت من ضلع آدم ، وذلك إشارة إلى إستخراج شريعتـه من ظاهره ، وبروز باطنه وسرائره ، الذي وصيه القائم بها ، والمتصل أسبابه بسببها ، وذلك في التقـريب كظهـور ما يـبرز للمستفيد عن المفيـد ، وكظهـور حدود التعليم عن حـدود التـأييد ، لكن ذلـك لطيف شريف في عـالم اللطافـة ، ومعـدن القـدس ، والـطهـارة ، ويسمى النفس الكلية ، أعني الإنبعاث الأول ، لكونه كاملاً جامعاً للعقول الإنبعاثيـة ، ونفسـاً بما تنفس إليـه السابق من أنـوار علمه القـدسية ، والفيض الـذي ذكره الشخص الفاضل صاحب الرسائل أنه فاض إلى العقل من موجده هو ما فاض من العقل الأول إلى الإنبعاث الأول من التأييد ، واتصل به من لطائف المواد التي لا تنقطع عـلى التأبيـد ، إذ مـا يفيض من (62) الشيء هـو من جنسـه إذا امتـلى . والبـاري تعـالى مبـدع العقـل والنفس ، فليس لـه من جنس ، بل هـو مبدع الأجنـاس ، والأنواع ، ومـوجد الإبـداع والإختراع .

لكن الإشارة إلى ما فـاض من المبدع إلى تـاليه الـذي هو من جنسـه ، وهو مـوجد الوجود الصوري ، وبه استحق الإرتقاء إلى عالم قدسه ، وفقنا الله وأياك أيها الأخ لمعرفـة المعاني ، والإرتقاء من الكمال الأول في العالم الجسماني ، إلى الخروج عن الوضع بما تضيع النفوس من الحقائق فتنتهي إلى الكمال الثاني ، بمنـة أصفياء الله وأوليـائه ، الـذين نرجـو الفـوز بشفاعتهم والنجـاة ، ومنهم نستمد مـا نرجـو به البقـاء في عـالم الأزل من ينـابيـع الحياة[10] ، بحق محمد وآله عليهم أفضل السلام والصلاة .

الباب الثامن : في توالي مراتب عالم الإبداع ، وتفـاضلهم على قـدر سبقهم ، وما أتـوه من عظيم فضلهم ، وشريف حقهم . وإذ قـد ذكرنـا الإبـداع الأول ، والإنبعـاث الأفضل ، وأبنا كيف الإبداع والإنبعاث ، ومـا استحقاه من الفضـل لسبقهما إلى تـوحيد مبدعهما ، وتنزيهه عن الشبه والمثل ، وما إتصل بهما من التأييـد[11] الذي نـالا به حقيقـة الأزل ، وإختصا بالشرف الأعظم ، والمقام الأكمل ، فنريـد أن نذكـر من وجد عنهـما في عـالم الإبداع عـلى التوالي من كـان منهم السابق في الفضـل ، والتالي ، وبـالله نستعين ،

(10) الحياة : سقطت في ن .

(11) التأييد : التواليد في م .

وعليه نتوكل ، وبأوليائه إليه في التجاوز عن خطأنا نتوسل :

(63) إنه لما سبق الأول إلى توحيد مبدعه عن التشبيه والتمثيل ، وتلاه التالي في ذلك ، فارتقى إلى المقام الأعظم الجليل ، فأما إلى الدعوة ، والتوحيد ، والتنزيه ، والتجريد ، وكان ذلك من السابق بواسطة التالي ، وعنه أشرق لمن دونه نوره المتلالي ، وظهر تأييده المتتابع والمتوالي ، فلما كانت الدعوة من التالي لتوحيد المبدع ، والإقرار بسبق الإبداع ، والنداء لعالمه بقبول أمره المطاع ، أجابه منهم عوالم لا يحصى عددها ، ولا ينتهي بالتكرار حصرها وحدها ، موحدين لمبدعهم مقدسين ، معترفين بفضل من سبقهم ، ومن نورهم مقتبسين .

وترتبوا[12] عشر مراتب على قدر سبقهم ، ولهم رؤساء عقول عشرة ، ولا يحصى عدد من في أفقهم ،أحدهم الإنبعاث الثاني الذي كان ثالثاً في الرتبة ، فعاد عاشراً في العدد ، وسنذكره في الباب الذي بعد هذا الباب ، ومن الله ، ومن بركات أوليائه التوفيق نستمد[13] .

وهذه العقول وجود كل واحد منهم عن الآخر بالنسبة الأشرف من العقل الأول ، وهي نسبة إلى ما عنه وجوده الذي هو مبدعه ، وتلك هي النسبة الأفضل ، والشرف الأعلى الأكمل ، وهم العقول القائمة بالفعل ، المجردة عن الأجسام الكائنة على غاية يقصر عنها الوصف من الكمال والتمام ، وإتصل بهم من المواد الجارية من الهوية المتعالية إلى العقل بوساطة النفس الكلية ، التي هي بعده (64) .

وتوالت[14] مراتب عالم الإبداع في الشرف والفضل ، ما أشرقت به ذواتهم من نور المعاني ، وإرتقت من الأول إلى الكمال الثاني ، وتأزلت في عالم البقاء عن الوقوع في العالم الفاني ، وانحفظت ذواتها عن الوقوع فيما وقع فيه المتخلف عن العالمين الجرماني والجسماني ، فصارت بالأنوار القدسية مؤيدة ، واستحقت أن تكون معظمة مقدسة ممجدة ، فعصموا بما واصلهم[15] من حدهم عن الخطأ والزلل ، وارتفعوا عن الورود في دار التكاليف الوضيعة والعمل ، وهم ملائكة الله الروحانيون ، وحجبه النورانيون ،

---

(12) وترتبوا : ورتبوا في م .

(13) نستمد : سمد في ن .

(14) وتوالت : في توالي في م .

(15) واصلهم : وصولهم في ن .

الـذين عنـاهـم أمـير المؤمنـين عـلي بن أبي طـالب صلوات الله عليـه حيث قـال في بعض خطبه : فإن للعزيز الجبار مـلائكة خلقهم من نـور الأنوار ، فهم متـلألؤن[16] عن درك الأبصار ، متباينون عن إختلاف الليل والنهار ، روحـانيون لم تـأزهم ترائب الأجسـام ، هيكليـون لم تحنهم الأرحـام ، صمـديـون لا يـأكلون الـطعـام ، ممتنعـون عن تصـاريف الصفات ، لاهوتيون لا تشتبه عليهم اللغات ، متفاوتـون في منازل الـدرجات ، لم يلدوا فيتناسلوا ، ولم يولدوا فيتناسبـوا ، ولم يتكافـوا فيتنافسـوا ، بل كـل لمن فوقـه مربـوب ، وكلهم عن غيب ذي العـزة محجوب . حجب مقـربون ، وعبـاد مكرمـون ، لا يسبقونـه بالقول ، وهم بأمره يعملون ، لا يأمنون من خشيته ، ولا عن تسبيحه يفترون ، قد سما بهم شرف الـطاعة إلى معـالي الأمـور ، ونسـألهم علم ذي العـزة فـوصلوا بمعـالم (65) (الخلود ، وارتقـوا إلى معـالم الصلود)[17] ، في تـوالي مـراتب عـالم الإبـداع المقـدور ، وتناهي بهم الفضل إلى عظمة الإرتفاع ، فهـم أولوا جنحة مثنى ، وثلاث ، ورباع[18] ، شمخ بهم عظيم الأقسام ، عن حدود مـذاهب الأوهام ، واعتصم بهم عـظيم التنبيه عن فـترة النعاس ، فهـم لا ينـامـون ، وامتنـع بهم علو العـزة عن المضـاجـع فهم قيمـون ، لبـاسهم العزة والأخـطار ، ومذاهبهم الأمـر والإئتمار ، وطعـامهم محل الإرادة وغـواشي الأخبـار ، وشرابهم العلم بـالتـوارد عليهم ، وانفـاذ كـل معلوم إليـهم ، عـلمـوا فعملوا[19] ، وملكوا فشكروا ، واستبعدوا على عظمتهم فلم يستكبروا ، فهـم كافون لما كلفـوا ، قادرون بمـا أعطوا ، مبلغـون لما حملوا ، فـلا يقال فيهم قـاموا بعـد قعود ، ولا قعـدوا بعد قيـام ، ولا يحيط بسعتهم الأماكن ، ولا تستقـل لعـظمتهم المـواطن ، لكنهم أحـاط بهم علم باريهم فهـو لهم جنة ومـأوى ، واتقنهم صنعـة ، فهـو لهم أول ومبتـدأ ، وذللهم أمره فهو لهم غاية ومنتهى ، تلطفوا في سعة باريهم وإحاطتـه ، وعظمـوا بالقـدرة عن أمـره وإرادته ، فلو عـدلت السموات العـلى ، والأرضون السفـلى ، وما فـوقهن وما بينهن ، وما تحت الثرى ، لكانت في عظمـة أحدهم كجنـاح بعوضـة[20] ، فأين ثـواقب العقول ، وأين يطمح السائل بالمسؤول ، ما يفتح الله للنـاس من رحمة فـلا ممسك لهـا ، وعلم آدم الأسماء كلها .

---

(16) متلألؤن : متلالون في ن .

(17) الخلود ، وارتقوا إلى معالم الصلود : سقطت في م .

(18) ورباع : ورضاع في ن .

(19) فعملوا : فعلموا في ن .

(20) بعوضة : عواضة في م .

هـذا قولـه صلوات الله عليـه في صفـة العقـول ، ومن في ضمنهم الـذين هم[21] مـلائكة الله المخصـوصون بـاللطافة المبرؤن عن الكثافـة ، المحـظوظـون بـالتقـديس ، السائحون في فضاء عالم القـدس ، وهـم لا يحيط بهم مكان ، ولا تجـري عليهم تصاريف (66) الزمان ، إذ المكان الفلك وما حواه ، والزمـان ما يجـري له حـركاتـه على قـدر ما قـدره مدبـره وقضاه ، وهم خـارجون عنـه ومبائنـون منه ، ومـدبره أدنـاهم في المنزلـة ، وعاشرهم في الرتبة ، فإمداد مبدع العوالم للعقل الأول ، وافاضته لأنـوار علمه عـلى هذه العقول الأفضل منهم فالأفضل ، ومنهم إتصل[22] الأمر بالعاشر وبتدبيره ودارت الأفلاك الدوائر .

وهؤلاء العقـول ومن في ضمنهم عـالم الأمـر والبقـاء ، وأهـل الفضـل والعـظمـة والسناء ، ومحل العـزة والقدرة والبهـاء ، أبدعهم مبـدعهم ، واختصهم منشئهم ، وهم عـالم الإبداع إلى العقـل الأول ، الذي هـو الإبداع منسـوبون ، ولمن أوجـده وأوجـدهم مـربـوبـون ، دأبهم التسبيـح والتقـديس ، وهـم العقـول الإبـداعيـة ، والإنبعـاثيـة ، والنفوس . فسبحان من إصطفاهم من نوره ، وأنشأهم من مكنون علمه ، وفضلهم على جميع خلقه ، فهم البداية وإليهم الصعود في النهاية ، عند خلوص الصـور من موادهـا ، ورجوع النفوس إلى معادها[23] ، إذا فارقت الأوضاع ، وتجـردت اللطائف عن الكثائف في عالم الطباع ، ورجعت إلى الأجناس الأنواع ، ويرجع العالم خيراً كله ، وسعداً كله ، ويـزول الشر وأهله ، لأن الشر لا أصل لـه في الإبداع ، ولا بقـاء له إذا تنـاهى الصعود والإرتفاع ، كما قال الشخص الفاضل صاحب الرسائل ، سلام الله عليه ، حيث قال : فإذاً عالم الشر منقطع زائل ، وأن الباري سبحانه لم يقدره تقدير البقاء ، ولا قضاه قضـاء الـدوام ، ولا أبدعـه في خلقة التمام ، وإنما هـو عـارض عـرض عن غـير قصـد لتخلف (67) الأشياء عن اللحوق بعضهـا ببعض ، العجز ، والنقص[24] ، والتقصـير ، وهو مخالفة الحق ، وإتباع الهوى ، والعـدول عن الواجب ، والتخـطي إلى المحظور ، وقـول الزور ، وأخذ ما ليس الأخذ له بحق .

هذا قوله سلام الله عليه[25] مبيناً فيه أن الشر لا بقاء له ولا دوام ، وأنه زائـل بعد

---

(21) الذين هم : سقطت في ن .

(22) إتصل : وصل في ن .

(23) معادها : عدها في ن .

(24) والنقص : والرقص في ن .

(25) عليه : سقطت في م .

تناهي وفناء عالم الأجسام ، وذلك إذا بلغت النفس إلى درجة العقل ، ورجع النقص إلى الكمال والفضل ، وأرتقى العاشر المكنى عنه بالنفس إلى مرتبة العقل الثاني ، بعد تكامل صعود الصفوة المختارة من العالم الجسماني ، ولحوق أواخر الأشياء بأوائلها ، ورجوعها إلى أصلها وعناصرها ، قد تلطفت عن الكثائف والأوضاع ، ولحقت بعالم اللطافة في دار الإبداع ، وصعدت زمراً ، وصار إلى التفضيل ما كان منها مقدراً ، هنالك أدركته رحمة باريها ، فرجعت إلى أصولها ومباديها[26] ، وتحت كل كلمة مما ذكرناه معاني جليلة ، وخيرات من أولياء الله جزيلة ، فتح الله عنا وعنك أيها الأخ مريح أقفالها ، وعرفنا معاني ما ضرب من[27] أمثالها ، بحق محمد وآله عليهم السلام .

ثم إنا نرجع إلى وصف العقول المرتبة في عالم الإبداع ، ونستشهد بما أورده الحدود وبنوه في معاني الأوضاع ، فنقول : إنها ترتبت[28] عقول عالم الإبداع عشرة على التوالي ، وكان أولها السابق ، وثانيها الإنبعاث الأول ، المعبر عنه بالتالي ، ثم تلاهما رتب على التتالي ، ودائرة العقل الأول هي دائرة الوحدة ، وليس من العقول الروحانية يداني شرفه ومجده . ثم أن في ضمن كل عقل من العقول (68) ما لا يحصى عده ، ولا يبلغ افهامنا حده ، وهؤلاء العقول هم لهم كالرؤساء ومنهم يتصل المواد بأهل دوائرهم الذين كل منهم قد صار عقلاً كاملاً مقدساً ، ورأس كل دائرة من دوائر تلك العقول الشريفة ، والأنوار اللطيفة متعلق بأدنى مرتبة من مراتب العالين عليه ، مستمد منه بما فاض من السابقين[29] له إليه . ثم أنه كان عاشراً هذه المراتب هو العقل العاشر الذي هو ثاني الإنبعاث ، فكان عاشراً بعد أن كان من العدد في الثلاث ، وذلك لتوهمه مساواة من علا عليه ، وسبقه في الفضل متقدماً له من بين يديه ، ثم أنه رجع تائباً من ذنبه ، وتلقى الكلمات من ربه ، فتاب عليه وأهداه ، وأصعده في المراتب الشريفة وأعلاه ، فانتظم مع تلك العقول السابقة في الترتيب ، وكان لهم عاشراً على ما نوضح فيما يلي هذا الفصل معناه ، العجيب .

وإنما ذكرنا ما لا بد لنا من ذكره نسقاً للقول ، ومن الله تعالى ومن أوليائه نستمد القوة والحول ، وقد أوضح سيدنا حميد الدين قس مراتب هؤلاء الحدود العشرة وما في

---

(26) ومباديها : ووداديها في م .

(27) من : عنه في ن .

(28) ترتبت : تراتب في ن .

(29) السابقين : السباقين في م .

ضمنهم من ملائكة الله التي ليست تعد بالحصر ، وأني في تبيين مراتبهم بالحق الذي لا ريب فيه ، وإبانته بالمعنى المتحلى عن غواشيه ، فقال في كتاب (راحة العقل)[30] :
فحكمنا من مقام الناطق عليه الصلاة والسلام في هذا العالم وكونه عقلاً تاماً سائساً لمن دونه ، جامعاً للفضائل النبوية والأنوار الملكوتية ، مستغنياً عن غيره ، وسبباً لوجود الحدود السفلية ، على أن في عالم الإبداع عقلاً محضاً (69) مبدعاً مستغنياً ، هو سبب لوجود الحدود العلوية خاصة ، ولوجود الموجودات عامة ، ومما وجد عنه وتركه صلى الله عليه وعلى[31] وآله فيما بين للأمة من كتابه وأحكامه ، ووصيه الذي أقامه مقام نفسه ، على أن الموجود عن ذلك العقل الأول إثنان ؛ أن أحدهما أشرف من الآخر ، كشرف الوصي القائم بالفعل ، القيم بجميع ما جاء به على ما تركه ، ومن كونه[32] تمامية دوره بأتماء سبعة ،وقيام كل منهم بنص[33] من تقدمه صاعداً إلى الأساس، وعمل كل منهم في كل ركن من أركان الدين ، ودعائم الإسلام الذي جاء به الناطق لإظهار الحكم والمعارف المتضمنة تحته ، على أن الموجود عن العقل الأول والمنبعث الأول عقول سبعة ، وجود كل منها عن الآخر صاعداً إلى المنبعث الأول ، وأن نور كل منها ساطع سار فيما وجد عن الأول من الهيولي والصورة التي منها وجود السموات والأرض[34] وحركاتها ؛ ومن تمامية الدور بالسبعة بعد الناطق والأساس وقيام العاشر في مقام الناطق بالدعوة إلى أمر جديد في دور آخر على صيغة ما تقدم ، على وقوف الإنبعاث عن وجود المثل عند انتهائه إلى العاشر من العقول ، وقيام العاشر مقام الأول في تدبير دار الجسم على تلك الصيغة ، ومن كون أئمة كثيرة كما بينا في رسالتنا (المعروفة (بالوحيدة في المعاد) ، ورسالتنا)[35] المعروفة (بالواعظة) فيما بين الأتماء السبعة ، على أن بين العقول المنبعثة ملائكة كثيرين بحسب كثرة الأكر في دار الجسم ؛ ومن كون مراتب الأئمة شيئاً واحداً من حيث الإمامة والكمال ، على أن مراتب العقول شيء واحد في كونها برية من الأجسام والمواد . (70)

---

(30) راحة العقل تحقيق وتقديم الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار الأندلس بيروت صفحة (239 - 240) .

(31) وعلى : سقطت في ن .

(32) كونه : كان في ن .

(33) بنص : بفص في ن .

(34) والأرض : سقطت في ن .

(35) المعروفة (بالوحيدة في المعاد) ورسالتنا : سقطت هذه الكلمات من النسخة ن .

هـذا قولـه قس أوضح فيـه أشكال اللبس ، وأبـان مراتب عـالم العقل والنفس ، وكشف معانيها بما يقوم برهانه ، ويشهد لغائبه عيـانه . وكـذلك سيـدنا المؤيـد في الدين قس قد أتى بالقول الفصل ، وإيضاح ترتيب عالم العقل في بعض مناجاتـه ، وأبان تـدبير كل عقل منها لفلك من الأفلاك ، وبتدبيرهم لهـا الإرتباط والإستمسـاك ، وأن عاشرهم مـدبر عـالم الطبيعـة الـذي دون فلك القمـر ، وفي ذلـك بيـان لمن أيقن واستبصر ، وأن العاشر هو المدبر لـلأفلاك ولعـالم الطبيعـة ، لكن لكل فلك عقـل يختص بتدبـيره ، ويمد المـدبر في تحـريك ذلـك الفلك وتدويـره ، وإن كانت مـواد جميعهم عنه غـير منقطعـة ، وبـركاتهم غـير منبترة ولا ممتنعـة ، فقال سيـدنا المؤيـد في الدين قس فيـما ذكرنـا متوسـلاً بالعقول الإبداعية مبيناً لرتبهم[36] السامية السنية ، حيث يقول : اللهم أني أسـألك[37] بأول من توجته بتاج الإبـداع ، وخصصته بشرف البـداية والإخـتراع ، الساريـة قواه في الفلك الأعظم المحيط أصل الحركات ، وباب عالم القدس البسيط ، وثانيه الذي أرقيتـه على مراتب الانبعاث ، وجعلته مخصـوصاً بـرتبـة التكـوين والاستحداث ، وأحللتـه من الأول محل القابل من الاناث ، فاستدار الفلك المكوكب بسريان أشعته ، وجرت أحداثه فيه بتقديره ومشيئته ، وبثـالثه المخصـوص بتأثـيره فلك كيوان ، وبـرابعه المشـتري تحت تدبيره على ممر الزمان ، وبخامسه محل البقاء والدوام ، المختص بنفاذ قـوته فلك بهـرام ، وسادسه حافظ (71) الحس المنفذ بقوى تصاريفـه فلك الشمس ، وسابعـه منتهى محل الشرف والقدرة السارية قوى أحداثه في فلك الزهرة ، وبثامنه الذي نصب عطارد للفلك كاتباً ، ولتصاريف تقاديره مقدراً وحاسباً ، وبتـاسعه مقـدر القمر منـازلاً وجاعله لجميـع الكواكب مؤدياً وناقلاً ، وبعاشره مدبر عالم الطبيعة ، المظهر في أكوانها الصور البديعة .

فهذا قوله قس واصفاً لعقـول عالم الإبـداع ، وعظيم حقهم وتـرتيبهم ، على قـدر شرف سبقهم ، وما إختص تدبير كل واحد منهم في عالم الأجرام ، وكون تدبير عـاشرهم مختصـاً بما دون فلك القمـر من الأجسام ، ثم أنـه قابلهم بمـراتب عالم[38] الـدين وقيـام الحدود في مقابلة العقول السابقين ، فقال قدس الله روحه : وأسألك[39] اللهم بأول من قلدته بقلائد النطق والرسالة ، وسربلته بسرابيـل الشرف والجلالـة ، وجعلته مثـلاً لأول

(36) لرتبهم : لرواتبهم في م .

(37) أسألك : سؤالك في ن .

(38) عالم : سقطت في م .

(39) وأسألك : وسؤالك في ن .

البداية ، وبالغاً إلى غاية الشرف في النهاية ، وبثانيه الذي غربت شمسه في أفقه ، وجعلت بيان علمه في لسانه ونطقه ، وبثالثه المسمى بلسان الشريعة الإمام ، الحافظ لما تركاه من القضايا والأحكام ، وبرابعه الذي جعلته محل الفضيلة وفصل الخطاب ، الحال من بيت العلم والحكمة محل الباب ، وبخامسه الذي جعلته علم الهداية والمحجة ، وصيرته على جميع الخلق الشاهد والحجة ، وبسادسه الذي بلغته من ذرى إحسانك أعلى المبالغ ، وحصنته من حمى كفايتك بالدرع السابغ[40] ، وبسابعه الذي (72) أطلقته إلى الله داعياً ، ومبشراً ، وهادياً ، لأهل دعوته ومنذراً ، وبثامنه الذي حصرته بإنعامك[41] على القدر المعلوم ، وصيرت كلامهم عليهم المسموع المفهوم ، وبتاسعه الذي أطلقته بأذنك مؤذناً ، وساعياً . وهادياً ، للبرايا بجودك ومنادياً ، وبعاشره الذي حصرته من الأمر فانحصر ، ورضي بما أتاه من ربه من قضائه وقدره .

هذا قوله قس قد أبانه ، وأوضح دليله وبرهانه ، واستشهد بما في عالم الدين من ترتيب الحدود على ترتيب عالم الإبداع الذين هم[42] مبادي الوجود ، والحمد لله على ما هدانا ، وأنعم علينا ، وأولانا وأعطانا سبحانه ، وخولنا إذ من أولياء العترة الطاهرة جعلنا ، وأرشد إلى حسن الإمتثال لهم سبيلنا ، نسأل الله الهداية في الرضوان ، والإستقامة على مباهج الإيمان ، بحق محمد وآله عليهم الصلاة والسلام .

الباب التاسع : في ذكر العاشر من الرتب وتخلفه وإنابته ، وما عليه من تدبير عالم الخلق . وجب أن[43] نقول : إنا قد ذكرنا توالي العقول وترتبها ، وتفاضلها في سامي منازلها ، وعالي رتبها ، وكيف صاروا على قدر سبقهم مترتبين ، وللمواد الشريفة القدسانية الروحانية مستوجبين ، والآن نريد أن نبين عن المنبعث الثاني الذي صار عاشراً ، وكيف كان بعد أن كان ثالثاً آخراً ، فنقول : إنا قد ذكرنا الإنبعاث الأول الذي هو الإبداع الثاني ، وشرف سبقه الذي به استحق أن يكون تالياً للأول ، ومرتباً في أفقه ، وأنه كان معه الإنبعاث (73) الثاني في السبق ، إلاّ أنه قصر عن حده ، ووقف دون فضله السامي ورفيع مجده ، إذ كانا قد أستبقا كفرسي رهان ، وبهذا الإنبعاث الأول سبقاً في شريف ذلك الميدان ، ووقف عنه قاصراً ، وعن مرتبته حاسراً ، وكان في

---

(40) السابغ : النابع في ن .

(41) بإنعامك : سقطت في ن .

(42) الذين هم : هموا في م .

(43) أن : من في م .

الإنبعاث له تالياً ، وموجداً بعد أوليته ثانياً ، فلم يعترف له بشريف سبقه ، وعالي مرتبته ، وعظيم حقه ، وظن أن له مساوٍ ، وبعض الظن أثم ، وذلك قبل أن يتصل به الكمال الثاني الذي هو حقيقة العلم ، إذ كان في الكمال الثاني حد العصمة ، وأهل الكمال الأول غير آمنين على التخلف ، إن لم يتبعوا السابقين الذين هم[44] لهم كلأئمة ، وكان الأول منهما قد وحد المبدع سبحانه وقدسه ، فنزهه وعرف عجزه عن إدراكه ووله ، واعترف بفضل السابق عليه ، وأنه باب مبدعه وحجابه ، الذي منه يوصل إليه ، فطرقه من مواد المبدع بواسطة الإبداع ما تكل بصائر العقول السابقة عن إدراك الأنوار المتجلية منه والشعاع[45] ، فاتحد به الأول واحتجب ، وجعله السبب الذي به إليه يتقرب ، والإنبعاث الثاني قصر توحيده عن المبدع المشار إليه بالهوية ، ونزه المبدع المستحق للكمال ، والتمام ، والأزلية ، ثم أنه لم يعترف بفضل حده السابق عليه ، وحمده الذي لا يتصل المواد إلاّ من قبله إليه ، وتوهم المساواة له في رتبته ، وأنه كمثله بالإنبعاثية ، وغير متأخر عن سامي منزلته ، وكان ذلك ظناً منه ووهماً ، أورثه عجزاً أوقعه من الشكوك في حيرة (74) مدلهمة ، كالظلمة فوق وتحير عن السابقين عليه عجز وقصر ، وأظلمت عند ذلك ذاته التي كانت في كمالها الأول منيرة ، وأوجب ذلك بعده[46] عن الإنبعاث الأول وتأخيره ، ثم تتالت مراتب عالم الإبداع متقاطرة ، وتوالت في رتبها السامية وأنوارها الزاهرة ، فحين نظر الإنبعاث الثاني إلى تأخره عن تلك المراتب وقصوره ، ووقوفه عن مجرى طلقها[47] وحوره ، وبعده عن التالي الذي كان في الإنبعاث يليه ، وكورت الحجب النورانية الإبداعية بينهما فلم يدرك سامي مقامه وعاليه ، رجع بالتوبة والإنابة إلى من قرب إليه من تلك الأنوار ، ونادى[48] سائلاً عن سبب تخلفه عن اللحوق بتلك المراتب العالية الأقدار ، فأجيب أن تأخره كان من قبله لما توهم مساواة من هو دونه في الفضيلة ، وأن لا نجاة ولا خلاص إلاّ بما سعى إليه من الوسيلة ، فعندها نادى معترفاً بذنبه ، سائلاً متوسلاً بالكلمات التي تلقاها من ربه ، وهي العقول السابقة عليه التي جعلها الوسيلة ، إذ هو المعبر عنه بآدم الروحاني المستحق لتوبته وإنابته الشرف والفضيلة ، فتوسل بأدنى تلك العقول إليه ، وبه إلى من يعلو عليه ، حتى انتهى توسله

(44) الذين هم : سقطت في ن .

(45) والشعاع : والإشعاع في ن .

(46) بعده : بعداده في م .

(47) طلقها : طلاقها في ن .

(48) ونادى : ووادى في ن .

إلى العقل الثاني الذي هو بعد السابق الأول أولاً في العالم[49] الروحاني فلما أعترف بما أقترف ، وتوسل بمن أوتي عليه رتبة الفضل والشرف ، ضارعاً إلى ولاة أمره تائباً راجعاً إليهم عن زلته تائباً[50] فقبلت توبته وإنابته ، وحقت زلفته وإجابته ، (75) فاتصل به من الأنوار المتحدة بتلك العقول ، التي سبقت ما تشعشعت به ذاته بالإنارة ، وأشرقت وطرقته بوساطة تلك العقول الأنوار ، واتصلت به المعاني الشريفة القدسية والأسرار ، فصار لتلك العقول النيرة الشريفة باباً ، وسلماً به يرتقي إليها وحجاباً ، وصار كأحد تلك العقول عقلاً شريفاً ، نيراً لطيفاً مقدساً عن الأوضاع[51] ، مؤتي للعزة والإقتدار ، وصار نفس كل لتلك العقول النورانية لتنفسها ، بما إتصل بها من أنوار مبدعها إليه ، ولعقول عالم الطبيعة باقتباسها[52] من لطافته ، ووقوف ما صعد وأرقى منها لديه . وإستحق أن يكون كسبق العقول الروحانية سابقاً ، وأن لا يجد عن لحوق كماله الأول بكماله الثاني عائقاً ، وتلك صفة دار الإبداع والإنبعاث ، أنها لا عائق فيها لخلوها من المواد التي تعوق ، وكونها من اللطافة متجردة إلى ما يعلو عن المواد ويفوق ، وشاهد ذلك ما ذكره سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه بقوله : ودار الإبداع والإنبعاث لا عائق فيها لخلوها من المواد التي تعوق ، وتجردها منها ، وكونها صوراً محضة لا تعتلق بمادة ، ولا بها مادة تحجزها عن الفعل ، فإذا كان لا عائق فيها ، فوجود موجوداتها لا بزمان بل دفعة واحدة على ما تقدم به القول .

فهذا قوله أعلى الله قدسه . فكان العاشر من جملة تلك العقول الإبداعية والإنبعاثية يقع عليه ما يقع عليها من الكمال والتمام ، ويوصف[53] بصفاتها الشريفة المقدسة عن ملائمة الأجسام ، (76) فألزم العاشر بعد أن صار في الكمال ، والتمام ، والرفعة ، والعلا ، والفضل ، والشرف والبهاء . والحق كماله الثاني كماله الأول ، وترتب في الرتب الشريفة الرفيعة ، عند الله عزّ وجلّ ، أن ينظر إلى المتخلفين من الذوات الإبداعية ، القاصرين[54] عن الكمال الثاني الذي به البقاء ، والوجود في دار الملكوت الأزلية ، وأن يقوم لهم بالتدبير ، ويرتبهم على أحسن الترتيب والتقدير ، بعد أن يدعرهم

(49) العالم : علم في ن .

(50) تائباً : تبا في م .

(51) الأوضاع : الاضاء في ن .

(52) باقتباسها : سقطت في ن .

(53) يوصف : يتصف في م .

(54) القاصرين : المقصرين في ن .

في عالمه الروحاني إلى الهداية ، ويدلهم على توحيد المبدع الحق سبحانه ، والإعتراف[55] بمراتب السابقين في البداية ، وذلك المتخلف من تلك الذوات الروحانية ، من لم يقر كما أقرت بذلك العقول ، وتخلف عن استمداد تلك الأنوار الشريفة والقبول[56] ، وكانوا قد أقتدوا بالإنبعاث الثاني حين توهم مساواة السابق عليه الذي من قبله يتصل بالمواد والبركات إليه ، فتوهم أنه مساو تلك العقول الشريفة ، وأن لا فضل عليهم لعاليها ودانيها ، ولا شرف لما سبق منها إلى توحيد مبدعها ومنشيها .

فلما ألزم الإنبعاث الثاني أن يدعوهم ويهديهم ، ويدلهم[57] على الفضل الذي يرتقوا إليه إن قبلوا دعوته كان بها صعودهم وترقبهم ، قام لهم داعياً ، ومنهم منادياً ، دالاً لهم على التوحيد ، وهادياً لهم إلى التنزيه والتجريد ، ومعرفاً لهم بشرفه الذي صار إليه باستدلاله بمن سبق عليه من العقول المخصوصة بالتأييد ، وبما ناله من الكمال الثاني الذي به اعتصم[58] من الوقوع في الكثافة والتجسيد ، فلم يقبلوا دعوته ، ولا أجابوا ، ولا رجعوا إليه (77) بالتوبة ، ولا أنابوا ، فكرر لهم الدعوة ، وعرفهم ما به يسلمون وينجون من الوقوع في الزلل والهفوة ، فكانوا منقسمين بين نادم مستغفر ، وشاك متحيّر ، ومصر مستكبر ، ولزمتهم الظلمة والكثافة ، وبعدوا من النور واللطافة ، وتحركوا من بعضهم بعضاً ثلاث[59] حركات لزمهم بها الطول الأول ، والعرض الأول ، والعمق الأول ، فصاروا جسماً واحداً غير بائن منه الألطف والأشرف من الكثيف الأرذل ، فلما صاروا كذلك ، لم يكن لهم وجود في العالم الشريف الروحاني ، واستحقوا الترتيب والإرتقاء في العالمين الخفيف الجرماني ، والكثيف الجسماني ، فصار العقل العاشر لهم مدبراً ، وفاعلاً بمادة مبدعه ومؤيده ومقدراً ، ولم يكن بعده غير عالم الجسم الذي هو كالتكاليف والأوضاع ، ويقابله في عالم الدين من الحدود المنتظمة المكاسر القائم بالإحتجاج والإفادة في الظاهر ، وهو الذي وصفه سيدنا حميد الدين قس حيث يقول في راحة العقل[60] : فقد بان بذلك أن العاشر من الحدود السفلية ، لكونه

---

(55) الاعتراف : العراف في ن .

(56) والقبول : والقول في م .

(57) ويدلهم : ويولهم في ن .

(58) اعتصم : عصم في ن .

(59) ثلاث : سقطت في م .

(60) راحة العقل تحقيق الدكتور مصطفى غالب ص 255 منشورات دار الأندلس بيروت

نهاية لذوي المراتب التي عنها ، وبوجودها[61] تكون المواليد الروحانية ، ولم يترتب دونه مرتبة ، (وأنه ليس إلاّ العناية بالأنفس في دار الطبيعة)[62] وجذبها إلى بيت العبادة لترتقي في الدرجات . وظهر بكون ذلك كذلك أن العاشر من الموجودات في عالم العقل هو نهاية العقول المنبعثة الصادرة عنها القوى في الأجسام ، لتكون عنها المواليد الجسمانية ، ولكونه نهاية (78) وقف الإنبعاث عنده ، وأنه ليس له إلاّ العناية بعالم الكون والفساد ، ومواصلة ما يتهيأ منه للقبول ومرافدته كالعاشر من الحدود السفلية الذي ليس له إلاّ العناية بالأنفس وجذبها إلى (العبادة و)[63] الطاعة .

هذا قوله أعلى الله قدسه . وهذا العاشر كان ثانياً في الإنبعاث ثالثاً في العدد ، فعاد عاشراً في الترتيب لتخلفه عن السابقين عليه في عالم البقاء ، فصار آخرهم في الترتيب في ذلك العالم الشريف والإرتقاء ، فهو المسمى بالعاشر مدبر عالم الطبيعة ، المظهر في ألوانها الصور البديعة ، وفعله لأن يستخلص النهاية الثانية ، والولد التام الذي هو قائم الأكوار ، والأدوار ، وبه للمقامات الشريفة الختام ، فمتى إستخلص إرتقى إلى مرتبة التاسع ، والتاسع يرتقي إلى مرتبة العالي عليه ، ولا يزال هذا الترقي كلما صعد قائم من عالم الطبيعة بمن في ضمنه من العقول الصائرة لديه ، لا يزال الترافع والترقي حتى يبلغ جميعهم حظيرة القدس ، ومجمع الإنبعاث الثاني المكنى عنه بالنفس ، وذلك بعد إنتهاء الأدوار إلى آخرها ، ولحوق العوالم بمباديها وعناصرها .

والحمد لله على ما (دلنا عليه وهدانا إليه)[64] ، شكراً لأولياء النعمة الذين هدونا وعرفونا ، وعلى سبيل نجاتنا دلونا وأوقفونا ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، استغفره وأتوب إليه ، وهو الغفور الرحيم .

الباب العاشر : في الهيولي والصورة وما أوجد عنهما من الأفلاك والأمهات ، وما نضد فيهما من الترتيب والنظام العجيب على أحسن الهيئة والثبات . (79) نقول وبالله نستعين ، وعليه نتوكل وإليه ننيب ، ومن بركات أوليائه نستمد ، وبهم إليه نتوسل أنه سميع مجيب : إنا قد ذكرنا عالم اللطافة[65] بما أبنا فيه العبارة ، وأوضحنا في مراتب

---

(61) وبوجودها : وبجميعها في نص راحة العقل ص 255 .

(62) وأنه ليس إلاّ العناية بالأنفس في دار الطبيعة : سقطت من ن وم وأخذناها من راحة العقل .

(63) العبادة و : سقطت في ن وم ونقلناها عن راحة العقل ص 255 .

(64) دلنا عليه وهدانا إليه : دالنا عليه وهدينا إليه في م .

(65) اللطافة : سقطت في ن .

عقوله معاني الإشارة ، وإنا نريد أن نذكر في هذا الباب تخلف ما تخلف عن ذلك العالم لترك القبول ، وترتب عالم الأفلاك ، وعالم الكون والفساد ، لاستخلاص صفوته على مضي الأكوار والأدوار ، حتى يلحق بما سبق من العقول ، فنقول : أنه لما سبقت العقول إلى اللطافة بالتوحيد ، وتنزهت عن الأسباب الموجبة للكثافة ، بما اعتصمت به من التأييد ، بقيت منها ذوات جمة لم تسبق إلى التوحيد بسبقها ، ولم تنتظم بالإقتداء بها في ضمنها وأفقها ، فحصل فيها التخلف عن الصعود والإرتقاء ، وقصرت[66] عن اللحوق بها فتستحق بذلك الأزل والبقاء ، فوقعت من حيرتها في الظلمة ، وحرمت أنوار تلك العقول ومعاني الرحمة ، فوقعت في الداء الدوي ، وكانت أقرب من الصعود إلى الهوي ، وأن آخر تلك المراتب لما كان قد توقف وتوهم المساواة للسابق عليه ، ثم تاب وأناب فاستحق المقام الأشرف ، حيث[67] من توهمه ما زاد تلك الذوات المستخلفة تأخراً ، واقتدت به توهم مساواة السابقين فاكتسبت ظلمة وتحيراً ، وتوقفت أن ترجع برجوعه إلى الإجابة ، ولم تصب من تلقي[68] الكلمات اللطيفة ما كان له من الإصابة ، فألزم خلاصها إذ كانت به قد إقتدت ، وأن يتولى تدبيرها ليصفي تكديرها ، (80) فإن أجابته فازت فصعدت ، فدعاهم إلى توحيد المبدع ومعرفة[69] العقل الأول ، والإقرار بفضل السابقين ، فتوقفوا عن دعوته التي هي حقيقة عين اليقين ، وكرر عليهم النداء بالدعوة ، وعرفهم بما يخرجهم لو أجابوه إلى الفعل من القوة ، ونهاهم أن يقتدوا بما كان منه من الهفوة ، وأن ينيبوا كما أناب ، فيلحقوا بتلك العقول التي هي اللباب ، والصفوة . فأبوا عن إجابة دعوته ، وقصروا عن اللحاق بأهل الفضل والتمام ، وانقسموا عند ذلك ثلاثة أقسام : فالقسم الأول من ندم واستغفر ، وأقر بالسابق الأول ، وعن الإقرار بمن تلاه من العقول ، وقف وقصر .

والقسم الثاني شكوا وتحيروا ، وعن معرفة الأول السابق ومن تلاه ، وعن الإقرار بسبقهم تأخروا .

والرتبة الثالثة أصرت واستكبرت ، وولت عن إجابة داعيها وأدبرت ، وأنكروا مبدعهم الذي سواهم ، وجحدوا فضل العقول التي هي بالتدبير تولاهم ، فاجتمعت

(66) وقصرت : وتدنت في ن .

(67) حيث : سقطت في م .

(68) تلقي : توقا في ن .

(69) ومعرفة : وعارفة في ن .

هـذه الثلاثـة الأصناف ، وتحـركت بعضها في بعض فلزمهـا الطول الأول ، وفي الحـركة الثـانية إختصت بـالعرض[70] ، ولـزمها في الحـركة الثـالثة العمق ، وبعـدت عن المحل الأشرف الأفضـل ، فلما لـزمتهم هـذه الثـلاثـة الأبعـاد ، وشـابهـوا فيهـا مـا تكثف من الأجسـاد[71] ، خوطبـوا ممن تدبـيرهم عليه وجب ، بمـا قال تعـالى في كتابـه إذ يقـول : ﴿ انطَلِقوا إلى ظِلٍّ ذي ثَلاثِ شُعَبٍ * لا ظَلِيلٍ ولا يُغْني مِنَ اللَّهَب ﴾[72] . قد تكثفـوا عن الهيولي الأولى ، وانقسموا عرضاً وعمقاً وطولاً ، فلما (81) رأى المدبر أن لا رجـوع لهم مما وقعوا فيه ، ولا خلاص لهم من إدراكه ومهاويه ، إلاّ بعد تدبير وتقدير ، وتهـذيب لهم من أوضار[73] الشكوك والتطهير ، وأن لا تمام لهم ولا كمال ، ولا خـلاص مما وقعـوا فيه من ظلمة الخطية على أي حال ، إلاّ بزمان ومكان ، وطول أمد وإمكان .

وكان عالم اللطافة منزهاً عن الأزمنة والأمكنة ، مقدساً عن أوضار الكثافة الهينـة ، وكانوا غير قابلين للطافة لما عراهم من الكثافة والظلمـة ، ولا ساطعـة فيهم أنوار الفيض من عـالم القدس الإلهي لتلقى الـرحمة ، فـردهم إلى عالم الأجسـام[74] الـذي هـو وافيـه بـاستحقاقهم وواقعهم ، فيما جناه عليهم مـوجب شقـاقهم ، وعـطف عليهم مـدبـرهم عطف الفاضل على المفضول ، والسابق على المسبوق ، ونـظر إليهم بما أمـدته بـه العقول نظر المحب لتمام ما نقص منهم المشوق ، ورتبهم بـالعنايـة الشريفة الإلهيـة ، ونظمهـا بما اتصل به من المواد اللطيفة العقلية ، وجعل منها الأفلاك التي هي كالآباء لما ينشأ[75] عنها من الخلقـة والأركان ، التي هي الأمهـات لتظهـر عنها المـواليد بمقتضى الـرأفة والـرقـة ، لترتقي إلى أن تتم بظهور الصور البشريـة ، ويتصل آخـر الدوائـر بأوائلهـا[76] العقلية ، وكان أعلى الأفلاك ، هو الفلك الأعلى المحيط المقارب بلطافته لعالم القدس البسيط ، وهو المحرك للأفلاك والمتحرك الأول الذي به لما دونه الإستمساك ، ومنه سرت إلى ما دونه من عالم الأجسام (82) العناية ، وهو للأفلاك الأول والغايـة ، وهو يقلبهـا[77] في كل يـوم

(70) بالعرض : بالعوارض في ن .

(71) الأجساد : الفساد في م .

(72) سورة 77 آية 30 ، 31 .

(73) أوضار : أضرار في ن .

(74) الأجسام : الأوساد في م .

(75) لما ينشأ : سقطت في ن .

(76) بأوائلها : بولائها في ن .

(77) يقلبها : يقبلها في ن .

وليلة قلبة إلهية ، ويحركها من المشرق إلى المغرب حركة كلية[78] .

وهو أرفع الأفلاك وألطفها ، وأصفاها ، وأشرفها ، ولـه بمادة مـدبره عـلى الأفلاك الجرمانية العلو والقدرة ، وهو أولها في إبتداء الخلقة ونشوء[79] الفطرة ، وهو أسبق العالم الجرماني إلى توحيد المبدع عند دعوة العاشر ، وأقربها إلى الإقرار بالعقل الأول العالم الحي القادر ، ولذلك إستحق أن يكون المحيط بجميع الدوائر ، والمحرك لها في التدبير بما أمـد به ربه مؤيده الفاطر ، وهو المكنى عنه بالكـرسي المحيط لسعته ، إذ كـانت جميع الأفـلاك الجرمانية محاطاً بها في دائرته ، وجميع الأفلاك الجرمانية لا إرتقاء لها إلى عالم اللطافـة ، ولا صعود لها عن تدبير عالم الكثافة ، إلاّ بعد هبوطها وترقيها إلى القامة الألفية ، وصعود مـا يخلفهـا من الفضلات[80] الشريفـة الباقيـة ، بعد إرتقـاء اللطائف من الخلقة البشريـة ، وهي بعد مضي الأكوار والأدوار وتناهي القيامـات بصعود المجـامع الشريفـة القائمـة من هذه الدار ، ولحوقها بـأصل القـدس وفي عالم القـرار ، فأمـا الفلك الأعظم المحيط فـإنه للطافته وعلو جوهره ، وشفافته وسمو أصله وعنصره ، فإنه يرقى من وضعه صـاعداً إلى اللحـاق بمراتب العقـول ، ويصفو بعـد أداء ما عليـه من الخـدمـة متلطفاً عن العمق ، والعـرض ، والـطول ، ويلحق بـالمبـادي الأولة من غـير انحـدار إلى مـا دونـه من عـالم الأجسام ، ويصير كأحد (83) العقول اللطيفة الحائزين للكمال والتمام .

وذلك كصعود الحدود بالمعـاني اللطيفة عن المـوضوع ، وارتقـائهم بها إلى المعقـول اللطيف عن المحسوس المطبوع ، لكونها حقائق مجردة متصلة بحدود التأييـد ، قريبـة من المبدأ[81] الأول بها إستدارت مراتب الحدود ، ولم تقع عند القاصرين فتبعـد عن المعنى ، ولم تتصل من المتصورين إلاّ بالإشرف الأسنى ، وإنما إتصـالها بـالذين سبقت لهم من الله الحسنى . وهم المبعدون عن حسيس جهنم الكبرى الواقع فيها أهل التقصير ، العازفـون بمعنى مـا وضع النبي (صلعم) بـواضح البيـان والتبصـير ، الـذين سجـدوا للنـور ، ولم يدخلوا في الموضوعات إلاّ بعـد أن عرفـوا باطنهـا المستور ، كـما روي عن سلمان الفارسي رحمة الله عليه ورضـوانه سجـد[82] للنبي عليه الصـلاة والسلام ، فقيـل له : يـا سلمان

(78) كلية : ليلية في ن .

(79) ونشوء : وسوء في م .

(80) الفضلات : الوصلات في ن .

(81) المبدأ : سقطت في م .

(82) سجد : ساجدة في ن .

أتسجد لبشر مثلك ؟ فقال : إنما سجدت للنور الذي بين عينيه .

وذلك أنه قصد حد التأييد الذي منه النبي إستمد ، ولم يتصور المحسوسات على الظاهر الأقصى[83] عن الحقائق المبعدة ، وسلمان وغيره من أهل البصائر قد عرفوا باطن الدعوة التي أتى النبي بظاهرها ، وتحققوا قيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمعرفة سرائرها ، ومراتبهم فهي كمراتب الأبواب ، وفيما دون دائرتهم دارت دوائر الحدود على قدر المعرفة والإستيجاب، فأولئك يرتقون إلى المجامع الشريفة الإمامية الذين هم[84] في حد التأييد ولا يتصلون بمن دونهم من الحدود القائمين بحد التعليم الذي هو بالألفاظ (84) أدنى إلى التجسيد وهم كانوا في دعوة النبي (صلعم) كمن سبق إلى معرفة إمامة أبي طالب عليه السلام .

قد عرف المعنى في الدعوة الباطنة التي قام بها الوصي عليه السلام بعد كمال الدين والتمام ، وهم صفوة الصفوة من دعوة النبوة ، والآخذون لما أتوه بقوة .

الآن نرجع إلى ما كنا فيه من ذكر الأفلاك الجرمانية وفضل المحيط عليها ، وكونه أعلى فيها رتبه المدبر المسري للعناية الإلهية ، وهو بمنزلة الرأس الذي فيه الدماغ[85] وهو مسكن العقل ، المستحق أن يخص دون أعضاء الجسد بالفضل ، ثم كان دون فلك الأفلاك في الترتيب فلك البروج ، وهو الجامع للبروج الإثني[86] عشر التي هي بيوت الكواكب المدبرة ، وهي مقسومة فيه اثنا عشر برجاً ليلية ونهارية ، وكانت الكواكب السبعة التي هي المدبرة الشمس ، والقمر ، والمشتري ، والزهرة ، وزحل ، والمريخ ، وعطارد .

وهي رؤساء الكواكب جمة لا يحصى عددها ولا ينتهي أمدها ، كما تعاين ذلك بالنظر الحسي ، فسبحان من هذه القدرة قدرته ، والفطرة فطرته ، مدبر الأرض ، والسموات ، وخالق النجوم الطالعات ، والغاربات ، وفلك البروج محيط بما دونه من الأفلاك الجرمانية ، وهو أدناها إلى المحيط الذي هو الفلك الأعلى ، ومجرى النجوم بأمر من جلّ أن يوصف وعلى ، ويلي فلك البروج فلك زحل ، ثم يليه فلك المشتري ، ويليه

---

(83) الأقصى : سقطت في ن .

(84) الذين هم : هو في ن .

(85) الدماغ : سقطت في م .

(86) الاثني : الثاني في ن .

فلك المريخ ، ثم فلك الشمس ، ثم فلك الزهرة ، ثم فلك عطارد ، ثم فلك القمر ، فكانت دوائر هذه الأفلاك محيط بعضها في جوف بعض ، وكانت الشمس في الفلك الأوسط ممدة لما (85) كان فوقها ودونها من النجوم والكواكب ، ساطعة في الأفلاك بما جعل فيها من النور الطالع والغارب ، وهي مثلاً كالقلب من الصورة الإنسانية الممد لما (علا ودنا)[87] من أعضاء الصورة البشرية ، وهو[88] بيت الحياة وأمير الجوارح الذي عنه تورد وتصدر في الحركات ، وكانت الشمس بيت حياة العالم والحرارة الممدة لما على عاليها ودانيها من الأفلاك ، وهي أفضل النجوم المدبرات ، ومنها استمدادها في أنوارها الساطعات ، وإنما سميت المدبرات لتدبيرها ما دونها[89] من الأمهات ، لاستخراج ما يظهر عنها من المواليد لتنتهي الخلقة مترتبة إلى الصفوة في الدرجات ، منتهية إلى العالم الأصغر الذي هو الإنسان الجامع لما كان قبله في القوة من أنواع المخلوقات ، المتصل بالملائكة[90] الروحانيين أن قبل الأوامر من المفترضات ، وتصور الحقائق من المعلومات ، وبذلك يستحق الوصول إلى عالم البقاء والثبات ، وكانت الشمس إذا ظهرت عنها الحرارة أورثت في العالم حرارة ويبساً لا تنشأ عنها المواليد ولا يكمل بها الخلقة على ما فيها من الترتيب والتنضيد ، فجعلت العناية الإلهية ، والقدرة السارية في الخلقة لتمام الصنعة الحكمية ، تأثير القمر بالبرودة والرطوبة معتدلاً لما يكون عن الشمس ، ويتأثر عنها من الحرارة واليبس ، كما قال سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه في كتاب (راحة العقل)[91] حيث يقول : فالشمس مركز الطبيعة موجودة من االنهاية الأولى المحيطة بما هي علة ، وهي بالإضافة إلى الأجزاء كلها[92] (86) لشرفها مركز فيه حلولها وبه كمالها وإتصالها بدار الإبداع وقبول الفيض منها بالتشابه الذي هي[93] في موازاتها ، وذلك أن الشمس تهيؤها لقبول بركات عالم الوحدة لا كتهيؤ غيرها من موجودات عالم الطبيعة ، ونجوع أنوار الحروف العلوية فيها لا كنجوعها في غيرها ، وإتصال الموجودات بها لا كاتصال بعضها ببعض ، بكونها سابعة من الموجود الأول ،

---

(87) علا ودنا : سقطت في ن .

(88) وهو : هذا في م .

(89) دونها : داناها في ن .

(90) بالملائكة : سقطت في م .

(91) راحة العقل تحقيق مصطفى غالب ص 277 منشورات دار الأندلس بيروت .

(92) كلها : كأنها في ن .

(93) هي : به في م .

وكونها بذلك مركزا تتوجه نحوه اسوار المؤثرات من خارج ويتوارد[94] عليه الفيض ، ومصير ذاتها عند التشبيه والتمثيل في دار الجسم ،كالإبداع الذي هو المبدع الأول في دار الوحدة ، وبذلك صارت حاوية لكل شرف وجد .بالإبداع بضرب ثان تشابهاً ، ومؤدية ما يحصل لها من البركات إلى ما دونها والمتعلق وجوده بها لتكون عنها المواليد ، فهي مختصة بهذا الجزء الذي هو الشمس ، وأنوارها ساطعة في شيء شيء[95] من موجودات العالم سارية قوتها فيها تفعل في كل شيء منها من أثرها ما لاتفعل في غيره بحسب قبوله منها ، على نحو ما يفعل السمك الذي يختص فعله وتخديره بيد الصياد من[96] دون غيره ، أو على نحو فعل حجر المغناطيس الذي يختص بالحديد من[97] دون غيره الذي لا يقبل قوة جذبه .

هذا قوله أعلى الله قدسه . فأقسام الجسم كثيرة ، مثل الأفلاك ، والكواكب ، والأركان ، ليس للطبيعة منها قسم يختص به ذاتها لا الأفلاك ولا غيرها ، إلاّ الشمس التي بها حياة الكل ، وبها عالم الجسم ، وظهور المواليد[98] الجسمانية من معدن ، ونبات ، وحيوان ، بمرافدة الزوج الذي هو القمر ، فالطبيعة (87) التي هي الحياة قد ظهر أنها في الوسط بين النهايتين اللتين أحدهما الإبداع ، وثانيهما الإنسان ، الذي هو جامع للفضائل الذي تنتهي إليه أنوار المؤثرات من العوالم كلها ، أعني النهاية الثانية المنبعثة من طريق الإنبعاث الثاني ، الذي هو القائم سلام الله عليه ، قد جرى فيه ما جرى في الأول من الكمال ، فقام بكونه نهاية ثانية بإزاء النهاية الأولة التي هي الإبداع ، وهو أعني القائم نهاية النطقاء ، والأسس ، والأئمة ، والتابعين من الحدود في عالم العبادة ، والتوحيد من أول الدهر الذي هو أول الأدوار ، وكانت حركات الأفلاك وتدويرها ، وظهور ما يظهر عنها وتقديرها ، هي بفعل الآخر من العقول الروحانية الذي صار لما دونه أولاً ، بمادته السارية في العالم ، صار العالم به منفعلاً ،وجعل المدبر حركات الأفلاك ، وثبات دوائرها ، وحدوث ما يحدث عنها من أولها وآخرها ، هو بتلك العناية الإلهية ، وهي المعبرة عنها بالخميرة الإبداعية السارية في العالم علواً وسفلاً ، الموجودة فيه مرقية له من الأدنى إلى الأعلى ، وهي الصورة التي هي في الهيولي شائعة ،

---

(94) ويتوارد : ورد في ن . راحة العقل ص 278 .

(95) شيء : سقطت في ن .

(96) من : سقطت في ن .

(97) من : سقطت في ن .

(98) المواليد : الميواليد في م .

ومنها منبجة نابعة ، وهي صفو إعتقاد النادم المستغفر عند الزلة ، وبها كمال العالم وترقيه إلى الكمال الثاني بالتفصيل والجملة ، وإليها أشار الداعي الأجل حميد الدين أعلى الله قدسه بقوله : فالسبب في حركة[99] المحرك المتحرك[100] الأول هي تلك الصورة المعقولة عند المبدع الأول التي هي المحركة لما هي له كمال إلى ما فيه دوام غبطته وبقائه من التسبيح (88) والتقديس ، وبهذه الصورة الشائعة في الغير المنفعل[1] بها صار المحرك الأول الذي هو المبدع والموجود الأول ، محركاً أولاً ، وبها صار المحرك المتحرك الأول العاقل لها متحركاً أولاً ، ولكون هذا المحرك المتحرك[2] الأول ذا مادة صار أمره بخلاف ما هو بريء من المواد من العقول الموجودة بالإبداع والإنبعاث ، إذ ذواتها كلها عقول ، وليست ذات هذا المحرك المتحرك الأول عقلاً ، بل منها ما هو عقل ، ومنها ما ليس بعقل ، على ما ذكرناه ، ولذلك من الأمر ما صار مستغنياً في الفعل بما هو فيه .

هذا قوله قدس الله روحه في الصورة ، أنها المبدع الأول معقولة ، وهي المحركة لما هي له كمال إلى ما هي له مفعولة ، وما له في ذلك من دوام الغبطة ، والبقاء ، والمسرة ، والبهاء ، وإنما يعني بذلك العقل المدبر الذي هو أول لما دونه ، مما يخرج عنه من عقول عالم الطبيعة ، الناشية من تدبيره الكائن ظهورها بما يتصل بها من شعاع نوره ، وهي في العالم كائنة حتى يخرج منه على التوالي ، وتظهر[3] صورها المشرقة بقيام كل قائم قيامة ، وانتقاله إلى الأفق العالي .

ثم قابل ذلك ، واستشهد ، أعني سيدنا حميد الدين بعد قوله الذي قدمنا ذكره ، بوجود عالم الدين ، إلى قوله[4] : وكون الناطق قائماً بالدعوة وتعليم النفس ، وكون وجهه إلى أساسه القابل منه أنوار العلم كلها يوجب أن تكون تلك الحركة - أعني حركة المتحرك الأول - ووجهها من المشرق إلى المغرب الذي فيه تغيب الأنوار الجسمانية ، وكون الدين على دعوتين : دعوة ظاهرة بها قيام الناطق الذي هو مشرق الأنوار ، ودعوة باطنة بها قيام الأساس الذي هو (89) مغرب الأنوار ومقرها ، يوجب أن الحركات فوقنا

(99) راحة العقل ص 299 . منشورات دار الاندلس بيروت .

(100) المتحرك : سقطت في ن .

(1) المنفعل : الفاعل في م .

(2) المتحرك : سقطت في ن .

(3) وتظهر : وظهرت في م .

(4) راحة العقل ص 301 من منشورات دار الأندلس ، بيروت لبنان .

حركتان : حركة من المشرق إلى المغرب وهي أعلى الحركات وأشرفها وتختص[5] بالفلك الأعلى ، وحركة من المغرب إلى المشرق وهي تختص بما دون فلك الأفلاك الذي هو فلك الكواكب .

هذا قوله نضر الله وجهه ، فجعل المحرك هو العقل الفاعل ، والمتحرك الأول هو الفلك الأعلى المحيط ، وجعل حركته أشرف الحركات ، وهي من المشرق إلى المغرب ، وجعل حركة الفلك الثاني ، وهو فلك الكواكب يعني فلك البروج حركة من المغرب إلى المشرق ، مثل أن حركة الناطق عليه السلام هي أتم الحركات وأفضلها ، وأشرفها ، وحركته تحريك النفوس وتهذيبها ، بما أتى به من ظاهر الدعوة إلى باطنها ، الذي غربت فيه أنواره ؛ وذلك دلالة على وصيه[6] المشهور ذكره ، العالي مناره ، وحركة الأفلاك من المغرب إلى المشرق ، أي دلالة الوصي والحدود بما أتوا به من الدعوة الباطنة على شرف الناطق ، وما تضمنته من المعاني والحقائق ، وأيضاً فإن حركة الناطق بما أظهره من العالم الأعلى الذي منه أشرق النور إلى من دونه من الحدود الذي باطن علمه مودع عندهم مستور[7]، وحركتهم من الوصي الذي غرب فيه نور النبي إلى المشرق صعوداً إلى معرفة العالم الروحاني ، وتحقيق الكمال الثاني ، ثم أن الأفلاك أيضاً تسمى الجسم المطلق ، لكونها قد فارقت عالم اللطافة ، وتجسمت كما ذكر سيدنا حميد الدين ، وحقق بقوله في كتاب (راحة العقل)[8] : فالأفلاك أجسام شريفة ، وأشرفها الفلك الأعلى (90) وهو أبسطها جسماً ، ولا يجوز أن تلحقها استحالة عما هي عليه موجودة لكونها على صيغة لا يهتدي إليها الفساد ، وذلك بكونها آلات أولة وأسباباً متقدمة لوجود أشياء منتظرة ، وعللاً قريبة لوجود ما يتعلق بها وجوده ، وبواسطتها[9] كونه .

هذا قوله أعلى الله قدسه . ولما كان الفلك المحيط جسماً ، والأفلاك التي دونه أجسام ، فلا يصح كونها أجساماً إلّا لما قبلت الكثافة ، وبعدت عن عالم اللطافة ، وذلك فهو الشر الذي لا أصل له في عالم الإبداع ، أعني إنحطاطها عن العالم اللطيف ووقوعها في العالم الجرماني الخفيف ، وهو بجهلها فضل السابقين عليها ، وكونها لم تلحق بها

---

(5) وتختص : وخواصها في ن .

(6) وصيه : سقطت في م .

(7) مستور : متواري في ن .

(8) راحة العقل ص 306 .

(9) راحة العقل ص 307 .

كمالاً وتماماً فترتقي صاعدة إليها ، فلما أنابت وتابت كان صفوة توبتها وإنابتها ورجوعها عن ذلتها وخطيئتها ، هي الصورة الضمنية[10] في الأفلاك ، وبها لدوائرها الحراك ، وتلك العناية التي ذكرناها ، والصورة التي وضعناها ، وبها حركات الأجسام العالية ودورانها ، ومنها ظهور ما يظهر من أنوارها ومنها سريانها ، إذ هي فيها كالتلائف المتحدة بالأشخاص المتجسدة ، وهي التي عبرت عنها العلماء ، وأشارت إليها الحكماء ، وأنها الطبيعة الخامسة ، وأنها خارجة عن الطبائع الأربع ، ومنها الأصل للحياة للعالم والمنبع ، وعنها كني ، واليها عني ، بأنها حواء المزاوجة للعاشر ، إذ كان آدم الروحاني التائب من زلته ، الراجع إلى جنته ، بما واصله من نور الإنبعاث الباهر ، وهي في السموات العُلى ، وطبيعة خامسة كما ذكرنا مترتبة كترتب الأفلاك ، سارية فيها متصلة (91) بها ، ومنها إلى الأمهات التي هي الأركان المنسوب إليها ما تحت فلك القمر ، المكنى عنه بعالم الطبيعة ، وسار في المواليد منتقل فيها منتهٍ في تنقله إلى القامات البشرية ، والصور الإنسانية ، وصعدها إلى ما فوقها ملحق لها بكمالها الأول الذي منه يستمد الكمال الثاني ، ويتهيأ لقبول المعاني ، فترتقي صاعدة في أفلاك الدين ، مرتقية مع الحدود في مراتب اليقين ، منتهية إلى غاياتها الأول ، راجعة إلى أصلها الروحاني الذي هو بها أولى .

وإلى هذه الحياة[11] السارية ، والبركات الجارية ، أشار سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه في كتاب (راحة العقل) بقوله : فالجزء الأول إذا نسب[12] ما عنه وجوده سلوكاً طريق الإحاطة بماهيته ، فهو حياة بالفعل منبعثة من عالم القدس غير مستقلة في وجودها بذاتها ، ولا مجردة عن غيرها مما يرتهن وجودها به ، لوجودها عن نسبة غير متجردة فهي شائعة في عالم الجسم ، قد امتلأت السموات والأرض منها فلا يخلو منها شيء ، ولا يغرب عنها شيء ، فاعلة فيه تعطي كل شيء منه كماله الأول الذي يتعلق بكونه موجوداً ، وإذا نسب إلى الموجودات التي بها وجودها على العموم سلوكاً طريق الإحاطة بفعله ، فهو محرك لكل شيء هو فيه كما لوجوده ، وعلى الخصوص الذي يكون بحسب أفعاله في كل قسم قسم ، فهو إذاً حرك الأجسام العالية دوراً ملك . وإذا حرك النار والهواء علواً خفة ، وإذا حرك الماء والشيء الثقيل إلى مركزه سفلاً ثقل ، وإذا حرك النبات للنماء نفس نامية ، وإذا حرك الإنسان للإحاطة (92) بالموجودات نفس ناطقة ،

---

(10) الضمنية : المضمية في ن .

(11) الحياة : سقطت في ن .

(12) نسب : تسبب في م .

بكونه فاعلاً طبيعة واحدة ، وبأفعاله في المواد المختلفة التي فيها تفعل كثيرة ، وذلك كالنفس في العالم الصغير التي هي واحدة بذاتها ، وباختلاف المواد المختلفة التي من جهة المواد الواحدة من جهة كونها حيواناً .

إلى قوله : والجزء الثاني إذا نسب إلى ما عنه وجوده طلباً للإحاطة بماهيته فهي حياة بالقوة ، منبعثة فيها تعمل من عالم القدس غير مستقلة في وجودها بذاتها ، ولا مستغنية فيه عن الجزء الأول الذي هو الحياة القائمة بالفعل ، وجود عالم الجسم منها مفعول فيها قابلة لفعلها ، تعطي كل موجود من ذاتها كماله الأول الذي يتعلق بكونه موجوداً بمشاركة زوجها .

فهذا قوله قدس الله روحه معرفاً بهذه الحياة السارية[13] من عالم اللطافة إلى عالم الأجسام والكثافة ، وترتبها في العالم من أعلاه الذي هو الفلك المحيط حتى إنتهى[14] إلى المواليد ، وذلك يسمى الحياة الهابطة ، لأن حياة[15] العالم الذي هبط عند الزلة والخطيئة إذ قصر عن مقامات العقول الروحانية ، فاستحق لشرفه ، وفضله ، وقربه من اللطافة أن يكون في كل شيء غايته ، وصفوته ، ونهايته ، وهو مترتب في العالم على قدر صفائه ، وكثافته ، ونوره، وظلامه الجاذب ، لسابق زلته .

وإلى هذه الحياة التي هي حقيقة الطبيعة التي نسب العالم إليها وكني به عنها ، أشار سيدنا حميد الدين قس في كتاب (راحة العقل) فقال[16] : فالعوالم كلها متعلق بعضها ببعض ،متسلسل على النظام الذي (93) توجبه الحكمة الإلهية الذي إن تحرك مثلاً متحرك ، أو سكن ساكن ، كان موجوداً ذلك المعنى في الكل ، فيكون بتطابق الكل شيئاً واحداً ، والطبيعة بنهايتها أعلم العلماء ، وأطب الأطباء ، وهو الملك المقرب ، المسلم إليه تدبير عالم الجسم المعرب عنه في السنة الإلهية بالكرسي .

قال سيدنا إبراهيم بن الحسين الحامدي قدس الله روحه : الكرسي هو المحرك الذي هو الصورة التي هي الحسية . فأوضح الداعيان ما أشرنا إليه ، ودلنا عليه ، الذي هو الحياة السارية في العالم لتبلغه أقصى كماله في الكمال والتمام ، بظهور ما يخرج عنه من

---

(13) السارية : سقطت في م .

(14) انتهى : سقطت في ن .

(15) حياة : حيوانات في م .

(16) فقال : سقطت في ن .

المقامات الشريفة ، والأسرار الكامنة اللطيفة ، وذلك صفو النادم المستغفر ، وخلاصة المصطفى من العالم المتكدر ، لتكون عقولاً مجردة من الطبائع[17] ، مترقية من صفوة أسرار أهل الشرائع[18] ، عند تناهي الأعصار ، وبلوغ الأحد إلى المقدار .

وكان الفاعل هو الحكيم الذي فعل العالم تقديره ، وجريان الكواكب في بروجها تدبيره ، وقصد الحكيم تمام الحكمة ، بصعود المقامات من الأوصياء ، والأنبياء ، والأئمة ، ومن يصعد بصعودهم من الحدود ، ليرتقوا إلى عالم البقاء والوجود ، آمنين مما وقعوا فيه من ظلمة الكثافة ، صاعدين إلى عالم القدس والطهارة واللطافة ، مترقين عن الأجسام لاحقين بعالم الكمال والتمام ، وإذ قد ذكرنا من القول في مراتب الأفلاك ، والكواكب ، ما ذكرناه ، وسطرنا ما سطرناه ، فلنذكر الآن كيف كان وجود الأركان ، وهي المعبر عنها بالأمهات ، (94) فنقول : إن العناية الإلهية ، والحكمة الربانية ، قد رتبت العالم على أحسن الترتيب ، ونضدته[19] على النضد المتقن العجيب ، فجعلت منه أفلاكاً ، ونجوماً فاعلة ، وجعلت منها أركاناً مستمدة قابلة ليكون فعل الأفلاك فيها لإستخراج المواليد ، وإرتقاءها إلى القامة الألفية ، لتمام تقدير العليم[20] المجيد .

وذلك أنه لما بقي من المادة ما لم يستحق الترتيب في عالم الأفلاك ومركز السموات ، وقصرت أن تكون موجودة مع تلك الغايات ، رتبتها[21] العناية الإلهية ، دون تلك المراتب ، ونضدتها على أحسن النضد بالإستحقاق الواجب ، فجعلتها أربعة أركان قابلة لتأثير الأفلاك والمؤثرات ، قاصرة عنها قصور الأناث من مرتبة الذكور في علو الدرجات ، كان المتأثر فيها بقدر قربها وبعدها من الأفلاك الدائرات[22] ، فظهرت أعلاها كرة النار في الحرارة واليبس لقربها من الأفلاك وحركاتها ، وشدة دورانها بفعل الفاعل لها في نضدها وهيئاتها ، إذ كان من الحركة الشديدة ، يكون الحرارة واليبس .

وذلك ظاهر فيما يؤديه الحس ، وكانت كرة الهواء تالية لكرة النار مؤثرة[23] فيها

---

(17) الطبائع : الطوابع في م .

(18) الشرائع : الشوارع في م .

(19) ونضدته : ونوضدته في م .

(20) العليم : العلام في ن .

(21) رتبتها : راتبها في ن .

(22) الدائرات : الدوائر في ن .

(23) مؤثرة : أثرة في م .

الحرارة والرطوبة لكونها[24] أبعد من الحركة وتأثيرها ، وذلك بحكمة الحكيم الذي منه تحكيم الخلقة ، وظهور تدبيرها ، ثم كانت كرة الماء باردة رطبة لبعدها عن الحركة ، ولما قدر فيها مدبرها بمقتضى الحكمة على هذه النصبة ، وترتبت[25] بعدها الأرض فيها البرد واليبس لبعدها عن حركات الأفلاك ، ولما هي مهيأة من الوجود فيها ، وكانت ثابتة الإستمساك ، وكانت الأمهات ، (95) المذكورة هي ما شك عن الذلة وتحير وسفل عن مراتب الأفلاك ، إذ كان قد وقف عن مراتبها وقصر ، وجعلت أسفل الأرض صخرة هي سجين ، وفيها يكون العذاب الطويل للواقعين فيه المستوجبين ، وهي من المستكبر وذلك بحكم التقدير والتحكيم من المدبر ، وكانت الأمهات كما ذكر سيدنا حميد الدين قدس الله روحه في كتاب (راحة العقل) بقوله[26] : فنقول : لما كان الجسم محدوداً ذا أجزاء متناهية إلى ما ينفصل به عما سواه ، وكان الجسم السماوي قد صارت له صورة تأحد بها ، هي كمال له به انفصل عما دونه من جسم ، فلا يقبل صورة غير ماله الذي هو نهايته في قبوله ، ومن طبيعته الحركة دوراً على ما تقدم شرحه ، ولما لم يكن لما دونه من الجسم ما له صارت قوة حركته على ما دونه بمجاورته له فاعلة فيه حركة وحرارة بها ينقسم أربعة أقسام ، هن[27] أركان العالم :

فأولها ما تكون تلك الحركة[28] والحرارة فيه على النهاية مثل البيت الذي فيه النار من الحمام تشبيهاً ، وثانيها[29] ما تكون تلك الحركة والحرارة فيه دون ذلك على الترتيب[30] مثل البيت الثاني من الحمام ، وثالثها ما تكون تلك الحرارة والحركة فيه دون ذلك (ترتيباً فيكون البرد فيه أظهر)[31] مثل البيت الثالث من الحمام ، ورابعها ما تكون الحركة والحرارة فيه ضعيفة خفية لا تظهر للحس مثل البيت الرابع من الحمام الذي هو الأول منها عند الدخول لا يتميز عما هو خارج عنه .

هذا قوله قدس الله روحه مبيناً لظهور طبائع الأركان على قدر قربها وبعدها من

---

(24) لكونها : لكون في ن .

(25) وترتبت : وتراتب في ن .

(26) راحة العقل ص (328 ـ 329) .

(27) هن : هي في ن .

(28) الحركة و : سقطت في م .

(29) وثانيها : وثانياً في ن .

(30) على الترتيب : سقطت في ن .

(31) ترتيباً فيكون البرد فيه أظهر : سقطت في ن .

حركة الأفلاك ودورانها ، ذلك (96) كله مقدم لتمام الخلقة وبلوغها إلى مراد الصانع الحكيم في إثباتها وكيانها ، فلما كملت الأركان على هذا التقدير ، وانتظمت على هذا النظام في التدبير ، لم تزل أشعة الكواكب إليها جارية ، وأفعال الأفلاك فيها متواردة وإليها سارية ، لاستخراج الخبي المذخور ، وخروجه عند أجله المقدور ، وهي أعني الأركان أجسام قاصرة عن ترتيب الأفلاك على كونها كلها أجسام مرتبة دونها بأمر من له التدبير في الخلقة والأحكام ، كما ذكر سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه في كتاب (راحة العقل) حيث قال : فإذا كان ذلك كذلك فاللازم بقاؤه من جملة الهيولي والصورة بعدما جعل أجساماً عالية مرتبة في مراكزها كالآلات ، وإن كان لا قبل ولا بعد ، ولا تقدم شيء منها على شيء ، إلاّ عند ترتيب الكلام عليه بكونه هيولي وصورة ، هو كالأجسام العالية الكائنة من الهيولي والصورة ، إلاّ أنه بكونه دونها قائماً لقبول آثارها كالمادة لذوي الصناعات التي لا تقبل الآثار ، بل كالأنثى القائمة بقبول قوى الذكر ، وأشعة الأجسام العالية متوجهة إليها ، وهي التي تكسبها الكيفيات ، فصارت بهذه الأمور ممتازة وإن كان الكل من طبيعة واحدة وذوي أقطار ، فتلك أجسام عالية مؤثرة[32] بحركاتها ثابتة بأعيانها ، غير مستحيلة في ذواتها ، حافظة صورها وموادها ، وموادها بكمالها صورها ، وهذه أجسام[33] سافلة قابلة آثار المتحركات عليها بذاتها زائلة في طبائعها ، مستحيلة في كيفياتها ، متهيأة للإنفعال ، فاعلة بعضها (97) في بعض ، فاعلة في الموجودات عنها ، متوجهة موجوداتها في القبول إلى مالها أن تقبل من الأعراض التي فيها كمالها المقصود[34] ، بهذا الترتيب المحكم ، والنظم الحسن .

هذا قوله أعلى الله قدسه . فسبحان من أكمل الخلقة وأبانها ، ونظمها وأحسن إتقانها ، ولما كان ذلك مرتباً منضوداً على هذا الترتيب ، منظماً على هذا النظام العجيب ، أفلاك هي كالآباء فاعلة ، وأمهات هي كالأركان منفعلة لها ، وهي عنها قابلة ، وكانت الأفلاك وهي السموات مزينة بالنجوم ، مقدرة بأمر الحي القيوم ، نظرنا في الخلقة الدينية ، والنصبة الممثلة الشرعية ، المقدرة للنفوس كما قدرت هذه الأجسام المنضدة على ما هي عليه من حسن النظام .

فوجدنا الأئمة صلى الله عليهم مرتبين بعد الأنبياء ، والأوصياء ، في التعليم ،

---

(32) مؤثرة : متأثرة في ن .

(33) أجسام : جسامي في م .

(34) المقصود : المعود في ن .

فاعلين في أوليائهم بالإصعاد والإرقاء والتفهيم ، مقيمين لهم على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، ليستخرجوا[35] ما خبأه الناطق في أرض الشريعة ، ويرقوا ذلك الكمال الحقيقي في المنازل الرفيعة ، ووجدنا الفلك المحيط ممثلاً بالأبواب القائمين بالتأويل الكلي ، المقابل لصفوة العالم الجرماني ، وعندهم فصل الخطاب[36] ، ولهم رتبة الأنثية التي دون مرتبة المقام ، وعنهم ترتبت الحدود في التمثيل والنظام ، فكانت يلي دائرتهم دائرة الحجج المقيمين لمن اتصل بهم على أحسن المنهج ، وكانوا مقابلين لفلك البروج[37] الجامع للكواكب ، وكذلك في دعوة الحجج ظهرت الدعاة بنور الحق الثاقب ، وعنهم تفرعوا ، ولما أوتوا (98) به من باطن العلم ، وضعوا وهم اثنا عشر داعياً منهم واحداً في كل جزيرة ، مقيمون من كان في دعوة ولي زمانه على بصيرة ، ويليهم سبع مراتب محيطة بعضها ببعض في التمثيل والعد ، مقابلة للأفلاك السبعة في الترتيب والنضد ، أرفعها مرتبة دعاة البلاغ ، القائمين عن حجج إمام زمانهم بالإبلاغ[38] ، وثانيها مراتب دعاة الإطلاق ، المرتبين الحدود في الجزائر على مقدار الإيجاب والاستحقاق ، وثالثها مرتبة دعاة السيف ، القامعين لمن اعتدى الهادين لمن اتبع أمر أولياء الله فاهتدى ، ورابعها مرتبة دعاة الإحرام ، الناطقين بالإشارة والعبارة بالدلالة على الإمام ، وخامسها مراتب المأذونين المطلقين السعداء باستقامتهم على طاعة دعاتهم الموفقين ، وسادسهم مرتبة المأذونين المحصورين ، الذين هم[39] باخفاء بواطن علوم أولياء الله مأمورين ، ومن دونهم دائرة المكسرين الموضحين ، بحجج الحق هداية للمتخلفين القاصرين ، ويقابل الأمهات الأربع ما وضعوه من حدود التعليم للمستجيبين ، وأوضحوه من ذلك للطالبين[40] والراغبين ، من إقامة معالم التوحيد والهداية إلى معرفة الحدود ، والمواعظ المشوقة إلى معرفة ذلك المنبهة[41] عليه ، وأحكام الشريعة والعمل بها التي بها يتقرب إلى الله وإلى وليه ويزدلف لديه ، وكانت الكواكب والنجوم منبئة عما قام به من ذكرنا من الحدود من بواهر العلوم ، وكانت العناية الإلهية

---

(35) ليستخرجوا : خرجوا في م .

(36) الخطاب : سقطت في ن .

(37) البروج : الرواح في ن .

(38) بالإبلاغ : البلاغ في م .

(39) الذين هم : سقطت في م .

(40) للطالبين : للطويلين في ن .

(41) المنبهة : النابهة في ن .

مقابلة لمادة الحدود المتصلة من العالي إلى الداني ، المبينة للحقائق التي (99) بها الإرتقاء إلى الكمال الثاني ، والمدبر لها هو الصانع الحكيم المقابل بوصي النبي ، وباب الإمام الأعظم ، ذي المقام العظيم ، المتهيء لأن يخلف المقام الأشرف في مقامه ، ويقوم بعده في ترتيب أمر الدين وأخطامه[42] ، وإلى ذلك أشار مؤلف (ضياء العقول)[43] قدس الله روحه بقوله : فنقول : إن الحكمة فعل الحكيم ، وفعله متقنة تقع على محكم متقن ، وحكمته التي أحكم بها المحكم وأتقنه[44] . إلى قوله ، فنقول : إن هذا العقل الثاني المعرب عنه بالإنبعاث الأول ، هو بالحقيقة الحكيم ، وحكمته أثره الساري نحو الهابط عن الإبداع المعرب عنها بالعقل القائم بالقوة المنبعث عن النسبة الأدون ، فسرى منه الأثر الذي هو الحكمة التي هي أثر الحكيم وقعت على محكم متقن فاحكمته واتقنته . والمحكم المتقن هي الهيولى التي هبطت وفاتت[45] ، فسرى فيها هذا الأثر الذي من الإنبعاث الأول بقصد ثاني ، فجعل بسريانه فيها آلة محكمة متقنة ، وهو أثر الإنبعاث المعرب عنه بالنفس الكلية ، حكمة حكيم ليبلغ بها غرضاً كآلة الصانع التي أحكمها ليبلغ غرضه الذي هو نهاية فعله .

هذا قوله أعلى الله قدسه ، فعنى بالحكيم الوصي الأكرم ، والباب الأعظم ، وحكمته هي ما أسراه من لطائف العلوم ، وأمد[46] الحدود به من معاني باطن علم دين[47] الله المكتوم ، والأثر ما أثر في النفوس من توحيد الله الحي القيوم ، ورتب الحدود لتمام فعله ، وهو موجود الظاهر عنه كمثله في شرفه وفضله ، كما قال مولانا المعز صلوات (100) الله عليه : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يوجد مؤمناً . فأما مرتبة النبي (صلعم) في أهل دوره ، والإمام في أهل زمانه وعصره ، فإنها مرتبة العقل الأول ، والمقام الأشرف الأفضل ، الذي ليس فوقه إلّا من لا تتجاسر نحوه الخواطر ، ولا ينتهي إليه الأوهام والضمائر . فافهم يا أخي هذه الزبدة ، واحكم بولاية أولياء الله العقدة ، واعمل من

---

(42) وأخطامه : وخوامه في ن .

(43) هناك كتابان يحملان اسم مشابه لهذا الاسم ، الأول للداعي علي بن حنظلة المتوفي سنة 626 هجرية واسمه (ضياء الحلوم ومصباح العلوم) والثاني كتاب جلاء العقول وزبدة المحصول للداعي علي بن محمد بن الوليد .

(44) وأتقنه : سقطت في ن .

(45) وفاتت : وفوتت في م .

(46) وأمد : ومدد في ن .

(47) دين : ديوان في ن .

الأعمال الصالحات لترقى ، وتحوز في أفق الصعود أفقاً فأفقاً .

فهذا النظم مقابلاً للخلقة ، وشاهداً عليها فتبين[48] صدقه ، والعاشر مدبر الأفلاك والكواكب ، ومن العقول الشريفة استمداده فيما فاض عليه من نور العقول الروحانية الساطع الثواقب ، وفقنا الله وإياك أيها الأخ للهداية ، ولا أخرجنا وإياك عن طاعة من أوجب له الولاية ، بحق محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، وبه نستعين .

الباب الحادي عشر : في ذكر المواليد التي هي : المعادن ، والنبات ، والحيوان ، وكيف ظهرت[49] صفوتها وخلاصتها ، الذي هو الإنسان ، وتدبير الكواكب لها حتى خرجت من القوة إلى الفعل ، وتناهت إلى ظهور الإنسان المخصوص بالفضل ، نقول وبالله نستعين ، وعليه نتوكل ، وبمواد أوليائه وبركاتهم نرجو بلوغ الأمل : إنا لما ذكرنا الأفلاك التي هي الآباء والأركان التي هي الأمهات ، وكيف نضدت ، وركبت[50] على أحسن الثبات ، فإنا نريد أن نذكر المواليد وخروجها عن الأرض ، حتى إنتهت إلى نهايتها (101) التي هي الغرض في نشوء التراكيب الكائنة عما لزمه العمق بعد الطول والعرض ، ونقول : إن الأرض لما كانت أبعد الأركان بعداً عن الحركات الفلكية ، وأقصاها عن التدابير الجرمانية ، كانت في غاية البرد واليبس ، وأقصى الكثافة الكائنة بتدبير العقل والنفس ، فلذلك صارت مستتربة ومستحجرة ، وكانت بحسن العناية الإلهية فيها الأفلاك والكواكب مؤثرة ، لأن يستخرج منها الجنا وتظهر[51] الثمرة ، وهي قرار الأجسام ، ومنها نشوء المواليد بمنّ من له الطول والإنعام ، وكانت مغلقة في الهواء بتقدير الخالق القادر ، متجاذبة لها أوتاد الفلك التي هي الطالع ، والرابع ، والسابع ، والعاشر ، كما يوجد في المشاهد من حجر المغناطيس التي تجذب الحديد ، وذلك لخاصية جعلت فيها من المدبر الحكيم تقدير على ما يريد ، وكان قد بقي على وجه الأرض من جنس العالم الجرماني الفلكي شيء لم ينعقد ، وبقي كالبخار[52] غير متكثف ككثافة الأرض ولا متحد ، فدار الفلك دورة وهمية ، ورمت الكواكب بأشعتها إلى الأرض ،

---

(48) فتبين : بان في م .

(49) ظهرت : ظهور في ن .

(50) وركبت : راكب في ن .

(51) وتظهر : وظهر في ن .

(52) كالبخار : بخار في م .

فلم تجد منفذاً فيها لصلابتها الكثيفة الجسدانية ، فاتحد بها ذلك البخار الذي على وجه الأرض ، ورجع بها إلى أصله فصار أصدافاً لها ترى العيون[53] ويدرك نورها[54] بتقدير المدبر وفعله .

وأما الكواكب والنجوم فهي وهمية كالأفلاك ، وإنما أصدافها التي تقع عليها النظر بالإدراك ، ثم تحركت الكواكب حركة ثانية فرمت الكواكب بأشعتها إلى الأرض ، فارتقت منها صفوة تلطفت عن كثافة الأرض ، وعلت وقصرت عن اللحاق بالكواكب ولطافتها ، وعن إرتفاعها سفلت ، فكانت كرة النسيم الممدة لحياة الحيوان (102) ، وقد إختلطت بكرة الماء لقربه من الأرض سبباً لما يظهر عنها من الأكوان ، وهي معتدلة لما ماذجها من أشعة الكواكب ، مترتبة مع الرابع من الأركان في أحسن المراتب ، وأفضل شيء من هذا النسيم إلى مغارات الأرض وأجوافها ، وتراكمت مضغط بعضها بعضاً فتكونت منها العيون العذبة من الماء وأنجبت[55] ، ومادتها تتصل بها بنهل من الأمطار ، ومنها حياة ما على الأرض من النبات ، والحيوان ، والإنسان ، بلطف الله العزيز الجبار .

ولما كانت نظرات العقول المجردة مستمرة إلى الأفلاك والكواكب ، كل عقل منها يختص بتدبير فلك على قدر صعودها في المراتب ، تحركت بدوائرها الأفلاك وجرت فيها الكواكب المعبر عنها بالأملاك ، فتموج الهواء ، وهبت فيه الرياح ، واجتمع البخار الذي في الأمهات ، وامتزج بعضه ببعض ليتم في الخلق الثبات والصلاح ، فسمي ذلك المزاج ، ومنه وجود ما يتكون من المواليد أفرادها والأزواج ، ثم انتشر[56] بعد ذلك السحاب ، ونشأت الغيوم والضباب ، وكانت الحرارة واليبس أقوى فيه ، فصار الفعلان[57] في الرطوبة والبرودة ، فحدث الرعد ، والبرق ، من تضاغط الحرارة ، واليبس ، والبرودة ، والرطوبة ، وانهلت الأمطار وسمي اجتماع البرودة ، والرطوبة ، والحرارة ، واليبس ، ممتزجاً ، هو باجتماعه بالمزاج أصلاً لوجود ما ينشأ من الأرض في الأقطار ، واندفعت الأمطار إلى الأرض من جميع الجهات ، وصعد فيها ما يتصاعد من البخارات ، فلم يزل ذلك الغث المتواتر بهمي عليها ويرتقي منها البخار ، ويعود بامتزاج

---

(53) ترى العيون : سقطت في ن .

(54) نورها : أنوار في ن .

(55) وأنجبت : ونجت في ن .

(56) انتشر : ناشر في ن .

(57) الفعلان : الفاصلان في م .

الطبائع فحصر[58] هامياً عليها ، حتى صار ذلك على وجه الأرض بحراً متلاطماً[59] ، وموجاً متراكماً ، وانعقد بعد ذلك جبالاً وأحجاراً ، وصار ما سال منه منعقداً بعد إن كان موارا ، وتفتت بحركات الأفلاك والكواكب ، واسترب وانطحن كثير (103) منه بقدرة الله تعالى الخالق الرب ، فغطى ذلك تلك الصخرة ، فصارت الأرض كلها منبسطة ، وتساوت فيها كل جزيرة وإقليم على هيئتها بحسب العناية الإلهية ، وما قدرت من الحرارة والبرودة المعتدلة التي ليست بمفرطة .

وكان ذلك في المدة البعيدة والزمان الطويل ، بما كان من العناية الإلهية من التركيب والتحليل ، لأن العناية الإلهية رتبت كل كوكب من الكواكب السبعة ، مدبرة لعالم الأركان والمواليد ، ليظهر كل شيء بأصله وسببه ، فسبحان الله العظيم ممد الملائكة[60] الروحانيين ومبدعها ، وجاعل تركيب الأفلاك بتدبيرها ، بما أمدها من مواده اللطيفة التي ظهرت منها الخلقة على تفرق أجناسها وتنوعها ، ولو انقطعت مادة المبدع عن العقول المبدعات طرفة عين ، لما كان للعوالم الروحانية والجسمانية وجود، ولبطل ما يكون منها من كل جنس ونوع موجود ، فسبحان من له الهوية المتعالية ، ومن بأمره ترتبت مراتب العقول العالية ، وجرت الأفلاك بتدويرها ، ونشأت الأمهات لوجود صغير[61] المواليد وكبيرها ، ولا إله إلاّ الله شهادة مبرأة[62] من الإشراك ، وسبحان من بأمره تحركت الأملاك ، ودارت الأفلاك .

ونقول : إنها لما جعلت الكواكب السبعة متولية[63] لتدبير عالم الكون والفساد ، وبها كان الإنشاء لما ظهر من مواليدها والإيجاد ، وكان إبتداء التدبير لزحل لأنه أعلى الكواكب ، وإنما جعل أعلاها لبرده ويبسه ، وما جعل فيه من نحسه ليبعد عن الشيء الطبيعي ضرورة ، ويتصل به منفعة تدبيره ، فتنشأ[64] فيه صورة ، فانفرد زحل بتدبير العالم ألف سنة على تمام العدة ، فأول مرافد له المشتري ، وفعله (104) الحرارة والرطوبة ، وهو السعد الأكبر ، فلين ما أثره زحل من اليبوسة والبرودة ، وعدلها بتأثيره

(58) فحصر : سقطت في ن .

(59) متلاطماً : لاطم في م .

(60) الملائكة : سقطت في م .

(61) صغير : صغار في ن .

(62) مبرأة : سقطت في ن .

(63) متولية : موالية في م .

(64) فتنشأ : سقطت في ن .

في الأرض الحرارة والرطوبة ، وخمر فيها كل شيء محمود ، وجفف الأمطار ، ونقى الأرض تقريباً للوجود ، فصارت الأرض بالرطوبة مبتلة ، وتخمر فيها من الأشياء التي كان المشتري لوجودها علة ، وذلك إلى وفاء ألف سنة ، ثم كانت مرافدة المريخ لزحل فاجتمعا نحسا الفلك وتولدت البرودة واليبوسة وتخمرت الأشياء الشريرة الخسيسة ، وذلك إلى وفاء ألف عام . ثم رافدته سائر الكواكب على ذلك التقدير والنظام إلى وفاء سبعة آلاف سنة . فكان آخر مرافد لزحل القمر بتقدير من له القدرة الإلهية ، والحكمة الشريفة الربانية .

ولما تم[65] دور زحل مما رافده من الكواكب ، ابتدأ المشتري بالتدبير ، وانفرد ألف سنة بالتقدير ، كما كان ذلك من قبله لزحل ، ورافده المريخ بعد ذلك ألف سنة ، وكذلك كل كوكب إلى أن يكون زحل آخر مرافد له إلى وفاء السبعة الآلاف ، ولا يزال كذلك التدبير من كوكب إلى كوكب ، وهو يدبر سبعة آلاف سنة ، ويبقيا بمرافدة باقي الكواكب كل كوكب منها ألف سنة على الحالة الأولى إلى أن يبلغ التدبير إلى القمر ، ويرافده كل كوكب منها ألف سنة إلى تمام خمسين ألف سنة ، حتى يتم[66] بتمامه دور زحل ، ثم يبدأ دور المشتري ، كذلك على ما سبق به القول من مرافدة بعضها بعضاً كل كوكب منها خمسون ألف سنة ، كتدبير زحل والمشتري إلى أن يقع تمام تدبيرها على وفاء ثلثمائة ألف وستون ألف سنة ، ولا يزال كذلك على هذه الحالة إلى وفاء الكور الأعظم ، وهو ضرب (الثلاثمائة ألف)[67] والستين في مثلها ، وعند ذلك يسترخي رباطات الأفلاك ، ويقف عنده عن الدوران والإستمساك ، ويخرب العالم بأسره . كما قال أعلى الله قدسه : وجميع السموات والأرض بلا زوال ، (105) ولا تحول عما هي عليه ولا انتقال ، إلى وفاء مدة الكور الأعظم الذي بتمامه[68] تمام أمرها ، وبانقضائه يكون إنقضاء مدتها وعمرها ، فعند ذلك يعتق أهل النار ، ويدركهم رحمة العزيز الجبار ، وتعود الخلقة كأولها ، كما قال الله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[69] . ثم يرجع التدبير إلى زحل كالنصبة الأولى بعد أن يفسد جميع ما على وجه الأرض ، وتتراكم الغيوم والضباب والثلوج كالحالة الأولى مثلاً بمثل ، ويكون أول

---

(65) تم : هم في ن .

(66) يتم : يهم في ن .

(67) الثلاثمائة ألف : سقطت في م .

(68) بتمامه : تام في ن .

(69) سورة 21 آية 104 .

النشـوء من الأرض نبـاتـاً كـما كـان في الـدور الأول ، ويـرجـع النشـوء[70] بعـد ذلـك بالمناكحة ، كما قال النبي داوٗد عليه السـلام : مثل مـا كان سيكـون ، وما علم سيعلم ، وما تحت الشمس شيء بجديد .

والآن نرجع إلى مـا كنا فيـه من الكلام عـلى نشوء الخلقـة مفصلاً ، لما أوردنا مـا أوردناه مجملاً ، ولمـا كان الألف الأول في تـدبير الأرض بـانفراد زحـل حدث في الأرض البرد المفرط ، متراكم الغيوم والضباب[71] ، وكثرة الأمطار ، وإنعقاد الجبال والأحجار ، وظـلام الجو بمـتراكم الغيوم والسحب ، وصـار ذلك حـائلاً بـين الأرض وأنوار الشمس ومنيرات الشهب ، ولما تم الألف الأول الذي انفرد بـه من الكواكب زحـل ودخل الألف الثـاني ، فصـارت مـرافـدتـه إلى المشـتري ، فخفت تلك الأمـطار ، وتفتت الجبال والأحجار ، ودفيء الجو ، وانبسطت الأرض ، فصارت الجزائر والأقاليم كما هي عليه كما قدمنا ذكر ذلك ، وبقيت الأرض مبتلة مغمورة بالماء إلى انقضاء تدبير المشتري ، واستقبل التـدبير زحـل والمـريخ نحسـا الفلك كـما قـدمنـا ذلـك ذكـر ، فتـولـدت الحشرات[72] والعقارب ، والحيات ، وما ظهر على الأرض من الحشرات ، وذلك تدبير المدبر ، وتقدير المقدر ، لما كـان الجو قـد امتلأ من العفـونات سجنهـا وشحنها فيـما يشاء كلهـا ، لأنها لو شاعت في العالم لغيرت أكثره وأفسدته وأحالته ، وظهر ما يشاكل طبع هذين الكوكبين من عفونات الأرض المـذمومـة وأوساخهـا ، وما يتكـون (106) من الأرض في سباخهـا ، وذلك لما اجتمع[73] هذان الكوكبان اللذان هما نحسا الفلك في تدبيرها ، وإن كانا سعداً في ذواتها ووافقها مرافدة العقدتين ، وهمـا الرأس والـذنب اللذان انحطا عن الفلك من الخبث[74] الذي كان من المصر المستكبر ، على ما قدمنا ذكره ، قد امتزج بالأفلاك ، فلما ترتبت مراتبها ، وهذان العقدتان وهميتـان[75] تدرك أفعـالها ولا تـدرك صورهـا ، وذلك لسبب كمال الأفلاك ، فخرج من نطاقـه ولم يلبس صدفـاً ، لأنه ممن أصر ، وكـان لا من الفلك ولا معه ، ولا من الأمهات ولا معهـا ، فصار ضـداً للعالمـين ، وصار الـرأس فيما يقال سعداً ، وما قارنه من سعد زاد في قـوته ، ومـا قارنـه من نحس زاد في وقته ، وهمـا

(70) النشوء : سقطت في م .

(71) والضباب : والصواب في م .

(72) الحشرات : الحرشات في ن .

(73) اجتمع : تجمع في م .

(74) الخبث : الخفث في ن .

(75) وهميتان : وهمان في ن .

ضدين للنيرين خصوصاً عليهما حكم الكسوف ، وهما خارجان عن نطاق الفلك ، ولم يلبسا شيئاً من تلك الأصداف لكونها غير مناسبين لها ، وهما مغناطيس كل شر خبيث ، وسنذكر طرفاً من ذلك إذا انتهى بنا إليه القول ، وبالله القوة والحول .

ولما تم[76] ألف المريخ رافدت الشمس زحل ، وهي من الفلك قلبه ، وفعلها الحرارة واليبس ، وتخمين الملوك والذهب والياقوت ، فتحللت تلك الغيوم ، والضباب ، والثلوج الحاجزة بين الشمس ووجه الأرض ، وضع الجو واستنار ، وانقشعت عنها الظلم والأكدار ، وظهرت سخونة مع شدة تأثير برد زحل قريبة ، وظهرت صغار[77] الحيوانات ذوات الأربع ، وظهرت في المعادن أنواعها العجيبة ، كالذهب ، والفضة ، والجواهر الشريفة على اختلاف أنواعها ، وتباين أجناسها ، وخواص طباعها ، واستقبل زحل التدبير برافدة الزهرة ، ومشاركتها في التقدير ، فابتدأت فيها الأمطار المعتدلة في الأوقات غير الدائمة ولا المتصلة ، وهبت الرياح والتي هي شديدة البرد بتأثير زحل ، وجرت الأنهار وبدلت الأزهار ، وظهر النوار ، وتألقت منيرات[78] الأنوار ، وظهرت الفواكه اللذيذة الطعوم ، وتولد المحمود من الحيوانات بقدرة الحي القيوم ، وظهرت الحيوانات النافعة المحللة[79] كالبقر ، والغنم ، والخيل ، وغيرها مما هو سليم (107) الشر ، وفيه منفعة مهيأة لظهور البشر ، وطاب الهواء ، وتكونت الأطيار ، وانتشرت على وجه الأرض ، وقلل الجبال ، وفي الأشجار ، مغتذية بما فيها من الثمار ، لاقطة ما به حباتها من الحبوب ، بما أتاها من القوة العزيز الجبار ، وانتشرت في الجو للطيران على اختلاف أنواعها ، والألوان . ولما تم هذا الألف الخامس واستقبل زحل تدبير الألف السادس رافده عطارد ، وشاركه[80] في التدبير ، فكثر فيه هبوب الرياح الملقحة للشجر ، وتضاعف فيه ظهور ما فيها من أنواع الثمر ، وكثرت فيه أنواع الحيوان ، التي بها غذاء البشر ، وقوام الإنسان .

وظهر كل ما هو مقدمة للأشخاص البشرية من الحيوان ، والنبات ، وما هي الآن ينتفع به الإنسان ، من الفواكه الطيبة والثمرات ، ثم ابتدأ باجتماع زحل وعطارد تكوين الإنسان في ابتداء خلق البشر ، وهو ابتداء أصل تكوينه من الأرض كما حكاه الكتاب

---

(76) تم : سقطت في ن .

(77) صغار : صغير في ن .

(78) منيرات : نيرات في م .

(79) المحللة : المحولة في ن .

(80) وشاركه : وشركه في ن .

الكريم بقوله : ﴿ سُبحَانَ الَّـذي خَلَقَ الأَزواجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾[81] وأصل ظهور المواليد الثلاثة[82] من الماء والطين ، ولما كملت قوى الكواكب الخمسة من زحل إلى الزهرة في خمسة آلاف سنة ، فكانت أربعة جذور من بواطنها وظواهرها من كل جنس خمس قوى ، وذلك الجذر الأول ، إن باطن زحل حار ، وحرارة ظاهر المشتري ، وحرارة ظاهر المريخ ، وحرارة ظاهر الشمس ، وحرارة باطن الزهرة ، فهذه خمس قوى حارة .

والجذر الثاني برودة ظاهر زحل[83] ، وبرودة باطن المشتري ، وبرودة باطن المريخ ، وبرودة باطن الشمس ، وبرودة ظاهر الزهرة ، والجذر الثالث رطوبة باطن زحل ، ورطوبة ظاهر المشتري ، ورطوبة باطن المريخ ورطوبة باطن الشمس ، ورطوبة ظاهر الزهرة . والجذر الرابع يبوسة ظاهر زحل ، ويبوسة باطن المشتري ويبوسة ظاهر المريخ ، ويبوسة ظاهر (108) الشمس ، ويبوسة باطن الزهرة ، فحصلت الجذور[84] الأربعة ، من قوى الخمسة الكواكب العشرون مجتمعة كامنة في نداوة الأرض في قعرها . فلما كان لعطارد الألف السادس ، وهو ممتزج بالاعتدال ، وكل ما قارن كوكباً ناسبه في تأثير الطبائع والأفعال ، وكان كل كوكب له بطبعه المتولي في إقليم بخاصة فعله ، ولونه ، وحكمه بطبعه ، كان ظاهراً أو باطناً ، بتقدير العزيز الحكيم ، وكان في كل إقليم وجزيرة مغارات وكهوف لجميع الحيوان ، على قدر جنسه واستحقاقه ، بتدبير من أجرى في أفلاكها السبع المدبرات ، وكان الإنسان المحمود الذي هو بالنظر من مدبر العالم المقصود جثته من ألطف الماء وأصفاه ، وأعذبه وأعدله ، والماء من المطر المعتدل من البخار والدخان الذي هو نظير نطفة[85] الذكر من الإنسان ، وطبعه كطبعه في اليبس والحرارة ، وكان من الأنهار نظير نطفة المرأة ، وهي باردة[86] رطبة . فلما اجتمع الماآن في الكهوف والمغارات ، والشمس حينئذ في أول برج الدلو ، وهذا البرج على صورة الإنسان ، وعطارد في إثنين وعشرين درجة منه مغرباً[87] ، وبرج الدلو هوائي في بيت

---

(81) سورة 36 آية 36 .

(82) الثلاثة : سقطت في ن .

(83) زحل : سقطت في ن .

(84) الجذور : المذور في م .

(85) نطفة : وطفة في ن .

(86) باردة : برد في ن .

(87) مغرباً : غرب في م .

زحل ، ومثلثه عطارد ، واعتدلت[88] الطريقة للشمس ، وزحل في أول برج الجدي ، يناظر المشتري من تسديسه وهو في أول الحوت ، وكان الطالع برج الجوزاء ، والقمر على اقتران عطارد في برج الدلو ، وكان نزول ذلك الماء من المطر واجتماعه بماء الأنهار بهبوب الجنوب على أرض نقية التربة ، سليمة الطبع ، من كل طعم يخالف العذوبة مثل الحدة والمرارة والملوحة ، وهي سحيقة التراب متخلخلة ، فحدثت في تلك الأغوار ما ذكرناه من ماء المطر الذي يشبه مني الرجل ، ومن ماء الأرض ما يجانس نطفة المرأة ، من النداوة المتقدمة من الثلوج والأمطار المتخمنة من الطوفان ، ماء نظير دم الطمث الذي هو يجمع بين النطفتين ، وهو كالشب المقدم لما يراد به الصبغ (109) ، وذلك بعد نقاوة الأرض مما غشاها ، كما أن المرأة تحمل وتقبل النطفة بعد صفاءها من دم الطمث ، فحين صار الماء من المطر في قرار تلك الأغوار القريبة ، وبرزت قوى حرارة الأرض المستجنة فيها من الحرارة التي وصفناها ، لأن[89] ذلك الوقت الذي كانت فيه الشمس في برج الدلو تكون حرارة باطن الأرض في تلك المواضع الغائرة لينة معتدلة غير منتنة للرطوبة ، فتموج[90] ذلك الماء صاعداً ، وانحدر راجعاً هابطاً ، فلحقته سخونة في تموجه ، واعترته برودة في سكونة ، واكتسب ثقلاً في إنحداره[91] من البرد وهو يتموج من طرف ، ويصعد ويهبط بهبوب الرياح من ناحية إلى أخرى ، وقتاً بعد وقت ، وحيناً بعد حين ، حتى صفته الحرارة فصار[92] دهناً من فعل القوى المستجنة وجذبها إليه ما لطف ، وصفته الطبيعة من زيابق المعادن وكباريتها ، فصار الماء دهناً سيالاً منحلاً من لون الماء وطبعه ، مع ما خالطه من خواص المعادن والنبات ، حتى يكون الماء خالصاً ولا دهنياً غليظاً ، بل لطيفاً معتدلاً طبعه كطبع النطفة المتكونة في رحم المرأة ، فلما بلغت الشمس إلى برج الجوزاء ، وصارت السخونة في الهواء ، وهبت رياح البوارح ، وحمى ظاهر الأرض جف شيء بعد شيء ، وابتدأ الدهن ينعقد بإنضاج[93] الحرارة له ، وفي الأرض مسام تنفذ منها النسيمة إليه فتلحقه ، ويكتسب قبولاً لما به يراد حرارة ظاهر الأرض تزيد في كل يوم حتى بلغ الدهن إلى حد الانعقاد ، وبالصلابة اليسيرة في حد المضغة ، والدهن بحاله كالطمث في

---

(88) واعتدلت : وعدل في ن .

(89) لأن : وأن في ن .

(90) فتموج : فتوج في ن .

(91) انحداره : حداده في م .

(92) فصار : فصور في ن .

(93) بانضاج : وضاج في ن .

الرحم ، وإنما يكون فيه أشياء لكل شخص مشيمة على سبيل الأمعاء[94] ، وقد يوجد ذلك في الماء كما يتكون فيه من الضفادع ، وكانت تلك تتقي الصور البشرية من الحر ، وتدفع، عنها ألم القر ، وليس يندفع عن منافذها (110) الماء الذي هو فيه كمثل ما يكون للأجنة في الأرحام ، فلما تخططت كل صورة في حشاها ، وهي لها كما شاء الذي صورها وأنشاها ، جل موجدها ومبدعها ، وتعالى مفيض النعم عليها ومسديها ، وأحدث كل كوكب فيها جزء ما ، وأكسبها قوة من قواه ، والمتولي لنقش صورها عطارد وتشاركه[95] الشمس ، وزحل ، والقمر ، فأول ما انفعل منه القلب بتدبير الشمس الرجلان بقوة زحل ، ثم الرأس بقوة القمر ، لأن الشمس قلب العالم الجرماني ، فزحل كالرجلين ، والقمر كالرأس خلقاً منكساً ، ليظهر عنه خلق مستقيم ، الذي هو الإنسان ، كما نرى من آلة النقش التي إذا كانت منكسة خرجت عنها صورة سوية ونقوش مستقيمة ، وعطارد يزيد في كل قوة قوة ، ويرسم التصوير في تلك الخلقة ، والزهرة تولت التأنيث والتذكير ، بقوة الله اللطيف الخبير ، فلما تمت كل صورة في غشاوتها ، وكملت في مشيمتها ، وقد تكون في السرة جزء من تلك المشيمة هي الأمعاء[96] قد (التصقت فيها)[97] لتمتص من دهنية الماء المحيط بها ما هو لها كالغذاء ، كما أن الخبير مجتذب بسيرته من دم الطمث ما انعصر وصفاً ، ولطف بحرارة الجسد حتى يصير كالدهن ، فيكون بقدرة الله تعالى غذاء للجنين ، لا كما تظنه العامة أن غذائه[98] من دم الطمث ، وهو على حالته لم يلطف ويصفو في التكوين ، فكان ذلك كذلك ، والأمطار ساكنة ، والرياح معتدلة ، فلما حدث في الجثة الطول ، والعرض ، والعمق ، وكملت آلاته ، وتمت أعضائه ، وأدواته ، وانقشرت عنها تلك الأغشية بعد نضوب[99] تلك المفاراة ، ولم يبق فيها إلّا ما لا غناء له عنه من تلك الرطوبات ، فارتفع عن مضجعه بتمديد جسده وتحريكه ، وبقي قاعداً على أليته وذقنه على ركبتيه ، قد ضم على ما يليهما من جسمه ذراعيه ، فلما كملت جثته ، وتشكل رأسه ووجهه ، انبعث فيه الروح من الحرارة التي كونته ، واستجنت في بدنه ، وأعطاه القمر قوة الحياة المحيية (111) الإلهية

---

(94) الأمعاء : المعاء في ن .

(95) وتشاركه : وشركه في ن .

(96) الأمعاء : المعاء في ن .

(97) التصقت فيها : الزق منها في ن .

(98) غذائه : غذاء في ن .

(99) نضوب : ضروب في م .

التي يحي بها فاستكن فيه ، من حرارة الشمس ، لأن نور القمر قوته من نور الشمس ، وقوتها في باطنه من حرارة الشمس جزء لطيف معتدل أصل مادته من الشمس إلى باطن القمر ، فلما نفخ فيه الروح ، ودارت في جميع أعضاءه ، وأصل مادتها وإنبعاثها من قلبه ، وتنفس من فمه ومنخريه ، وتنسم الحار المعتدل من الهواء ، وجذبه إليه ، وجعل يريد انبساطه وحركته وتنسمه ، بما يستمد من خارجه من النسيم الذي هو من سطوع أشعة الأفلاك ، والكواكب ، الذي كان فيه أجرامها من قبل ، فوقع على بسيط الأرض ، ولم يجد منقذاً فيها ، فرجعت الأشعة صاعدة تتموج وتعتدل ، وتصير على غير طبائع[100] الأركان لأنه من أشعة الأفلاك وقوى الأركان ، وقد صار جنسه كما قدمنا ذكره غير جنس الكل ، (وصارت حياته)[1] طبيعية محيية للحيوان والنبات ، وهو النسيم المشار إليه بالبحر السيال المحيط بالأرض ، وهو أصل الرطوبات الناشف من الأرض الدخان ومن البخار ، الكائن منه المزاج والممتزج ، وهو الذي يكف أذى الأثير[2] ، وبرد الزمهرير ، في أكثر الأوقات لكثرة اعتداله وتوسطه في أحواله ، فلما تحرك الإنسان بتلك الحياة المتصلة به وأداها إليه النسيم من مادة الفلك وما يظن في القمر من حرارة الشمس ، كما قدمناه ، وتلك هي نفس الحس المتصلة بالجنين بعد نفس النماء عند خروجه إلى سعة الأرض ، من ظلمة البطن ، وضيق[3] الأحشاء ، وجعلت تلك الأشخاص في المغارات تجذب رطوبة ذلك الدهن بأرجلها ، وتستمد منه مادة الغذاء بقدرة منشيها وموجدها ، وهي تمرغ في مواضعها التي نشأت فيها ، وتجذب خواص تلك الأدهان ، وتصعد إليها وترقبها بسريان العناية الإلهية إليها ، وسبوغ الرحمة من الله والنعمة عليها ، وهي تنقلب يمنة ويسرة ، وقد انحسمت في كل جسم منها السرّة ، وهي بذلك تنمو[4] وتزيد قوتها ، وتكبر أعضاءها ، وتقوى (112) خلقتها ، وذلك بعد إقامتها في الماء والطين تسعة أشهر ، واستيفاءها باللبث هناك ما قدر .

ولما صارت الشمس في برج العقرب ، فتح كل إنسان فاه ، وطلب منه الغذاء ، وأحس بالبرودة والحرارة ، والمعتدل منها الموافق له[5] والمفرط الذي يحدث منه الأذى ،

---

(100) طبائع : طائع في م .

(1) وصارت حياته : سقطت في ن .

(2) الأثير : التأثير في ن .

(3) وضيق : وضاقت في ن .

(4) تنمو : ينمي في ن .

(5) له : سقطت في م .

وأقام ستة أشهر يمتص في اصبعيه لبناً قد أجراه له الخالق بحسن عنايته ، وهيأ لـه ليحيى بـه ، وهو في حـال رضاعتـه[6] وطفوليتـه ، وصار لستـة أشهر وهـو في القوة كـابن أربع سنـين ، وذلك لكـمال أبويـه اللذين هما السـماء والأرض ، وظهوره عنهـما في التكوين ، خـلاف ما ثـاره بضيقهـا الأرحـام ، فتصغـر جثتـه ، ويضعف عن القـوة إلاّ بعـد هـذه الأعوام ، وكان ذلك النشوء ذكـوراً لا يحصى عددهـا في بقاع الأرض من أجنـاس الخلق عـلى اختلاف البلدان ومـا فيها من الأهـوية ، وقـد هيأ لهـا ما تستمـد بعد خـروجها من الأغذية ، فاغتذت بالثمار التي هيأتها لها الطبيعة ، ورتبتها لهـا العنايـة الإلهية الـربانيـة ، وخرجت مستقيمـة الصـور على أجمل خلقة ، وأحسن هيئة ، ثم ظهر من كل مغارة نشْ فيهـا ذكر وأنثى هي من بقيـة نطفتـه ، وهي قاصرة عن مـرتبة الـذكور بمـا اقتضاه عـدل الموجد ، ولطيف حكمته .

وكان ابتداء[7] الخلقة من الماء والطين ، ثم كان بعـد ذلك في الأرحـام بما اقتضـاه عدل المدبر في التكوين ، قال الشخص الفاضل صاحب الرسائـل مبيناً لـذلك ومـوضحاً لـه ، ومزيـلاً عن كل من قصرت معـرفته جهله : واعلم يا أخي بأن الحيـوانات التـامة الخلقة ، العظيمة الصورة ، كلها كونت في بدء الخلق ذكراناً وإناثاً من الطين والمـاء تحت خط الإستـواء ، حيث يكون الليـل والنهار هنـاك متساويـين ، والحر والـبرد معتدلـين ، والمواضع الكنينة من تصاريف الرياح موجودة ، والمواد كثيرة متهيأة لقبول الصـورة ، ولما لم تكن في الأرض مـواضع[8] مـوجـودة لهـذه الأصنـاف ، جعلت أرحـام الإنـاث هـذه الحيـوانات عـلى هذه الأوصـاف ، من اعتدال الـطبـائـع ، لكيـما إذا انتشرت في الأرض تناسلت وتوالدت حيث كانوا ، وأكثر (113) الناس يتعجبون عن كـون الحيوانـات من الـطين ، ولا يتعجبون عن كـونها في الـرحـم من مـاء مهـين ، وهي أعجب في الخلقـة ، وأعظم في القدرة[9] .

هذا قوله (صلعم) وكفى به برهاناً مبيناً ، ونهجاً مستبيناً ، فهذا كان أصل الخلقة في أولها ومبتدأها في تفصيلها وجملها ، ثم إنها كانت بعد ذلك بالتناكـح والتوالـد من ذكر وأنثى جسماً نعاين[10] ونشاهد ، وقد قالت العلماء : إنها لمـا كملت المعادن صعـدت منها

---

(6) رضاعته : رضاع في ن .

(7) ابتداء : بداء في م .

(8) مواضع : وضع في ن .

(9) القدرة : القدار في ن .

(10) نعاين : عين في م .

بخارات إلى الهواء ، فـامـتزجت وهملت منهـا الأمـطار ، فتكـون منهـا أنـواع النبـات ، وصعدت بخارات النبات بتأثير المدبرات ، وانهل منها مطر فكان فيها نشوء الحيـوانات ، وصعـد من صفوة[11] جميعهـا بخار ، فكـانت منها أمـطار نشأ منهـا الإنسـان ، وكـانت بعناية[12] العليم الخبير صفو المعادن والنبات والحيوان ، وشاهد ذلك الذي يصححه[13] مـا عليه الـوجـود في الخلق الـديني ، والنشـوء الصـوري فيـها وصفـه الأنبيـاء ، وأبـانـه الأوصياء ، وأوضحه الأئمة النجباء ، من كون أصل خلقة الدين في ابتداء الشريعة بقيام النبي ، والوصي (صلعم) ، في ذلك كله ، وتدبيرهما لمن اتبعهما بإخراجه إلى نور البيـان من ظلمة جهله ، ويوجد بالولادة الدينية بإفادة النبي ، والوصي ، اللذين هما كالسـماء ، والأرض في التمثيل النفساني العلمي ، ثم يكون بعد ذلـك في أدوار الأئمة ، والحـدود ، بالإفادة والإستفادة والتعليم ، وبنشوء الصور الدينية من بين مفيـد هو كـالذكـر ومستفيد هو كالأنثى .

فإذا كانت النسبة لمن ينشـي في[14] الدار الآخرة صورته ، وتتهيأ لها في عالم الـدين خلقته ، إلى نبي الدور ووصيه ، وإمام العصر وحجته ، كان ذلـك جثة إبـداعية ونشـأة تأييدية ، وخلقاً مستقيماً معتدلاً سوياً ، خلقاً كاملاً ووجوداً فاضلاً ، وإذا نسب المستفيـد إلى المفيد وظهر في التعليم منـه قاصـراً عن حد التـأييد كـان ذلك كـما يكون الـظهور من الـذكر والأنثى خلقـاً ليست له قـوة ما انتسب إلى الأرض والسـماء ، وكـان أول مـا نشـأ (114) في الدعوة الظاهرة النبوية منهم كالمعادن ، إقبالاً على الظاهر وجوداً فيه ، وبعداً عن الباطن الذي نشأت روح الحياة في المـرقين في درج الفضـل الفائـز من يرتقيـه . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[15] فكان بـاطن العلم هو الحياة ، وبه تعلو المراتب وتسمو الدرجات ، والوصي هو القائم ، وهو الذي دعا[16] النبي إليه ودل أهل شريعته المتبعين لدعوته عليه ، وكـان ما يستفـاد عن النبي (صلعم) من الكلم النبوية ، والإشارات الشريفة التزيلية ، هي كالجواهر الشريفة المعـدنية ، ومـا يوجد من المعادن العظيمـة القدر من الفضـة والأنواع الـذهبية ، ومـا يحال من ذلـك عن

---

(11) صفوة : صفاتها في ن .

(12) بعناية : عواية في ن .

(13) يصححه : صحح في م .

(14) ينشي في : سقطت في ن .

(15) سورة 8 آية 24 .

(16) دعا : دعاوي في م .

حالته ، ويعتقد في ذلك على غير ما صدر عن النبي من ظاهر دلالته ، ويبقى على حكم الظاهر ، وهو غير ما صدر عن النبي (صلعم) خامل قاصر ، فهو كالمعادن الخبيثة المنعكسة ، والأحجار المذمومة المتكلسة ، ثم يرقى السؤال من أهل الاعتقاد[17] الظاهر صاعداً ، فيتصل بالأركان الممثلة بالعلوم التي أبناها وأوضحنا فيها قبل معناها ، وهي حدود التعليم المتضمنة[18] للتوحيد ، ومعرفة الحدود والمواعظ ، والأعمال التي كلها بها للنشوء نشوء النبات ، وهو يقابل من قد ارتقى من تصور الظاهر إلى الاعتقادات ، لهذا معنى غير ما دل عليه في الظاهر من العبادات ، من ذلك الثمرات الطيبة ، والعلوم الشريفة التي هي عن أولياء الله مكتبسة ، ومنه الأشجار المرة والقاتلة التي هي الاعتقادات الفاسدة ، وهي عن المفسرين ظاهر القرآن على غير معناه حاصلة ، فيرتقي السؤال الذي هو مثل البخار فمن هو في تلك الحال ، فترده الحدود إلى المستفيدين ، ويبين[19] لهم من التأويل القريب باطن الأمثال ، ومن ذلك يكون الحيوان المحللة التي لها الفضل ، كالإبل ، والبقر ، والغنم ، وغيرهما مما أحلته الشريعة .

ومثلهم كمثل من استفاد في تعليم التأويل ما صدر عن النطقاء ، والأوصياء ، وحدودهم ، (115) الذين لهم المقامات الرفيعة من باطن التأويل ، الذي هو مقابلة الحياة الحية ، وبه الصعود إلى المراتب السامية العلية ، ومن أولئك من يقابل الحيوان المذموم ، وهم الذين لم يتصوروا ذلك على معانيه ، ولم يوقعوا على أصل مبانيه ، جهلاً بمعرفة الحدود ، وتأولاً[20] على غير ما هو عن أولياء الله موجود ، يخرجون إلى الغلو والتقصير ، وينحدرون عن الصعود في المعرفة إلى ما يؤديهم إلى عيب الحدود ، والقول بالأمر النكير ، ويصعد السؤال من أهل تلك الأحوال الأولى ، وهو كما يصعد من المواليد وترده الحدود إلى من دونهم ممن يتعلم ويستفيد ، فيخرج منه أضاف[21] البشر ، أولى الصور المستقيمة ، والمعاني التأييدية المأخوذة عن أهل المقامات العظيمة ، فيشبهون الملائكة بعلومهم اللطيفة ، ويخرجون من الأمثال المعاني الشريفة ، والمذموم من الإنسان هم الذين طغوا على أولياء الله أهل الفضل الشهير ، وخرجوا من التعطيل والتشبيه ، إلى

---

(17) الاعتقاد : العقاد في ن .

(18) المتضمنة : الضامنة في ن .

(19) ويبين : وبيان في م .

(20) وتأولاً : وتأويلاً في ن .

(21) أضاف : مضاف في ن .

الأمر النكير ، وعارضوا مقامات[22] النور ، معجبين بما أدركوا من العلوم ، ونالوه .

ولم يعلموا أنهم قد غيروا أنواره الشريفة وأحالوه ، ولذلك قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[23] باستقامة على ما صوره ناطق دوره في دعوته ، وترشحه فيه المتصور الحقائق على لطائف معانيه بما ترقيه إلى جنته ، فانعكس منحدراً بجحده لمقام ولي أمره ، ورد إلى أسفل سافلين ، منكر السامي شرفه وعالي قدره ، قائلاً بقول فرعون : أنا ربكم الأعلى ، جاحداً لربه الذي أنعم عليه وأولى ، وفي الدين على الخلق أعدل شاهد ، وهو الميزان المستقيم ، المبين للصحيح المستقيم من المعوج الفاسد ، فتدبر يا أخي متفكراً ، وانظر معتبراً إلى ما أتقنه الباري من لطيف صنعته ، وأكمله من تدبير خلقته ، عقداً لها في تكوينها ، وحلاً وسوقاً لها من الأدنى الأقصى ، إلى الأكمل الأعلى ، وفقنا الله وإياك لصالح القول والعمل ، وإنا لنا من فضله ورحمته ما نرجوه من الأمل ، (116) وجعلنا ممن اعتصم بالحدود وتمسك[24] بهم ، ملتزماً لنكون من الراقدين بسلمهم ، إلى مقامات[25] عالم القدس الأسمى ، والحمد لله على ما أولانا ، ونسأله[26] السعادة في أخرانا وأولانا .

وصلى الله على محمد خير الأنبياء النجباء ، وعلى آله أهل الفضل الأذكياء ، أولي العباء .

الباب الثاني عشر : في آدم الكلي الأول ، وما استحقه من المقام الأكمل ، وذكر دوره الذي هو دور الكشف والظهور ، وما كان فيه من السعادة الكلية ، وجريان الأفلاك بمساعدة المقدور ، نقول وعلى الله تعالى نعتمد ، ومن بركات أوليائه صلوات الله عليهم نستمد : إنا قد ذكرنا ظهور الخلقة الإنسانية من الماء والطين ، وكيف كان وجودهم في أول التكوين ، قامات ألفية[27] ، وصوراً إنسانية ، فلنذكر الآن صفوتها الذي هو أول الفكرة ، وآخر العمل ، وغايتها الذي به تمت سعادات عالمه الأفضل ، فنقول : إن الله تعالى بلطيف حكمته ، وما أسراه في الوجود من شريف عنايته ، قد

---

(22) مقامات : وقايات في م .

(23) سورة 95 آية 4 .

(24) وتمسك : متمسكاً في ن .

(25) مقامات : مقام في ن .

(26) ونسأله : وسألته في ن .

(27) ألفية : ادمية في م .

جعل في كل جنس غـاية ، واختص كـل شيء بنهايـة ، فجعل الشمس في الفلك الـرابع فلك الأفلاك ، وقطبها الذي به للعالم الإستمساك[28] ، وبيت الحرارة السـارية في العـالم الجرماني والجسماني ، وأصل العنـايات السـارية لـوجود الصفـوة من الخلق الإنساني ، ثم جعل في كل شيء من المواليد غاية[29] وصفوة ، وكانت الخلقة متفاوتة بتقدير من يخرجها بلطفـه إلى الفعل من القـوة ، فكان في المعـادن غايـة شرفت على مـا سواهـا ، وكانت في جنسها منتهاها ، كالياقوت الأحمـر من الجواهـر المنسحقة ، وكـالذهب الـذي هو صفـوة المذابات المنـطرقة ، وكـانت غايـة النبات النخـل من الثمار ، والمنـدل الرطب فيـما يزكـو رائحته من الأشجار ، وفي الحيوان الفرس المهذب ، وبزاوجه الفيل لكونه بقبول التعليم من البشر يتأدب ، فاقتضت العناية الإلهية أن يكون في الأشخاص الإنسانيـة غايـة تنتهي إليها هذه الغايات (117) ، وهو الصفو الذي من أجله دارت الأفلاك الدائرات .

وإذ قد أبنا كيف كان في أول الخلقة ، الظهور من الماء والتراب ، فلنبـين صفوتهـا الذي هو من الغاية لب الألباب ، وذلك أن العنـاية الإلهيـة ساقت من كـل شيء صفوتـه وخيـاره ، وزبدتـه ، إلى أرض قد صفت من جميـع الأكـدار ، وزالت عنهـا القـاذورات والأوضـار ، وساقت العنـايات إليهـا دوران الفلك الدوار ، وذلـك في خط الاعتـدال ، فكان الإستواء عـلى أحسن الأحوال ، حيث لا حـر مفرط ولا بـرد[30] يتعدى فيفسـد ، فظهرت في جزيرة سرنديب من أفضل المغارات الخالصـة من الكدر المشـوب ، فظهـرت منها ثمانية وعشرون شخصاً هم صفوة الخلقة ولبها ، وأصل الفـطرة وقطبهـا ، ومن تلك الأشخـاص شخص من صفـوة الصفـوة من الجثـة الإبـداعيـة ، وخـيرة الخـيريـة ، من الأشخـاص الآدمية ، فضله عـلى السبعة والعشرين كفضـل[31] الشمس على الكـواكب ذوات الأنـوار ، وكفضل اليـاقوت عـلى غيره من الأحجـار ، فسبق من تلك الأشخاص الثمانية والعشرين التي هي كعدد منازل البروج الإثنا عشرة شخص ، هو كالسـابق الأول في العالم الروحاني الذي أسماه[32] الله قدره ، فنـظر إلى الأفلاك السـماوية ، ومـا فيها من النجـوم الزاهـرة ، وإلى الأرض البسيطة ومـا ينشـأ فيهـا من الخلقـة التي هي إلى كـمالهـا

(28) الإستمساك : الامساك في ن .

(29) غاية : وقاية في ن .

(30) ولا برد : براد في م .

(31) كفضل : ضل في ن .

(32) أسماه : سموات في ن .

سائرة ، وافتكر في أبناء[33] جنسه ، وفي تركيب جسده ولطيف نفسه ، فادته تلك الفكرة الصافية ، والفطنة المتشعشعة[34] المتلالية ، إلى الإقرار بالمبدع الحق جل وعلا ، وصار نور التوحيد في صافي نفسه مشتعلاً ، فادته الصنعة إلى معرفة الصانع ، ولاح[35] له ما في الخلقة من العجائب والبدائع ، واعترف بفضل العقول السابقة في عالم اللطافة ، وأدته إليه الدلالة بما نظر (118) من المركبات في عالم الكثافة ، وكانت تلك الفكرة من ذاته في ذاته بغير معلم علمه ، ولا ملهم في السابق ألهمه ، فاستحق بما سبق إليه من التوحيد ، ومعرفة السابقين عليه في عالم اللطافة والتأييد ، أن سرت إليه أشعة تلك الأنوار المتصلة بالعقول اللطيفة المتجردة ، وصارت بذاته الشريفة المبرأة من الأكدار متحدة .

وصار إليه من مواد مبدعه بوساطة العقول ما بلغ به من الفضل ، والشرف إلى غاية السؤل[36] ، فسبق عالمه كسبق الإبداع الأول لعالمه ، واحتجب بما قصرت الحدود عاليها ودانيها عن الترقي في ساميات معالمه ، فصارت زبدة الخلقة الطبيعية بأسرها ، وصفوتها السامية بشريف قدرها ، وصار نهاية ثانية كالنهاية الأولى في عالم الإبداع ، وتلقى ما إتصل به من اللطافة من نير[37] الشعاع ، وهو من أبناء جنسه معنى المعاني ، ومقر التأييد من عالم اللطافة الروحاني ، وهو أول مقامات الإمامة الشريفة ، ومبدأ قبول أنوارها الساميات اللطيفة ، وهو آدم الأول الكلي ، المشتق من أديم الأرض متهيأ لسطوع نور اللطافة الجلي ، فحين طرقته تلك المادة واستحق السبق على عالمه ونال من العلو والرفعة مراده ، عطف على عالمه شفقة لهم ورحمة ، ونظر إليهم بما فاض عليه من الفوز[38] والنعمة ، ودعاهم إلى التوحيد للمبدع الحق سبحانه والتجريد ، وأن يعترفوا بالعقول الروحانية السابقة ليصل إليهم منهم التأييد ، فأجابه السبعة والعشرون الشخص المخلوقون من فضل طينته ، وعرفوا ما خص به عليهم واعترفوا بسبقه وعالي قدره وسامي رتبته ، فأجابوه إلى دعوته مذعنين ، ودخلوا حرم دعوته آمنين ، وتسابقوا[39] إلى

---

(33) أبناء : بواء في ن .

(34) المتشعشعة : الشعاعية في ن .

(35) ولاح : ولوح في ن .

(36) السؤل : الؤل في ن .

(37) نير : نوار في م .

(38) الفوز : سقطت في م .

(39) وتسابقوا : وسابقوا في ن .

توحيد باري البرايا فنزهوه ، وجردوه ، عن مماثلة (119) خلقه وما شبهوه .

وكانت تلك الأشخاص من العالم الزبدة والمصاص ، وبهم لمن اتبعهم النجاة والخلاص ، وكان ظهورهم في تلك المغارات في اعتدال الزمان ، ومناظرات السعود في بروجها بحكم القرآن ، وقد جذبت العناية الإلهية من صفوة الأركان والعناصر ، وخيرة ما ظهر بتدوير[40] الفلك الدائر ، من الثمار والروائح الطيبة ، والأشياء الحسنة ، والمعادن المشرفة خيارها ، واستخلصت صفوها ، وجذبت أسرارها ، وهو كما قال مولانا الشخص الفاضل ، صاحب الرسائل ، سلام الله عليه ، حيث قال : وقد قيل إنه متى كان الكبريت صافياً ، والزئبق نقياً ، والزمان معتدلاً ، والتدبير على ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي من اعتدال الزمان باشكال استقامة الفلك والشمس في سعادتها ، وكان التدبير موافقاً لها بمساعدتها ، فرقى إلى العلو بالصعود بالنار اللينة ، عن النسبة الفاضلة أولاً ، ثم اهبط إلى السفل فجعل ذلك مثل الماء بالرفق في الحل مثل ما كان في أول مرة ثم أجمد ، ثم رقى بالطف تدبير من الأول ، وقدر على علوه أحسن تقدير على النسبة الفاضلة والقسمة[41] المعتدلة ، والمعرفة الكاملة ، ثم أهبط ثم أعيد إلى حالته الأولى ، بالحل يفعل به كذلك ما دامت الشمس سعادتها ، وحسن مساعدتها ، فإن بلغ بها التدبير إلى نهايته ، وتمام غايته ، كان شمساً طالعة ساطعة أنوارها ، ونعمة[42] سابغة ، وبركة نافعة ، يدب نورها في الأجسام إذا أشرقت على الكواكب سرى[43] نورها فيها وصبغتها ، فجعلت شموساً طالعة ، وأنواراً ساطعة ، فاشارته في ذلك إلى صاحب الجثة الإبداعية ، وظهوره شمساً منيرة[44] عند تناظر السعود ، واعتدال الزمان وصفائه لظهور ذلك الوجود ، (120) ومن يخلفه ، وهم صفوة العناصر ، وخلاصة ما في الفلك الدائر ، وهم من صفو النادم المستغفر الموحد لمبدعه المعترف بفضل السابق الأول ، وإنما توقفوا في العقل التالي الذي هو الإنبعاث ، فاستحقوا بذلك الكون في الأبعاد الثلاثة .

وكان رجوعهم أول وهلة لسوابقهم في ذلك العالم الأجل ، وسرعة إجابتهم لما دعاهم حدهم الأشرف الأفضل ، الذي هو العقل العاشر ، الكائن في ترتيب العالم

---

(40) بتدوير : بدوران في ن .

(41) والقسمة : والنسمة في ن .

(42) ونعمة : ولقمة في ن .

(43) سرى : ورى في ن .

(44) منيرة : نيرة في م .

الـروحاني آخـر الدوائـر ، وكان صـاحب الجثة الإبـداعية هـو أول فكرة العـاشرة وآخـر عمله ، وزبدة[45] فعله ، ونهاية أمله ، فكان مطرحاً لشعاع نوره ، وحجابه[46] الأعظم الذي يتجلى به عند ظهوره .

ولـما دعا تلك الحـدود السابقـة لعالمهـا وأجابت تلك الـدعـوة ، ووحـدت المبـدع سبحانه متلافية نفوسها من الهفوة ، والتزمت[47] بهـاديها الـذي منه دعيت ، ومن تلقـائه خوطبت ونوجيت ، فـأخذ عليهم عهـود الله المؤكدة ، وعـرفهم أسرار الخلقة المـوجدة ، وكمال العقول السابقة في عالم الإبداع ، ومعـاني الأشكال المـبرأة عن الأوضاع ، وكـانت شهادة[48] هذا السابق وأبناء جنسـه لمبدعـه شهادة مخلصـة كشهادة العقـل الأول ، وقام فيمن أجابه من الحدود مقامه في عالمه الروحاني الأفضل ، وكان إمام الأئمـة والسابق لهم إلى الطهارة والعصمة ، المخصوص بنور الكلمة اللطيفة ، والتأييدات السامية الشريفة ، فلما استكمل ما أيد به من أنوار عالم القدس ، وعلا على عالمه وبان ، رجع عليهـم عاطفـاً مفيـداً لهم علم الأبدان والأديـان ، فلما كملوا أبـانـوا المعـارف ، واتحـدوا بمعـاني العلوم اللطائف ، أمر منهم اثني عشر داعياً في الجـزائر ، ورتب إثني عشر حجـة في حضرته هم صفوة أهل البصـائر ، وأقـام ثلاثـة (121) منهم أبوابـاً ، وجعلهم لديـه سدنـة لعلمه وحجاباً .

فلما نشر الدعوة في الأصقاع ، وأقام ما يعرف أهل ذلك الدور ما لهم به الإنتفاع ، من أسباب المعاش وما منه الأشجار (التي فيها المنفعة)[49] وما منه المضرة مخشية متوقعة ، ورقوهم بعد ذلك إلى المعارف النفسانية ، ومعرفة المبادىء الروحانية ، فـانتشرت دعوتـه وعمت ، واجتمعت فيها الخلائق والتمت ، فلم يبق أحـد في جميع الأرض إلاّ استجـاب لدعوته ، وخضع معترفاً بسـامي قدره ورفعتـه ، فعمتهم هنالـك خيراتـه[50] ، شملتهم البركات ، ووافقت سعود الفلك سكناتهم والحركات ، فنشرت فيهم الحقائق ، وظهرت لهم المعاني الدقائق ، واستمدوا من عالم اللطافة بعقـولهم وأذهانهم ، بـوساطـة حدودهم

(45) وزبدة : سقطت في م .
(46) وحجابه : وجوابه في ن .
(47) والتزمت : ولزمت في م .
(48) شهادة : شهواته في ن .
(49) التي فيها المنفعة : فيه المنفعة في ن .
(50) خيراته : مبراته في م .

المقامين من قبل صاحب زمانهم ، ورفعت عنها التكاليف الموضوعة في الشرائع ، فاتحدت بهم المعاني المخلصة من الشوائب والموانع[51] ، فكان دورهم دور كشف وظهور ، وسطع لهم من مشكاة علم البيان النور ، فكلما إستفاده أهل الشرائع تعليماً ، أحاطوا به تأييداً ، وعملوا علواً ، أوجب لهم من الخيرات الشريفة مزيداً ، وكان دورهم دور السعادة الكاملة ، والبركات بهم من عالم القدس مواصلة ، وهم مع ذلك مترتبون في الدعوة الشريفة مراتباً أعلاهم الإمام صاحب زمانهم ، وولي أمرهم في أوانهم إلى المستجيب على ما هو جاري في كل أوان وزمان ، وعصر في أعصار الأئمة عليهم السلام في الأحيان ، ودورهم دور علم لا عمل فيه ، وإنما العمل في أوقات أصحاب الشرائع ، وأهل ذلك الدور متخلصون من الأعمال[52] ، معتمدون من العلوم التي كان لهم بها الفوز والكمال ، لما كانوا صافين من الشوائب والأكدار ، مبرئين من الذنوب و (122) لكونهم أبعد من الكثافة ، وأقرب إلى اللطافة ، وهم على ترتيبهم وكونهم مستفيدين ، ومفيدين ، ومعلمين ، ومتعلمين .

فإن العلوم عنهم[53] غير محجوبة ، ولا مستورة ، بل ظاهرة تتلى على المنائر والمنابر ، ويسمعها البادي منهم والحاضر ، وهم فيها متفاوتون على قدر القبول كل أخذ بقسطه ، وحظه[54] بقدر إستحقاقه ، فبذلك كانوا مترتبين في مراتبهم ، ومتفاضلين في حالاتهم ومنازلهم ، وكانت شرائعهم عقلية ، وعلومهم حقيقية ، وقولنا شرائعهم عقلية يعني إن ما كان مما أتى به الرسل يحكم به العقل ويوجبه ، ولا ينبغي لعاقل أن يهمله ، فهو في تلك الدعوة كدفن الميت ، والنكاح وغير ذلك مما هو حلال[55] مباح ، وما كان من الأمور التي لا العقل يوجبها ، ولا أحكامه تقضي بها ، فهو منفي عنهم وغير واقع بهم ، ودام ذلك الدور الأفضل ، والوقت الأشرف الأجل ، ينشر فيه الحقائق ، ويتلى بواضح البرهان الصادق ، حتى انتقل ذلك المقام الأفضل ، المعبر عنه بآدم الأول ، فانتقل بمن كان انتقاله من قبله من الصور الشريفة ، والأنوار السامية اللطيفة ، من أجل دعوته النورانية ، وحدود لطافته الشريفة القدسانية ، فصار خالقاً للعاشر المدبر لعالم الطبيعة ، وانتقل العاشر إلى مقام التاسع الذي هو أعلى منه في رتبته الرفيعة ، وتعالت

---

(51) والموانع : مانعات في ن .

(52) الأعمال : الامال في م .

(53) عنهم : كونهم في ن .

(54) وحظه : وخطه في ن .

(55) حلال : حلل في ن .

مراتب عالم الإبداع حتى بلغ الثالث ، إلى ضمن الانبعاث الثاني ، وهي غاية[56] ما ينتقل إليه العالم الروحاني ، وهي جنة المأوى ، وحظيرة القدس التي إليها إرتقاء عالم العقل والنفس ، فيصير ما ينتقل إليه ضمن الانبعاث في حالة واحدة من الفضل ، والثناء ، والجلال ، والكبرياء ، والعظمة ، والبهاء ، يتصل بهم التأييد من العقل الأول بوساطة الثاني ، ويفيض عليهم الخيرات[57] (123) والبركات التي تجل عن تعبير الوصف من كل عالي وداني .

وتلك نهاية النهايات ، وغاية الغايات ، التي يرتقي إليها المرتقون ، ويرتفع إليها المقربون السابقون ، فأما مرتبة العقل الأول فلا صعود إليها ولا إرتقاء ، بل هي مرتبة الوحدة ، ولم ينتقل هذا المقام الشريف الذي هو صفوة الخلقة وزبدة العناصر ، ويصير في دائرة العقل العاشر ، إلاّ وقد استخلص زبدة أهل دعوته ، واختار الصفوة منهم[58] المستحق لخلافته ، وهو ولده طبيعياً ودينياً ، المستحق أن يكون لمن بعده هادياً ووليّاً ، وذلك تمام عمله ، وغاية سؤله وأمله ، وبه تم إيمانه ، وخلص من العمل ، وقام برهانه .

قال مولانا المعز صلوات الله عليه : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يوجد مؤمناً مثله . وحقيقة ذلك أنه لا ينتقل الإمام إلاّ وقد أقام من يخلفه في مرتبته ، وكذلك كل أحد لا يرتقي إلى ما يعلوه إلاّ بعد أن يقيم مثله مفيداً لمن يستحق سماع إفادته ، فإن الأرض لا يخلو من أول الأدوار مبدأها إلى غاية الأكوار منتهاها ، من جهة الله تعالى بقيم أمور دينه ، وتتضح به بحجة الله تعالى وتبين أنوار براهينه ، كلما انقرض إمام أقام إمامه بعده ، يقوم مقامه (ويعمل دائباً)[59] في إحياء دين الله مدة ، جار ذلك في أوان الظهور والستر ، وثابت في كل دور من الأدوار وعصر ، ولا يكون الإمام المستحق لمقام الإمام إلاّ ولد الإمام ، ونجله الذي به لعلمه الكمال والتمام ، لا يخرج[60] عن العقب ابن ولا[61] يزال والد يقيم ولداً نسباً طبيعياً وولداً هادياً مهتدياً ، يجمع النسب والسبب ، ويخلف أباه بعد انتقاله في أسن الرتب ، وكل من ظن أن ذلك في غير العقب فقد ظن محالاً ،

---

(56) غاية : سقطت في م .

(57) الخيرات : المبرات في ن .

(58) منهم : عنهم في ن .

(59) ويعمل دائباً : سقطت في ن .

(60) لا يخرج : سقطت في م .

(61) ولا : سقطت في ن .

وضل عن سبيل المحجة ضلالاً ، وكان من الخاسرين عملاً إلى إدراك سجين ، الذي ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ودُعَّ في إدراك العذاب ، (124) دعي[62] وملعون من اعتقد أن الإمامة ليست في ولد عن والد يتسلمها من الأئمة واحد بعد واحد ، ومن ظن غير ذلك ورد في المتالف والمهالك .

فهذا الذي عليه نموت ونحيا[63] ، ونلقى الله تعالى بعد خروجنا من الدنيا ، والذين استحقوا الفضل من غير العقب الطبيعي فإنهم كانوا مستودعين لا مستقرين ، معترفين بفضل أهل الإمامة وبشرفهم مقرين ، وقد أوضحت دعاة الأئمة مما استمدوه من علوم مواليهم في ذلك ما يستقيم به الحجة ، ولا ينطمس معه معالم المحجة ، ولم يزل بعد صاحب الجثة الإبداعية ما يذكي الأفهام ، غير خفي ذلك ولا مستتر ، بل ظاهر لجميع الخلائق مشتهر ، لكون ذلك الدور خالي من الإضداد ، والحدود فيه جادون على الإمداد والإستمداد ، وذلك دور الكشف الذي لا ستر فيه ، والبيان الذي لا شك يعتوره ويعتريه ، وإنما سمي كشفاً لظهور الحقائق فيه مجردة عن الأمثال ، وبيانها بغير إمتراء فيها ولا إشكال ، وذلك جار في وقت كل إمام ، ومستمر على مر الأزمنة والأيام . فحيث انكشفت الحقائق ، وظهرت وبرزت الدقائق [وعمت[64] السعادة والهناء ، وزاد الإيمان والولاء ، وتقدمت الحجج والدعاة للوفاء ، بما قدر لهم من الإنضباط[65] والكفاء ، فأصابهم في الكثير من الأحيان الويل والبلاء ، وامتحنهم[66] الباري سبحانه وتعالى بالسر والخفاء ، فتأيدوا واستمدوا من الأئمة الولاء ، فعلت مراتبهم حتى بلغت السماء ، ونشروا بحسن إخلاصهم][67] (125) لدين الله المكتوم ، وأهله غير ملزمين للتكاليف ، ولا ممنوعين عما أورده من العلم الباطن اللطيف ، والأضداد هنالك غير موجودة ، وحياض العلم والحكمة موروردة ، يستملي أهل كل عصر من إمام زمانهم الذي هو لهم يفيد ، ويقتبسون فيه مما اتصل من لطيف المادة والتأييد ، لأنها لا تزال تتصل في كل دور من الأدوار ، وعصر من الأعصار ، لطائف الأنوار الشعشعانية ،

---

(62) دعي : دعا في ن .

(63) ونحيا : وحياة في م .

(64) وعمت : وتمت في ن .

(65) الإنضباط : الضباط في ن .

(66) وامتحنهم : سقطت في م .

(67) سقطت الكلمات الموضوعة داخل حاصرتين في النسخة ن .

وتأييدات (المبدع سبحانه)[68] النفسانية ، مما اتصل بالعقل الأول من مبدعه ، واتحد به من موجده ومخترعه ، فيتلقى تلك المواد كل إمام زمان بوساطة العقول المجردة ، فتصير به كلمة الله التي اتصلت بالعقل السابق متحدة ، وذلك هو العمود النوراني الساري ، والخير الأبدي الأزلي الجاري ، نور الله الساطع ، الذي[69] به تنصبغ النفوس صبغة الله الحسنة ، ويخليها من الكدورات فلا يأخذها نوم غفلة ولا سنة ، ويفيض النور من ذلك المقام الأشرف الامامي على حدوده ، ويتصل به منهم أنوار علومه ولحظات سعوده[70] ، وهو مغناطيس النفوس الذي يجذبها إلى الصعود ، ويوصل أواخر الدوائر بأوائلها في البقاء الأبدي والوجود ، وكل مقام من المقامات [العالية ، الصافية ، الخالصة ، المخلصة][71] المتصلة بذلك العمود ، وتتكامل إليه في الإرتقاء[72] والصعود ، إلى جوار الخالق المعبود ، الذي تلجأ إليه كافة الحدود ، مستمدة من أنواره الشعشعانية التسرمد والخلود ، كيف لا وهو بقدرته وسبحانيته ، وجلاله وعظمته ، قد أبدع الموجودات والوجود ، وركب في السماء الكواكب والأفلاك ، وسهل لأوليائه الإشراف والامتلاك ، فبلغوا بإمدادهم وشرفهم الأملاك ، وارتقوا إلى العلاء ، حتى بلغوا سماك السماء ، وركزوا تعاليمهم في الأوتاد ، فتبعهم المؤمنون من كافة البلاد ، وخضعوا خاشعين (126) لأنوار السعود ، وهو الذي عناه تعالى بقوله في كتابه الكريم : ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[73] فإذا كان قيام القائم (ع م :) كان لمن تقدمه من المقامات الشريفة وما في ضمنها جامعاً ، وبها إلى رتبة العاشر رافعاً طالعاً ، ويرتقي العاشر إلى رتبة التاسع ، وتتناهى[74] الرتب إلى حظيرة القدس التي هي أشرف الرتب الروحانية ، (وفي ابتداء)[75] دور الكشف يقوم القائم لانتهاء سبعة آلاف سنة ، وفي دور الستر يقوم في عشرة آلاف مكملة متقنة ، وقد أوضح العلماء الهادون ، أن قائم دور الستر أفضل من قائم دور الكشف ، لكون الراقين معه قد صفوا بأعمال الشرائع ، وتلطفوا بما تضاعف عليهم من المحن في دور الستر الواقع .

---

(68) المبدع سبحانه : سقطت في ن .

(69) الذي : سقطت في م .

(70) سعوده : وروده في ن .

(71) العالية ، الصافية ، الخالصة ، المخلصة : سقطت في النسخة ن .

(72) في الإرتقاء : سقطت في ن .

(73) سورة 23 آية 100 .

(74) وتتناهى : وناهى في ن .

(75) وفي ابتداء : سقطت في م .

وإنما يقوم القائم (ع م) بعد أن يجتمع في ضمن العاشر مائة ألف صورة ، وأربعة وعشرون ألف صورة[76] ، منتظرة لليوم الآخر الذي هو قائم ، وعلى يديه الحساب وبه يجزى الثواب والعقاب ، وإلى هذه الصورة الشريفة التي ذكرناها أشار النبي (صلعم) : إن الله تعالى مائة ألف نبي ، وأربعة وعشرون ألف نبي . وهو الميقات المجتمع إليه الأولون والآخرون ، فمن صعد في البرزخ منتظراً لقيام القائم الذي هو الخلق الآخر ، وبه أوضاع من تقدمه تنسخ لأنه يقوم بمعانيها وتجردها من أمثالها وغواشيها ، ولا يرتقي القائم (ع م) من هذه الدار إلاّ وقد استخرج من أهل دعوته هيكلاً[77] شريفاً إمامياً وهو ولده الذي يقيمه لخلافته ليهتدي أولو الإسترشاد ، والإستبصار ، ولا يزال كذلك كلما صعد قائم دبر عالم الطبيعة ووقع الاسم عليه بالعقل العاشر ، الذي هو من العالم الروحاني آخر الدوائر في خمسين ألف سنة يكمل دور الكشف ، ويكون مبدأ دور الستر كما بين ذلك (127) أولياء الله الذين هم[78] أولو الأمر ، وبذلك نطق الكتاب الكريم ، بقوله تعالى : ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾[79] . فإذا انقضى دور الكشف ، وتم ابتداء دور الستر ، كما أراد الله وانتظم ، فقام به النطقاء بالشرائع ، ووضعوا الأوضاع إلى قيام الناطق السابع ، فينسخ من الشرائع ما تقدمه ، ويبدأ[80] دور الكشف كما كان أمراً متقناً وحكمة محكمة ، ولا يزال يتعاقب دور الكشف ودور الستر إلى منتهى الكور[81] الأعظم الذي هو ضرب ثلاثمائة ألف سنة وستين ألف سنة في مثلها ، وتراخت رباطات الأفلاك ، ولم يكن في أماكنها استمساك ، ويبيد العالم ويخرب ، ثم يبدأ عالم جديد ، ويكون جثة إبداعية كما كانت أولاً بأمر الله الحميد المجيد ، ولا يزال يتصاعد من الفضلات الشريفة التي هي فضلات الحدود ، ما يخلف الأفلاك السماوية والنجوم الدراري[82] لتمام الوجود ، وتهبط تلك فتكون منها جثة إبداعية ، ويكون من الشمس آدم أول ، كما ذكرنا تتصل به مواد عالم القدس النورانية ، ويكون بعده الكشف والظهور إلى وفاء خمسين ألف سنة ، وفي آخر

---

(76) صورة : صوراته في م .

(77) هيكلاً : هياكل في ن .

(78) الذين هم : سقطت في ن .

(79) سورة 70 آية 4 .

(80) ويبدأ : وود في م .

(81) الكور : الكورات في ن .

(82) الدراري : البرادي في ن .

خمسين ألف سنة يضعف أمر الظهور ، ويقل اعتلاق[83] أهله بالعلوم الإلهية ، التي بها الخلاص من النور ، وذلك قدر ثلاثة آلاف سنة يقبل أهلها على العلوم الفلسفية ويعرضون عن العلوم الحقيقية ، فيغطي العلوم ، ويقل طالبها ، ويرفض أهلها ، ويطرح واجبها ، فيبدو الضعف بعد القوة ، وتغيض تلك الآداب الشريفة والمروة ، وتنطمس معالم العلوم ويختفي القائمون بها ، ويفيدون خصوصاً ما كان في العموم ، وتصير الأئمة عليهم السلام في جلباب التقية ، وتظهر علوم الهندسة والنجوم الرياضية ، ويكثر في الأرض المخالفون والأضداد ، وتعلو[84] كلمتهم ، ويظهرون في الأرض الفساد .

فعند ذلك (128) يظهر الأنبياء بالشرائع الجسمانية والتكليف ، ويستر العلم الحقيقي والمعنى اللطيف ، ويقوم آدم بدور الستر كما قد ذكرنا ، وذلك جار في الأعصار ، متكرر على مرور الأعصار والأدوار ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم ، ونسأل الله أن يسبل علينا النعمة ، إنه هو اللطيف الرحيم .

الباب الثالث عشر : في ذكر الأنبياء الذين قاموا بالشرائع ، المستقر منهم والمحمل لأمانات الودائع .

نقول : إنا قدمنا القول في بدء الخلقة البشرية ، وأصلها الذي كان نباتاً من الأرض بمقتضى الحكمة الإلهية ، وما كان لأهل ذلك الدور من الصفاء واللطافة ، واستفادة العلوم الشريفة ، مكشوفة[85] لهم بمقتضى الرحمة من المدبر الحكيم والرأفة ، وقيام آدم الأول الكلي ومن قام بعده في الخلافة ، فنريد الآن أن نذكر دور الستر الذي فيه انكتام المعاني ، وقيام آدم الجزئي ومن بعده من الأئمة ، والنطقاء ، متلقين لتأييد[86] العالم الروحاني ، فنقول : إنا قد ذكرنا دور الكشف وما فيه من الظهور وما ابتدأ في الثلاثة آلاف التي هي آخر ذلك الدور من الإعراض عن المعاني ، وعملها المنشور حتى تعطلت تلك الآثار وظهرت الأضداد وسعت ، ثم أن الله تعالى أراد أن يظهر وليه آدم ، ويبتدأ بالشرائع التي بها يصفو من الأقذار العالم ، فقال للملائكته ، وهم حدود ذلك الدور مخاطباً عن لسان إمامهم ، ومناجياً لهم تعريفاً بما أراده لتقوم عليهم الحجة بإعلامهم : أني أريد

---

(83) اعتلاق : غلاق في م .

(84) وتعلو : وعلاه في م .

(85) مكشوفة : سقطت في ن .

(86) التأييد : تأبدات في ن .

أن أجعل في الأرض خليفة . فخاطبوه بلسان الإعتراض ، فقالوا : أتجعل فيها من يفسد فيهـا ، ويسفك الـدماء ، ونحن نسبـح (129) بحمدك ، ونقـدس لك ؟ أي أتحجب المعـاني ، وتقيم من يقوم بـالأشكال الـذي لا يعرف فيهـا الخلق الجسداني ، من الملك ؟ فقال : إني أعلم ما لا تعلمـون ، دلالة على ما انكتم عنهم من علم الحقـائق وغاب ، ولم يقفوا منه على المحجوب ، بل على ظاهر الحجاب .

وكان آدم ناشئاً[87] في دعوة هنيد صاحب ذلـك الزمـان ، وهو الـذي أمر حـدوده المملكـين لدعـوته أن يخضعـوا لآدم في سرهم والإعلان ، وعـرفهم أنه يقـوم بـالشرائـع التكليفيـة ، ويدعـو في أرض الـدعـوة مـرتقيـاً من الاستجـابـة التي هي أول الـرتب إلى المقامات العلية ، فسجدوا كلهم وأطاعوا ، ودخلوا[88] في دعـوته كـما أمروا عـاملين من التكاليف بقدر ما استطاعـوا ، وذلك بعـد أن لاذوا بالعـرش عند حـظيتهم[89] الأولى ، والتزموا بإمامهم ممتثلين ما لهم من العلم مثله ، وتكبر الحـرث بن مرة عن السجـود ، وركب مركب أولى الطغيان والعنود ، قائلاً بقياسه الـذي سول ، ونـظره الكاذب الـذي له تـأول : أنا خير منـه ، خلقتني من نار ، وخلقتـه من طين . أي إني نشـأت من العلم اللطيف في دور الكشف ، وهو أظهر من حد الإستجابة الذي هو أدنى الحدود في التكوين ، فعندهـا أخرج من الجنة ، ومنع حد التأييد في الدعوة ، وأقصى عنها لما أصر واستكبر ، وطرد عن حقـائقها حـين تمادى في الـطغيـان والإسراف[90] وقيـل : يـا آدم اسكن أنت وزوجـك الجنة ، فكلا منهـا رغداً حيث شئتـما . أي أظهر أنت وقـرينك في العلم ، وهـو حجتك الدعوة المهديين بما به هديتما ، فعندها أظهر العند لهما نصحاً[91] ودلاهما بغرور ، وقال : لم تصيران حد اللطافة التأييـدية في المـوضع الـذي معناه مستـور ؟ ولم لا تكشفان المعـاني فتغلبان على أهل الكثائف المتجسدين ، وتكونان مع الملائكة العالين ، المخلدين ؟ فعنـد ذلك كشف المعنى الذي هو حد قائم (130) القيامة[92] الأخر .

وأظهر ما كان باطناً إلى الحد الظاهر ، وذلك لما كـان آدم ابتداء الدائرة ، والقـائم

---

(87) ناشئاً : نشوء في م .

(88) ودخلوا : وخلوا في ن .

(89) حظيتهم : سقطت في ن .

(90) والإسراف : والاشراف في ن .

(91) نصحاً : صفحاً في م .

(92) القيامة : القوم في ن .

انتهائها . ورأى قرب أولاها من أخراها ، وأظهر من علمه ما أمر بستره ، وظن أنه يقوم بحد القائم الذي ليس من حده ، ولا حد أهل دوره ، وكانت زلته كزلة الإنبعاث الثاني ، حين ظن مساواته للإنبعاث الأول ، ولذلك كني عنه بآدم الروحاني ، فاهبط آدم من الجنة راجعاً من حد التأييد إلى حد التعليم ، أخذا ما كان يستمده باللطافة من التجسيد الذي هو باعوجاج اللفظ غير مستقيم .

وقد حقق ذلك مولانا الشخص الفاضل صاحب الرسائل صلوات الله عليه وأبانه وأوضحه ، وأظهر برهانه ، حيث قال في الرسالة الجامعة[93] : قال الحكيم : إن الله تعالى لما خلق آدم أسكنه الجنة التي هي دار كرامته ، ومحل نعمته في جواره الأمين ، وقراره المكين ، مقر عباده المصطفين من الملائكة المقربين ، وعهد إليه أن لا يقرب شجرة عرفه بها ، ونهاه عن أكلها ، وأعلمه أنها مذخورة إلى وقت معلوم ، وأن بها تكون العودة إلى البداية ، وأنها لا تبدو ثمرتها ، ولا يحل أكلها إلاّ عند النهاية ، وأنها بقية دور الكشف الأول ، فيكون مدة دور الستر الأول الذي قدره الله سبحانه أن آدم أول المستخلفين فيه ، وأن ثمر تلك الشجرة يكون مستوراً في أكمامها ، مخبوءاً تحت ورقها ، لكنها في أغصانها ، وأنها مستورة مخفية لا يكاد مخلوق في دور الستر يقف عليها ، ولا يصل إليها ، ولا يتناول شيئاً منها ، إلاّ في الوقت الذي قدره الله سبحانه ، والزمان الذي يسره إذا أبدى دور السعادة بظهور النفس الزكية ، في يوم العرض الثاني ، إذا تجلت النفس الكلية ، لفصل القضاء ، فعند ذلك تبدو شجرة المنتهى ، وبها تكون النشأة الأخرى ؛ (131) .

وعهد الله إلى آدم وأطلعه على ذلك أنه لا يكون في وقته ، ولا يتهيأ له في زمانه ، وأباحه ما سوى ذلك من أكل كل الشجر ، والتناول من أصناف الثمر ، ما يكون غذاء له ، ولمن هو معلم له ، فلما زين له الشيطان سوء عمله ، وحمله على ارتكاب ما نهي عنه ، وأخذ ما لا يحل له ، وتناول ما حظر عليه ، ولم يمكنه ذلك منه ، إلاّ بالحيلة عليه ، والملاطفة له ، ولزوجه[94] ، وكان من حاله أنه جاءه في صورة الناصح المشفق ،

---

(93) الرسالة الجامعة من تأليف الإمام المستور أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهي تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، حققها ونشرها الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار صادر بيروت الطبعة الأولى ، والطبعة الثانية من منشورات دار الأندلس بيروت ـ لبنان وهي في مجلدين وضعا في مجلد واحد ، وحققت وضبطت على عدة نسخ مخطوطة .

(94) ولزوجه : ولزوجته في م .

يطلب منه الفائدة بالسؤال والتذلل ، فقال له : إنك قد أتاك الله من العلم والحكمة والمعرفة ما لم يؤته أحداً من قبلك ، وقد فضلك على جميع الملائكة[95] الذين أمرهم بالسجود لك ، والخضوع بين يديك ، وجعلك معلماً لهم ، تعلمهم أسماء ما يكون ، ولم يبق عليك إلاّ معرفة شيء واحد ، ولو عرفت لكنت من الملائكة[96] العالين ، الذين لم يؤمروا بالسجود لك ، ولم يدخلوا في طاعتك ، ولهم المقامات العالية ، والدرجة السامية ، عند الله .

فقال له آدم : وما هذا العلم الذي أخفاه الله عني ، ولم يطلعني عليه ، وقد علم أني محتاج إليه ، وغير مستغن عنه ؟ فقال له عدوه يريه أنه له لمن الناصحين : هو علم القيامة[97] وكون النشأة الآخرة ، والبروز لفصل القضاء ، وكيفية بروز الصور الروحانية المعراة من الأشخاص الهيولانية ، في دار البقاء ، ولو علمت هذا العلم وزوجك لكنتما ملكين ، وكنتما من الخالدين . عنى إنهما لو كانا من أهل دور الكشف لكانت خلقتهما روحانية ، ولم تكن جسمانية ، إذ كان البقاء والخلود على الحالة الأفضل بالنفس أشبه من الجسم ، فعند ذلك اشتاقت نفس آدم إلى ذلك ، وأراد الإطلاع عليه ، والإظهار له ، من حد القوة إلى حد الفعل ، ليرى كيف يكون دور الكشف ، وكيف يكون قبول أهل ذلك الزمان له ، واستجابتهم[98] إليه ، وكيف تكون منزلة (132) النفس الزكية في ذلك الوقت ؟ فأبدى شيئاً مما نهى عنه إلى غير أهله ، وأطلع عليه غير مستحقه ، ووضع منه شيئاً في غير موضعه ، فكان بمنزلة الأكل الذي نهي عنه .

فلما بدا ذلك منه إضطربت عليه أحواله ، واستوحشت منه أعماله ، إلى قوله : فلما طالت المحنة بآدم استرجع القول ، وناجى ربه ، وتوسل إليه بالقائم في الوقت الذي منه تظهر الحقائق ، وبأصحاب المقامات العالية في ذلك الزمان الذين هم الكلمات التامات[99] ، والآيات الباهرات ، وأنه لم يتعمد ذلك ، وإنما إشتاق إلى تلك المنزلة الجليلة ، والدرجة الرفيعة لغير إنكارها ، والإستكبار عن الإقرار بفضل صاحبها ، فعند ذلك تاب الله عليهما ، ويسر لهما المعيشة ، وبعث إليهما ملكاً من ملائكته فعلمهما

---

(95) الملائكة : الملاك في ن .

(96) الملائكة : الملاك في ن .

(97) القيامة : المقامة في م .

(98) استجابتهم : جواباتهم في م .

(99) التامات : المتمات في ن .

الحرث ، والنسل ، والزرع ، والبذر ، والحصد ، والنصب ، والغرس ، واللباس ، والرياش ، وما يحتاجون إليه في الحياة الدنيا لقوام الأجساد في محل[100] الكون والفساد ، وتلقى آدم التأييد ، والوحي ، والإلهام ، وأمر بإقامة الشرائع ، والسجود لله ، والعمل بالجسم ، وإظهار الصنائع ، وكثرة أولاده ، وانتشر نسله ،واتسعت دعوته ، وعمرت داره ، وقر قراره ، وكان على ذلك مدة ما شاء الله جل جلاله أن يبقى على تلك الحال ، إلى أن استكمل أجله ، فنقله الله تعالى إلى دار كرامته ، ودار البقاء ، وأراه ما عجل فيه ليراه ، وهو في محل الأجسام ، فلم يخيب سعيه ، ولا أحبط عمله ، لما تاب وأناب .

فخذ ما ألقينا إليك من العلم الجليل ، وكن من الشاكرين ، وأعبد ربك[1] حتى يأتيك اليقين ، وأعبده كما أمرتك به الأنبياء ، والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين ، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وإسباغ الطهارة ، والسعي إلى البقاع الطاهرة ، (133) والمساجد العامرة ، التي أذن الله أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها (في الآجال)[2] والأوصال رجال وأي رجال ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله [وإقامة الصلاة][3] ، وإيتاء الزكاة ، إلى أن يأتيك اليقين الذي هو محض الدين ، إذا نفخ في الصور ، وحصل ما في الصدور ، وأن ربهم بهم يومئذ لخبير ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور ، ولا تكن ممن قال الله سبحانه فيهم : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [4] وقال : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[5] وقال : ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾.[6] أعاذك الله وإيانا من أهل النار ، وجنبنا وإياك مرافقة الأشرار ، بمنه وكرمه ، فهذا قول مولانا صاحب الرسائل (صلعم) ، من ذكر الشجرة ، وإبانة[7] معناها ، وأنها معرفة ما يكون في دور الكشف الذي يظهره القائم ، فأبدا آدم ما أمر بستره ، وكشف ما لم يجب كشفه في دوره ، وتلقي

---

(100) محل : حل في ن .

(1) ربك : سقطت في م .

(2) في الآجال : سقطت في م .

(3) وإقامة الصلاة : وقوام الصلوة في ن .

(4) سورة 25 آية 23 .

(5) سورة 18 آية 104 .

(6) سورة 88 آية 3 ، 4 .

(7) وإبانة : وبان في ن .

الكلمات راجعاً إلى مقام النور ، ملتزماً بوليه الذي أخرجه إلى الظل من الحرور .

ولم تكن زلة آدم إستكباراً ، ولا علـواً وحجداً لمن فضله الله وإنكاراً، إذ كان الله قد نجاه[8] من ذلك وعصمه ، ونزهه عن شينه وعظمه ، بل كان ذلـك منه إشتيـاق إلى تلك المقامات الرفيعة ، وطلباً لإظهار معانيها السامية المنيعة ، فمنع من ذلك ، إذ هو في غير أوانه ، وقبلت توبته حين توسـل إلى صاحب زمـانه وأمـر بإظهـار شريعته ، وإقـامة برهانه ، ونال ما طلب بعد استيفاء أجله ، وانقضاء وقته ، وتمام عمله ، بعـد أن تلطف من الكثافة والأجسام ، ورقى أهل شريعته إلى العلوم الباطنة في الإنتهاء والختام ، ورجع إلى الجنة .

وقد أقام من يقوم مقامـه لهدايـة الأنام ، وكـان آدم عليه السـلام أول قائم في دور السـتر الجسماني الشرعي العمـلي[9] ، ومثله مثل (134) السـلالـة الـطبيعيـة في القيـام بالظاهر المحض ، إذ كان الله سبحانه قد أوجب قيام النـطقاء بـالستر ، في الـوقت الذي وقته ، والأجل الذي أجله ، وجعلهم حدوداً جسمانيين بينهم[10] وبين الله تعالى ، حدود روحانيون هابطون إليهم عنه تعالى ، بالوحي برهان ذلك قوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الملائكة رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[11] . فالنـاس هم الأنبيـاء ، والـرسـل هم المـلائكـة المنزلون على الأنبياء (صلعم) ، لأن الله تعالى لما كان خلقه ملائكة روحـانيين ، وأدميـين جسمانيين ، لم يكن الجسـمانيون بقـابلين علم الملكوت من الـروحانيـين إلّا ترتيبـاً رتبةً ، وبرهان ذلك ما حكاه سبحانه وتعالى عن إبـراهيم عليه السـلام في رؤياه الكـوكب ، ثم القمر ، ثم الشمس . فدل ذلك على تـرقيه من حـد إلى حد ، وتـرقيه من[12] مـرتبة إلى مرتبة .

قـال الداعي المؤتمن جعفـر بن منصور اليمني أعـلى الله قدسـه في كتـاب (تـأويـل الزكاة)[13] في صفة الملائكة المتولين أمر الحكمة ، وفي صفـة الأنبيـاء ، وأن عالم العقـل وعالم النفس من الموكلين بتمام الحكمة ما لا يحصى عددها ، وأن الملائكـة على وجهـين في

(8) نجاه : نجواه في ن .

(9) العملي : العلامي في م .

(10) بينهم : سقطت في ن .

(11) سورة 22 آية 75 .

(12) من : سقطت في م .

(13) كتاب تأويل الزكاة من تاليف جعفر بن منصور اليمني لا يزال مخطوط في مكتبتنا الخاصة .

حد الفعل ، وفي حد القوة ، فأهل القوة هم أصحاب التأييد ، وهم المرسلون إلى الخلائق ، لأن الملائكة جمعهم اسم الرسالة ، وهم بعد فساد قوالبهم ، تخرج صورهم الروحانية عند مفارقة الصور الجسمانية ، من حد القوة إلى حد الفعل . فيصيروا ملائكة روحانيين بعد أن كانوا في حد القوة ملائكة جسمانيين ، فيصيرون ملائكة مقربين ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون . يؤكد ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَوجَعَلْنَاهُ مَلَكاً لجعلناهُ رَجُلاً وللَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[14] . يعني لبسنا أمرهم عليهم ، كما قال في المسيح عليه السلام : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ . (135) . ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقيناً ﴾[15] فالتلبيس هو التشبيه ، يعني أنه جعل تلبيس المؤيدين الذين هم الملائكة المقربون وأولو العصمة والسداد ، لئلا يقع عليهم تكبر ولا معصية ، إذ قد امتازوا بالصفوة والعصمة ، بالفعل عن حد الملائكة بالقوة ، لأنهم قد تنزهوا عن عصيان الله بإطلاعهم على سر الله ووقوفهم على غيبه ، وهو عرشه ، وهم بعد أن كانوا حافين حوله صاروا حملته ، كما قال : ﴿وَيَحمِلُ عَرْشَ رَبّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيةٌ ﴾[16] يعني بأنهم بخروجهم إلى الفعل من حد القوة صاروا فوق المنازل والحدود ، كانها هم ثمانية لا يجاوزونها بزيادة ولا نقصان . وهذه دلالة على الأئمة السبعة الداعين إلى منزلة صاحب المرتبة الثامنة ، وهو القائم المهدي (صلعم) سابع النطقاء ، وثامن الخلفاء .

قد صح أن الملائكة المقربين هم الظاهرون بالفعل ، وهم الأئمة المعدودون ، والملائكة بالقوة هم الرسل المؤيدون ، لأنهم في حال[17] قوتهم روحانيون ، وهم دون المقربين ، ومما يؤيد ذلك ويشده قول الله تعالى : ﴿ آمن الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِهِ وَٱلْمُؤمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وملائكتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[18] يعني المقربين الذين هم ملائكة بالفعل ، لأنهم أقرب إلى الله من غيرهم في الدرج والمنازل ، وكتبه يعني تنزيله ، وتأويله ، ومحكمه ، ومتشابهه ، وظاهره ، وباطنه ، ورسله يعني المؤيدين الذين هم ملائكة بالقوة ، ملائكة آمنوا بالملائكة الذين هم بالفعل أصحاب المراتب الثمانية حملة العرش ، عرش الله ، ولا يجوز أن يعصون الله بوجه من الوجوه ، إذ هم معصومون من

---

(14) سورة 6 آية 9 .

(15) سورة 4 آية 157 .

(16) سورة 69 آية 17 .

(17) حال : حول في ن .

(18) سورة 2 آية 285 .

العصيان ، لأن ليس فوق مرتبهم مرتبة ، ولا منزلة أعلى من منازلهم ، تسمو نفوسهم إليها ، فيكونوا بذلك عصاة ، كما أن الملائكة بالقوة الذين هم المؤيدون من الرسل ليسوا بمعصومين ، لأن العصيان بهم واقع لسمو نفوسهم (136) إلى مراتب ليست لهم ، فسموا بذلك السمو عصاة وغواة ، كما قال جل اسمه : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[19] فسمي بالعصيان والغواية ، فدل أن كل من سمت نفسه إلى المرتبة إذ ليست له ولا من حده ، كان عاصياً غاوياً .

وليس عصيانهم كعصيان إبليس وجنوده ، لأن عصيانه كان خلافاً على الله وجحوداً لمقامه ، وتكذيباً لآياته ، وتعدياً في حدوده ، فصار إبليس مبلساً ، معاقباً ، معذباً ، بعد أن كان ملكاً مثاباً طائعاً ، وعصيان المؤيدين القائمين بالقوة عن عمد[20] وغير عمد . فالعامدون هم الأبالسة المتكبرون الجاحدون ، مثل إبليس المتكبر عن السجود لآدم ، ومثل هاروت ، وماروت ، والغير عامدين هم المؤيدون مثل آدم وخطيئته ، ومثل الملائكة الجسمانيين المأمورين له بالسجود ، باعتراضهم على ربهم حيث ردوا عليه : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾[21] وكانت تلك خطيئة بغير عمد يريدون بها طاعة . فلما قال لهم : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[22] علموا أنهم قد أخطأوا فلاذوا بالعرش ، وطافوا بمقامه ، فتاب عليهم ، وهم الملائكة الاثني عشر الحجج الذين هم بالقوة ، ومثل نوح في سؤاله أن ابنه من أهله فقال : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[23] . ومثل إبراهيم وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[24] وكان سؤاله لاسحاق ، ومثل موسى وسؤاله أن يريه وجهه لينظر إليه ، وما كان منه ومن الجبل ، فلما أفاق استغفر لذنبه ، وقال له فرعون : وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين . قال فعلتها إذاً وأنا من الظالمين . ومثل يونس لما ذهب مغاضباً . ويوسف لما هم بامرأة العزيز وهمت به ، لولا أن رأى برهان ربه . وسليمان حين ألقى على كرسيه جسداً ، وقوله رب إغفر لي فقال :

---

(19) سورة 20 آية 121 .

(20) عن عمد : مغمد في ن .

(21) سورة 2 آية 30 .

(22) سورة 12 آية 96 .

(23) سورة 11 آية 46 .

(24) سورة 2 آية 124 .

و (137) ﴿ فَاسْتَغفَرَ رَبَّهُ وخرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾[25] . والإنابة الرجوع عن ذنب أتـاه ، أو حـد قد تعـداه ، ومثل داؤد في امرأة ابن حنان ، وعيسى بقـولـه : أنت قلت للنـاس اتخـذوني وأمي إلهين من دون الله . وقـولـه لنبينـا محمـد (صلعم) : ﴿إنَّـا فَتَحنَـا لَـكَ فَتْحـاً مُّبِيناً * لِّيَغْفِرَ لَـكَ ٱللَّهُ مَا تَقَـدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَـا تَأَخَّـرَ﴾[26] فقد دل أن المـلائكة عـلى قسمين : ملائكة بالفعل هم المعصومون ، وملائكة بالقوة . وهم أيضاً ينقسمون قسمين : فعاص متعمد مثل إبليس وحزبه ، وعاص يريد الإرتقاء إلى ما ليس له ، وذلك يريد به طاعة لا خلافاً ، فالمؤمن المذنب ، مؤمن إن شاء الله إذا خرج إلى الفعل ، والمؤمن المعصوم مؤمن حقاً ، كذلك الملك المذنب ملك بالقوة لم يخرج إلى الفعل إن شـاء الله ، والملك المعصوم ملك بالفعل ، فجميـع المخلوقين متسـاوون بالاسم والصنعـة والمعنى ، وذلك منفي عن الباري جلّ وعزّ لأنه لا يشبه المخلوقين بوجه من الوجوه ، لا بـالاسم ولا بالصفـة ، ولا بالمعنى ، لقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[27] ومثل قـوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾[28] وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾[29] . يعني أن جميع الأسامي منفية عنه .

هذا قوله أعلى الله قدسه ، أبان فيه المستقر والمستودع ، والملائكة الذين بالفعـل ، والملائكة الـذين بالقـوة ، وكيف الذنـوب التي نسبت إليهم ، فالمـلائكة المعصـومون هم الأئمـة ودورهم دور الكشف ، لما كـان قيامهم بـالعلوم اللطيفة الملكـوتيـة التي لا شـك فيهـا ، ولا شبهة يعـتريها ، لأن الشكـوك والشبهات واعتقـاد الأمور عـلى غير حقـائقهـا ذنـوب ، وكـان الأنبيـاء (صلعم) دورهـم دور السـتر ، وإظهـار الشرائـع ، والعلوم الجسدانية ، التي تعتري المعتقدين لهـا على ظـواهرهـا ، بغير رجـوع إلى أهل الحقـائق ، فتلك الذنوب (138) والخطايا ، وينسب ذلك إلى الأنبياء (صلعم) .

وأول الأنبياء آدم فوقع عليه الـذنب أولاً ، ثم رجع بـالعصمة ، واستحق دخـول الجنـة ، بعـد تـوبتـه من ذنبـه ، وفـراقـه لجسـده ، فصـار ملكـاً بـالفعـل ، وكـذلـك الأنبياء (صلعم) يكونون ملائكة بالقوة ، فإذا إعتراهم الذنب[30] رجعـوا إلى التوبـة ،

(25) سورة 38 آية 24 .
(26) سورة 48 آية 1 ، 2 .
(27) سورة 42 آية 11 .
(28) سورة 20 آية 110 .
(29) سورة 19 آية 65 .
(30) الذنب : الذناب في ن .

وصاروا في العصمة ، بعد فراق الأجساد والأشكال ، والرجوع إلى المعاني في دار اللطافة التي هي دار المأوى والمآل .

وكان المصرون على الذنوب والخطايا ، التاركون للتوبة والإستغفار هم الأبالسة والأشرار ، وأولهم الحرث بن المرة[31] الذي تكبر عن السجود لآدم ، ورفع نفسه عليه بضلاله ، وكفره ، وشيطنته ، إذا نظر إلى جسده الكثيف ، ولم يشعر بالروح اللطيفة ، والنفس الشريفة التي أمد بها آدم ، وكان إبليس لعنة الله عليه ، مدلاً بكونه من بقية أهل دور الكشف ، وأن عملهم أقرب إلى اللطافة ، وأن آدم صاحب ستر وظاهر ، فأوقع إبليس ظنه الكاذب في خطيئته ، وباء بطرده عن دار ثواب الله ولعنته ، وقد أبان مولانا صاحب الرسائل صلوات الله عليه في رسالته الجامعة ، كون إبليس كان من أهل دور الكشف ، وأنه تكبر بذلك على آدم ، وامتنع عن طاعته ، والسجود له ، حيث قال (ع) : إعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن إبليس هو اسم مشتق من الحيرة والضلال ، ومن ذلك يقال إبليس للرجل ، إذا انقطع ، وتحير ، ووقف من الأمر الذي هو أصلح له لو فعله . كذلك إبليس لما أمر بالسجود لآدم ، أبلس ، بمعنى تحير[32] ، ووقف ، وكان تحيره ووقوفه عن السجود لآدم إستصغاراً له ، وإستكباراً عليه ، لما ظنه في نفسه من الجلالة ، وأنه بقياسه قد بلغ إلى حد الكمال ، فأبى واستكبر ، وأخلد إلى المعصية والخروج عن الطاعة ، وقيل له : إنك لست من العالين . (139) فكابر واستكبر ، وراجع القول وكرر الخطاب ، ثم أصر وأظهر ما كان يجنه ويخفيه من المعصية من حد القوة إلى حد الفعل ، وهو بالحقيقة شخص[33] من بقايا أشخاص آخر دون الكشف الأول ، ممن كان قد لحق بعض شرائطه ، وواقف على شيء من معلوماته ، فلذلك قيل إنه كان من الجن ، وأنه فسق عن أمر ربه ، ولذلك كان يقال لمن لحق دور الستر من بقايا دور الكشف الجن ، إذ كانوا بنوع مخالف لنوع أهل دور الستر ، وقد جاء في الخبر أن إبليس لما خلق آدم كان يمر به وهو ملقى على باب الجنة ، وهو جسم لا روح فيه ، وأنه كان ينقره ويركضه برجله (ويحدث نفسه)[34] فيقول : سأظفر به فانه أجوف . ومنه قوله : ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[35] فلما جهل دور الستر

---

(31) المره : المروة في ن .

(32) تحير : حار في ن .

(33) شخص : سقطت في م .

(34) ويحدث نفسه : سقطت في ن .

(35) سورة 7 آية 12 .

أبى أن يسجد للذي هو أول خليفة قام به بأمر الله ، وأراد إبليس أن يكون هو القائم بذلك الأمر ، فأخلف الله ظنه ، وجعله تابعاً لا متبوعاً ، فلما استكبر وأبى ،وفسق وأنكر ، وخرج عن الطاعة ، وخدع آدم فغره ، وغشه[36] ، وعارضه بمذاكرة علم دور الكشف ، وما فيه من الفوائد العقلية الباقية الخالدة ، إلى قوله فإذا بالبرهان ، أن إبليس هو شخص تكبر عن قبول الحق ، وخرج من جملة أهل الصدق ، وأصر على عداوة من أمره الله بطاعته ، ونهاه عن معصيته وكان ذلك اختياراً منه غير مضطر إليه ومجبور عليه ، وإن الشيطان هو أول الأشخاص التابعين له على ذلك الأمر ، والمساعدين له فيه ، والقائمين بالمعاونة له في مقامه النائبين في الضلالة منابه .

وكذلك الأبالسة والشياطين أجمعون ، وهم موجودون في كل زمان مع كل من أقامه الله سبحانه من أنبيائه ، ورسله ، وأئمته ، وخلفائه ، حتى يكون إنقراضهم ، وزوالهم ، وفنائهم ، بزوال دور الستر ، وظهور دور الكشف . فعند ذلك يذبح إبليس اللعين ، (140) وترسل الشهب المحرقة على الشياطين ، فلا يبقى منهم أحد ، عجل الله ذلك بمنه[37] وقدرته ، حتى يكون العالم سعادة كله .

هذا قوله (صلعم) قد ذكر فيه إبليس وتكبره عن طاعة آدم ، وكونه أدل على ذلك بسباقته في الدول الأول . ولم يطع آدم ويقر بما خصّه الله من المقام[38] الأفضل ، وأن الأبالسة في جميع الأدوار قائمون بإزاء الأنبياء الأخيار ، والأوصياء ، والأئمة الأبرار ، وأنه لما كان محمد (صلعم) أفضل الأنبياء ، ودوره أتم الأدوار كان إبليس في دوره إبليس الأبالسة الأشرار ، وهو الذي عارض وصيه في عالي رتبته ، وسامي منزلته ، وأبى عن طاعته ، وقال : أنا خير منه أولاً ، لا بما كان يسمعه[39] من العلماء في دور عيسى من التأويل ، فظن أن الفضل له على من نشأ في عصر النبي (صلعم) القائم بالتنزيل ، فنهض عن ذلك واستكبر ، وولى عن إجابة الحق وأدبر ، وقد رمز بذلك سيدنا المؤيد قدس الله روحه ، فقال : وعلى قدر قوة صاحب كل دور قوة إبليسية ، ودوركم هذا خاتم الأدوار ، وإبليسه خاتم الأبالسة الأشرار ، وأن الشيطان هو الذي إتبع إبليس الدور على مكره ، وكان ثانياً له في أمره .

---

(36) وغشه : خدعه في ن .

(37) بمنه : منامه في م .

(38) المقام : القوام في م .

(39) يسمعه : سقطت في ن .

وقد أبان ذلك وأظهره الله على لسانه ، فقال : ﴿ إن لي شيطاناً يعتريني ﴾ فلا تزال الأبالسة ، والشياطين[40] معارضة لأولياء الله ما دامت الدعوة مستورة في حد التنزيل والتأويل ، ويوقعون التحير على المتبعين بما يدخلونه في الدين بالأباطيل ، فإذا قامت القيامة[41] وظهر صاحب التأويل الكلي ، وبان البرهان الجلي ، ذبح إبليس ، وزال التحير والإنكار ، وأحرقت الأبالسة بطوفان النار .

نرجع إلى قصة آدم (ع) فنقول ما قاله الداعي جعفر بن منصور اليمني أعلى الله قدسه في كتاب أسرار النطقاء[42] (141) حيث قال في ذكر آدم (ع) : وهو ينتقل من درجة إلى درجة ، ومن حد إلى حد ، إلى أن أكمل الله خلقه وأتم أمره ، واستحق الخلقة الروحانية ، والنفحة الصورية ، فقال تعالى : ﴿ إني جَاعِلٌ في ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[43] وهذا الخطاب من إمام الزمان الذي هو القائم لأهل زمانه ، صلوات الله عليه ، مقام الله سبحانه ، لأن الباري تعالى منزه عن الخطاب ، والخطاب لا يقع ولا يمكن إلاّ عن آلة مركبة منطقية حتى ينتهي النطق إلى حد المتكلم به ، فلما إستخلف الله آدم ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وأسكنه جنته ، أي دار الدعوة ، وحرم عليه ما حرمه ، وأزله إبليس وقاسمه ، وأخرج من الجنة ، واستغفر ربه ، واستقال ذنبه ، وتوسل بالأسماء التي علمها إياه أولاً وهي الخمسة الحجب النورانية التي إليها الدعوة أبداً . قال أبو عبد الله جعفر بن محمد (ع) : إن الله خلق من نور وجهه حجباً يسمى كل واحد منهم اسماً اشتقه له من أسمائه ، فالأول من أسمائه الحمد ، فسمي نبيه محمداً ، فهو مشتق من الحمد ، والاسم الثاني الذي هو العلي ، وأمير المؤمنين سمي علي ، وله الأسماء الحسنى اشتق منها الحسن والحسين ، كما اشتق علي من العلي العظيم .

وله اسم فاطر السموات والأرض ، فاشتق اسم فاطمة . فلما خلقهم عن يمين العرش ، قال يا رب فبحقك عليهم ، وبحقهم عليك ، من هؤلاء الخمسة ؟ قال : يا آدم هؤلاء صفوتي وخاصتي ، خلقتهم من نوري ، واشتققت[44] لهم أسماء من أسمائي ، قال : يا رب فبحقك عليهم ، وبحقهم عليك ، ألا علمتني بأسمائهم ؟ قال :

---

(40) والشياطين : شطاين في ن .

(41) القيامة : المقامة في ن .

(42) أسرار النطقاء : من تأليف الداعي جعفر بن منصور اليمني تحقيق الدكتور مصطفى غالب منشورات دار الأندلس بيروت ـ لبنان .

(43) سورة 2 آية 30 .

(44) واشتققت : سقطت في ن .

يا آدم إنه عندك سر من سري لا يطلع عليه أحد إلى أن أسألك عنه ، وأذن لكل منه . قال : نعم . قال : يا آدم فاعطيني عليه عهداً . فأخذ عليه ، وعلمه أسمائهم ، وعرضهم على الملائكة ، ولم يكن قد علمهم أحداً ، فقال : أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا : سبحانك[45] لا علم لنا إلاّ ما علمتنا ، (142) إنك أنت العليم ، الحكيم . قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبئهم بأسمائهم علمت الملائكة بأن آدم مستوع ، وأنه مفضل عليهم بالعلم الذي علمه الله عزّ وجل . فلما علموا ذلك دعاهم إلى السجود ، فكان سجودهم لآدم عبادة لربه ، إذ كان لهم طاعة في ذلك ولآدم كرامة ، إلاّ إبليس الفاسق فأبى أن يسجد لآدم ويقر له بالفضل .

فهذا قول مولانا الصادق (ع) أورده سيدنا جعفر بن منصور اليمني قدس الله روحه في بعض تأليفاته ، وهذه إشارة منه (ع) أن هذه الخمسة الأنوار خامسهم علي بن الحسين صلوات الله عليهم ، والدعوة من أول الأدوار إليهم ، إلى آخر الأدوار ، ومنتهى الأعصار ، وأن الله تعالى غفر لآدم لما توسل بهم إليه ، وقد يراد بذلك في عصر ناطق الدور (ع) أن أبا طالب إمامه وحده الذي أقامه عرفه علم هؤلاء واختصه بمعرفتهم دون الملائكة ،فلذلك[46] أمروا بالسجود والزموا الخضوع ، وهم اثني عشرة حجة ، فلما جرى إرتياب وإذاعة السر رجع إلى التوبة ، فتاب وتوسل بهؤلاء الذين علم أسمائهم أولاً ، الذين أخبر الملائكة بهم عند أمره له بتعريفهم بفضل هؤلاء وبركتهم ، وأنهم العناية الإلهية هنالك ، علمت الملائكة أنه مستودع ، وأنه مفضل عليهم باختصاص الله سبحانه له بتعليمه إياه دونهم .

فهذا يجري في دور كل ناطق يعرض عليه ولايتهم ، ويفترض عليه معرفتهم ، وطاعتهم ، فمن أقرّ نجا ، ومن تخلف هوى ، برهان ذلك وشاهده وموضحه ومؤكده قول مولانا الحسين (ع) .وقد سأله[47] رجل فقال له : يا بن رسول الله إن الله افترض علينا سؤالكم وطاعتكم ، بقوله سبحانه : ﴿ **فاسئلوا أَهْلَ الذِكْرِ إن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[48] . فهل افترض عليكم جوابنا ؟ فقال له : لا بل نحن المخيرون ، إن شئنا أجبناكم ، وإن شئنا حرمناكم ، لقوله سبحانه : ﴿ **هذا عَطاؤُنَا فَامنُنْ أوْ** (143)

---

(45) سبحانك : سبحنا لك في ن .

(46) فلذلك : كذلك في ن .

(47) سأله : سؤاله في ن .

(48) سورة 16 آية 43 .

أمْسِـكْ بِغَيرِ حِسَـابٍ ﴾[49] فمن سألنـا عما لا يعنيـه ، أجبنـاه بمـا يسخن الله به عينـه ، ويشـوي وجهه ، وقـد جرى مثـل ذلك من مـوسى بن عمران (ع) ،وقـد كان وجيهـاً عند الله ، ومن المقربين ، لما سئل ما لا يمكن في قدرة الله أن يكون مما تجاوز حده بقوله : ﴿ رَبِّ أرِنِي أنظُر إلَيْكَ ﴾[50] فأجابه بما ساءه ورده إلى غيره ، وأحوجه إلى سواه بقوله : ﴿ لَن تراني وَلكن آنظُر إلى الجَبلِ فإنِ آسْتَقَرَّ مكانَـه فَسَوفَ تَـراني فَلما تَجلى رَبُّـهُ للجبلِ جَعَلَهُ دَكاً وَخَرَّ موسىَ صَعِقاً ﴾[51] ودك ذلـك[52] الجبل خـوفا . هـذا ، وهو صفي الله ونجيه ، وكليمه ، وأعظم الخلق عنده ، فابتلاه وامتحنـه بالصعقـة ، والدكـدكة عنـدما سئل رأى ما يجاوز حده ، وطلب منزلة ليست له ، فكيف بكم وأنتم أقل منزلة ورتبـة ، فليعـرف كل امرء منزلـة نفسـه ، ولا يسـأل إلاَّ عـما بلغ بـه حـده ، ولا يجاوزه فيخرم الجواب ، ويراجع بما يسوء من الخطاب ، فما زالت الأنبياء المقـربون إلاَّ بسبب تطلعهم إلى المراتب العلوية التي ليست لهم ، ولا من حدهم .

فكـان ذلك منهم عصيـاناً ، لأن الـزيـادة في الـطاعـة عصيـان ، كـما أن التخلف عصيـان ، فقد ظهـر من كلامـه (ع) ما شرحنـا ، وبان مـا أوضحناه ،وهـذا الفصـل أيضاً في أسانيد سيدنا جعفر بن منصـور اليمني أعلى الله قـدسه ، فقـد صح واتضـح أن خطيئة كل ناطق هو ما يكون في دعوته من النفي ، فيقول في ابتداء أمره لا إله لكونه يأتي بالظاهر القشف الذي لا يبان فيه التوحيد ، ولا يظهر مراتب الحدود فتغـتر قواه ، ويكـاد يضل عن هُواه .

ثم يرجع إلى الإثبات قائلاً : الاَّ الله إثباتاً بعد النفي ودلالة على عـالم اللطافة عنـد التجرد من الكثافـة ، الـذي في أثنـاء ذلك تـوحيد إلاَّ لـه الحق ، وإقامـة الإمام المستقـر الذي هو بالرتبة الساميـة[53] أحرى وأحق ، فـإذا نصب الناطق أسـاسه ، وأثمـر بالعلم والحكمـة غراسـه ، قبل (144) قـربانـه ، وتم عمله ، وسلم وديعته إلى مستحقهـا ، وقضى ما عليه من واجب حقها ، أو رجع الأمـر إلى مستقره ، عنـد تمام العمـل ، وبلوغ الأجل .

والآن نـرجـع إلى حيث انتهى القـول في قصـة آدم (ع) ، وأنــه لما أهبط إلى

---

(49) سورة 38 اية 39 .

(50) سورة 7 اية 143 .

(51) سورة 7 آية 143 .

(52) ودك ذلك : ودك ذاك في ن .

(53) السامية : الساقية في ن .

التكليف ، وأمر بالقيام بالظاهر المحجوب عن أهل اعتقاد المعنى اللطيف ، وهاجر إلى اليمن ، ووقع ببرية مكة ، وفي هناك حجته الذي قدمه في طلب دار الهجرة بين يديه ، واجتمع به بعرفات ، فذلك إشارة إلى حد المعرفة الذي انتهى بيان تأويلها إليه ، وأمر ببناء مكة هجرة له ، وضرب[54] خيمة النور إشارة إلى مقام وصيه ، الذي تم به إيمانه ، إذا وجد مثله ، وأمر حدوده بالطواف حول قبته ، إشارة منه لأولياء دينه ، أن لا يلوذ إلاّ بوصيه الخالف له في رتبته ، وأخذ على ذلك العهود ، وكتم سر الله عن أهل الزيغ والجحود ، فعبد الأضداد الظاهر ، ومالوا عن الباطن ، ولم يعترفوا بفضل أهل الفضل ، إذ لم يعرفوا السر الكامن ، وأمر ولده هابيل وقابيل أن يقربا قربانهما ، ويظهر أسرهما ، الذي به يعرف الله إيمانها ، فتقبل قربان هابيل ، ولم يتقبل قربان قابيل ، فضل وزل حسداً لأخيه على ما أوتيه من المقام الجليل ، فأوى إلى ضد أبيه الذي أخرجه عن جفته وأزله ، وقتل أخاه ظاهراً وباطناً ، كما فعل[55] بأوصياء أنبيائهم المتكبرون في كل ملة ، ولم يزل قيام أهل الضلال والتضليل حتى ظهر هبة الله شيث السابع من أولاد هابيل ، فلما إبتدأ أول الدور بهذه الحوادث مثل خروج آدم عن جنته بزلته ، وقبوله رأي من نهي عن مناصحته ، وهبوطه ، وتوبته ، وهجرته من بلد إلى بلد لقوة ضده وغلبته ، جرى بمثل ذاك القلم ، وكانت المحنة بعده في الأمم ، فامتزج الصلاح بالفساد ، وتقارن الأولياء والأضداد ، وجرى الأمر في أئمة دور آدم (ع) (145) حتى انتهى دوره وشرعه ، وبلغ أمده المقدور وضعه ، وقام نوح (ع) بالأمر ، وهو الثاني من النطقاء بمثول النطفة[56] الجسمانية في الخلقة الشرعية ، فلولا شريعة آدم ونسخها بشريعة ألفها من شريعة السابق عليه ، وما اتصل به من مواد الملائكة المقربين التي عرضها ، وليس النسخ بمعنى إبطال ما يأتي به الإمام الأول ، وإنما المعنى في ذلك الذي هو الغرض وعليه المعول ، إن الأول يأتي بشرعه الموضوع رمزاً خفياً ، وظاهراً جلياً ، فيقوم الناطق الثاني بإظهار تلك الرموز برموز ثانية ، في شريعة أظهر من تلك المقدمة عليه ، وهي رموز ظاهرة أيضاً خلفها لمن يأتي بعده ، وهو وأساسه يعلمون خاصتهم تأويل شريعة الناطق السابق عليهم ، وكانت معجزة نوح بظهور الطوفان والسفينة ، فكان الطوفان ما شمل[57] قومه من ظواهر علمه ، التي زاخر تيارها ، وانتجبت سماء الحكمة هاملاً

(54) وضرب : وخرب في ن .

(55) فعل : فلعوا في ن .

(56) النطفة : النطفات في م .

(57) ما شمل : شبلل في ن .

أمطارها ، ونبعت الأرض المشار بها إلى حجته بزخارها ، فنصب سفينة مشيراً إلى وصيه الذي به من شكوك الظاهر وأمواج اختلافه النجاة ، وبالإلتزام به بكون الفوز والحياة ، كما فعل ناطق دورنا (ع) بإشارته وقوله : مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى . فلم يذكر السفينة إلاّ وقد وجد الطوفان وما دلهم عليها (حتى لا)[58] يغرقوا بارتكابهم طرف التمرد والعصيان ،فمن وقع في ظاهر علم الرسل تحير وتبلبل ، وغرق من حيث نفسه غرقاً يفضي به إلى الهلاك المفضي إلى درك الأسفل ، ومن التزم بالوصي وأئمة دورهم ، عارفاً بحقهم ، مغترفاً من تيار علمهم التأويلي البعيد عن مطلبهم ، والقريب من محقهم ، فقد اعتصم من الغرق بالسفينة ، والتزم ببقية (146) مما ترك آل موسى ، وآل هارون ، مما حملته الملائكة من تابوت السكينة ، وأقام نوح وصيه الذي هو سفينته ، وبه نجاة من اتصل به ممن شرف عنصره ، وزلت طينته ، وكان وصيه من أولاده وهو سام ، وضد سام حلم ، وذريته الذين هم[59] أضل من الأنعام ، وكان سوادهم تغييراً لهم عن البياض المشتق من النور ، وتشبيهاً لهم بالظلمة لظلمهم وبعدهم من الظل إلى الحرور .

ولم تزل الإمامة في ذرية نوح جارية ، والخيرات متصلة بهم من الحدود العلوية وإليهم متوالية ، حتى إذا تم دور نوح ومضى ، ووقع نسخ شريعته من الله وانقطع ، قام إبراهيم (ع) بدعوته ، وانتصب لإظهار الدين حنيفاً كما أمره الله في ملته ،وهو الثالث من النطقاء بمثول العلقة في الملة الحنفية ، فنسخ شريعة نوح (ع) ،وأقام شريعة نفسه ، وأقام رسومها ، وبين مفروضها ومسنونها ، بمادة الملائكة الروحانيين الذين هم[60] رسل رب العالمين ، إلى الرسل المبشرين ، كما قال جعفر بن منصور اليمني أعلى الله قدسه في كتاب تأويل الزكاة : إن الباري جلّ وعزّ لا يتصف بصفات إبداعه ، ولا يدرك كالمدركات من إختراعه ، فجعل له من خلقه صفوة روحانيين لا تدرك[61] صورهم بالعيان ، ولا يحيط بهم المكان ، ولا يفنيهم الزمان ، فمن عرف الملائكة على هذا السبيل ، كان إيمانه بهم إيماناً صحيحاً كإيمانه بالله الممتنع عن الصفات والإضافات ، وقد جاءت الأخبار في كثير من الروايات أن الملائكة كانت تأتي الرسل في صور الآدميين ، فيبلغون إليهم ما بعثوا به إليهم تلقيناً ومناولة ، من نطق إلى سمع ،

---

(58) حتى لا : سقطت في م .

(59) الذين هم : كذلك في ن .

(60) الذين هم : سقطت في ن .

(61) لا تدرك : أدرك في م .

بآلة الكلام المجسدة من ذلك ما رووه عن رسول الله (صلعم) أنه أتاه سائل وهو في مسجده ، وأصحابه جلوس حوله ، فقال له : ما الإسلام ، وما الإيمان؟ (147) فأجابه رسول الله (صلعم) بما أجابه ، وانصرف[62] الرجل . فقال رسول الله لأصحابه : أتعرفون من هذا ؟ قالوا : اللهم لا . قال : هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم ، ومشاهدتهم إياهم في صور الآدميين ، وهم ملائكة روحانيون .

وقد أوضح الله سبحانه ذلك في الآيات المتلوة في القرآن في قصة لوط وضيوفه ، وقصة إبراهيم وضيوفه ، وقصة[63] داؤد وخصومه ، إنهم يدركون بالعيان ، في صورة الإنسان ، ومما يدل على ذلك مما هو جار في العالم العلوي الإلهي المفترق الأجزاء المجموعة في العالم الصغير الذي هو الإنسان ، والعالم العلوي هو العالم البسيط عالم الفضائل والتأييد المتصل منه بالعالم الصغير الذي قد جمع فيه درجات الفضائل ، وعلم الرذائل ، فالنصر متبوعه والتوفيق مجموعه ، والتسديد مرجوعه ، والملائكة حفظته ومسكونه ، والرسل قراره[64] ومزروعه ، والحكمة كلامه ومسموعه ، والذكر مركبه ، والفكر بركته ، والصواب ثماره ، والصورة الإنسانية التي هي ممكنة في الخلقة البشرية جماله ، التي هي ما ظهرت فضيلة روحانية ، ولا لمع تأييد عقلي ، ولا أضاء نور إلهي ، ولا شرف جسم طبيعي ، ولا فتح بصر علوي ، ولا نطق لسان علمي ، ولا فهم سمع حسي ، ولا نزل ملك روحي ، إلى رسول قدسي ، والإنسان أحسن الخلائق تقويماً ، وأعدلهم تركيباً ، بجمع النفس والعقل ، بالحس والطبع .

فالنفس تحصد ما زرعت ، وتبلغ ما نحوه قصدت ، فتصلح لصحبته الملائكة عن مشاهدتهم لها ، ومخاطبتهم إياها ، ومعاينتهم[65] صورتها وهيئتها ، فلم تنفر الملائكة عن مشاهدتهم ، والتصور بصورتهم ، لما كانت إحاطتهم بشريف جوهرهم ، وكرم عنصرهم ، فهم نقلة الأنوار من العالم البسيط إلى الأنفس المتطولة ، إلى السعود المتحدة بالبشر في اختلاف الصور ، (148) فتؤدي عنها على قدر افهامها وترتيب صورها ، ولطافة حسها ، كالبشر الذي يصلح[66] للرسالة فيكون رسولاً ناطقاً مبعوثاً ، فمن ذلك أن الصور التي يتصور بها الملائكة هي هيئات التراكيب ، وما يتولد من صورها الطبيعية

---

(62) وانصرف : وصرف في م .

(63) وقصة : سقطت في ن .

(64) قراره : قرانه في ن .

(65) ومعاينتهم : وعيواناتهم في م .

(66) يصلح : يصالح في ن .

الدالة على الكوائن الحادثة بما هو أصلح لثباتها في المدة المعلومة ، وما هو أنفع لهم في الإشراف على تلك الصورة في عصر الرسول الناطق ، نور يتلألأ في نفس الرسول ، يورث صورته اللطيفة إجلالاً ، وعظماً ، وكمالاً ، وهيبة ، فيكون الرعب ضرته ، والغلبة قدرته ، فيجب أن يكون ذلك النور ملكاً قد صحب نفسه ليكون ذلك دليلاً إلى معرفة الصور التركيبية ، بتمكن إحاطتها بصور التركيب في نفس الرسول ، فيكون ذلك علماً متصلاً بالتراكيب الصورية ، وهو قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ ● عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ● بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[67] لاشرافه بها على تلك الغيوب الكثيرة. التي لا يمكن دركها ، إلاّ لمن استحق اسم الرسالة بتلك القوة التي لمعت في نفسه فسميت ملكاً ، وهذه القوة هي بدء الرسالة التي قال الله تعالى : ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَداً ● إلاَّ من ٱرْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾[68] فإذا هي إعتاد درك الصورة التركيبية التي هي إشرافه على الغيوب الإلهية ، إرتقى بها إلى عالم غيوب الخواطر ، والأذهان .

وعلم بها ما في الضمائر والأوهام ، بما قد تلألأ فيه من مفاتيح الغيوب ، التي بدأ عبارة الكلام عنها بالنطق باللسان ، الذي به مخارج الحروف عن الإستدلال عليها ، والإيماء إليها ، وهذه حال لا يتعرى عن الخواطر التي تلزمها بتمكن العبارة ، عنها لترجمة اللسان في عبارته ، هذا قوله قدس الله روحه ، مبيناً لاتصال الملائكة بالرسل ، وإتصال الوحي إليهم ، وذكر الإنسان (149) وجمعه للفضائل .

والمراد بالإنسان ههنا هو من خصه الله بتأييده ، فجمع الفضائل له ، خلاف الإنسان المذموم الجامع للرذائل ، والملائكة بالفعل الإمام وحدوده المقيمون لكل ناطق ، كما أقام أبو طالب نبينا محمداً (صلعم) ، وتلك سنة الأنبياء من قبله ، والملائكة بالفعل هم المتجردون عن ملابسة الأجسام . كذلك الإمام وحدوده قد تجردوا بلطافتهم عن الظواهر الجسدانية ، وتلطفوا بعلم الملائكة الروحاني والملائكة بالقوة هم الناطق وحدوده المؤدون لما اتصل بهم من عالم اللطافة ، تقريباً إلى إفهام السامعين ، وتجسيداً لما اتصل بهم من عالم اللطافة .

وقد أوضح ذلك سيدنا حميد الدين ، فجعل الملائكة الروحانيين عقولاً مستمدة

---

(67) سورة 26 آية 193 ، 194 ، 195 .

(68) سورة 72 آية 26 ، 27 .

من الإبداع الذي هو الإمام ، فحدوده منه ليستمدون وإليه يستندون ، قال بعض الحدود الميامين المعبر عنهم بأصحاب اليمين : ولقد غاصت أوهام عدد[69] كثير في شرح العقول ، وقد أوضح ذلك الداعي حميد الدين أعلى الله قدسه في (رسالته الوضية)[70] . ولكن أكد أن من تكبر على العلم الصادق ، وذلك كلامه حيث يقول : والذي هو نفساني ينقسم إلى ما هو حيوان مثل الإنسان ، والفرس ، والطائر ، وإلى ما هنالك من نبات مثل الخضروات والفاكهة[71] والشجر ، والذي هو حيوان ينقسم إلى ما هو ناطق مثل الإنسان ، وإلى ما هو غير ناطق مثل الحيوانات[72] ، والطيور ، والدبيب ، والذي هو ناطق ينقسم إلى ما هو ملك مثل الملائكة المفارقة للأجسام ، وإلى ما هو إنسان مثل الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة ، وتابعيهم . والملك ينقسم إلى ما هو إبداعي مثل الأول ، وإلى ما هو إنبعاث ثاني مثل النفس الناطقة .

وقد صادق حميد الدين في قوله هذا ، كلام جعفر قدس الله روحهما جميعاً ، وجعل ههنا الأوائل ملائكة منهم إبداع ، ومنهم إنبعاث ، خارجين عن الأجسام ، مقابلاً للأوائل الإبداعية ، (150) وجعل الأواخر الذي قال الإنسان هو الناطق ، وأساس دوره ، وإمام وحدوده ، متجسمين قابلين المادة الروحانية والتأييد ، فقد بان الحق ، وأنار الصدق ، وإذ قد أنبا عن إتصال الملائكة بالرسل ، والملائكة بالفعل ، والملائكة بالقوة ، على ما أتى عن الحدود الفضلاء ووضحوه بجلاء عنهم ممثولاً . فلنرجع إلى قصة إبراهيم عليه السلام وأن الله فضله وجعله عبداً ، ثم نبياً ، ثم رسولاً ، ثم خليلاً ، ثم قال : ﴿ إني جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾[73] فرقاه إلى أعلى الحدود ، وجمع له مراتب ما علم في الوجود ، فوجه وجهه للذي فطره ، وكان محل أمر الله ومستقره ، غير متوجه إلى الكوكب ، والشمس ، والقمر ، بل إلى من أبدع علم العقل والنفس ، لشرفه إليهما ، وارتقائه إلى أعلى المبالغ ، وتسلمه من إمام عصره ، وصاحب وقته ، الرتب الأربع التي هي مرتبة النبوة ، والرسالة ، والوصاية ، والإمامة ، فقضي دين والده نوح عليه السلام بتمام شريعته ، أي أولها الخاصة ، لأن كل قائم يقضي دين السابق عليه ، وهو الذي

---

(69) عدد سقطت في ن .

(70) الرسالة الوضية لا تزال مخطوطة لم تنشر حتى الآن وهي موجودة في مكتبتنا الخاصة .

(71) الخضروات والفاكهة : سقطت في م .

(72) الحيوانات : سقطت في ن .

(73) سورة 2 آية 124 .

يكشف حقيقة ما جاء به الأول ، ويبين معانيه ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وإبراهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ ﴾[74] لما كان موفياً بما أرسل به قائماً بحد الحقيقة التي بها تمام الدين وكماله ، لأن آدم أتى بالتنزيل ، وكان نوح بعده مقيماً للتأويل ، وإبراهيم أتى بالحقيقة ، وأوضح المعاني الدقيقة ، وهو آخر الثلاثة الآباء ، الذين أتوا بالشرائع ، وهم آدم ، ونوح ، وإبراهيم .

وجدد موسى شريعة آدم ، وجدد عيسى شريعة نوح ، ومحمد شريعة إبراهيم ، ووفى محمد بالحقيقة التي في ملة إبراهيم (ع) .

ولذلك أوضح محمد (صلعم) المشكلات ، وحل المفصلات ، لما أشار إلى وصيه الذي هو الخليفة من بعده ، معلناً بالقول : من كنت مولاه فعلي مولاه . فأكمل الدين وتممه ، كما أكمل إبراهيم دينه ، ووفى شريعة الناطقين قبله ، وخلف (151) إبراهيم عليه السلام ولديه إسماعيل وإسحاق ، فأقام إسماعيل في الوصاية والإمامة ، وجعل إسحاق قائماً برتبة النبوة ، والرسالة بين يديه ، وداعياً إلى الله باذنه ، وهادياً إليه .

وكان ذلك مما أوصى الله به إلى إبراهيم عليه السلام فأطاع ربه ، وأعطى كل ذي حق حقه . إن إبراهيم كان عند الله وجيهاً ومن المقربين ، ونزل عليه الأمر ، وعلى إسماعيل جميعاً ، ﴿ أن طَهِرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَٱلعاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[75] . فكان الظاهر البيت الكريم بمكة ، والباطن قيدار بن إسماعيل وارث النور هو وولده[76] وولد ولده ، إلى محمد وعلي ، صلوات الله عليهما ، وعدلت عن إسحاق وذريته كلمة الله ، وفي ما قصة الكتاب الكريم من تصديق إبراهيم للرؤيا التي أراه الله سبحانه من ذبح إسماعيل وتله للجبين ﴿ وفديناه بِذِبحٍ عَظِيمٍ ﴾[77] وهو لوط المكنى عنه بالكبش المنصوبة حجته بين يديه ، ومستودعاً لقيدار بن إسماعيل (ع) ، وعهد إسماعيل إلى ولده قيدار تسليم النبوة ، والرسالة إلى ولد أخيه[78] إسحاق ، فلم يكن لأحد من ولد إسحاق قيام بهذين الحدين ، إلاّ بإقامة صاحب الأمر له ، من ولد إسماعيل ، وجرى الأمر في المستقر والمستودع ، إلى أن إتصل إلى موسى الأمر ، وتمت أدوار الآباء الثلاثة ،

---

(74) سورة 53 آية 37 .

(75) سورة 2 آية 125 .

(76) وولده : وولاه في ن .

(77) سورة 37 آية 107 .

(78) أخيه : أخويه في ن .

وآن قيام الأبناء الثلاثة ، فتسلم موسى الأمر وعقد عليه يوشع بن النون ، وهو المشار إليه بأمر[79] لولي العصر والزمان ، فهذبه ورقاه ورفعه ، من حد إلى حد حتى بلغ أشده ، واتصل بشعيب شجرة الندا والمنادي ، ولي زمانه عدنان صاحب الأمر المستقر فيه الجاري من آبائه .

فلما بلغ موسى إلى ذلك الحد الشريف ، ونودي بالتأييد اللطيف ، وقيل له : ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[80] أي أمح ما أنت عليه من ظاهر الشريعة الأولى ، وجدد لك شريعة فقد تم أمرك واستوى ، فقام موسى بن عمران عليه السلام بأمر الله ووحيه ، وهو الرابع من النطقاء ، ممثول (152) المضغة ، وممثول الرابع من أوتاد البروج الطبيعية في الدين ، مقابل للشمس في الفلك الرابع من المدبرات ، فكان له من القوة والسلطان بهذه المقابلات في عالم الدين ما أظهر به المعجزات ، وأبان الدلائل بالآيات مثل العصى ، والحجر ، والبحر ، وسرى مهاجراً ببني إسرائيل من دار ضده فرعون ، كما هاجر آدم (ع) ، لأنه الرابع من الطالع ، فأول شريعة إبراهيم ، وأظهر معانيها الخاصة ، وأظهر شريعة نفسه ، وتوجه قبلة نوح إبتداء لتزاوج الأبناء بالآباء ، والمراد بذلك ظهور واحد الأعداد الفرد بعد الأزواج الثلاثة . كما قال الله تعالى : ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً﴾[81] واختص الله موسى كليماً من الشجرة المباركة بالوادي المقدس طوى ، والشجرة النفس ، واتصلت به بواسطتها مواد العقل ، واختاره الله من بين أهل الوقت لما يوحى إليه ، فلما كان رابعاً حدثت عنده الحوادث التي حدثت عند آدم ، فهاجر ببني إسرائيل ، وخلف فيهم هارون أساساً ووصياً ، فأضلهم السامري بعجله الخوار ، وتبعه المنافقون الأشرار ، ومن يبتغي الغرة في الدنيا والإفتخار ، وأصلح موسى ذلك لولي الله وكلمته .

فلما آن الأجل أظهر هارون الغيبة وولده فنحاس في حد الكفالة ، إشارة إلى سر مكنون ، وعلم مخزون ، بانتقاله في وقت الناطق من الله عزّوجل ، وذلك أن الآباء الثلاثة[82] كانت أسسهم أولادهم . فلما كان أول الأبناء أساسه أخوه ، نقله الله سبحانه ، وأوحى إلى موسى وهارون بإقامة يوشع بن نون حجة لولد هارون ، وهو أم

---

(79) بامر : سقطت في ن .

(80) سورة 20 آية 12 .

(81) سورة 56 آية 7 .

(82) الثلاثة : سقطت في ن .

موسى بالتربية ، وأخو هارون بالإقامة ، فلما إبتدأ[83] الأمر بذلك عند موسى كان حجة عيسى أمه في التربية مريم المجدلانية المسمى شمعون الصفا ، المكنى بالصباغ لصبغة النفوس بالأكسير الروحاني ، وإسباغه نعمة الله على من إتبعه ممن أراد اللطافة ، والترقي من العالم الجسماني ، وكان حجة آخر الأنبياء[84] الذي هو نبينا محمد (صلعم) ، أبي بن كعب ، وهو الذي عقد (153) محمد (صلعم) لولي الزمان ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مفرد عن الزوجية ، عالي عما أشير إليه من مقام الوصية ، موحد في الرتبة الرفيعة الصمدية ، لأنه خاتم الأدوار ، والقائم الذي هو مظهر الأنوار ، المكنى عنه بالكرسي صاحب العرش العظيم ، المتلطف عن التجسيم .

والعرش هو العلم الباهر ، والنور الزاهر ، الذي قال الله سبحانه : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾[85] . والثمانية الحاملون أساساً هم : آدم ، هابيل ، وشيث ، وسام بن نوح ، وأساساً إبراهيم إسماعيل وإسحاق ، وأساساً موسى هارون ويوشع ، وأساس عيسى شمعون الصفا ، فهؤلاء ثمانية حملة العرش ، لأن الخطاب متوجه إلى محمد (صلعم) ، وذلك الذي حملوه علم علي بن أبي طالب المنتقل من أول الأدوار ، ومبتدأ الأعصار ، وحملته في دور محمد (صلعم) فاطمة ، والحسن ، والحسين ، وزين العابدين ، والباقر ، وجعفر الصادق ، وإسماعيل ، ومحمد ابن إسماعيل ، صاحب الحقائق . منهم صلوات الله عليهم حملة السر الخفي الذي لا يظهره الله لأحد من خلقه ، إلاّ لهم خاصة .

سئل مولانا المعز لدين الله (ع) عن تأويل قول الله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[86] . فقال : الغيوب ثلاثة : الغيب الأكبر : هو الباري سبحانه لأنه غاب عن الأبصار والأوهام ، فلا يدركه بصر ، ولا يحيط به فكر ، ولا وهم . والغيب الثاني : هو الغيب التأويلي المغيب تحت الشريعة ، وهو التأويل بالحقيقة . والغيب الثالث : هو القائم لأنه في الغيب ، فالإقرار به فرض واجب .

قال سيدنا جعفر بن منصور اليمن قدس الله روحه ، في (كتاب الكشف)[87]

---

(83) إبتدأ : بدى في ن .

(84) الأنبياء : الأباء في م .

(85) سورة 69 آية 17 .

(86) سورة 2 آية 2 .

(87) كتاب الكشف حققه ونشره الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار الأندلس بيروت لبنان .

مؤلاً للغيب ، والكرسي ، والعرش ، يقول : قال الله سبحانه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّموَاتِ وَٱلأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾[88] . إلى أي علم ذلك عني وأحاط به ، قال : فالكرسي باب علم غيب ظاهر من الغيوب ، وهو باب الرقيم . والرقيم هو أمير المؤمنين ، فقوله : ﴿ كِتَابٌ (154) مَّرقُومٌ ● يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ ﴾[89] هم الحملة ، وقوله : ﴿ وسع كرسيه ﴾ في ذلك الباب علم السموات والأرض ، والعرش له صفات كثيرة مختلفة في كل نعت ، ووضع فيه القرآن على صفة واحدة ، قال : رب العرش العظيم . وقال : ﴿ ٱلرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ ٱسْتَوَى ﴾[90] أي مع الملك إحتوى ، فهذه الكينونية في الإبتداء ، ثم العرش في الفصل هو جار ، وفي أطرف وهو خياله ، فإن قال قائل : لم صار الوصل مفرداً من الكرسي ؟ قيل : ألم تعلم أنهما بابان من أكبر الأبواب في قلب القرآن ، فهما جميعاً غيبان ، وهم في الغيب مفردان ، فالوصل يعني به محمداً (صلعم) ، قال في الكلام لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي فيه مطلع للمبدعات ، ومبتدأ الأشياء كلها ، وضعة الأدوات ، وعلم الألفاظ ، والحركة ، والقول به وعلم العود والبدء .

والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد به علم الكون والمدى ، والحد ، والابن ، والشيبة ، والشيخ ، فهما لمن علم بابان ، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي ، وعلم الحدّ به من علم الكرسي ، ومن ذلك قال : (رب العرش العظيم) .

وقد قال جعفر بن منصور اليمن أعلى الله قدسه في أول الكلام والعرش له صفات كثيرة : واعلم أن كل من جاء بعلم فذلك العلم عرشه ، ومحمد عرش أيضاً ، وهو الوصل في وجه آخر ، وقد نطق بذلك يوم رفع أمير المؤمنين على عنقه لكسر الأصنام ، فقال : (الرحمن على العرش استوى) لأنه عرش الظاهر ، وأمير المؤمنين عرشه ، مثنى الظاهر والباطن جميعاً ، برهان ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُ وَٱلراسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾[91] أي قل لا يعلم تأويله إلاَّ علي اسم الله القائم في الخلق عز الله مبلغاً ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به بولاية علي بن أبي طالب ، لأنهم قد سموا بالراسخين في العلم ، وهذا أعظم برهان وأشفى .

---

(88) سورة 2 آية 255 .

(89) سورة 83 آية 20 ، 21 .

(90) سورة 20 آية 5 .

(91) سورة 3 آية 7 .

وقال جعفر بن منصور اليمن أعلى الله قدسه : فالكرسي باب ظاهر من الغيب الذي منه مطلع المبدعات ، فقد لوح قدس الله روحه بالعرش وربه ، فإن عرفت (155) العرش محمداً فهو[92] المؤيد الذي سلم له الرتبة العظمى ، وإن صرفته إلى العلم فيها (صلعم) منبع العلوم ، ومبين سر المكتوم ، وقد أبان ذلك في تمام الفصل ، ومن ذلك قال (رب العرش العظيم) لأن صفته أعظم من صفة الكرسي ، وهما في ذلك مقرونان يعمان ، ويخصان . وإن قيل يجب أن يعلم ما يصير العرش في أن صار جار الكرسي ، قال أعلم أنه صاره لأن كيفوفيته في الظاهر من أبواب النقباء وأينونيتها وجد رتقها ، وفتقها يوجد في باب العرش أن أحدهما من خيال صاحبه في الطرف ، بهذا يعرف العلماء ويستدل[93] على صدق دعواهم ، يختص برحمته من يشاء ، وهو القوي العزيز ، والحمد لله رب العالمين ، وتعالى رب العرش عما يصفون .

فهذه عرش الوحدانية لله قوماً أشركوا بالله ما ليس لهم به علم ، وقال الله (رب العرش العظيم) يعني رب الوحدانية عما يصفون ، فليس لله شبه ولا مثل ، ولا كفو ولد ، وله الأسماء الحسنى التي لا يسمى بها غيره ، وهي التي وصفها ، فقال : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾[94] ويخوضون في آياته بغير علم . فالذين كفروا أوليائهم الطاغوت ، بما حسدوا أولياء الله الذين لم يزالوا المختصين ، إلى قوله فارسل محمداً فكان دليل على ذلك النور ، والبرهان باذن الله . وكان فضله علينا عظيماً بما جاء به ، فقد أقام (صلعم) لأمته دليلاً وهادياً مهدياً ، فلما كان ما كان من يدل عليه من قراباته في حياته[95] وبعد وفاته ، بظاهر علمه ، ولم يعلموا أن الأمر للحجة فضلوا ، ثم رجع الأمر البدء في باب الكرسي ، لأن الله تعالى لما أراد أن يبتدع ملكاً ، أراد الله أنه علم وذلك علم ليس يوصف الله به بأين ، ولا يوصف العلم من الله بكيف ، ولا يفرد العلم من الله ، وليس بين الله وبين علمه حد ، فانشأ ما أراد من النشأة من ذلك العلم ، فكان الإنشاء غيباً عرش كل شيء بحده ، فكان فيه من الحدود ، والأمكنة (156) الكيفوفية ، والأنيونية ، والفصل والرتق ، والفتق نشأتها ونيرانها ، وظلمها وأطباقها ، وأبوابها وعدد بدايتها ، وأسبابها وأعلامها ، وأحكامها

(92) فهو : فهوات في ن .

(93) يستدل : دل في م .

(94) سورة 7 آية 180 .

(95) حياته : حيواته في ن .

وإثباتها ، وظهورها ، وبطونها ، كل هذا مرسوم معروش . فبنى عرشه على الماء عرش فيه كل شيء بأجله ، وحده ، وكيفيته .

وذلك قوله (رب العرش العظيم) . فالعرش العظيم في مكان هو هذا ، وفي مكان الصفة الغائبة التي لم يصفها الواصفون ، وهم المستحقون المختصون بهذا العرش ، ومن ذلك سمي الغيب الغائب ، لأن كل شيء خلق قبل كل شيء فهو غيب ، غائب عن هذا الذي هو بعد (. . . . . .)[96] والله أعلم بذلك كله ، فعلمنا أن الإنسان لا يستطيع أن يصف كيفوفية نفسه في الجرم ، كذلك كل غيب خلقه الله من غيبه لا يستطيع أن يصف ما قبله من الغيوب ، وكذلك الغيوب ما قبلها من أمهاتها ، وكذلك أمهات الغيوب لا يستطيع أن تصف[97] ربها ، لأنها لم تكن ، فكونها ، فبدأ سيدنا جعفر نضر الله وجهه بالإنسان وأنه لا يستطيع أن يصف نفسه ، وجعلها عنه غائبة ، ثم كذلك كل غيب أطلعه الله في غيبه لا يصف ما قبله من الغيوب ، أي كل حد من الحدود لأنه غيب صورته الروحانية عن الدرك لا يصف ما قبله من الحدود لأنهم غيوب ، غيب الله صورهم ، لأنه صورهم من[98] روحه ، وهم حملة عرشه ، وقد قال جعفر بن منصور اليمن نضر الله وجهه في صفوتهم في موضع غير هذا ، حجب مقربون ، ثم قال : وكل لمن فوقه مربوب ، وكلهم عن غيب ذي العزة محجوب ، ثم قال في الوصل : وكذلك الغيوب يعني الحدود لا يستطيع أن يصف ما قبلها من أمهاتها ، والأمهات ههنا أصله الذي منه العد والبدء ، وإليه المرجع والمنتهى ، وهم الإمام والحجة العظمى ، والباب التي هي الحروف الثلاثة المؤد التي لا شكل لها ، ولا نقط . ثم قال : وأمهات الغيوب لا تصف ربها ، وربها العين العظيمة ، وهو المبدع الأول الذي هو النهاية الأولى في عالم العقول ، والعين العظيمة (157) هو رب العرش العظيم .

وقد أوضح هذا سيدنا جعفر بن المنصور نضر الله وجهه ، حيث يقول في هذا الفصل : قال الله تعالى : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[99] فلما عرش هذا العرش بقدرته ، وفتق هذه الأركان في أساس عرشه التي سبقها بالعلم الكائن الذي فيه سبق الكائن ، فكان باباً لهذا العرش ، والباب الأول عرشه ، وعرش فيه هذه الحدود ، وسماه

---

(96) وجد في هذا المكان بياض بمقدار كلمة واحدة في كلا النسختين .

(97) تصف : يوصف في ن .

(98) صورهم من : صدرهم عن في ن .

(99) سورة 21 آية 25 .

عرفا ، وغيباً غائباً ، وهو الباب الذي أقامه الله بهذا العرش فأسر فيه علم الكائن الظاهر ، وسماه كرسياً . فقال : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم** ﴾(100) . المبدع فنصب الله حده الجاري في باب العرش قطباً ، فأقام عليه كل ما أنشأه في العرش ، ثم أذن لها فجرى بها قطب الجري إلى الباب الثاني الذي[1] يسمى الكرسي الذي فيه علم كل شيء ، فلما أن جرت على قطبها إلى باب الكرسي جعلها ثمانية وعشرين حرفاً .

فهذا الكلام سفر المعاني أن محمداً باب عرش الظاهر ، وعليا باب[2] عرش التأويل والظاهر ، وهما (لا لم)[3] طالب بابان عظيمان . فلما أظهر الغيبة لم يغب عن حده الجاري الذي نصبه ، يعني محمداً باب عرش الظاهر قطباً ، فجرى إلى الباب الثاني الذي سمى الكرسي الذي فيه علم كل شيء ، أي علم يسلم له ويظهر . فلما جرت على قطبها إلى الشريعة إلى باب الكرسي ، أي إلى علي جعلها ثمانية وعشرين حرفاً ، يعني نصب ثمانية وعشرين حداً ، اثنا عشر منها ظاهرة ، وستة من المهاجرين ، وستة من الأنصار الذين لم يزلوا ، ولم يضلوا مع الضالين ، وستة عشر حداً مكتومين ، مثل : فاطمة ، والحسن ، والحسين ، ومثل محمد بن أبي بكر الذي قال فيه (علي أمير)[4] المؤمنين : أما محمد فكان لي ولداً . فنسبه إلى أولاده لما كان منهم بانتسابه إلى دعوته التي ولد في حجرها ، وتولى صاحب أمرها ، ولم ينسب إلى أبيه الذي خالف أمر مولاه ، وأنكر أمره ، وتعداه .

نرجع إلى حيث إنتهى بنا القول : فلما نصب موسى يوشع بن النون مستودعاً مستقراً (158) لولد هارون ، والمعنه في إقامة المستودع بأمر الله سبحانه ستراً على أولياء الله ، وحجاباً على نوره المستقر ، لأن أولياء الله أنواراً شعشعانية لا يستطيع واصف كيفية ذلك ، فإذا أراد الولي إظهار الغيبة ، وولده النوراني القائم مقامه في حد الطفولية ، نصب له حجاباً ، وأقامه حجة له وباباً ، وأرى القاصرين أنه قد أقام من يخلفه في رتبته حتى يبلغ ولده أشده ، ويتسلم عهده ، ويقوم فيما له أقيم ، ويظهر أمر الله العلي

---

(100) سورة 2 آية 255 .

(1) الذي : سقطت في ن .

(2) باب : بوابا في ن .

(3) (لا لم) هكذا وجدت في كلا النسختين ولا ندري ما هو المقصود منها وربما كانت رمزاً من الرموز أو إشارة من الإشارات .

(4) علي أمير : سقطت في م .

العظيم . وأما الخاصة فإنهم يعرفون سر الله فيه ، وأن ذلك باباً له ، وحجاباً يدعو عبيده إليه ، ومن إليه . وقد روت الثقاة عن كثير من الأئمة عليهم السلام إظهار المعجزات في حال الطفولية والصبا[5] ، وأن بعضهم دخل إلى المعلم ، فأراد المعلم أن يكتبه فامتنع ، وقال أنا يد لا تعلوها يد ، وتلك يد الله ، قالت يهود الأمة يد الله مغلولة بقطع مرتبة الإمامة ، وغلت أيديهم ، أي منعت أئمتهم ، أن تبسط في دين الله حلا لأشكاله ، وتبيينا لأمثاله ، ولعنوا بما قالوا . أي طردوا عن الرحمة بما ظلموا واحتالوا : بل يداه مبسوطتان بإقامة حدوده القائمين بالتنزيل والتأويل ، الموضحين للمشكلات في جمع شريعة الرسول .

وقد روي أن هارون انتقل قبل موسى بثلاث[6] سنين ، وتسلم يوشع بعد غيبته ما في يد موسى لأولاد هارون ، وهاجر بعد موسى إلى أرض المقدس . أي أبان دعوة التأويل التي فيها معرفة العقل والنفس . وروي أنه قاتل في نهار الجمعة ، فلما جن عليه الليل فرَّ عنه بنو إسرائيل ، وقالوا : لا ينقص السبت كما أمرنا الرسول . فنهاهم عن الخلاف والعصيان فلم يقبلوا قوله[7] لقصورهم عن المعرفة والبيان ، فالتفت إلى المغرب ، ودعا الله بكلمات وهو إلى المغرب ملتفت ، فرجعت لهم الشمس ورآها من حضره بعين الحس ، وذلك كما فعل أمير المؤمنين (ع) بإرجاع الشمس بعد غيابها ، وكذلك فإنه تشاجر هو وضده الأول ، (159) وذكرهُ ما ذكر في فضله النبي المرسل ، فازداد عنواً وطغياناً ، وأنكر ما قد رآه عياناً فقال : إن أريتك رسول الله (صلعم) ، فقرر أمري ، وأنكر عليك ما أنت فيه من الظلم والتعدي[8] . قال : إذا أبوء بإثمي واقلع عن عصياني وظلمي ، فتقدم به أمير المؤمنين إلى مسجد رسول الله (صلعم) ، فلما رأى النبي كما كان يشاهده وبكته على فعله ، وخلافه لأمره ، وقوله وتعديه على وصيه ، بهت الذي كفروا أراد أن يرجع عما أورده من طغيانه واصدره ، فلقيه شيطانه الذي يعتريه وهو عمي فقال : انتفخ بسحرك ونفد سحر ابن أبي كبشة فيك ، وكذب اللعين رسول الله ، وأمير المؤمنين ، فاتبعه الظالم وصدقه ، وقبل من قوله ما زخرفه ونمقه ، وقال لم أصدقه في حياته فكيف أذعن لقوله بعد وفاته ، وتمادى على ظلمه ، وطغيانه ، وكفره ، وعصيانه .

---

(5) والصبا : والصبية في ن .

(6) بثلاث : سقطت في م .

(7) قوله : أقوالهم في ن .

(8) التعدي : العادي في ن .

ولما رأت صفرا بنت شعيب ما استوثق[9] ليوشع من أمره ، واجتماع أُمة موسى على طاعته في عصره ، حسدته واجتمع إليها المنافقون ، فقامت عليه وجرت بينها وبينه الحروب ، وظفر بها ، وكان ذلك كفعل عائشة لعنها الله وتابعيها في قيامها على علي وصي الرسول ، فحذت[10] كحذوها ، ونهجت سبيل نهجها ، وفعلت كفعل عناق بنت آدم حيث قامت عليه ، وأتت ببهتان عظيم . وركن المنافقون والحاسدون للوصي إليه ، وجرى التسليم من يوشع بن النون لفنحاس[11] بن هارون عند بلوغه أشده ، وسلم إليه ما أمر بتسليمه حافظاً لوصيه نبيه ، وبذلك جرى الأمر في اتماء دور موسى[12] المستودعين ، وهم مستمدون من الأئمة المستقرين ، شاربون من سلسال علمهم المعين ، حتى إتصل الأمر بزكريا وكانت حجته شمعون الصفا المعرب عنه بمريم المجدلانية ، وهو الموضح لفضل خزيمة بن مدركة ، بصدق القول ، وصفاء[13] النية ، فعقد على عيسى ، وأخذ عليه عهده ، ونطق بالحكمة وهو في حد الصبا ، ولم يجاوز الإستجابة (160) يومئذ حده ، وكان خاله يهوذا سخربوطا ، يتولى تربيته[14] وتعليمه ، وكان مولد عيسى بناصرة فسمى اتباعه النصارى ، وذكر أن خاله يهوذا هرب به إلى إنطاكية ، فأقام معه حتى جرى بينهما غضب ،فطلب عيسى (ع) يستعتبه فأبى ، ومُلىء يهوذا عليه حقداً ، وغضبا ، وحسدا له على فضله الذي اختص به ، ولم يقبل منه إمارات الفضل ، .وعلامات النصر ، فمضى عن عيسى خائفاً منكتماً ، ووقع في يد الصباغ المعروف بشمعون ، وانتسب له وانتمى ، فعرفه شمعون وأدناه ، وقربه ، وأكرمه ، ورباه ، وعلى أهل دعوته إنتجبه حتى علت عنده درجته ، وعظم قدره لديه ومنزلته .

وصار يمد مربيه شمعون بحد البيان ويفيده ، لما اتصل به التأييد بوساطة صاحب ذلك الزمان ، وهو ما حكاه أعز القائلين أن زكريا كلما دخل على مريم وجد عندها رزقاً ، فيقول : أنى لك هذا قالت هو من عند الله ، يعني عن القائم المنتظر أن يكون ولياً للإله ، والرزق هو العلم الذي يجده عندها ، وتلقاهُ قد واصلها به من كانت تربيه

---

(9) استوثق : وساق في ن .

(10) فحذت : فحازت في م .

(11) الفنحاس : فنخاس في م .

(12) موسى : سقطت في ن .

(13) صفاء : صفوات في ن .

(14) تربيته : ترابية في م .

وأمدها ، وعلم عيسى عالي على علم زكريا لكونه ناطقاً للرسالة من ربه قد تهيأ فدعا زكريا ربه أن يعيضه مريم ، فبشر بيحيى ، وأتاه الله ﴿ الحكم صبياً ﴾[15] وكان ظهور عيسى المسيح على يديه ، كما ذكر ذلك الداعي جعفر بن منصور اليمن نضر الله وجهه في كتاب (سرائر النطقاء)[16] وذكر أن مريم أم عيسى رفعته إلى يحيى ليصبغه فقال له يحيى : كيف يصبغ العبد مولاه ؟ فقال له عيسى : اليوم لك ، وغداً لغيرك . فقام عيسى بأمر ولي زمانه ووحيه من غير مشافهة ، ولم يتصل عيسى بعمران صاحب الدعوة في ذلك الزمان ، ولا كان قيامه إلاّ على يدي حجة صاحب الزمان ، وعيسى خامس النطقاء ، ممثول العظام ، فدل المثل على الممثول أنه لا هجرة له ، فيقيم به الحدود ظاهراً وباطناً .

وكان يسيح في البلدان ، ويمسح الجزائر والأوطان ، فسمى المسيح لمساحة الأرض ، والمعنى في (161) تسمية النطقاء بآدم ، والنطفة نوح ، والعلقة إبراهيم ، والمضغة موسى ، والعظام عيسى ، والسادس اللحم ، والسابع الخلق الآخر ، أي أن العلم ، والدين ، والحقيقة ، في الثاني أظهر من الأول وأشهر ، وأقوى شيء فشيء حتى يظهر تمامه بظهور الناطق السابع ، القائم صاحب الكشف والظهور ، والبهاء والنور .

وبرهان ذلك من المثل المحسوس أن الحياة الهيولانية في الأمهات كالسلالة ، وفي الأرض كالنطفة[17] ، وفي المعدن كالعلقة ، وفي النبات كالمضغة ، وفي الحيوان كالعظام ، وفي البشر كاللحم ، ولطائفهم كالخلق الآخر التي هي الحياة بالحقيقة ، وظهرت قائمة بالفعل بعد القوة ، وكذلك ظهور حقيقة العلوم بكشف التأويل المحض على يد الخلق الآخر الذي هو الناطق السابع القائم ، فعلى هذا المعنى حملت هذه الأسماء .

فلما قام عيسى نسخ شريعة موسى ، وألف شريعة نفسه ، وتوجه قبلة آدم لتمام الزواج الذي قدمنا ذكره ، وهو ما حكاه أعز القائلين أن مثل عيسى كمثل آدم ، وأقام حدود دينه رمزاً ، وأمر بالصليب وجمع فيه جميع المثل الدال على الممثول ، وهو تحت السر منكتم ، وأظهر المعجزات[18] الباهرة ظاهراً وباطناً ، مثل إحياء الموتى ، وإبراء

---

(15) سورة 19 آية 12 .

(16) سرائر النطاق من تأليف جعفر بن منصور اليمن حققه ونشره مصطفى غالب من منشورات دار الأندلس .

(17) كالنطفة : النقطة في ن..

(18) المعجزات : العزات في م .

الأكمة ، والأبرص ، وخلق الطير باذن الله . فلما آن الأجل ، وانقض[19] المهل ، نصب مربيه شمعون الصفا كما نصب أول الأبناء مربيه يوشع ، فلما آن الوقت أظهر عيسى الغيبة بالقتل ، وسعى فيه يهوذا حسداً لشمعون ، وباعه من اليهود ، وهو الذي دلهم عليه ، فشكوه بالحراب وصلبوه ثلاثة[20] أيام ، وقبر بعد ذلك . وكن نسوة في المدينة مؤمنات يزرن قبره ، فلما كان في اليوم الثالث سبقت إلى القبر امرأة فنظرت إليه وقد خرج من قبره ، وتجرد من اكفانه ،، وطرحها ونفض رأسه من التراب ، فراحت تلتقفها النسوة فاخبرتهن فرجعت فاخبرن أهل المدينة بذلك ، فخرج القوم فنظروا إلى ذلك ، فوقع بينهم جدل وشك ، وقالوا أن الإمرأة[21] نصرانية ، والنصارى أخرجوه من قبره (162) وقبروه في مكان آخر ، وقالوا والمرأة الواحدة لا تقبل شهادتها ، وكانت الإمرأة حرة كريمة معروفة من أشراف أهل المدينة ، فصدقها من هي عنده بهذه المثابة .

وروي أن يهوذا خاله عرف حقيقة ذلك ، فأخذ حربة فترك عليه صدره فأخرجها من ظهره ندما عليه ، واقتصاصاً بما فعله ، وكان القوم يشرفون يهوذا . فلما نظروا إليه (وهو على هذه الحالة)[22] عند القبر ، (فتقاتلوا وقتل منهم)[23] عالم كثير . وروي أن الأرض تزلزلت وهو على الصلبوت ثلاثة أيام ، فلما وقع القتل بينهم على القبر صدق من صدق أنه خرج ، وكذب من كذب ممن شك أن النصارى أخرجوه وأشاعوا ذلك ، وأراد الله صحة ذلك يقينا فظهر لتلامذته في جبل الزيتون ، وأنهم إجتمعوا إليه وقالوا : أما تعلمنا أن نحي الموتى بدعائنا كما رسمته لنا ، وكما كنت أنت تفعل وتحي الموتى بدعائك ؟ فقال لهم : حقاً أقول لكم إنكم متى دمتم على ما قلته لكم تكونوا أبناء الأب ، كما كنت أنا منه كل ذلك . يحثهم على إقامة الدعوة والتحرز من الاختلاف .

وكان توما في ذلك اليوم غائباً عنهم ، فلما حضر أخبروه فأقر بلسانه ، ولم يصدق بقلبه ، وأظهر أسفاً على لقائه ، واستعظم الأمر واستهاله ، ثم ظهر لهم ثانية ، ولم يكن توما معهم ، فأوصاهم بما أوصاهم ، وراحوا فاخبروا توما ، فاستعظم ذلك ، وأظهر الأسف[24] ، ولم يصدق بقلبه ، ثم ترأى لهم في الثلاثة ، وكان توما حاضراً فأقبل عليه

---

(19) وانقض : سقطت في ن .

(20) ثلاثة : سقطت في ن .

(21) الإمرأة : مرأة في ن .

(22) وهو على هذه الحالة : سقطت في م .

(23) فتقاتلوا وقتل منهم : سقطت في ن .

(24) الأسف : السلف في ن .

المسيح باللائمة فكان فيما قاله : يا توما إنك لم تقبل القول ، ولا صدقت اخوانك ، فيما أخبروك به . ففزع توما من قوله واعتذر ، ثم أقبل على الجميع ، وقال : أنا ابن الحق ، وأبدعني فليس يعرف مثلي ، لأن الله سبحانه يعرف إسمه ، وليس يعرفه[25] حق معرفته سواه ، وقال للحواريين : ما يقول الناس في ظهوري ؟ قالوا : إن طائفة تقول : إنك ظهرت من يحي ، وطائفة تقول : من يوسف بن حبيب . قال لشمعون : ما تقول أنت في (163) ظهوري ؟ قال : أقول إنك من نور الله الحي الذي له ملك السموات والأرض ، ولست لحماً ، ودماً ، ولا من نطفة تمنى . فقالوا له : يا شمعون ما دليلك على ذلك ؟ قال : يصرف كل واحد وجهه وبصره ، فلينظر قوم إلى المشرق ، وقوم إلى المغرب ، وقوم يميناً ، وقوم شمالاً ، وقوم إلى السماء ، وقوم إلى الأرض ، وكل ينظر إلى المسيح حيث ظن ، فحزوا له سجداً وقالوا لعيسى : يا باب النور لم أمكنت اليهود من نفسك حتى قدروا عليك ؟ فقال لهم : أنا أمكنتهم من أنفسهم لأنهم تعاموا[26] عني ، ومن أرسلني ، فجهلوا بي ولم يعرفوني ، فلو عرفوني وعرفوا الذي أرسلني ما ذاقوا الموت ، وعلموا أن ما على الأرض شيء لا تحت خنصري وغاب عنهم (ع) .

فجرت هذه الحادثة عند عيسى بالنقلة وإظهار الحياة بعدها ابتداء الأمر جارية فيما بعده ، واختلفت النصارى ، وهرب شمعون بنفسه عنهم ، وادعى كل واحد منهم أنه مختص عيسى (ع) ، وبذلك نص القرآن الكريم : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[27] وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ، وجرى الأمر في (. . . . .)[28] الأمر من أتماء دوره وقيامهم على أمر الأئمة المستقرين من أولاد إسماعيل وموادهم من أولاد إسماعيل أهل الإستقرار ، الذين هم مقيمون على ملة أبيهم إبراهيم ، ولم يدخلوا في أمر موسى وعيسى ، عدلاً من الله تعالى ليعرف أهل الحقائق فضلهم ، وأن أولاد إسحاق يستمدون من أنوارهم ، وقائمون برتبة الإستيداع عن أمرهم ، وسلم قصي الأمر إلى ولده هاشم عبد مناف بن قصي ، واسمه المغيرة ، فقام بأمر الله ، وأخذ سدانة البيت ، بيت أبيه إبراهيم خليل الله ، فلما تم أمره ، سلم الأمر إلى ولده هاشم عند تمام أمره،

(25) يعرفه : عرفه في ن .

(26) تعاموا : عموا في م .

(27) سورة 4 آية 157 .

(28) وجد هنا مكان بياض بمقدار كلمة أو كلمتين في كلا النسختين .

واسمه عمر ، والعلي ، وهو (. . . . .)[29] وعمرت[30] الدعوة باسمه ،.وعلت حدودها بما أيدهم به من علمه .

وكانت سدانة البيت بيده دليلاً على مقاليد السموات والأرض ، أي علم إسماعيل ورتبته ، وعلم إسحاق ورتبته ، فلما انقضى الأجل سلم ولده عبد المطلب ، فاجتمعت عنده الرتب (164) ، وشمله النور ، وآن الظهور ، فأبدى المستور ، وهو القائل : أيها الداعي لقد اسمعتني منهج الحق ، وما بي من صمم ، نحن آل الله في بلدته لم نزل ذاك على عهد إبراهيم ، إن للبيت لربا مانعاً ، من يرده بفساد يصطلم ، هلكت بالبغي منهم جرهم ، وطسيم الحي من حي آدم ، ولنا الأبحر نطوي موجهاً ، ولنا التوراة والكتب القدم ، نحن سكان السموات العلي ، نقسم الأنوار فيها والظلم ، نحن أرسلنا التبيين إلى آل عاد وجد يس وأرم ، نحن أرسلنا نبياً صادقاً ، عربي القول موفي الذمم ، ولنا في كل دورة سطوة ـ نقسم الأرزاق فيها والعدم ـ ولكنا ملك عظيم قدره ، من يوالينا ينل كل النعم ـ فإذا ما بلغ الدور إلى ـ منتهى الوقت أتى الطير قدم ، بكتاب فصلت آياته فيه تبيان أحاديث الأمم . فنصح (صلعم) بما فيه من الأنوار ، وأبدى ما إنكتم لديه من الأسرار ، وأبانها لذوي الفهم والإستبصار ،وإليه أشار النبي (صلعم) فانقسم النور نصفين . وقال الله : كن يا هذا محمداً ، ويا هذا علياً .

وذلك أنه لما آن لعبد المطلب الأجل نص على ولده عبد الله (ع) بميراث أولاد إسحاق الذي هو النبوة والرسالة ، وسلم إلى ابي طالب (ع) ميراث ولد إسماعيل ، فهو الوصاية والإمامة ، فلما آنت لعبد الله النقلة ، إستكفل أبا طالب في رتبة النبوة والرسالة لولده محمد (صلعم) ، وهو في حد الكفالة ، فلما أوصاه بذلك نصب له بحير الراهب ، وهو آخر أئمة دور المسيح كفعل موسى حين غاب هارون ، فإنه استكفل يوشع لولده فنحاس ، وقام بحيرا تحت يد أبي طالب مقام يحيى بن زكريا تحت يد عمران ، ومثل قيام شعيب عن أمر صاحب الزمان ، وهؤلاء الثلاثة[31] هم شجرة النداء[32] التي خاطب الله منها كل قائم في رتبة الأنبياء ، ومن يقوم مقامهم في سائر الأوقات حتي تبليغ ما ينزل الله من الرسالات ، وإن كتم أبو طالب بحيرا واسمه

---

(29) وجد مكان النقاط بياضاً في كلا النسختين وهو مقدار ثلاثة أو أربعة كلمات .

(30) وعمرت : وعسرت في ن .

(31) الثلاثة : سقطت في ن .

(32) النداء : الغدا في ن .

جرجيس ، ونصب بحيرا الحدود ، ودعا (165) إلى صاحب العصر أبي طالب إمامه الحاضر الموجود ، وكان بحيرا في شريعة عيسى (ع) وهو لأئمة دوره الختام .

فافهم يا أخي ما شرحناه ، وتدبر ما أوضحناه ، وفقنا الله وأياك لمعرفة الحقائق ، وجعلنا ممن علت معرفته في العلوم الدقائق ، والحمد لله على نعمه المتوالية ، وأياديه المتواترة المتتالية ، وأسماء الله المتعالية .

الباب الرابع عشر : في ذكر محمد (صلعم) ، ومقامه الأفضل المحمود ، وما استحقه من الفضل ، وأنه خير الخلق وصفوة[33] الوجود . نقول : إنا قد ذكرنا من قصص الأنبياء عليهم السلام وبيان المستقر والمستودع ، وما فيه جلاء[34] لكل صورة تنير بأنوار المعاني وتشعشع ، وأنه كان قرب تمام خلق الدين وكماله ، وأن ظهور محمد (صلعم) ، فولد في أوان عبد المطلب بعد وفاة أبيه عبد الله ، ونشأ في دعوة عمه أبي طالب ، واتصل[35] بأبي بن كعب ، فعقد عليه وهذبه ، وعلمه ، وأدبه ، وقومه ، وكان أبي أحد الحدود المنصوبين على يد بحيرا الراهب في الدعوة إلى صاحب العصر أبي طالب ، فلما استوفى ما عند أبي رفعة إلى صاحب الجزيرة ، والقائم بالدعوة المنيرة ، وهو زيد بن عمرو ، فأقام عنده حتى استوفى حده ، واستكمل ما عنده ، ونقله إلى بحيرا الراهب فسلم منه رتبة الإستيداع ، واستوفى ما لديه من درجة النبوة والرسالة على كمال الأوضاع ، واتصل بعد ذلك بحجة الإمام ، وهي خديجة بنت خويلد ذات الفضل العظيم ، والقدر الكريم ، فاطمة الزهراء التي منها ظهور أئمة الهدى ، فزاوجته خديجة ظاهراً وباطناً ، استأجرته في رعي أبلها ، أي في إفادة حدودها كما استأجر شعيب موسى في غنمه ، وقد قال النبي (صلعم) : أقمت مع جبرائيل عشر سنين ، ومع ميكائيل عشر سنين ، ومع إسرافيل عشر سنين ، فتلك إشارة إلى تعلمه من هؤلاء الحدود وترقيه عندهم في مراتب العلم التي بها الحياة والكمال الثاني (166) والوجود ، فاتصل بحجة صاحب الوقت كما ذكرناه التي هي نفس الكل والعقل ، فهو أبو طالب صاحب مقام العظمة والنور ، والولي الذي في يده أزمة الأمور .

وكان إسلام خديجة له تسليمه مراتب أولاد إسحاق ، واستيفاءه مراتبهم التي إستوجبها باستحقاق ، وإسلام علي بن أبي طالب (ع) وهو تسليمه إليه أعلى

(33) وصفوة : صفاء في ن .

(34) جلاء : جلل في م .

(35) واتصل : وفصل في ن .

المراتب ، وإرقاء[36] له ، إلى أسمى الفضائل ، في دعوة أبيه أبي طالب (ع) .فلما استكفله أبو طالب بالإستيداع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وأرقاه إلى معرفة ربه ، وكشف له عن ما أجنته دعوته ، من الفضل والتمام ، عرف لأمير المؤمنين من عالي رتبته ، وعرف بها بني[37] عبد المطلب الذين هم حدود أبي طالب المنصوبون في دعوته ، فحينئذ توجه داعياً إلى ربه ، ومبيناً[38] لفضل وصيه علي الذي بكسره الأصنام على جنبه ، ونصب أبي بن كعب دونه أساساً لدعوته ، ورفع علياً (ع) إلى ما عجزت أوائل الحدود وأواخرها عن نعت صفته ، وقد سأل رسول الله (صلعم) جابر بن عبد الله الأنصاري عن بلاغه فقال : يا جابر أنا ابن كراث ، وممتحن أوقات ، ولدني عبد الله ، وتبلغني أبي فغمرني فضل من ربي فلحقت من سبقني ، وطرت على من تقدم علي حين أرفع أبو طالب حمزة ، وساوى فاطمة ، ولطف حليمة .

وكان لأبي طالب (ع) من الصفا ما لم يطل معه مقامه ، ولا دامت في المحنة أيامه ، فعرج نورانياً ، ولطف جوهرياً ، وأسبغ النعمة على من أتاب إليه[39] وأكمل التربية لمن إتكل عليه ، فكم تهلكة منها نشأت بها ، وكم من درة له فزت بطيبها ، ثم أوصى إلى حين غيبته ، وأمرني بإكمال كل ذي رتبة في رتبته ، فربيت المبتدى ورتبت المنتشى[40] ، وساويت من لحق بي وهو ضوي في الدرجة ، وابن عمي في النسب ، وقسيمي في الأبوة علي بن أبي طالب ، ظهر يتيماً فأويته ، وضالاً فهديته ، ثم طالباً فأوصلته ، ثم باباً فأشرت إليه ، ودللت عليه ، حتى إذا أكملت له أحد البابية الأعلى ، وصرت إلى الحجابية (167) الأولى ، رفعته إلى مكاني من أعلى البابية ، وحدي من الظلية .

وكان ذلك في وقت رفعته على منكبي إلى أعلى الكعبة فكسر الأصنام .

وكانت تلك إشارة مني لمن تدبر برواية لمن تفكر ، وذلك أن حملي له دليل على تبليغي إياه ، وأما إيصالي له إلى باب الكعبة فهلا[41] علم العارف أني قد بلغته إلى مرتبة

(36) وارقاء : ارتقاء في ن .

(37) بني : بين في ن .

(38) مبيناً : سقطت في ن .

(39) إليه : عليه في ن .

(40) المنتشى : سقطت في م .

(41) فهلا : مل في ن .

البابية لأني أنا الكعبة الحاملة للباب . وأما كسر الأصنام فليعلم العارف أن باب كل ملة رسول هو وصيه يتولى عذاب من جحده ، وثواب من أمر به ، وذلك أني حملته ، ولم يكن يحملني وطلت به ، ولم يكن يطل بي ، فلما تعاليت في مراتب الحجابية ، وبلغت عالياً من المقامية ، ووصلت إلى الأفق المبين ، وبيني وبين ربي قاب قوسين أو أدنى ، وهما الصفتان الذاتيتان من الغيب والضياء[42] فكنت للظل مكاناً ، فكذلك كنت أراني رفعت علياً إلى أول الحجابية ، وأشرت إليه بالمقامية التي منها عرجت ، وعنها رفعت ، وكان ذلك يوم الغدير ، فقلت : معاشر الناس من كنت مولاه فهذا مولاه ، ليعلم المحق أني كنت في أول الحجابية له باباً وكعبة يواليني نبياً ، ويطوف من حولي ، ويقضي بمعرفته مناسكه ، وأنا اليوم له رب أقضي عليه ، وأفوض إليه ، وكان يتولى ذلك من حل درجتي ، وبلغته إلى رتبته ، فلما نلت كمال المراتب ، ووصلت إلى غاية درج[43] المقامات ، ورأيت الأفق بالأعلى ، وصفات العلى والنور الأقصى ، ورفعت علياً إلى المنزلة التي إليها رفعت ، وساويته في الدرجة[44] التي لها ملكت ، وذلك لما أخيت بين الأشكال في المراتب وأخيته ، وقلت : هو مني بمنزلة هارون من موسى عند إكمال هارون منزلة الرسالة ، ودرجة المخاطبة ، فساوى أخاه في مرتبته ، وعلاه إلى ما على به ، فقلت إلاّ أنه لا نبي بعدي . ليعلم العارف أن علياً في ذلك الوقت[45] قد حاز درجة النبوة ، وليس يهبط إليها ، ولا يرد فيها ، بعدما أكملت له (168) فوقها .

فهذا تأويل قولي إلا أنه لا نبي بعدي . أعني بعد إشارتي هذه ، ولم يبق بيننا حد تفاضل غير السبق ، وسيكمله بعدي ، ثم يتصل قل يكون عدد . قال جابر بن عبد الله : لقد سكرت حتى لم أطق حراكاً ، وبقيت في غمرة إحتيار ملياً ، فلما سرى عني ذلك عارضني فكر في محمد وعلي صلى الله عليهما ، فرأيت رسول الله قد تغشاه نور كاد أن يخطف بصري ، فهو يتلألأ فيه كالشبح في الماء الصافي ، إذا حركته الرياح ، ورأيته وقد أصابه الإيقان الذي كان يعارضه عند تجلي الحق به ، وهو يقول : (ولقد خلقنا الإنسان ، ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) . ثم قال بصوت أعلى من ذلك أنا المحمود طوعاً وكرهاً ، أنا محمد القلوب وإن صدفت عني ، وأنا علي الأفكار وإن حارت في أيدي الآيات ، وأنا بها بادٍ واطلع الصفات ، وأنا فيها

---

(42) والضياء : والبهاء في ن .

(43) درج : دراجات في م .

(44) الدرجة : درج في ن .

(45) الوقت : القوت في ن .

مستتر لا تدركني صفة ، ولا تعانني[46] معرفة ، أنا قوة العقل ونور القلب ، لي يجري من صفـا ، وإلى نـوري يعـرج من وفى ، ومن لم أجعـل لـه نـوراً ممـا لـه من نـور . ثم صمت (صلعم) ملياً ، وهو باهت كالناظر إلى ما هاله ، ثم قال : كالقول الأول : وأنا عبد الله ، وأخو رسل تقدمت ، إن أنا إلاّ نذير مبين .

هـذا قـول جـابر رضـوان الله عليـه ، وتنقله (صلعم) عنـد هؤلاء الحـدود ، وصاعداً[47] في الرتب الشريفة من حـد إلى حد ، ومن منـزلة إلى منـزلة ، كصعـود جده إبراهيم في المراتب ، وارتقائه في الألباب ، وعلوه في المناقب ، إلى غـاية درك الـطلاب ، فإنه (صلعم) رأى الكوكب فقال : هذا ربي . فلما رأى القمر ، قـال : هذا ربي . فلما رأى الشمس ، قال : هذا ربي ، هذا أكبر حـين نظر إلى قـدرة الخلائق ، وعـرف حدود الله تعـالى في الأنفس والآفـاق ، فقـال : إني وجهت وجهي[48] للذي فـطر السمـوات والأرض حنيفاً مسلماً ، وما أنا من المشركين .

كذلك النبي (صلعم) رقى في المراتب متنقلاً وعلا إليها صاعداً مـرتقياً ، فحـين استكمل ما عنـد أبي تلقى الفائـدة من عمرو بن نـوفل ، ولمـا استكمل مـا عند (169) عمـرو بن نوفـل رقى إلى ميسرة ، ثم إلى خديجـة حتى استوفى مـا عنـدهم ، وأحـاط بمـا لـديهم ، وتلقى[49] الأمر من أبي طـالب صاحب الـزمان ، وأخـذ عنه بغـير واسـطة من حدود ذلك الأوان ، ووجه وجهه إليه غير مشرك به في الإمامة أحداً . وقام بحقيقة علمه لمبدعه[50] موحداً ، وهو ربه الذي علمه وأرقـاه ، وبصره وهداه ، حتى إرتقى إلى أعـلى المراتب ، وأكمل جميع الفضائل ، والمناقب . وأودعه أن يسلم ما عنده لولده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فأسلمت عند ذلـك له خـديجة حجـة الإمام ، واعـترفت بفضله غير مستنكفة عما أمرها به من الإسلام ، وذلك هو الذي أوصى به إبراهيم نبيه ، ويعقـوب : ﴿ يَـا بنِيَّ إنَّ ٱللَّهَ ٱصْطفى لَكُمْ ٱلدِّينَ فَـلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُم مُّسلِمُـونَ ﴾[51] أي لأهــل الإستقرار عارفون ، وبفضلهم مسلمون ، غـير مستنكفين ولا مستكـبرين ، منتهين عـما نهوكم عنه ، وبأمرهم مؤتمرين .

---

(46) تعانني : سقطت في م .

(47) وصاعداً : صار عداً في ن .

(48) وجهي : سقطت في ن .

(49) وتلقى : ولقى في ن .

(50) لمبدعه : بادعه في ن .

(51) سورة 2 آية 132 .

ولم يدخل أبو طالب (ع) في شريعة محمد إذ كان هو الذي أقامه ونصبه ، وبلغه من الأمر ما افترض الله وأوجبه ، فاستحق محمد أن يكون ناطق الزمان ، وخاتم النطقاء المرسل في ذلك الأوان ، والناطق هو المبين للمعاني[52] المعرب عنها ، فكل من أعرب عن معنى كان ناطقاً ، وإنما قلنا أن النطق هو الإعراب عن المعنى الذي يعرب عنه الناطق ، وهو كل معنى أنار ظلمة ، وجلى غمة ، ونور قلباً ، وعرف مربوباً ، وعرف ربا .

فإذا كان الكلام بهذه الصفة فهو نطق ، والصادر عنه ناطق ، وما لم يكن بهذه الصفة فغير داخل دائرة[53] النطق ، ولا يقال عليه ناطق ، وإنما إستحق ناطق دورنا (صلعم) اسم النطق بكون نطقه معرباً عن المعاني الحية الناطقة التي رموزها هي الحجب في دعوته عليها ، وجهاد من عنده[54] عن طاعتها ، فكشف بوصيه عليه السلام تلك الحجب ، وأبان معاني ما نزل على الأنبياء من الكتب ، بلسان عربي مبين ، واللسان العربي المبين هو وصيه الذي منه إظهار التأويل ، وعنه التبيين ، وذلك كقول الله تعالى في قصة موسى : (170) ﴿ وأخي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾[55] لما كانت في دعوته أعم بياناً . والعجم المقيمون على الظاهر المستعجمة عنهم فيه الحقائق والمعاني ، والعرب هم أهل الباطن المنبؤن ما انكتم من التأويل الذي به الصعود إلى المقام العالي من الحد الداني ، فقام محمد (صلعم) عليه بآخر رتبته من الشرع[56] والظاهر لأنه منتهاها وغايتها ، ممثول اللحم في الخلقة الشرعية ، وكان مجمع الشرائع ، ويومه يوم الجمعة على أنه قد نظم ما افترق من المعاني في شرائع النطقاء قبله وجمعه ، وهو خاتم الشرائع ، ومتم أمرها الجامع لما افترق من قوى الأنبياء بباطن دعوته ، وسرها قائلاً : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فأي العلم الذي نزل به آدم ، وجميع ما فضل به النبيون في خاتم النبيين ، وذريته الأئمة الطاهرين . فأين يتاه بكم ؟ بل أين تذهبون ؟ فحط النبي (صلعم) كثيراً من الآصار ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ ﴾[57] التي كانت عليهم ، وأظهر من المعجزات المرئية المشاهدة ليصدق العالم بما أشارت إليه

---

(52) للمعاني : الأعاني في م .

(53) دائرة : دوارة في ن .

(54) عنده : عناده في م .

(55) سورة 28 آية 34 .

(56) الشرع : الشرخ في ن .

(57) سورة 7 آية 157 .

الأنبياء ، ووضعته النطقاء ، من الإشارات إليه والدلالات عليه .

وكان منتهى الآباء والأبناء ، والخاتم لجميع الأنبياء ، وتوجه قبلة إبراهيم ، وأحيا ملته الحنفية بعد ملة موسى وعيسى ، وذلك أنه (صلعمْ) توجه في ابتداء أمره إلى بيت المقدس ، وحين استوفى خطى الأنبياء المستودعين ، وخوطب بما خوطب به موسى : ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ﴾[58] . وكانت خديجة هي شجرة النداء ، وكذلك بحيرا . والمنادي أبو طالب صاحب رتبة الإستقرار ، والذي كان معيناً على إظهار أمره وظهيراً ، فلما تسلم مراتب الإستقرار ، وأمر أن يسلمها إلى وصيه علي بن أبي طالب مشكاة الأنوار ، قيل له : فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وتوجه إلى ملة أبيك إبراهيم (ع) ، فولى وصيه شطر ما أتي به ،وسلم إليه بما أوصي إليه من ربه ، فأوّل محمد (صلعم) شرائع الأنبياء المتقدمين ، وألف شريعته بمواد الله سبحانه له بالحجب الخمسة التي (171) أخذ عنها ، فسمي تنزيله قرآناً ، وفرقاناً ، وعربياً لأعرابه بالأسماء الحية الناطقة التي معرفتها وموالاتها عبادة الله بالحقيقة ، فكان تنزيله معجزاً لأهل الإعراب ، من قبل المعاني التي لم يدركوا معرفة الأشياء المكنونة فيها ، والجواهر المخزونة في مطاويها ، فلم يكشفوها وحجبت في ألفاظها التي عجزوا أن يستنبطوا معانيها ، فكان إعجازه لهم من حيث إبهامه عليهم ، مع إعرابه . قال الله سبحانه : ﴿ قل فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[59] . وقال : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هَٰذَا القُرآنِ لَا يأتُونَ بِمثلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعضٍ ظهيراً ﴾[60] فالجن هم أهل الدعوة الباطنة ، الذين كانوا في آخر دعوة المسيح ، والأنس هم الحدود الذين كانوا في دعوة أبي طالب قائمين بالتقديس والتسبيح ، فاظهر محمد (صلعم) المعجزة ، وأتى بما أسكت كل واحد منهم وأعجزه ، والعرب هم المعربون عن الحقائق ، والمبينون لعلومها الغوامض الدقائق ، والعجم هم المقبلون على ظواهر الشرائع ، المحجوبون عن معانيها بحفظ الحدود وأهل الودائع ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[69] أي الحافظون له بما أودعنا الحدود من المعاني التي حفظوها أن يطلع عليها أبالسة الدور واتباعهم

(58) سورة 20 آية 12 .

(59) سورة 11 آية 13 .

(60) سورة 17 آية 88 .

(61) سورة 15 آية 9 .

العـاصـون ، الـذين هم لأوليـاء الله عليهم السـلام مبـاينـون ، وبعـداوة أدوارهـم متـواصلون ، وعن القـرب من أوليـاء الله المنتجبـين مشـاطنـون قـاصـون ، فـاعجـز محمد (صلعم) جميع أهل الشرائع ، ومن أقيم بحد الباطن الـذي نصره من قبل وصيه ساطع ، فلم يستطع (أحد)[62] منهم أن يـأتي بسورة من مثله ، وعجـزوا من وصفه ، وما أبانه وصيه من شرفه وفضله ، فصدع بـالحق وأتى بالصـدق ، فكشف الغطاء لـذوي الحجى .

وكانت النطقـاء المتقدمـون عليه إشـاراتهم خفية ، وشرائعهم عن البيـان عريـة ، وعلى معاني فيها إغلاق عجمية ، رمزاً ما أظهر معانيها إلاّ محمد (صلعم) ، وذلك مثـل تـابـوت آدم ، (172) وسفينـة نـوح ، والبيت الكعبـة الـذي رفـع قـواعـده إبـراهيم وإسماعيل ، وبيوت النيران المشار بها إلى بيت النور العظيم قدره الجليل ، وكـرمه[63] من إبـراهيم بالكبش ، ومثـل عصا مـوسى والحجر والسبت ، ومثـل صليب عيسى ، وعقود الـزنانـير ، السبعة التي هي البـطريق وغيرهـا ، ما لـو تقصينـاه لـطال واتسـع في شرحـه المجال .

فلما قام محمد (صلعم) كشف ما رمز وهم (صلعم) إشارة إليه ، ودلالة عليه ، وعلى وصيه ، والقائم السابع من عترتـه ، فظهـرت الحقائق جليـة ، ووضحت براهينهـا مضيئة به وتباليه ، وقيـل قيامهم بـالقوة وقيـامه بـالفعل بـالفعل من أولهم إلى آخـرهـم ، كزارع زرع زرعاً فسقاه ، وأصلح حاله ، وذلك الـزرع يترتب صـاعداً إلى أن تثمـر[64] وتظهر سنابله[65] ، فكان الثمر مثل محمد ، ومحمد ممثوله . وكان الحاصل لذلـك الزرع هـو وصيه ، أو القـائم من ولده عليهـما السلام ، فـأمره إلى البلدان ، وأخـرج خـبره إلى العيان ، فكالزراع هو حاصد الزرع ، والأول هو الآخر ، وهو المعنى الذي أشارت إليـه الحدود ، فجعلوا أول النطقاء سلالة ، وسادسهـم كاللحم ، وسابعهم النشـأة الأخرى ، فكان السادس ، والسـابع ، مجتمعـين كاجتـماع النفس والجسم ، إذ لا ثبات للنفس إلاّ بالآلة الجسدانية ، والحواس الطبيعية ، ولا يتحرك الجسم إلاّ بالنفس المحركة المتحركة . فكان قيامهما صلى الله عليهما في وقت معلوم ، واحد بالتنزيل والآخر[66] بالتأويل ممتزجين

---

(62) أحد : سقطت في ن .

(63) وكرمه : وكرم في ن .

(64) تثمر : أثمر في ن .

(65) سنابله : سنبل في ن .

(66) والآخر : سقطت في م .

كامتزاج الجسم والنفس ، فقاما بالسيف واللسان ، وكـان الناطق السـادس حجة القـائم الممهد له ، وكذلك قال النبي (صلعم) : بعثت أنا والساعة كهاتين ، وجمع بين إصبعيه المسبحتين . فرمز بأول الأمر بالقـائم ، وكون دعـوته سـابقاً لـدعوتـه ، وأنه المستخلص لمعـاني شريعته ، وأبـان إقترانـه وإقتران وصيـه به ، وكـون تنزيله معضـوداً[67] بتـأويـل وصيه ، والبرهان في ذلك مبين ، والحق واضح مستبـين للمستبصرين ، والقائم السـابع صاحب الجزاء والعطاء ، وعند قيامه يكشف عن معاني (173) ما أتى به النطقاء ، قبلة العطاء ، فينظر التأويل كله جلياً ، وبيان ظاهر ما رمز به الأولياء خفياً ، هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل ، قد جاءت رسل ربنا بالحق .

وقد أنبئنا محمد (صلعم) بأمر الملائكة الروحانيين المؤيدين له بالوحي من قبل الله سبحانه مجاهداً للخلق عـلى الشهادتـين ، فمن قالهـا حقن دمه ، ومـاله ، وحسـابه عـلى الله . وكانت الشهادة نفياً أولاً أن لا إله ، ثم ثبت بقـوله إلاّ الله المقيم لـه المقوم لاوده ، الموحى في كل سماء أمرها ، ذو الكفل الكافل له باعزاز دينه ، واظهار حججه وبراهينه ، والقائم السابع قائم بالقوة محجوبة معرفته ، فتقبل الله من رسوله (صلعم) سعيه ، وأتم عمله ، وأمده وأيده بوصيه علي بن أبي طالب صلى الله عليهما ، مبينـاً لإخلاص الشهـادة موضحاً للمغزا في إخلاصها والإرادة .فكان أهل الظاهـر الذين لم يتصلوا بـوصيه (ع) ولا عرفوه حقيقة هم المقيمون[68] عـلى النفي الذين لم يقـروا بالإلـه حقيقة الإقـرار ، ولم يثبتوه لما جحدوا الوصي الذي إثبات التـوحيد في دعـوته ، والـدلالة عـلى المبدع الحق من عنـايته ، وكـان المخلصون للشهـادة الذين شهـد لهم النبي (صلعم) بدخـول الجنة هم الذين اتبعوا وصيه علياً ، وعرفوا أن مقامه عند الله علياً ، وبان لهم نوره جلياً ، وقد قال النبي (صلعم) : من قالها مخلصاً دخل الجنة . ولم يقـل يـدخل الجنـة ، لأن دخل حتم خـاص موجـود واليـاء لـو دخلت لكـانت إشـارة إلى مستقبـل . وإنمـا سئـل مـا حقيقـة إخلاصها ؟ قال : إداء حقوقهـا ، ومعرفـة حدودهـا . فأوضـح (صلعم) أن من عرف المقام الذي نفى[69] أن لا مقام بالحقيقة إلاّ هو بحقيقة ، وحدوده الروحانية ، فقد دخل الجنـة التي فيهـا مـا لا عيـن رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خـطر عـلى قلب بشر . فكشف (صلعم) ما لم يأت به من قبله ، وطالب أُمته بهذه الشهادة ، ولم يطالب النطقاء الأولـون أممهم بها ، بـل يسمون الله تعـالى بأسماء (174) مختلفة متـواريـة في حجبهـا

---

(67) معضوداً : مقصوداً في ن .

(68) المقيمون : القوامون في ن .

(69) نفى : فيها في ن .

معجمة مبهمة ، وإن الله تعالى موجود حيث توجد أسمائه ، وحيث الحكمة . فالحكيم حيث القدرة ، فالقادر فمن عرف المحدود استدل على معرفة المعبود ، إذ هي الأسماء الحسنى ، وبمعرفتها نيل الحظ الأسنى .

فقام محمد (صلعم) وهو في حجر روح القدس ذي الكفل ، فأقامه وشد أركانه ، وجعله ممهداً للقائم السابع ، فكان ذو الكفل العقل الأول والعين حجته نفس الكل ، أي نفس الشرع ، والتنزيل ، والتأويل ، والحقيقة ، وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم ، يؤمنون به ويصدقون بما دلتهم عليه حجته ، فأزال الناطق الشرك[70] ، ورسم الرسوم الفصيحة في شرعه وبيانه بمادة المؤيدين له ، وجعل دعائم الإسلام ستاً ، والسابعة الولاية ، فلا ثواب لعامل الست إلاّ باعتقاد السابعة وعلمها بالحقيقة ، فجاهد[71] على ذلك . ثم أبان فضل السابع الولاية تقضيه ، فنصب (صلعم) الحدود ، وخرج من مكة إلى الشعب ، وهو في آخر التربية قبل أن ينزل عليه الوحي ، فكان يسمى في ذلك الوقت داعياً ، لأنه ابتدأ في دعوته بلا إله إلاّ الله .

ووصل إليه بحيرا الراهب إلى الشعب ، فسلم له ما في يده من ميراث النبوة والرسالة فسمي حينئذ نبياً ، وبلغ أشده ، ونزل عليه الوصي ، والمخاطبة ، وأرسل فسمي رسولاً ، وتلألأت أنواره ، واستقر قراره ، وظن أن لا إمام غيره بعد أبي طالب ، فغيرت المواد ، وانقطع الوحي ،وهو الذنب الأول حيث سمت نفسه إلى رتبة ليست له ، فعلم أن الله في ذلك سراً ، وأن الإمام ذي الكفل[72] وهو مستودع له ، فتاب وأناب ، وتوسل بالحدود إلى باريه ، فعرف المستقر ، والقائم المنتظر ، فتاب عن خطيئته إذ لم يكن خطئه[73] عمداً بل زيادة في الطاعة ، وأمر الحدود أن يكشف كل واحد منهم له ما عنده من مناقب القائم السابع ، واهبط إلى الأرض أي إلى إفادة خديجة التي هي لصاحب العصر حجة ، إذ كان قد إنتهى إليها في الرتبة ، فكانت تكشف له حقيقة معرفة (175) ولي زمانه ذي الكفل ، والأرض التي أهبط إليها هي من دار الدعوة ، وإنما هي أول أبواب الدعوة التي أخذ عنها ، وهي رتبة أبي بن كعب ، الذي[74] رد إليه

---

(70) الشرك : سقطت في ن .

(71) فجاهد : فجهد في ن .

(72) ذي الكفل : سقطت في ن .

(73) خطئه : خطه في ن .

(74) الذي : سقطت في م .

وإلى أبناء جنسه ، مثل دحية وغيره ، وأحوج إليهم ، وهذا هو الهبوط ، فلما رد إلى أبي بن كعب وكل واحد منهما بصاحبه شفيقاً به ، ورفيقاً . أما شفقة أبي فافتخاراً به ، لأنه الذي ابتدأ بتعليمه ، وكسر عليه ، وأما شفقة محمد (صلعم) به مثل فتنة إبراهيم (ع) بالكواكب ، لأن أبيا كان كمثل ذلك الكوكب ، فلما أمر بتربيته بحقيقة القائم السابع وسياقة المعنى في جميع الأدوار من عصر آدم جدد العهد وأكده ، وعرفه من ذلك ما عنده ، وترقى بعد ذلك صاعداً في مراتب الحدود كل يعلمه ما عنده ، من معرفة حقيقة[75] القائم وتردده عند هؤلاء الحدود .

وقد أوضحه في قوله : أنا ابن كرات ، وممتحن أوقات . فعند ذلك صعد في السموات ، وأرقي على المعراج ، بعد أن رقي على البراق ، وهو ما برق له من حد التأييد الجامع لجميع الحدود السفلية .

وقد ضرب النبي (صلعم) بذلك مثلاً جلياً بقوله : لما عرج بي إلى السماء الدنيا ، رأيت أخي علياً بين الملائكة يعظمون ويتشرفون به ، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فرأيته كذلك ، ثم صعدت الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة أرى في كل سماء صورة أخي علي ، والملائكة[76] يعظمون ، فلما انتهيت إلى السماء السابعة رأيته جالساً على كرسي الكرامة ، تحف به الملائكة وتعظمه ، ويقدس الله تعالى ويسبحه . فقلت لحبيبي جبرائيل أسبقني أخي على هذا المقام ؟ فقال : يا محمد إن الملائكة شكت إلى الله تعالى شوقها إلى علي (ع) لعلمها بعلو منزلته ، وسألت النظر ، فخلق الله لها هذا الملك على صورته ، والزمهم تعظيم[77] الله سبحانه ، وتسبيحه ، وتقديسه ، فلما أعلمهم بذلك الرسول (صلعم) كذبوه وأسرها النكران لرتبته الجاحدان لعالي منزلته ، وهما أبو بكر وعمر ، وسعياً[78] عند ذلك في الصحابة ، وأمر النفاق ، وعملا في الفساد .

وهذا حقيقة الإسراء به ، وصعوده في المراتب السنية ، وإرتقاؤه في المقامات (176) العلية ، فالإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى هو ما أتى به من دعوته الشريفة مرقياً للحدود في مراتبها ، من معرفة أبي طالب الذي هو الإمام ، إلى معرفة وصيه أمير المؤمنين عليه السلام ، فأمر بكشف رتبته على رمز ، وحرم عليه كشف

---

(75) حقيقه : حقه في ن .

(76) والملائكة : سقطت في ن .

(77) تعظيم : عظيم في ن .

(78) وسعياً : وسع في م .

رتبة ذي الكفل أصلاً . فلما علم الله سبحانه من الصحابة الشك والشرك ، والبهتان والإفك ، نزلت الآية تصديقاً للرسول (صلعم) ، وقال الله تعالى : ﴿ سُبْحانَ ٱلَّذي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلحَرامِ إلى ٱلْمسجِدِ الأقصى ﴾[79] الذي إعلاما لأمته ببلاغه إلى معرفة الغاية ، وأبان تعالى ما كذب به المنافقون في معراجه في السموات ، وصعوده إلى المراتب ، فقال تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وَمَا غوى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى * إن هو إلاَّ وحيٌ يُوحَى * علَّمهُ شديدُ القوى * ذُو مرةٍ فَاستَوَى * وَهُوَ بالأُفقِ الأَعْلَى * ثم دَنَا فتدلى * فكانَ قابَ قَوْسَين أو أدنى * فأوحى إلى عبدِهِ ما أَوْحَى * ما كذَبَ الفُؤَادُ ما رَأى * أفتمارونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخرى * عِندَ سِدْرَةِ المُنتهى * عِندَها جَنَّةُ المأوى * إذ يغشى السِّدرَةَ مَا يَغشى * ما زاغَ البَصَرُ وَمَا طغى * لقد رَأى من آياتِ رَبهِ الكُبرى ﴾[80] . فكفى بهذا أيضاً حاجياً وبياناً ، ولم يكن خفياً بأن له معلماً شديد القوى ، وأنه عنه متعلم بما رأى من آيات ربه الكبرى ، وهو ما كشف له من علم لا يظهر إلا الرسل النجباء ، والحجج البلغاء ، أعني ملائكة السماء ، فشهد له برؤية صاحب الحق عند سدرة المنتهى ، حد العقل السابق في عالم الأمر ، وهو مثل علي بن أبي طالب ومنه عرف ربه وبلغ نهايته ، فقام (صلعم) بقبول وإقرار ، فلم يكن له كلام في جماعته واجتماع أصحابه إلاّ ذكر علي كشفاً ورمزاً ، فقال : بعثت أنا والساعة كهاتين ، أراد أن يسبقني فسبقت ، أي بعثت قبل الحساب والعقاب ، مبشراً بها ومبيناً لفضل علي (ع) الذي هو علمها ، قال الله تعالى : ﴿ لَعِلمٌ للساعَةِ فلا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾[81] وجعل الصلاة خمسة : في خمسة أوقات ، فالخمسة الأوقات إشارة إليه ، وإلى علي ، وفاطمة ، و (177) الحسن ، والحسين . والخمسة الصلاة إشارة إلى النطقاء الخمسة .

وقد قال (صلعم) : أخذت من خمسة ، وسلمت إلى خمسة ، وبيني وبين ربي وسائط خمسة . فالخمسة الذين[82] أخذ عنهم هم النطقاء الخمسة الذي هو سادسهم وخاتم أمرهم ، والوسائط الذين بينه وبين ربه في العالم الروحاني جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، واللوح والقلم ، وهم الجد ، والفتح ، والخيال ، والتالي ، والسابق .

وهم في حدود الدعوة : أُبي بن كعب ، وزيد بن عمرو، وبحيرا الراهب ،

---

(79) سورة 17 آية 1 .

(80) سورة 53 آية من 1 إلى 18 .

(81) سورة 43 آية 61 .

(82) الذين : سقطت في ن .

وميسرة ، وخديجة . الذين علموه ، وأفادوه ، وترقى معهم[83] في مراتب التعليم ، حتى اتصل بصاحب الزمان أبي طالب (ع) رب دعوته ، وصاحب أمره .

والخمسة الذين سلم إليهم هم : وصيه علي أمير المؤمنين نصبه عليه وإشارته إليه جلياً وخفياً في غير موقف ، والحسن والحسين . فقد قال : الحسن والحسين إما ما حق ، قاما أو قعدا ، وأبوهما خير منهما . وباقر العلم[84] الذي أوصى جابر بن عبد الله الانصاري فقال له ، وأشار إلى الحسين عليه السلام : إنك ستدرك ولد ولدي هذا ، فابلغه عني السلام ، وقل له : يا باقر العلم إبقره بقراً .

والخامس هو قائم الأئماء محمد بن إسماعيل صاحب الدور الذي شهد له بالرسالة والفضل[85] ، فقال : أشهد أن محمداً رسول الله ، فالمرة الأولى إشارة إلى النبي محمد (صلعم) ، والأخرى الإشارة بها إلى السابع متم دوره ، وآخر أئمته . فلما قام محمد ببيان ما أمر الله وعلمه ، وأتم ما أوحى إليه . وأتهمه وكذبه المنافقون ، فأكذبهم الله تعالى بقوله : ﴿ إذا جَاءَكَ المنافِقُونَ قَالواْ نَشهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يعلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشهَدُ إِنَّ المنافِقينَ لَكَاذِبُونَ ﴾[86] .

وهذه شهادة إله جل جلاله الذي لا ترد شهادته بتكذيب المنافقين ، وبكون محمد رسوله الصادق المبين . وقد أوضح ذلك أبو طالب (ع) وشهد للرسول (صلعم) في قصيدته . فوالله لولا أن أجيء بسبة تكون على أشياخنا في المحافل[87] ، لكنا إتبعناه على كل حالة من الدهر (178) جداً غير قول التهاذل . لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبر بقول الأباطل ، فقال الجاهلون إن أبا طالب لم يدخل في دعوته ، ولا كان من أهل ملته ، وجهلوا المعنى بترتيب حدود الدين ، ولم يعلموا ما قام به أبو طالب من فضله المبين ، وأنه مقيم محمد وممده ومؤيده . فقوله : فوالله لولا أن أجيء لنسبة تكون على أشياخنا في المحافل . فأشياخه هم الأئمة الذين نصبوا الأنبياء ، ولم يدخلوا في أمرهم ، لأن الحد لا يدخل في طاعة المحدود . وقوله إن ابننا لا مكذب ، لدينا إيضاح أنه من نبلهم أرسل بالحق البعيد من الكذب وشينه ، المنزه عن أفكه ومينه .

---

(83) معهم : معاهم في م .

(84) العلم : العمل في ن .

(85) والفضل : الطفل في ن .

(86) سورة 63 آية 1 .

(87) المحافل : الحوافل في م .

فلما أمر محمد (صلعم) بإقامة وصيه وخليفته علي بن أبي طالب (ع) وبين مقامه ، وأوضح أمر الله تعالى باتباعه وطاعته وامتثال أمره ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[88] . وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[89] . يعني بذلك حياة الحقيقة ، لأن أهل الظاهر المقيمين عليه الذين لم يعرفوا معناه ، هم الأموات لا روح لديهم ، لذلك هؤلاء أموات الجهل والضلال ، لم ينفخ روح الحياة فيهم ، ولم تصل المادة والتأييد إليهم ، فلما استجابوا للرسول إلى الدعوة الثانية كانت بها حياتهم ونفخ فيهم روح المعنى ، وزال عنهم الجهل والريب ، فحيوا حياة حقيقة لا يزول اعتقادها ، ولا يفنى . وقال الله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نودي للصلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾[90] . إلى قوله : ﴿ فإذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا في الأَرْضِ ﴾[91] أي إذا نودي للصلاة وهي الدعوة إلى علي من يوم الجمعة ، أي من محمد الجامع للشرائع ، فاسعوا إلى ذكر الله ، وأطيعوا محمداً في علي والنص عليه ، وذروا البيعة لغيره . فإذا قضى وسلم للولي ، فانتشروا في أرض الدعوة ، وابتغوا (179) من حقائق علم على ما تخرجون إليه إلى حد العقل من القوة ، ولم يكن المخاطب بذلك اليوم الصامت الذي شابه جهلاً الأمة اليهود في إقبالهم على السبت ، الذين توهموا فيه إشارة إلى[92] موسى (ع) ، ولم يعلموا معناه ، وجهلوا مراده ، وما أشار إليه وعناه ، وقد كان يرجو أن لا يكشف حقيقة مرتبة وصيه أمير المؤمنين (ع) إلا رمزاً حتى يبلغ الكتاب أجله . فقال تعالى : ﴿ لَا تُحرك بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرآنه ﴾[93] وقرآه أهل البيت . إن علياً جمعه وقرأ به ، فإذا قرأه فاتبع قرآنه ، ثم أن علياً بيانه ، ولم يكن المراد (من هذا القول)[94] التنزيل لأنه (صلعم) أتى به شيئاً بعد شيء ، بل كان المراد بذلك وصيه الذي جمع له القرآن فاوعاه ، وعرفه وقرأه .

وقد قال (صلعم) : ما نزلت على رسول الله آية إلا وأنا أعلم يوم نزلت ، وفيم

---

(88) سورة 59 آية 7 .

(89) سورة 8 آية 24 .

(90) سورة 62 آية 9 .

(91) سورة 62 آية 10 .

(92) إلى : سقطت في ن .

(93) سورة 75 آية 16 ، 17 .

(94) من هذا القول : سقطت في ن .

نزلت . وهو الذي قال وقوله الحق ، ورفع القرآن على رأسه ، فقال : يا كتاب الله أنطق ثلاثاً . ثم قال : أنا كتاب الله الناطق ، وهذا كتابه الصامت . وقد كان رسول الله (صلعم) يبلغ كل آية نزلت عليه وقت نزولها بشارة بشيء ، أو نذارة عن شيء ، وتحذيراً ، وقصصاً ، وضرباً للأمثال . فنصت هذه الآية عن القائم ، وأمر بكتمان منزلته ، وستر علي رتبته . فإذا قرأه علي (ع) فاتبع قرآنه ، فإن عليه بيانه ، أي أن التأويل والبيان عنده ، فقام النبي (صلعم) آمراً لهم (بمعرفة)[95] علي (ع) ، ففي معرفته معرفة القيامة وصاحبها ، لأنه هو النبأ العظيم الذين هم فيه مختلفون ، وأسماء الأنبياء مشتقة من اسمه ، ورسومهم منقادة إلى أمره ورسمه .

وقال تعالى لنبيه (صلعم) : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[96] أي إذا أمرناك بالنص عليه فاتبع أمرنا ، وابتغ القائم في إظهار ما أظهره من التأويل . وقد سأل الداعي منصور اليمن قدس الله روحه عن المعنى في كتم النبي الحق ، وكيف لم يصرح به ليعلمه جميع الخلق ؟ فقال : قد أمر الله تعالى النبي (صلعم) وغيره من الملائكة بذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ (180) أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[97] . فلما نزلت الآية في حجة الوداع ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[98] فنص عليه بغدير خم ، قال : ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا بلى . ن الله تعالى قد نص عليه بقوله : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[99] وكانت هذه مقدمة للنص فيما قال لهم : ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاث ، وهم يجيبونه . قال دالاً لهم وهادياً وبنعمة ربه محدثاً منادياً ، من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وآل من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله ، وادر الحق معه حيث دار . فلما فرغ أشهد الله عليهم ، وسلم على علي تحية ، وأمرهم بالسلام عليه ، إشارة بالتسليم له ، فلم يفهموا وجحدوا لأمره ، ذلك بعدما علموا وأسروا العداوة ، وانسلخوا من الإسلام ، من وقتهم ، وقالوا : جابى بها ابن عمه .

---

(95) بمعرفة : سقطت في م .

(96) سورة 20 آية 114 .

(97) سورة 3 آية 187 .

(98) سورة 5 آية 67 .

(99) سورة 33 آية 6 .

وقد روي عن النبي (صلعم) أنه قال للحارث[100] بن حوط ، يا حارث إن الحق ضالة المؤمن ، وهو أمر ملتبس ، وأنت تطلبه من الرجال ، فاطلب الحق تعرف أهله . فالحق هو علي (ع) أصل كل حقيقة ، ومميز كل طريقة ، وفاتح الغيوب ، ومظهر باطن غيب سر الله المحجوب ، وإليه إشارة الله تعالى بقوله : ﴿ بَلْ نقذِفُ بالحقِ على البَاطِلِ فَيدْمَغُهُ فإذا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[1] وبقوله : ﴿ قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[2] وبقوله : ﴿ وَمَا يُبدئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[3]وقال النبي (صلعم) لعلي : يا علي أنت الحق ، حيث ما درت دار الحق المبين .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَعلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَق المُبِينُ ﴾[4] . وأنزل الله تعالى بعد النص ﴿ إنَّ الَّذينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبينَاتِ وَٱلهُدى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ للنَّاسِ في الكتَابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمْ ٱللَّهُ وَيَلعَنُهُمْ اللاعِنُونَ ﴾[5] . وقال : ﴿ لَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُولِ وإلى أُولي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الذينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنهُمْ ﴾[6] . وقال : ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تؤمِنُونَ بٱللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤمنُوا بِرَبِكُمْ وَقَدْ أَخذَ مِيثاقَكُمْ إن كُنتُم مُّؤمِنِينَ ﴾[7] فنزلت هذه الآيات بعد (181) النص على أمير المؤمنين (ع) وقد قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحشُرُ المتقينَ إلى الرحمنِ وَفْداً * ونسُوقُ المُجرمينَ إلى جَهنّم وِرْداً * لاَّ يملكُونَ الشَّفَاعَةَ إلاَّ مَنِ ٱتَّخذَ عِندَ الرحمنِ عَهْداً ﴾[8] .

وقد قال رسول الله (صلعم) : لا يدخل الجنة أحد إلاّ من معه أمان منك يا علي . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ للَّذينَ أَمَنُواْ هُدىً وَشِفاءٌ وَٱلَّذينَ لاَ يؤمِنُونَ في أَذَانِهِمْ وَقرٌ وَهُوَ عَليهم عَمىً ﴾ (سورة 41 آية 44) .

وقد كان رسول الله (صلعم) يقول : النظر إلى وجه علي عبادة . وقد قال : حب

---

(100) للحارث : للحوس في ن .
(1) سورة 21 آية 18 .
(2) سورة 17 آية 81 .
(3) سورة 34 آية 49 .
(4) سورة 24 آية 25 .
(5) سورة 2 آية 159 .
(6) سورة 4 آية 83 .
(7) سورة 57 آية 8 .
(8) سورة 19 آية 85 ، 86 ، 87 .

علي جنة من النار لا يضر معها سيئة . وأي عبادة لله أعظم من طاعته ، وأي طاعة تتم إلّا بطاعة . وقال رسول الله (صلعم) : لا نبي بعدي . لأنه خاتم الرسل ، وبتم أدوار الستر . يقول : إني ومن تقدمني أرسلنا إلى الحق مبشرين بالقائم السابع ، ومنذرين من سطوته ، ومحذرين من عقوبته ، فإذا قد ظهر فلا رسول منبيء أجلي من حضوره ، ومخاطبته لهم من نفسه ، محاسباً ومعاقباً ، فمن أطاعه وعلم تأويله ، وحقيقة معناه ، فقد صار في الثواب ، ومن عصاه وأجحد أمره وتعداه ، فيالها من عقوبة ما أعظمها ، وحيرة ما أظلمها . ﴿ فَضُرِبَ بينَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ ﴾[9] ورسول الله محمد (صلعم) خاتم الأنبياء فلا نبوة بعد نبوته ، لكونه قد بلغ من درجات النبوة أقصاها ، ورقى من درجاتها إلى منتهاها .

وهو قائم لولد إسحاق ، ولجميع الأنبياء أهل الشرائع ، وجامع للزبد الشريفة والمجامع . وكان (صلعم) هيكلاً نورانياً ، ومقاماً إلهياً ، ولذلك كان (صلعم) يقول : أنا دعوة أبي إبراهيم . ولما ارتقى محمد (صلعم) في الرتب إلى أن بلغ رتبة النطق الإلهي ، انتقل إمام عصره المقيم له الذي هو (. . . . .)[10] إلى ضمن العقل الذي في الرتبة العاشرة ، وهنالك مجمع المرتقين من الأنبياء والأئمة الطاهرين ، بزمرهم الشريفة من إتباعهم أهل الصور القدسية اللطيفة .

وذلك البرزخ الذي هم فيه مجموعون إلى ميقات اليوم المعلوم ، وقيام القائم صاحب النفخة الثانية ، البحر الذي منه تستمد (182) الأمطار ، وإليه تنقلب الأودية ، والأنهار . وقد جمع النبي محمد (صلعم) من كان في تلك الزمر الشريفة من صور أهل الدعوات الظاهرة ، القائمين بالعبادة والأعمال الصالحة ، من أهل الإستيداع ، الحافظين الودائع ، والرسل الذين أبسطوا الشرائع . وجمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) المقامات العالية الإلهية ، والهياكل النورانية في جميع الأدوار من أول الثلاثة[11] آلاف السنة بعد دور الكشف ، إلى هاشم بن عبد مناف ، فكان النبي قائم الأنبياء والمستودعين من أولاد إسحاق ، وعلي وصيه عليه الصلاة[12] والسلام جامع أهل الإستقرار بالإستيجاب والإستحقاق .

---

(9) سورة 57 آية 13 .

(10) وجدنا في هذا المكان بياض مقدار كلمة أو كلمتين في كلا النسختين .

(11) الثلاثة : سقطت في م .

(12) الصلاة : الصل في ن .

ولم يبق من تلك الـزمر الشريفـة ، والمجامـع اللطيفـة من لم يـدخـل في المجمعـين الشريفين المحمدي والعلوي ، غير عبد المـطلب ، وعبد الله ، وأبي طـالب ، لأنهم بقيوا ممـدين الناطق محمـداً (صلعم) ، وسفراء بينـه وبين العـاشر المـدبـر ، وهم : الجـد ، والفتح ، والخيال . المعبر عنهم بإسرافيل وميكائيـل وجبرائيـل . وذلك بعـد لطافتهم من الأجسـام ، وتجرد صـورهم كتجرد المـلائكـة[13] الكـرام ، فعبـد المـطلب هـو الجـد ، وعبد الله الفتح ، وأبو طالب الخيال ، المعبر عنهم بلسان الشريعة : أبـو طالب جـبرائيل الجـابر لمحمـد أولاً وآخراً ، والممـد له بـاطناً وظـاهراً . وميكـائيل عبـد الله ، وإسرافيل عبد المطلب .

وكذلك يكون الممد لكل مقام ثلاثة أئمـة من قبله يكونـون[14] السفراء بينـه وبين المدبر لعالم الطبيعة ، فكان الممد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب محمد (صلعم) ، وهـو جبرائيل الـذي جبره ، وأبـان فضله العظيم وشهـره ، وميكائيـل أبو طـالب ، وإسرافيل عبد المطلب . وكذلك يكون لكل إمام بعده يمده ثلاثة أئمة قبله .

ولـما إنتقـل النبي وأمـير المؤمنـين ، صعـدا إلى ضمن[15] العـاشر بمن في زمـرتهـما الشريفـة من المقامـات العاليـة اللطيفة ، حتى يقـوم القائم الكـلي ، وينجلي نـور برهـانه الجـلي ، وكان النـور المتصل[16] بمحمـد من العاشر كلياً ولذلـك كـان نـاطقـاً . وعنـد علي (ع) شعاع ذلك النور ، ولذلك كـان في عصر النبي (صلعم) (183) صامتاً ، وكـان عند النبي (صلعم) علم مـا كان ومـا سيكون ، وعنـد علي (ع)مـا كان ، فلما أوفى محمـد ما عليـه من الخدمـة ، ونص على أمـير المؤمنين (ع) ،وانتقـل إلى دار الفوز والرحمة ، صار أمير المؤمنين في مقامه حجاباً للعقل ، والعـاشر مطرحـاً لشعاعـه كما كـان محمد (صلعم) عالماً بما كان ويكون ، حين أفضي محمد (صلعم) أمره إليه .

ولما كان محمد (صلعم) جامعاً لمن تقدمـه عن الأنبياء ، اجتمـع في دوره الأضداد الكبراء العظماء ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ المجـرِمينَ ﴾[17] وكان من أضداده أبـو لهب الذي كـان من دعوة أبي طـالب ، وعبد المـطلب تكبر لـما رأى

---

(13) الملائكة : الملكة في ن .

(14) يكونون : كوانوا في ن .

(15) ضمن : عمن في ن .

(16) المتصل : الواصل في م .

(17) سورة 25 آية 31 .

الفضل في محمد قد ظهر ، وعصى كعصيان الحرث بن مرة ، وأصر واستكبر ، وكان أعوانه على ذلك أبو جهل بن هشام ، وابن أبي قحافة ، وابن الخطاب ، فكان كيد الشيطان أبي جهل ضعيفاً ، وكان كيد عتيق وعمر عظيماً فمكروا ، وغدروا ، وأصروا ، واستكبروا ، وغيروا الشريعة وأفسدوها[18] . وأحالوا الأمة عن سبيل هداها ،والأول منها هو إبليس الروحاني ، لأنه كانت له سابقة في دور المسيح ودعوته .

وقد سمع من التأويل ما ظن أنه قد بلغ منه إلى غايته ، فلذلك تكبر على وصي صاحب الدور ، وفعل كفعل الحرث بن مرة ، واتبعه واعتمد أمره ، وشيطانه عمر الذي يعتريه لم يتصل به شيء من علم التأويل ، بل تعدى علو رب الدور تعدي الظلوم الجهل ، وقد نزل في سورة القرآن من الآيات الدالة على مثالبهما[19] ومثالب أشياعهما وأتباعهما ، ما كشف صورهم القبيحة ، وأبان عن مالهم من الخزي والفضيحة ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ أي في الشريعة ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ ﴾[20] . وهؤلاء التسعة هم : عتيق ، وابن الضحاك ، وابن عفان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح . فهم الذين أفسدوا أرض الشريعة ، وما أصلحوا ، وهم باينوا أمير المؤمنين بالعداوة فخسروا الدنيا (184) وما ربحوا . وقال تعالى في الأولين الظالمين ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾[21] يعني من السحر وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فكني عنهما بالملكين ، لما كانا من حجج الناطق ، وممن افتخرا بمالهما من السوابق ، فخسرا سعيهما وخاب أملهما ، ورد إلى البلية والحياة ، وأتباعهما الذين جحدوا فضل العترة ، وما يعلمان من أحد حتي يقولا إنما نحن فتنة ، فقد ناديا بذلك على نفوسهما ، وشهدا به عند من إتبعهما . فقال عتيق : وليتكم ولست بخيركم ، فقوموا أودي أن لي شيطاناً يعتريني . وقال ابن ضحاك : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، فأقر بالكفر والخطأ ، بنطق اللسان ، لما حكم الرحمن فاتبعوهما وعدو فضائحهما ، فضلاً إذا أصمهم الله وأعمى أبصارهم .

وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيهِ يَقُولُ يا ليتني

(18) وأفسدوها : وأفسدنا في ن .

(19) مثالبهما : مثالها في ن .

(20) سورة 27 آية 48 .

(21) سورة 2 آية 102 .

ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً * يا ويلتي ليتني لَمْ أَتخذْ فُلاناً خليلاً * لَّقـد أَضَلَّني عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَني ﴾[22] ثم قال تعالى في التابعين لهـما : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَـا ٱلَّذَيْنِ أَضَـلاَّنَا من الجِنِّ والإِنس نَجْعَلْهُمَا تَحتَ أَقْدامِنَـا ﴾[23] . وقال لنبيـه (صلعم) ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَـأَ ٱلَّذي أتيناهُ أياتنا فَٱنسَلخ مِنهَا فَأَتبعهُ الشيـطانُ فَكَانَ مِنَ الغـاوِينَ ﴾[24] وقال : ﴿ وَإِن نَّكثُـواْ أَيمـانهمُ مِّن بَعدِ عَهْـدِهِمْ وَطعنُواْ في دِينكُمْ فَقـاتلوا أَئِمة الكُفْـرِ إِنَّهم لا أَيمـانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[25] . وقال : ﴿ قُلْ هَلْ ننبئكُم بـالأخسرينَ أعمالاً * ٱلَّـذينَ ضَلَّ سَعيهُمْ في الحياةِ الدُّنيا وَهُمْ يَحسبُونَ أَنَّهُمْ يُحسِنُونَ صُنْعاً * أُولئِكَ ٱلَّذينَ كَفروُاْ بآياتِ رَبِّهم ولقائِـهِ فَحَبِطَتْ أعمالُهُمْ فلا نقيمُ لَهُمْ يَوْمَ القيامةِ وَزْناً ﴾[26] .

وقال : ﴿ وَكَانَ الكَافِرُ عَـلَى رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾[27] . وقال : ﴿ وَقَـد دَّخَلُواْ بِٱلكُفْـرِ وَهُمْ قَدْ خرَجُواْ بِهِ ﴾[28] . وقال : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِـالإِثمِ فَحَسبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[29] . وقال : ﴿ وَجَعلنَاهُم أَئِمَّةً يَدْعُونَ إلى النَّارِ وَيَومَ القِيـامةِ لاَ يُنصَرُونَ * وَأَتبعناهُم في هَذِهِ ٱلدُّنْيَا لعنةً وَيَوْمَ القيامةِ هُم مِّنَ المَقْبوحِينَ ﴾[30] . وقال : (185) ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى الكافِرِينَ ﴾[31] وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الـدَّوابِ عِنْـدَ ٱللَّهِ الصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّـذينَ لاَ يَعقِلُونَ * وَلَـوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فيهِمْ خَيْـراً لأَسمَعَهُم وَلَـوْ أَسمَعَهُمْ لَتولَّـواْ وَّهُم مُّعْرِضُـوْنَ ﴾[32] فقـد أسمعهم الله سبحـانـه بـالآيـات ، وأسمعهم النبي (صلعم) بـالتلويـح والتصريـح ، فعمـوا وهمـوا ، فلما آن الأجـل ، وانقضى المهل ، وغـاب النبي المرسـل ، وقام عـلي (ع) بجهازه ، وغسله ، وحنـطه ، وأكفانـه ، والصلاة عليـه ، وردف جنازتـه هو وقـراباتـه ، والقـوة في مجـاوزة

---

(22) سورة 25 آية 27 ، 28 ، 29 .

(23) سورة 41 آية 29 .

(24) سورة 7 آية 175 .

(25) سورة 9 آية 12 .

(26) سورة 18 آية 103 ، 104 ، 105 .

(27) سورة 25 آية 55 .

(28) سورة 5 آية 61 .

(29) سورة 2 آية 206 .

(30) سورة 28 آية 41 ، 42 .

(31) سورة 2 آية 89 .

(32) سورة 8 آية 22 ، 23 .

الخلافة ، والخلاف في سقيفة بني ساعدة ، لم يهمهم نبيهم ولا غمتهم نقلته ، ولم يظهر الوصي جنازة الرسول (صلعم) حتى أحضر الإثنى عشر المقربين من الحدود الروحانيين ،والحسن والحسين عليهما السلام ، فقال لهم أمير المؤمنين (ع) : إن القوم يشتدون ، وفي أمر الظلم والغضب يأتمرون .

وفي المتعارف أن الإمام لا يدفن المقيم له حتى ينصب حجته ؛ فأخذ عليهم البيعة بكتمها وحفظها ، وأشار إلى الحسن (ع) ، وأخذ على الحسين ، وجعله مستودعاً ، وستراً ، وكفيلاً ، وحتم عليه إذا انقضت مدته أن يسلم الأمر إلى أخيه ، ففعل ذلك ، فخرج هو ومن معه فألحد الرسول ، وبايع باليسار ، تعريفاً أنهم أصحاب الشمال الذين وعدهم الله بالسموم والحميم في النار .

وكانت سنة الله جارية[33] في أوليائه وأوصيائه ، لا يدفن الأول حتى يقوم الآخر ببيان فضل حجته ، وتبين منزلته للخلصاء من أهل دعوته ، والحمد لله الذي هدانا إلى معرفة أوليائه ، واصطفانا باتباع أوصيائه ، وصلى الله على نبيه سيدنا محمد والأئمة الطاهرين من أبنائه .

الباب الخامس عشر : في ذكر علي وصي محمد وخليفته ، وعالي فضله ، وما خصه الله تعالى به من شريف قدره ، وسامي محله . ولما انتقل[34] الرسول من هذه الدار ، وارتقى إلى عالم الملكوت ، ودار القرار ، قام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مقامه ، بأمر الله سبحانه ووحيه ، وهو (ع) جامع المراتب الأربعة : النبوة والرسالة ، بتسليم النبي (صلعم) إليه ذلك ، ونصه عليه ، والوصاية ، (186) والإمامة ، لكونه مجمع المستقرين من أول الثلاثة[35] الآلف سنة نور الأنوار ، وزبدة الأعصار ، وهو مستقر الباطن ومركزه ، وأساس الدين .

وكان محمد (صلعم) كفيلاً عليه حتى أدى إليه الكفالة ، وسلم إليه الوديعة ، وهو بعده مقام النور ، والحجاب المشهور ، والباب المستور[36] ، اسمه في العصور ، والدهور ، نهاية النهايات ، وغاية الغايات ، وآية الآيات ، المتسلل معناه من أول السلالة الشرعية ، إلى ظهوره مع الرتبة اللحمية ، وهو السابق إلى الإسلام ، وهو

---

(33) جارية : جراية في ن .

(34) انتقل : نقل في ن .

(35) الثلاثة : سقطت في م .

(36) المستور : الساتر في ن .

التسليم إلى محمد (صلعم) ، بما أوتيه من الكفالة والرضى بما فيه ، أقيم من النبوة والرسالة . فقام له مساعداً مجتهداً في دينه مجاهداً ، وأيد الله به نبيه ، وأظهر كلمته[37] ، ونصر به الإسلام ، وظهرت القضايا والأحكام ، وتميز الحلال من الحرام ، وأباء الله به الكافرين ، واستأصل شافة المعاندين ، وكان آدم في الشرائع ووصيه مقام السلالة ، وقام نوح ووصيه مقام النطفة ، وقام إبراهيم ووصيه مقام العلقة ، وقام موسى ووصيه مقام المضغة ، وقام عيسى ووصيه مقام العظام ، وقام محمد (صلعم) مقام اللحم تمام الخلقة الجسمانية ، وإنتهاء الأعمال الشرعية ، وظهر[38] أمير المؤمنين (ع) كالنفس التي بها يقوم الجسد ، وبها ينمو ويتحرك ، فانسلت تلك العناية الإلهية من القوة إلى الفعل ، ومن حد الكمون إلى حد الظهور والبروز[39] من العدم إلى الوجود .

وكان (ع) للشرائع والأوضاع من عصر آدم إلى محمد (صلعم) يقوم مقام الحياة المحيية المنمية ، الحساسة الدراكة ، الناطقة العالمة ، حجة الله وقدرته وآيته ومعجزته ، وسيف نقمته لأعدائه ، ونعمته على أوليائه ، بسببه دارت الأفلاك الدائرة ، وتناظرت الأملاك التي هي في بروجها سائرة ، وامتخضت[40] الطبائع والأمهات ، وبرز ما ضمن في المعادن والنبات والحيوان ، وظهرت الصفوة الجامعة لخلاصة الإنسان ، وهو أذن الله تعالى الواعية ، ويده المبسوطة أمير المؤمنين (187) وقبلة الموحدين ، ونور رب العالمين ، المخرج لأوليائه من ظلم الإلحاد والغرور ، إلى الضياء والنور ، والمبدل لهم بظل بيانه عن الحرور ، من أقر بولايته سلم وغنم ، ومن جحدها منع وحرم .

قال سيدنا جعفر بن منصور اليمن قس : ذكر في التواريخ وفي السير[41] أن الله لا يقبل توبة نبي ، ولا إصطفاء وصي ، ولا ولاية ولي ، ولا عمل طاعة من عمله ، ولو تقطع في العبادة ، واجتهد إلّا بولاية علي بن أبي طالب (ع) ، فمن أتى بغير[42] ولاية علي اسقطت نبوته ووصايته وولايته ، وصالح[43] عمله ، ولم يقبل الله منه ، ولا

---

(37) كلمته : كلامه في ن .

(38) وظهر : وبان في ن .

(39) والبروز : والزور في م .

(40) وامتخضت : وخفضت في ن .

(41) وفي السير : وفي السر في م .

(42) بغير : سقطت في ن .

(43) وصالح : وصوالح في ن .

ذكى عمله ، وعلي (ع) من ولد إسماعيل بن إبراهيم لا من ولد إسحاق ، وأي فضل أعظم من هذا الذي ما له شريك فيه بل هو مخصوص به ، فكما أن الله واحد فرد صمد لا شريك له في ملكه ، ولا صاحبة ولا ولد ، كذلك علي (ع) واحد في فضله ، أحد فرد صمد لا شريك له فيه ، وليس له كفواً أحد .

وقال في فصل ثاني : قال الله تعالى : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾(44) وأوجد لهم الباب عياناً . وعرفهم به تبياناً ، وأقام عليه الدلائل والبراهين بالرمز والإشارات ، والتلويحات والكشف بالمقامات ، فجعل بابه تحت الإشارة في جميع الأدوار ، بالإشارة إليه ، والتوجه نحوه ، وأظهره وأبانه في آخر دور ، وخاتم كور .

وأجرى تبيانه على لسان خاتم أنبيائه ورسله محمد (صلعم) خاصته وصفوته ، فقال : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت المدينة من بابها . وقال سبحانه : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾(45) إعلاماً بأن ظاهر الباب الذي من قبله هو ظاهر الشريعة المتمسك به أهل الشك والإرتياب ، البعداء من التأويل ، الواقفون على المحسوس ، التاركون للمعقول ، فأوجب لأهل باطن الباب الرحمة ، والثواب ، وعلى أهل ظاهره النقمة ، والعذاب .

وباطن الباب ولاية أمير (188) المؤمنين وطاعته ، والرضى والتسليم له ، والوفاء بعهده ، لقوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا ﴾(46). وكانت إشارة النطقاء كرمز آدم بتابوت السكينة ، ونوح بالسفينة ، وإبراهيم بالبيت ، وموسى بالعصى ، وعيسى بالصليب .

وقال محمد (صلعم) أنا مدينة العلم وعلي بابها ، نصاً جلياً ، وكانت معجزة محمد (صلعم) القرآن الذي عجز الخلق أن يأتوا بسورة من مثله ، والقدرة التي هي وصية صاحب التأويل ، الذي قامت به معجزته ، ووضح صدقه .
وقد قال سيدنا جعفر بن منصور اليمن أعلا الله قدسه : أن(47) مولانا الصادق

(44) سورة 57 آية 13 .

(45) سورة 2 آية 189 .

(46) سورة 17 آية 34 .

(47) أن : سقطت في ن .

صلوات الله عليه روى عن مولانا علي (ع) أنه قال : إن لي منزلة لم تخطر على قلب بشر ، وحداً لم يبلغ معرفته أحد ، وأن الربوبية الإلهية لتخطر[48] على قلوب البشر فيعرفها أهل الحقائق منهم .

وإن الخلق أجمعهم ليعرفون الله بإقرارهم بظاهر المعرفة ، وأهل الحقائق يعرفون الله بحقيقة معرفته ، ويوحدونه من وجه توحيده ، وإن علياً (ع) لم يعرفه أحد بالجملة حقيقة معرفته ، إلاّ رسول الله (صلعم) والأئمة من ولده (ع) ، بل عرفه أهل اليقين بظاهر المعرفة ، وإثبات الآيات والبراهين والمعجزات التي أظهرها الله تعالى لهم مرة بعد مرة .

وقد بين في هذا الفصل[49] أن الخلق يعرفون الله تعالى بإثبات صنعته ، وأهل الحقائق يوحدونه بلسانه من حيث حدوده ، كما قال الحكيم : أينما ظهرت المعجزة فاسجد . وقد دخل سلمان الفارسي على النبي (صلعم) وسجد له ، فقيل له : يا سلمان أتسجد لبشر مثلك ؟ فقال : إنما سجدت للنور الذي بين عينيه ، وذلك النور هو أمير المؤمنين (ع) . وكان سجوده لما عرف[50] ما قصر غيره عن معرفته ، وظهرت المعجزة له ، نجع وأطاع ، ولم ينكر فضل مولاه ، ولم يستنكف عن عبادته ويجحد ما أولاه ، ولم يظهر لأحد من المعجزات مثل ما ظهر لنبينا محمد (صلعم) ومعرفة الرسول والأئمة من ذريته بأن علياً (هو النهاية)[51] الثانية ، وهو يستحق من الصفات (189) المتناهية[52] بالشرف ما تستحقه النهاية الأولى ، وأنه حجابها ، وبابها ، ولسان صدقها ، وبرهانها ، ولذلك وصف ذاته ، فقال : أنا الأول والآخر ، وأنا الظاهر ، وأنا الباطن ، وأنا بكل شيء عليم ، وأنا الذي سمكت سمائها ، وسطحت أرضها ، وأجريت أنهارها ، وأنبت أشجارها .

فالنهاية الأولى المنطقة له بذلك بأنه الأول من عالم الإبداع ، والآخر الذي إتحد بكل مقام ، وهو العقل الأول الناطق على لسانه مظهر المعجزات[53] ، وباطن الآيات لا

---

(48) لتخطر : خواطر في م .

(49) الفصل : الفاصل في ن .

(50) عرف : عوارفه في ن .

(51) هو النهاية : سقطت في م .

(52) المتناهية : الماهية في ن .

(53) المعجزات : العاجزات في ن .

يـدرك بالصفـات ، وسمك سماءها العـالية من الـطبيعة ، والنـطقاء والحـدود في سـائـر الأوقـات ، وسـطح الأرض للمـواليـد من معــادن وحيـوان ونبــات ، وأنبت الأشجـار للأقوات ، وأجرى الأنهار في بحر وبر بتقدير من له الإرادات ، وهذا نطق النهـاية الأولى على لسان النهاية الأخرى .

والنهاية الأولى هو العقل ، والنهاية الثـانية هـو الولي ، وهـو مستحق من الصفات مثل ذلك فهو الأول[54] في الإسلام والإيمان ، وهو أول بـاتحاد المتحـد به ، وهـو آخر ، لأنه النهاية الثانية الظاهرة بالفعل بعد القوة ، كما ذكرنا ، وهو الباطن بما بطن[55] فيه من العلم والحكمة ، والأنوار والأسرار ، وهو الذي سمك سماءها ، أي نصر الناطق ، وهو مثل السماء حتى قام برهانه ، وظهر شأنه ، وسطح أرضها بإقامة الحدود ، وبسط الدعـوة التي منها النشوء الثاني الموجود ، وأجرى الأنهار بإظهار العلوم من كل حد لمن يليه، ومن كل عالٍ أنبت أشجارها بما أمد به المؤمنين ، وصـورهم صورة العلم والـدين ، وهداهم إلى الإيضاح والتبين ، وهو نهاية ثانية بإزاء النهاية الأولى المشار إليها كما قدمنا ذكره ، بأنه الخالق الباري المصـور ، لما (دنـا وعلا)[56] في السمـوات العُلى والأرضـين السفلى ومـا بينهما ، وما تحت الثرى ، وأمير المؤمنين الذي ولهت فيـه النفوس وتحـيرت ، وعن معرفتـه العقول قصرت ، وبمواده المعجزات ظهرت ، (190) وهو خالق صـور الدين الـذي به تصورت ، وبه بلغت كما لها الثاني بما ألقي إليها من إكسير علمه الروحاني ، وهو الإكسير الأعظم الذي لا يستحيـل ، وبه تبلغ[57] النفـوس إلى المقام الأشرف الجليـل ، فيرجـع نقصهـا إلى التمام ، وتعلق مـلائكة بعـد أن تعـد كنفـوس الأنعـام ، وكـان ظهـوره مـع محمد (صلعم) لتأويل التنزيـل ، مثل ظهـور النفس والجسم معاً في التشبيـه والتمثيل ، لأن الجسم هو ظاهر الشريعة المقصور على حد الكثافة .

والنفس هو حد التأويل المحي لمن واصله بمـا فيه من اللطافـة ، فعلم على صـورته نفس الشرائع ، وثمرها المدفون في غصونها المنفوخ فيها عند تكوينها ، وهو محي الشرائـع ومقويها[58] ومؤلفها[59] ومتممها ، كما أن اللطيـف به حياة الجسم وتقويه ، وكماله بنفخه

---

(54) الأول : سقطت في ن .

(55) بطن : سقطت في ن .

(56) دنا وعلا : سقطت في ن .

(57) تبلغ : بلغ في ن .

(58) ومقويها : وقواها في ن .

(59) ومؤلفها : ومآلفها في م .

فيه وتتميمه ، وكان رسول الله (صلعم) يعظمه ، ويشرفه ، ويكرمه .

وقد قال (صلعم) : ما عرفني حقيقة معرفتي إلاَّ رسول الله والأئمة الطاهرون ، من عقبي وذريتي . وكان رسول الله (صلعم) أكمل النطقاء كمالاً ، وأعظمهم رفعة وجلالاً ، وأكثرهم علماً ، وأرجحهم حلماً ، وأحسنهم خلقاً ، كما قال في صفته تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[60] ومدحه تعالى في سورة : ﴿ وَالنَّجمِ إِذَا هَوَى ﴾ . لأن نور العظمة تظهر به حتى رآه مرة أخرى ، ورأى آيات ربه الكبرى . وكذلك كما ظهر بإبراهيم (ع) فأرى ملكوت السموات والأرض ، ومحمد وعلي هما صفوة الله في خلقه ، وعطية الله لإبراهيم خليله ، وإجابته في سؤاله ، قال الله تعالى : ﴿ وإِذْ يَرفَعُ إِبرَاهِيمَ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ العَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجعَلْنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبعَثْ فِيهِم رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُوا عَلَيهِم ءَايَاتِكَ وَيُعلِّمُهُم الكِتَابَ والحِكمَةَ (191) ويُزَكيهِم إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[62] فكان (صلعم) يقول : أنا دعوة أبي إبراهيم ، وعلي (ع) هو النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون .

وقد روي أن النبي (صلعم) كان يوماً جالساً في أصحابه ، إذ أقبل أمير المؤمنين فقال لهم : من أحب منكم أن ينظر إلى آدم في علمه ، ونوح في فهمه ، وإبراهيم في حكمه ، وموسى في مناجاته ، وعيسى في معجزاته وسننه ، وإلى محمد في فضله وكماله ، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل . وذلك من النبي إشارة وتبيين ، وإيضاح ، وتعيين ، بأن علياً عليه السلام كل تلك المقامات الشريفة الجامع لهم ، والمستكمل لأوضاعهم ، والمبين لتأويل شرائعهم ، صاحب البرهان والبيان ، والتأويل الكلي المظهر له إلى العيان ، وله الأمثال المضروبة ، والأسرار المحجوبة .

قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَـهٌ وَفِي الأَرضِ إِلـهٌ ﴾[63] يعني أمير المؤمنين لقيامه في أرض الشريعة ، وكونه وصي صاحب الدور ، فولهت فيه الحدود ، كما وله العقل في مبدعه ، ووقفت خاسئة حيرة عن معرفة فضله وعالي مرتبته ، وكان أمير المؤمنين (ع) بنسبته إلى من قبله من الأئمة المستقرين ، الذين جمعهم في شريف

---

(60) سورة 68 آية 4 .

(61) سورة 53 آية 1 .

(62) سورة 2 آية 127 ، 128 ، 129 .

(63) سورة 43 آية 84 .

مجمعه ، فهو قائمهم الكلي ، المظهر البرهان الجلي ، وهو بنسبته إلى قائم القيامة[64] قائم جزئي لظهوره في الدعوة ، وبروزه في قميص الشريعة ، إذ كانت شريعة القائم عقلية ، ودعوته دعوة كلية ، غير متجزئة لاجتماع المقامات في ضمنه ، وظهور علم التأويل كلياً في دعوته ،

وقيل إن أساس النبي (صلعم) أُبي بن كعب القائم في رتبة المكاسرة ، والإفادة بالعلوم الظاهرة ، وهو يحل من محمد محل يوشع من موسى لكونه الذي إبتدأ بتعليمه ، وتأسيس بناء صورته ، وكان النبي (صلعم) يقول : أقرأكم أُبي . فهو من قام مقامه وصي للقيام[65] (192) في مقام يوشع بن نون ، واستخلافه على ظاهر الشريعة ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب له المقام العظيم ، والحد الجليل ، وهو يتعالى ويتقدس عما وصفه به القاصرون ، وهو بعد مقام محمد (صلعم) القائم بتأويل مرموزات الشريعة وخفياتها ، المبدي حقائق سرائرها ومكنوناتها .

وهو صاحب الكشف لكونه كشف ما ستره النبي (صلعم) في ظاهر شريعته ، وأبدى ذلك لأوليائه وخاصته من غير تقصير في مقام محمد (صلعم) ، ولا انتحال ما انتحله الغواة المبطلون من الغلاة الآفكون الهالكون ، بل نقول فيه إنه (صلعم) قد بلغ إلى النطق الحقيقي ، وعلى جميع المراتب ، وحاز أعلى المنازل ، وقام في عالم الدين مقام العقل الأول الذي ليس فوقه إلّا مبدعه وموجده ، وإنما قيل أُبي بن كعب أساسه ، وذلك في ظهوره بالناسوتية ، وتجليه بالحجب ، فإذا انتهى به إلى علو مقامه ، وسمو شرفه ، فهو يتعالى عن ذلك ، ويتساوى عن ما هنالك .

فالواجب على من نظر في العلوم التدقيق والبحث ، وأن يكون نظره نظراً حقيقياً ، ولا يضيع حداً عن حده ، ولا يرفعه عن مقامه ليؤديه معرفته بالحدود إلى معرفة مبدع الوجود ، وخالقه من عدم غير موجود ، فافهم ما شرحناه ، وتبين ما أوضحناه .

قال : سئل[66] الصادق (ع) رجل مسمى ابن سنان من خاصة[67] أوليائه عن محمد (صلعم) وعلي فقال له الصادق : يا ابن سنان إن محمداً دل على علي بقوله : من كنت مولاه فعلي مولاه . ومحمد دلّ على الله ، وكان من نوره ، ولهذا الظاهر الذي أظهره

---

(64) القيامة : القوام في ن .

(65) للقيام : سقطت في ن .

(66) سئل : سؤال في ن .

(67) خاصة : خواص في ن .

باطن فهذه قدرة أظهرها لنفسه ، ولا قدرة أجل من إظهار الصورة فدل بها خلقه ، وعرف بها أنواره ، وهدى بها قوماً ، وضل آخرون ، فاسم[68] علي واقع على الصورة الظاهرة ، واسم الله واقع على اللاهوت الباطن . فعلي هو ولي الله ، والله ولي علي ، (193) إلاّ أن ذلك الناسوت عرف باسمه ، كما عرف ناسوت العالم بأسمائهم ، ولولا إنك تدعوهم بأسمائهم لما عرف ، ولا كان الناس يعرف بعضهم بعضاً ، فإذا قيل فلان عرف بالاسم ، وإنما سمي الناسوت بهذه العبارة لإثبات المعرفة ، لأنك تقول علي ، فعلي[69] صورة ظهرت منها قدرة ، فذلت لها رقاب الخلائق . فالله موجود في باطنه[70] ، ظاهراً في خلقه ، لأن الله غيب لا يدرك ، ووليه نور يستدرك .

قال الباقر (ع) : ورأي غيري أراد به الولي ، وخلقه غيره . ويقول : إذا عرفتموني فليس عليكم بمعرفة ما وراء ذلك ، وإنما أقام الناس لعلة أبدانكم لكيما تروا منه في العلم والقدرة ، فيكون وجودكم له بأبصاركم البشرية لا بقلوبكم . فإن معرفة القلب معرفة معدومة ، وكان وجود المعرفة له بالبشر فجهلوه ، أعاذنا الله من ذلك .

فهذا كلام الصادق الأمين ، وباقر علم الدين . وقد قال الرسول : إن الله خلق آدم على صورته ، وقال : رأيت ربي في أزقة المدينة بوفرة ، جعل قطط ، وهو شاب مقبول الشباب ، وإلى ربه أشار ، ولم يشر إلى الله تعالى الغائب عن الدرك .

وروي عن رشيد الهجري رحمة الله عليه أنه قال : سمعت أمير المؤمنين يقول في محضر من شيعته وأصحابه : ما آمن بالله ولا بنبوة رسوله ، من لم يقر بولايتي ، ولا يطيع أمري حق طاعتي ، مثل سليمان بن داؤد (ع) ، عندما[71] سأل الله أن يعطيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فأجاب له سؤاله ، وأطاع[72] له الجن والإنس والرياح ، وعلمه منطق الطير ، وأتاه من كل شيء فاعجب بملكه وما أتاه ، فعرضت عليه ولايتي فتوقف عنها ، فسلبه الله ملكه ، وابتلاه بالجسد الذي ألقاه على كرسيه ، وسقطت نبوته أربعين يوماً ، حتى أقر بي وبولايتي ، فرد الله عليه ما سلبه ، وكشف عنه بلاه الذي ابتلاه به ، وكذلك داؤد (ع) أمر بالحكم بين الناس فحكم ، واعجب بما صار إليه (194) ،

---

(68) فاسم : سقطت في م .

(69) فعلي : سقطت في م .

(70) باطنه : بطن في ن .

(71) عندما : سقطت في ن .

(72) وأطاع : واستطال في ن .

فعرضت عليه ولايتي فتوقف عن ولايتي فابتلاه الله بما خطر بقلبه حتى أقرّ بي وبولايتي ، ورجع إلى طاعتي، وأناب وتاب . وكذلك أيوب (ع) عرضت عليه ولايتي فتوقف ، فابتلاه الله بما ذكره من بلاه ، وامتحنه امتحاناً عظيماً ، فوجده الله صابراً على البلاء ، حتى أقر بولايتي ، فعافاه الله مما إبتلاه الله ، وكشف عنه ضره . وكذلك يونس[73] عرضت عليه ولايتي فتوقف ، فابتلاه الله بالحوت الذي ابتلعه ، فلما أقر بولايتي عوفي وخلص .

وكذلك نبينا محمد (صلعم) عرضت عليه ولايتي فتوقف عنها ، فنزل أمثال تلك البلايا ، فمن سارع إلى الإجابة بالولاية كان من المرسلين ، ومن[74] أبطأ عن الإجابة والإقرار بي كان من غير المرسلين ، إلا وأن ولايتي ولاية الله ، وهو قوله هنالك الولاية لله الحق ، وهو والله ولايتي ، فمن أقر بها أقر بالله ، ومن أنكرها فقد كفر بالله وأنكره ، وكفر برسوله .

وروي عن أبي ذر رضوان الله عليه أنه قال : سمعت أمير المؤمنين يقول لجماعة من خاصته : أنا دين الله حقاً ، أنا مرضات الله حقاً ، أنا توحيد الله حقاً ، لا يقولها غيري ، ولا (مدعياً يدعيها)[75] إلاّ كان كاذباً ، أنا الذي عظمني الله ، فقال في قسمه : ﴿ فَلَا أُقسِمُ بِمواقِعِ النُّجومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لو تعلمُونَ عَظِيمٌ ﴾[76] أنا العلي الكبير ، أنا أذن الله التي ذكرها في كتابه : ﴿ وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[77] أنا جنب الله الذي ذكره بقوله : ﴿ يَا حَسرَتِي عَلَى مَا فَرطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾[78] أنا وجه الله الذي قال : ﴿ فأينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجهُ اللَّهِ ﴾[79] اسمي في القرآن جمعاً ، وفي التوراة كُلّاً ، وفي الإنجيل حتماً ، وفي الزبور يسيراً ، وفي صحف إبراهيم الأولى ، أنا بما في العلم خبير ، وبما يكون عليم ، وفي العالمين قديم ، وفي السموات البصير ، وفي الأرض عارف .

وقد قال الداعي جعفر بن منصور اليمن نضر الله وجهه في كتاب تأويل (195)
الزكاة : العلم الحقيقي لا يبيد ، ولا يفنى ، والعالم لا يموت أبداً ، البقاء علمه في

---

(73) يونس : نورس في ن .

(74) ومن : سقطت في م .

(75) مدعياً يدعيها : مدعيها يدعى في م .

(76) سورة 56 آية 75 ، 76 .

(77) سورة 69 آية 12 .

(78) سورة 39 آية 56 .

(79) سورة 2 آية 115 .

العالم ، وأنه متى نقل من هذا العالم لم ينتقل علمه معه ، بل هو باق بعده يتناقله الناس : فبقاء علمه هو باقي في الناس معمراً أبداً ، فكل إمام في زمانه هو اسم الله في عصره ، وطاعتهم له هو وجه العبادة لله ، فمن عرف إمام زمانه وأخذ عهده ، وسلم في جميع أموره ، وعرف حدود ، وأقر بها ، وأدى لكل حد حقه ، ولم يلحد فيه ، فقد عرف الله بحقيقة المعرفة ، ووحده من وجه توحيده ، ومن رأى أمام زمانه بغير[80] الصورة ، وجهل مقامات الحدود فما عرفه ، ولا عرف الله ، ولا وحده ، ولا أطاعه ، ولا عبده . فكانت طاعته لغير الله وعبادته في غير مرضات الله ، ولا تمسك بحبل الله ، وكان شاكاً في الله مشركاً .

قال الله سبحانه : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هو الحيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وسع كُرْسِيُّهُ السموات والأرض وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العظيمُ ﴾[81] . ﴿ لا إكراهَ في الدِّينِ قَد تبينَّ الرُّشدُ مِنَ الغيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللَّهِ فَقَد استمسَكَ بِالعُروةِ الوُثقى لاَ انفصَامَ لَهَا ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[82] . ﴿ اللَّهُ ولي الَّذينَ آمَنُواْ يُخْرِجهم من الظُّلماتِ إلى النُّورِ وَالَّذينَ كفرُوا أَوْلياؤهم الطَّاغُوتُ يُخرجونَهُم من النُّورِ إلى الظلماتِ أُوْلَئكَ أصحابُ النَّارِ هُم فيهَا خَالِدُونَ ﴾[83] . فهذه الآيات أظهرت النفي والإثبات ، وكنى صاحبها بالحي ، إذ الحياة صفته ، ونفى عنه النوم والسنة وسمي بالعلي العظيم ، بعد أن قيل وسع كرسيه السموات والأرض وهو علمه . ثم قال الله في الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ولم يخرج الأمة من الشك والحيرة ، أعني الأولياء خاصة (196) غير علي عليه السلام .

ونسب الكافرون إلى الطاغوت المخرج لهم من النور الذي هو ولاية علي ومعرفته إلى ظلمة الشبهات ، فأين يتاه بثواقب العقول ، وأين يطمح السائل بالمسؤول . وقال الحكيم (ع) : إن الله عدل في قضائه ، وعدل دائم ، فكما عدل على أول الخلقة كذلك يعدل على آخرهم ، وكما عدل على الملائكة[84] بمعرفته وقربه منهم ، كذلك يعدل

(80) بغير : من غير في ن .

(81) سورة 2 آية 255 .

(82) سورة 2 آية 256 .

(83) سورة 2 آية 257 .

(84) الملائكة : الملاك في ن .

على الآدميين ، وأنه سبحانه كيف ما ظهر لأول الخلق ظهر لآخرهم كفعله وفي وسطهم ، وأنه الشاهد الذي لا يغيب ، ولا يكذب مكذب بظهوره ، ولا يجحد صورة من صوره ، ولا يدفع اسماً من أسمائه ، فمن لم يعرف الله من حجابه ومقامه فهو إبليس لتحيره عن معرفته .

قال الله سبحانه : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾[85] يعني كل ظاهر ظهر باسم الإمامة فهو ذرية الظاهر الأول ، وهو هيكل نوراني ، وبيت روحاني للعين العظيمة . فافهم ترشد ، إن شاء الله تعالى . وقال أيضاً : ما ظهر لك من الناسوت خلاف اللاهوت ولكن قدرة أظهرها . وفي مثل ذلك سئل الصادق (ع) عن سنة الرب ؟ فقال : خمس كلمات الله أحد . وقول الصادق (ع) إشارة إلى لواهيتهم ، وأما النواسيت فهي مولودة . فظهر الصادق (ع) لسائله في صورة كالقمر الطالع يحير ذواته[86] في الأرض ، وظهر في صورة فاطمة ، وفي صورة محمد . ثم إلتفت عن يمينه في صورة الحسن ، وعن يساره في صورة الحسين ، وقال : هذا كله واحد بلسان واحد ، ينطق ويتصور كيف شاء بقدرة الله رب العالمين . ألم تسمع إلى قوله : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾[87] فدل أنه يتمثل بالنورانية والبشرية ، فإذا ظهر ذلك فإنه الذي تراه ، وليس هو مثل الذي تدركه بحواسك فتحيط به ، والله لا يحاط (197) به .

وكذلك ما أظهر أمير المؤمنين لجابر بن عبد الله من المعجزة إذ ظهر له بصورة الميم ، ثم في صورة الفاء ، ثم في صورة الحسن ، ثم في صورة الحسين ، وعاد في الصورة الأنزعية ، وقال : يا جابر أيحتمل عقلك هذا ؟ هذا قميصي وملابسي في كل وقت وزمان . وقال قال (ع) : إن ميتنا لا يموت ، ومقتولنا لا يقتل .

وقد روي أهل البيت عليهم السلام أن رسول الله (صلعم) قال : يا علي إذا غسلتني ولففتني[88] ، فاجلسني واسألني عما يكون إلى يوم البعث . ففعل ذلك أمير المؤمنين فنطق رسول الله وهو في أكفانه وحنوطه بما أراد إظهاره من الحكمة والمعجزة ، فليس ظهور الله إلّا المظهر من آياته وصفاته ، لأن الله عزَّ وجل لو ظهر لخلقه ظهور المشاهدة فتصفي قلوبهم ، وينظرون إليه إذا شاؤوا لذهبت هبته وقلت هيبته وقل وقاره ،

---

(85) سورة 7 آية 172 .

(86) ذواته : ذاته في ن .

(87) سورة 19 آية 17 .

(88) ولففتني : سقطت في ن .

وفي المتعارف أن الخلق إذا عاينوا شيئاً يخافونه قل خوفهم فلم يلق به مخالطة الناس ، ولا ملامسة الأدناس ، ولا يقال السماء فوقه ، ولا الأرض تحته ، بمنزلة سائر المخلوقين . لأن الأرض لا تطيق حمله ، والسموات لا تستقر فوقه ، ولا تستقيم الجبال الرواسي عند رؤيته ، وتزلزلت الأرض عند لمحته ، وأبصار الخلق تعجز عن النظر إلى ذاته ، برهان ذلك أن الشمس بعض آياته ، وأبصار الخلق تعجز عن أن تنظرها ، فكيف يستطيع إلى إدراك خالقها سبحانه ووجه العدل سفر ، والحق مبصراً لمن وفقه الله تعالى .

ونرجع إلى ذكر أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام فنقول : إنه لما كان جامعاً لمن تقدمه من المقامات الشريفة ، وكُلّاً لهم ، وهم أجزائه ، قالم إبليس الأبالسة ضداً له ، مدعياً لمقامه ، صاداً عن سبيله ، وإليه أشار العلي العظيم بقوله في الكتاب الكريم : ﴿ الَّذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * في أي صُورَةٍ مَّا شاءَ رَكَّبَكَ ﴾[89] فجحد فضله ، وأنكر نعمة الله تعالى و(198) استكبر في نفسه ، وجحد حجة الله على خلقه ، المنصوص عليه من الغيب سبحانه بالنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون . وبقوله : ﴿ إنَّه في أُمِّ الكتابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[90] ولم يكن في قضية العدل إلاّ دوام الفضل لمقام هاد مرشد موحد بجرد أفضل البرية ، وأصل الذرية الطاهرة الزكية .

فكان الإمام المعصوم صلوات الله عليه ، فقام مجتهداً في هداية خلق الله لئلا يكون للناس على الله حجة[91] ، فألف القرآن على معانيه ، وأوله إظهاراً لجواهره المكنونة ، وإبرازاً لمعانيه المخزونة ، فاغلق بابه ، وأرض عليه ستره وحجابه ، ولزم كهف التقية ، وطلق الدنيا الدنية ، لثلاثة[92] وجوه : أولها لم يبق له من الصحابة فئة تنصره غير الاثني عشر الباقين ، ورثة الكتاب المنتظم لهم معنى الآية : ﴿ وإذا أَخَذَ اللَّهُ ميثاقَ الَّذينَ أوتوا الكِتَابَ لتبيننهُ للنَّاسِ وَلاَ تَكتُمُونَهُ ﴾[93] . وهم الستة من المهاجرين ، والستة من الأنصار الذين قام كل واحد منهم يوم أراد أبو بكر أن[94] يخطب بالجامع ، بإنذاره ووعظه ، بما معرفته تغني عن إعادته إذ هو يطول .

وقد ذكرنا ذلك في كتابنا المعروف (بعيون الأخبار ، في فضل النبي المختار ،

---

(89) سورة 82 آية 7 ، 8 .

(90) سورة 43 آية 4 .

(91) حجة : حاجه في ن .

(92) لثلاثة : سقطت في ن .

(93) سورة 3 آية 187 .

(94) أن : سقطت في م .

ووصيه وآلهما الأطهار)[95] والوجه الثاني ، فلم يكن له دار هجرة يـأتيها ، ويقيم حـدود الله فيها . والوجه الثالث : إرادته لثبات الإسلام لكيلا يرجع النـاس عنه إلى الشهـود ، والتنصر ، والشرك ، وترجع الجاهلية الأولى .

وقـد تقدم إليـه رسول الله (صلعم) في ذلـك من الكلام بمـا قـد عـرفـه الخـاص والعام ، فقال له : لا تجرد بعدي سيفاً فتعود الجاهلية على قدمها وقال له : يليها أبو بكر غصباً وظلماً ، فإن قمت بفئـة تنصرك فحقك ، وإن قعـدت فالجنـة . ويليها بعده عمر غصباً وظلماً ، فإن قمت بفئة تنصرك فحقك ، وإن قعدت فالجنة . ويليها بعـدها عثمان فإن قمت فحقك (199) وإن قعدت فالنـار . يعني إن وجدت فئـة تنصرك تقوم بهـا في أوان الأولـين فالحق لـك ، فـإن لم تجـد ذلـك فقعـودك جنـة عـلى المـوالف والمخـالف ، فللموالف جنة بتأليف القرآن وتلاوته[96] ، وإظهار سره ومكنونه ، وهو الجنـة الكاملة ، والنعمة الشاملة .

وأما جنة المخالف فقعوده عنه إقامة على شريعة الرسول ، وتطميناً له لا يعـود إلى الجاهلية الأولى ،فيبطل حكم الإسلام ويزول وأما قوله فـي عثمان إن وجدت فئـة تنصرك فحقك ، وإن قعدت فالنار . فذلك لعلم رسـول الله (صلعم) أن الثالث يـأتي بغير مـا أتى به الأولان من إقامة ظاهر الإسلام ، وتمكنه[97] الفرصة فيبدل السنة ، ويغير الشرائع والأحكام . وذلك لإعادة الطرداء ، وإحراقه للقرآن ، وأفعاله التي استحق بها القتـل ، بعـدل الله وحكمته الجـارية في كـل حين وأوان ، فكـان قعوده (ع) بسبب مـا ذكرنـاه إقامة للقوم على شريعة الرسول ، والحق حقه ، والجنة دعوته ، والخلافـة خلافتـه ، وهو قائم الذات ، مفصل[98] الآيات ، مظهر البينات ، ومجده سـاطع ، وعلمـه نافـع ، ولم يقعـد عن عجـز ولا ذل ، ولا غلب ولا هضم ولا جهـل ، ولا اعـتراف بـأنهم لـذلـك بأهل ، فيكون قعوده بذلك لهم إقراراً ، ولا تقديم لهم بفضـل استحقوه ولا كـان لهم به إئتماراً ، بل قعـوده لإقامـة الإسلام ، وتمـام الأحكام ، والإعـراض عن الدنيـا وما فيهـا والحـطام ، وقعوده (ع) هـو القيـام الكـلي الـذي لا يعـرفـه إلاّ أهـل المعرفـة ، وهل

---

(95) هذا الكتاب في سبعة مجلدات حققنا ونشرنا منها السبع الرابع ، والسبع الخامس ، والسبع السادس ، من منشورات دار الأندلس بيروت ـ لبنان . وسنحاول في المستقبل نشر البقية الباقية .

(96) وتلاوته : وتليه في ن .

(97) وتمكنه : ومكانه في ن .

(98) مفصل : وصل في م .

يطلب رتبة أعلى من رتبته ، أو منزلة فوق منزلتـه ، وإنه لما ظهر هـو ومحمد (صلعم) ، تقدم محمد (صلعم) فأوصى[99] إليه ، والدعاء إليه ، فكان اجتماعهما كـاجتماع حـرفي هجاء من حروف العجم ، إذ متى اجتمع[100] الحرفان ظهر المعنى . وهـو بحرف واحـد لا يظهر ، وهما أبوا الأمة ، ومعنى الرحمة والنعمة ، (200) فلم يكن إمساكه عن طلب حقه في أيام الظلمة ، لما جلسوا مجلسه ، وادعوا ما ليسوا بـأهله من منزلـة الإمامـة . إلاّ لأن لا تبـطل الشريعة بـزوالهم عن الدين بقـرب عهـدهم بـالشرك ، ولما في قلوبهم من الشك ، لما أوغر قلوبهم بقتل الأحباء والآباء ، والأولاد ، وذوي الوداد .

ولم يغب الرسول إلاّ وقد عرفهم بمقام علي بن أبي طالب ، وهداهم إليه ، تلويحاً ، وتصريحاً ، ورمزاً ، وبياناً صحيحاً .

وقد كان رسول الله يقول : عمار مع الحق ، والحق مع عمار[1] فعلي هو الحق الذي عمار معه . وقد فاز من آمن به وأطاعه .

وكان رسول الله يقول سلمان منا أهل البيت . فلم يبعد سلمان من الحق حيث كان وقـال : ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغـبراء ، على ذي لهجـة أصدق من أبي ذر[2] . فشهد أبو ذر أن أبـا بكر ظـالماً معتـدياً أثـماً ، فكذب ، ونفي ، وأبعـد ، وأوذي . وقال النبي (صلعم) : رضيت لأمتي ما رضي لها ابن مسعود ، ولم يرض ابن مسعود للإمـامة إماماً غير علي ، ولا إتخذ غيره بعـد الرسـول من ولي . وكفى بما نـزل في علي (ع) يـوم الغدير من النص العظيم ، والفضل الشهير .

قـول الله تعـالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فهـل بعد هـذه الآيـة نعمـة غير معـرفـة عـلي (ع) وطـاعتـه ، وتبعته وولايته ، والتسليم له ولذريته ؟ وقـد أوضح محمـد (صلعم) دعائم الإسـلام الست ، وجعل معناها وروحها ونورها الولاية سابعة الفرائض وخاتمتها ، وغايتهـا ، وروحها التي لا تقبل إلاّ[4] بها . وهي أيضاً كانت الأولى من الفـرائض ، إذ جمع الـرسول (صلعم)

---

(99) فأوص : سقطت في ن .

(100) اجتمع : جمع في ن .

(1) عمار : المقصود عمار بن ياسر الصحابي المعروف وهو من شيعة الإمام علي للأول .

(2) أبو ذر : يعني أبو ذر الغفاري الصحابي الذي لاقى ما لاقاه في سبيل قول كلمة الحق .

(3) سورة 5 آية 3 .

(4) إلاّ : سقطت في م .

بني عبد المطلب وبين لهم ولايته ، وحضهم على طاعته ، وقد خطب أمير المؤمنين (ع) بالكوفة ، فتقدم إليه رجل من الشيعة وسأله ماذا لقي من هذه الأمة ؟ فقال عليه السلام : والذي فلق (201) الحبة ، وبرىء النسمة ، للذي لقيت من الأمم السالفة أكثر مما لقيت من هذه الأمة . فدل قوله إنه الأول والآخر . وقد قال (ع) : الأوصياء مني ، وأنا منهم ،نختس بأنفسنا ، ويكنس عدوّنا إلى الدردور ، وهو سيف القائم .

وقد شكى محمد (صلعم) قومه بقوله : إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ، وعلي (ع) هو القرآن المهجور وهو بينهم ، والكتاب الصامت بأيديهم يعظمون الدفاتر ، ولا يشعرون بمعناه الذي هو أمر الله الباهر ، قد قنعوا عن اللب بالقشور ، وعدلوا عن الظل إلى الحروز . وقد أظهر علي (ع) من المعجزات في عصر الرسول وبعده آيات عظيمة ، وبينات مبينة ، مثل رجوع الشمس[5] له ، ومثل حجر المنجنيق التي لم تبلغ الخندق ، فقال : أنا حجرها . فرمي به فوقع على الدرب ، وزحم بالباب ، ونزلت الآية : ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[6] ومثل قتل الجن في بير ذات العلم ، ومثل غرس النخل مع النبي (صلعم) والنصارى يسألونه عن المعجزة إذا كان نبينا مثل ما جاء موسى وعيسى فأمر معهم علياً (ع) لإحياء الموتى ، فلما انشقت القبور ، استقالوا العشرة .

ومثل مراجعته (ع) لأبي بكر في مسجد (قبا) حين قال لأبي بكر : خالفت رسول الله فيما به أمرك ، وجحدت نعمة الله تعالى ، وتعديت طورك ، وأخذت حقي ، وجلست في غير مجدك . فقال : وأين صاحب الأمر ؟ قال له : أتحب أن تراه ؟ قال نعم . قال : فإن أمرك أن ترجع إلى الحق أترد الامر ؟ قال : رددته . فأخذ (ع) في ذلك العهود والمواثيق ، ثم أخذ بيده وانتهى به إلى المسجد ، فإذا الرسول (صلعم) عليه ثياب بيض ، فلما بصر به عض على أنامله ، وجلس بين يديه ، فامتنع عن السلام عليه ، فذكره ما كان نهي عنه وحذره ، وأمره أن يرد الأمر إلى أمير المؤمنين ، فهاله (202) ذلك ، فخرج وهو مرعوب ، فلقيه شيطانه الضال المضل فأخبره ، وحكى له قصته . فقال له : إن هذا من سحر أبي كبشة قليل ، فاحذر أن تذكر ذلك لأحد من

---

(5) الشمس : الهمس في ن .

(6) سورة 59 آية 2 .

الصحابة ، فيرجم[7] قبرك إلى يوم القيامة ، فكتم ذلك اللعين وخان ، لأنه نقطة بركاره[8] الظلمة ، كما كان أمير المؤمنين (ع) نقطة بركاره[9] النور . وقد قال أحسن القائلين : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ المجرمِينَ ﴾[10] . فأظهر محمد (صلعم) الحياة بعد المغيب ، كما فعل عيسى (ع) .

فهذه المعجزات الباهرة ، والآيات الظاهرة ، لا يأتي بها إلاّ المعنى أو حجابه بالمستودع بتأييده له ، فكان قعود علي (ع) على الطلب بحقه ،وأخذه ممن ظلمه ، رأفة تامة ورحمة للأمة ،وتقريباً لها ،حتى استخرج الودائع التي له في المسلمين ، وهدى من اتبعه إلى باطن علم الدين ، فعرفوا مقامه ، وزال عنهم ما اعتراهم من ضلال المضلين ، ولم يبق إلاّ النقطة السوداء المظلمة المصرة المستكبرة ، فجاهدها وذلك جهاده لعائشة وأتباعها ، وذلك بعد أن قتل الله عثمان ، وجهاده اللعين ابن اللعين معاوية بن أبي سفيان ، وفي كل ذلك أمير المؤمنين يدعو إلى توحيد الله ، وتمام شريعة رسول الله (صلعم) ، والخصال الأربعة مجتمعة فيه ، وهي : مرتبة النبوة ، والرسالة ، والوصاية ، والإمامة . وأنبأ عن قصص الأولين ، وانذر كفعل المرسلين ، وقام بالتأويل الموصى به وتبيانه ، وأتى بدليله الواضح وبرهانه ، فأشرقت أرض الدعوة بنور ربها ، وبرزت المعاني المستورة في كتبها ، وأقام على ذلك إلى ولاية اللعين الأموي ، وفعل الثالث ما أوجب قتله في إيوائه لطرداء رسول الله (صلعم) ، وتحريف القرآن مع إدعائه ما إدعاه الأولون ، من الضلال والبهتان . فقام أمير المؤمنين (ع) مجتهداً مجاهداً ، (203) إلى أن بلغ الكتاب أجله .

وكان عنده من الحوادث مثل ما كان عند آدم وموسى (ع) الممثلين بالطالع والرابع ، فهاجر من المدينة إلى الكوفة ، وقاتل عائشة إذ قامت عليه كقيام صفراء على يوشع بن النون ، وقيام عناق على شيث وصي آدم ووارث علمه المكنون ، فلما ثبت وصحت[11] ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، وفضله المبين بالبراهين الجلية ، وإنكار الصحابة له وظلمهم له ، بقي الأصل الثابت الذي هو بحكم الله وإرادته ، وذلك أن

(7) فيرجم : ترجم في ن .
(8) بركاره : بركانه في ن .
(9) بركاره : بركانه في ن .
(10) سورة 25 آية 31 .
(11) وصحت : وصاحت في ن .

محمد (صلعم) لم يعش[12] له ولد ذكر ، وظهرت عنه وعن حجته السابق عليه الليلة المقدرة ، والبتول الطاهرة ، التي فطر الخلق عن معرفتها ، وقصروا عن تحقيق كيفيتها ، واجتمعت بأمير المؤمنين ، وتزاوج الإيمان والإسلام ، وكان إجتماعهما لاجتماع حرفين من حروف المعجم ، ابتدأ ظهور النورانية ، وإليهما معاد أهل الروحانية من أوليائهم المقربين ، الذين هم[13] عالم الأمر والملكوت ، فكانا وارثي مراتب إسماعيل وتراث ولد إسحاق أجمع ، واحتويا على الملك العظيم الذي لا يبلى ، ولا يفنى ، ولا يبيد ، ومن يؤتى الحكمة ، فقد أوتي خيراً كثيراً . فكان منها ظهور الأنوار ، والصفوة الأخيار ، فلما أراد (صلعم) إظهار الغيبة بالقتل ، وكل شقي مراد ، وقال له : قم لما سولت لك نفسك ، ومضى في صلاته ، وقال عند وقوع الضربة ، فزت ورب الكعبة . ليهتدي هداه ، وينسى بفعله من كان من أهل ولايته ، فلما أن ظهرت الغيبة بعد أن وقعت فيه الضربة أسلم إلى ولده الحسن (ع) رتبة النبوة ، والرسالة ، وإلى الحسين رتبة الوصاية[14] والإمامة ، واستكفل الحسن على الحسين عليهما السلام ، واستودع له المراتب الأربعة (204) ، فكان مستقراً للنبوة ، والرسالة ، مستودعاً في الوصاية والإمامة ، متثقاً عليهما للمستحق من بعده[15] ، وهو الحسين بن علي صلوات الله عليه ، وعلى آله وسلامه ، وحسبنا الله ، ونعم الوكيل ، ولا حول ، ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، حمداً لمن أولانا نعمه ، وشكراً لمن كرمنا بمعرفة وليه الذي شرفه وعظمه ، والصلاة[16] الباقيات على محمد النبي ، وآله أفضل الذريات .

الباب السادس عشر : في ذكر فاطمة البتول والسبطين ، وكون الإمامة رجعت بعد الحسن مستقرة لا تخرج عن عقب الحسين . ونقول وبالله التوفيق والثقة ، وله الحول والقوة ، ومن بركات أوليائه عليهم السلام ، المعونة : إنا قد ذكرنا في هذا الكتاب من المعاني ما هو زبد ما وضعته الحدود ، ومعنى ما هو في أوضاعها معقود ، وذكرنا من فضل محمد وعلي عليهما السلام ، ما هو شفاء الصدور ، وبرهان يخرج بالتابعين لأئمة الحق من ظلمات الشكوك إلى النور ، فلنذكر الآن ما وعدنا بإيراده ، من ذكر فاطمة

(12) يعش : يحيا في ن .
(13) الذين هم : سقطت في م .
(14) الوصاية : الوصالة في ن .
(15) من بعده : على بعد في ن .
(16) والصلاة : والصلوات في م .

البتول ، والحسن والحسين الذين هم[17] قرة عين الرسول ، فنقول : إن لهم من الفضل الأشهر ، والمجد الأكبر ، ما لا يدرك ولا يحصر ، ولا ينظر إلى ما يلوح[18] من سنا بـرق نوره لمن أبصر ، وهم صلوات عليهم صفوة الكيـان ، ونور البيـان ، وخير مـا انسل من العالم في كل وقت وأوان ، مهبط الـوحي والتأييـد ، وعيبته علم الله الـذي لا ينقص ولا يبيد ، قصر الخلق عن معرفتهم ، ولم يهتد العارفـون إلى صفتهم ، وفاطمـة صلوات الله عليهـا هي التي زاوجت الوصي روحـانياً ، وجسـمانياً . ونشـأ منهما نـور الإمامة واضحاً جلياً ، فهي مشكـاة[19] الأنـوار ، وخـلاصـة الأسرار ، ونـور الله السـاطـع لأهـل الاستبصار ، شجرة منها الإمامة نبعث ، وجوهرة منها الأنوار الشريفة تشعشعت ، وهي المعبر عنها بليلة القدر (205) لعظيم قدرها ، وعـالي شرفها ، وسـامي ذكرهـا ، حجة الـوصي (ع) التي هي خير من ألف شهـر ، أي من ألف من الحجج يقـومون بـالدعـوة إلى أولى الأمر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم . يعني ينشأ في دعوتها الأئمة الذين هم[20] للعالم مملكون ، وتنزل الأرواح وهي العلوم الحقيقية التي يعـرف بها مـا كان ومـا سيكـون ، بإذن ربهم عيبـة علم صاحب الـدور ، وخليفته الخـاسر من ادعى مقـامـه ، بتعدي الطور ، فهو رب الحدود وعاليها ودانيها . أي المالك ، والذي شرفهم الله بمعـرفة حقيقة ولائه ، وفضلهم من كل أمر ، والأمر هو التـأييد ، ومنـه سمي عالم الأمـر ، وهو عالم اللطافة الـذي[21] اتحد بهم أمـر باريهم ، فنسبـوا إلى أمره ، إذ لم يكن واسـطة بينهم وبين مبدعهم غير الأمر الذي أشرقت ذواتهم بنوره .

وقوله سلام لما في ذلـك من سلامـة الصدور ، والأمن للنفـوس من الحيرة التي بهـا الهلاك (والدثور)[22] ، ومنه سميت دار السلام لسلامة أهلها من الآفات ، وبقـائهم في دار الثواب لا تفنوه ولا تطرق عليهم[23] العاهات ، وقوله تعالى : ﴿ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾[24] أي إلى قيام القائم الذي على يديه يكون الحشر والنشر ، فاتصلت في عقب

(17) الذين هم : هوذا هم في ن .
(18) يلوح : يلام في ن .
(19) مشكاة : مشكلة في م .
(20) الذين هم : هوذا هم في ن .
(21) الذي : الذين في ن .
(22) والدثور : سقطت في ن .
(23) عليهم : علاهم في م .
(24) سورة 97 آة 5 .

فاطمة (ع) الإمامة إلى اليوم المعلوم ،وبلغت دعوتها إلى يوم فيه تكشف مسطورات العلوم ، وقد سئل الصادق (ع) عن تأويل قوله تعالى :﴿رب المشرقين ورب المغربين ﴾[25] . فقال : عن أبي طالب ، وفاطمة بنت أسد طلع وشرق ، وفي الحسن والحسين غاب وغرب ، وفاطمة جوهرة الميم سره وجهره ، أظهرها لينتسب الأئمة إليها ، فيقال الفاطميون ، فمن عرفها وعرف ذاتها فهو من اللذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وحد معرفتها أن جميع ما في السموات والأرض في قبضتها ، فمن عرفها بهذه الصفة فقد نال ملكوت[26] السموات والأرض ، وكان في (206) عليين ، وهي ليلة القدر التي فطم الجاحدون عن معرفتها ، لأن العالم المنكوس يرون[27] أنها أنثى خرجت من 3 ∅ 8 ∅ لم وظهرت من 53 × ط م ألم تر إلى قول الله تعالى مستفهماً بقوله له : ﴿ وَمَا أدراكَ مَا ليلةُ القَدرِ * ليلَةُ القَدْرِ خَيرٌ من ألف شَهرٍ ﴾[28] أي من ألف حجة . فالشهر أيضاً على الإمام ، والسنة على النبي المحتوي على الشهور ، وقوله : ﴿ تَنزَّلُ الملائكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإذنِ رَبِّهم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سلامٌ هيَ حَتى مَطْلَعِ الفَجْرِ ﴾[29] فالملائكة مالكو معرفتها بحقيقتها ، الدالون عليها ، وعلى ذريتها ، والروح سلسل بالتعظيم لها ، والداعي إلى معرفتها ، وطاعتها ، وفضلها ، بإذن ربهم . أي متم الدور (صلعم) ، من كل أمر سلام أي كل إمام منسوب إليها ، ومطلع الفجر ، وهو القائم صاحب الكشف والبيان .

وقد قال تعالى في ذلك في ليلة مباركة : ﴿ إنَّا كُنَّا مُنذِرينَ * فيها يُفرَقُ كُلُّ أمرٍ حَكيمٍ ﴾[30] والأمر الحكيم الجاري في مقامات الإمامات ، وأما قول رسول الله (صلعم) : وأبوهما خير منهما . فعلي عليه السلام هو الناطق والصادق في قوله : أنا مولج عيسى في بطن أمه ، ومطعم مريم رطباً جنياً ، أنا الذي لا يستنكف المسيح عن عبادته ، ولا الملائكة المقربون ، أنا ناجيت موسى من الشجرة . فعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، لا يصفهم واصف ، الذات واحدة ، والقدرة شاهدة ، وعد الله سبحانه بكشف حقيقتهم بعد الستر والكتمان ، بقوله : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ

---

(25) سورة 55 آية 17 .

(26) ملكوت : سقطت في م .

(27) يرون : راوون في ن .

(28) سورة 97 آية 2 ، 3 .

(29) سورة 97 آية 4 ، 5 .

(30) سورة 44 آية 3 ، 4 .

﴿كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[31] يفعل الله عزّوجل ذلك بالقائم (ع) إذا قام بالسيف واجتثت شأفة الكافرين والمنافقين ، إذا وصل إلى قبر الرسول وهدم الحائط ، حتى يترك القبر وحده ، لأنه يأتي إلى قبر هاروت وماروت ، فيقول : من هنا ، فينشق قبراهما فيظهران ، فيأمر بصلبهما ، فهنالك (207) يخسر المبطلون ، ويكون أول معجزات القائم لأنه لا يبتدى إلّا بهما .

وحينئذ يقول الأول : يا ليتني لم أتخذ ممر خليلاً ، ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً .

وفاطمة (ع) هي مجمع للذين كانوا على عهد رسول الله (صلعم) أهل الورع ، والفضل ، والجهاد ، المقيمين على ظاهر الإسلام وفضله غير عاندين ، ولا مستكبرين ، ولا جاحدين أهل الأعمال الصالحة ، والورع ، والدين ، والأمان . وتكنى بالمجمع الإسلامي ، لأنها مقام شريف ظاهره ناسوت ، وباطنه لاهوت لطيف .

وقد كان النبي يقبلها ويشمها فيسئل عن ذلك ، فيقول : إن جبرائيل أتاني بتفاحة من ثمار الجنة فأكلتها ، وواقعت خديجة فكانت منها فاطمة ، فأشم رائحة الجنة ، والجنة هي المجمع الشريف المصطفى من معنى الدعوتين ، الأولتين ، اللطيفتين ، دعوة أبي طالب وعبد المطلب ، فكانت فاطمة (ع) من زبدة تلك الرطب ، وظهرت من دعوة محمد ، فمن أراد أن يشم رائحة الجنة فليتصل بها ، وبما تبديه من أمر وليها المكنون عندها ، لأنها حجة علي بن أبي طالب المبينة لدعوته ، والقائمة بباطن علمه ، وهداية المتصلين به . فمنها تشم الجنة ، وتعرف حقيقة الدعوة .

وقد أبان النبي (صلعم) فضل علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وفضله عليهم السلام لما جمعهم في الكساء ، واختصهم بذلك دون غيرهم ، والكساء ما حجب به معرفتهم ، وستر فضلهم ومنزلتهم ، لأنهم حجب الله المقربون الذين هم[32] متلفعون بكساء الشريعة ، وعن الناظرين محتجبون ، فيهم الظاهر .

وقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : كنا عند رسول الله فدخل عليه عمه العباس بن عبد المطلب ، وقال : يا رسول الله مسألة ؟ قال : سل يا عم (208) عما أردت . قال : أخبرني يا رسول الله بم فضلتم علينا أهل البيت ، والمعادن واحدة ؟ فقال (صلعم)) إليك عني يا عم ثلاثاً . إن الله خلقني وخلق أخي علياً ، ولا سماء ،

---

(31) سورة 61 آية 9 .

(32) الذين هم : سقطت في م .

ولا أرض[33] ولا جنة ولا نار ، ولا لوح ولا قلم ، فلما أراد خلقنا تكلم بكلمة فصارت نوراً وروحاً ، فمزج بينهما فخلقني وخلق علياً منهما ، وخلق من نوري العرش ، أنا أجل من العرش ، وخلق من نور علي نور السماء فعلي أجل من السموات ، وخلق من نور الحسن نور القمر ، وخلق من نور الحسين نور الشمس ، فجعلهما ضياء لأهل الأرض ، وخلق الملائكة من نور فاسكنهم سمواته ،فكانت الملائكة تسبح الله عزَّ وجل فتقول في تسبيحها : سبوح[34] قدوس من أشباح ما أكرمكم على الله عزَّ وجل . فأراد الله تعالى أن يبتلي الملائكة ببلوى فأرسل عليهم سحاباً من ظلمة ، فكانت الملائكة لا يرى أولها وآخرها ، ولا آخرها وأولها .

وكانت تسبح الله تعالى وتقدسه وتقول في تسبيحها : سبوح قدوس ما رأينا مثل ما نحن فيه بقدرة هذه الأشباح ، إلاَّ كشفت عنا ما نكرهه ، إنك الفعال لما تريد فقال : لله تعالى أريد .

وخلق الله تعالى من نور فاطمة (ع) كهيئة القنديل فعلقه في قرط العرش ، فأزهرت[35] السموات والأرض ، فمن أجل ذلك سميت فاطمة الزهراء[36] . وقد قال الله تعالى للملائكة : لاجعلن ثواب تسبيحكم وتمجيدكم وتقديسكم لهذه الجارية وأبيها ، وبعلها ، وبنيها ، وشيعتها ومحبيها . فهذا الفضل العظيم الذي جعله الله لهم ، وفي سامي ذروته أحلهم ، وهو الفضل العظيم ، والمقام الكريم .

وفي رواية جابر بن زيد الجعفي عن الباقر محمد بن علي(ع) ، وهي رواية طويلة ذكر فيها محمداً وعلياً (صلعم) ، ومقامهما عند الله الكريم ، وأمرهما العظيم قال فيه صلوات الله عليه في ذكر (209) فاطمة الزهراء : أم الأئمة الكرماء النجباء وأن فاطمة (ع) كانت تعلم من الأنبياء ما لا يعلم علمها إلاَّ الحدين العلوين .

وهذا حديث النبي (صلعم) أنه قال : ليلة عرج بي إلى السماء ، ودخلت إلى الجنة أكلت سفرجلة ، فلما نزلت من الجنة واقعت خديجة فعلقت بفاطمة عليهم جميعاً السلام . ومعنى السفرجلة إنما أنتة المادة العلوية من المشيئة ، فأرادت المشيئة أن يكون لها

---

(33) ولا أرض : ورض في ن .

(34) سبوح : ساح في ن .

(35) فأزهرت : زهرت في م .

(36) الزهراء : الزحراء في ن .

في الأرض مثال ومشيئة ، وذلك بمادة السابق ، وإرادة الأول[37] ، وإنقاذ أمر الثاني ، فصارت فاطمة (ع) من تكوين النورين القديمين ، ولها في السماء حدين ، وفي الأرض أربعة ، ولذلك قال النبي (صلعم) : إن لفاطمة في السماء اسمين ، وفي الأرض أربعة أسماء[38] ، إلى ما لها من الحدود في الأرض ، وما لها في السماء .

بهذا الفصل من قوله علينا سلامه ، فقوله (صلعم) أنه لا يعلم علمها إلاّ الحدين العلويين ، إشارة إلى النبي والوصي (ع) الذين مقامهما في العالم مقام العقل والنفس ، وذلك إذا ارتفعت الكثائف ، وعرف مقامها من حيث اللطافة العقلية المباثنة للحس . وقوله (صلعم) : لما عرج بي إلى السماء ، فهو ما بلغ إليه من استيفاء علم النطقاء السبعة الذين هو سادسهم ، والقائم سابعهم ، وبه تمت أوضاعهم ، وكملت شرائعهم . ودخوله الجنة إحاطته بالحدود الشريفة الروحانية ، وإطلاعه على ما احتوت عليه فنونها من المراتب السامية القدسانية .

فلما عرف ذلك معرفة إخلاص خلصت له الفضيلة المحمودة التي قد علم أن منها فاطمة البتول بعلة الوصي ، ونجلة الرسول ، وعلم أن الإمامة ، والنبوة ، والرسالة ، والوصاية ، باقية في ذريتها .

وكان في عقبها الطاهر وعترتها ، وأنها من صفو صفو ما كان في الجنة ، التي هي زبدة أهل الدور ، وقبله الذي هو دور أبي طالب وعبد الله بمادة السابق الذي هو عبد المطلب لأن يكون لهم في الأرض مثال يقوم مقامهم ، (210) فجعل في وقت واحد فاطمة ، والحسن ، والحسين ، الذين أهم أمثال أولئك ، وقوله : فصارت فاطمة من تكوين النورين القديمين ، وهو ما ذكرناه من تحريك[39] أبي طالب ، وعبد المطلب ، وهما النوران الإلهيان الأوليان ، ومحمد وعلي عليهما السلام النوران الآخران . وقوله : ولها في السماء حدان ، يعني جدتها آمنة وأمها خديجة ، اللتين هما حجتا المقام الأول ، والسيد الأفضل . وفي الأرض أربعة ، يعني فاطمة بنت أسد وآمنة بنت وهب ، وخديجة ، وأم جديها عبد الله وأبي طالب (ع) ، اللتين هن أمثالها ، وأم عبد الله وأبي طالب تسمى[40] فاطمة بنت عامر المخزومية ، وقد يكون المثالان الذي لها في العقل

---

(37) الأول : الأ في ن .

(38) أسماء : سموا في ن .

(39) تحريك : حراك في ن .

(40) تسمى : سما في ن .

والنفس اللطيفان ، وفي الأرض أربعة ، وهم : الباب ، والحجة ، والداعي ، والمأذون . فمن العقل والنفس ظهور العقول الروحانية ، ومن علي ، وفاطمة ، قيام قائم الأئمة أهل المراتب[41] الشريفة النورانية ، ومن الباب ، والحجة ، والداعي ، والمأذون ظهور الدين ، ونشوء المعلمين والمتعلمين ، والمفيدين والمستفيدين ، فافهم هذه الإشارات ، وتبين هذه الآيات .

ثم قال خالد بن زيد الجعفي رحمه الله : فقلت : يا مولاي سألتك بحقها عليك ، وبحق من جعل لك هذه المنزلة ، وبحق ما تفضلون به إلى الأبد ، ألا ما أخبرتني عن الرسول بحقيقة معرفته[42] ، وأخبرتني عن الحسن والحسين (ع) كيف كان بدء أمرهما ؟ فقال الباقر أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم : أما الرسول يا خالد فمنزلته كمنزلة السابق وهو مثاله ، وكذلك الرسول كمثل عبد الله بن رواحة رحمة الله عليه ، وهو الذي كان يقع عليه الأمر ، وهو الذي كسو رباعيته ، وهو الذي إستتر في الغار ، وأما شخص محمد بحقه فما زال ، وما إختبأ ، وما هرب (211) ، ولا أصابه سوء ، بل وقع به التشبيه ، فافهم يا أخي معنى هذا الفصل ، لتكون من الفائزين الناجين ، الذين بلغوا من الدرجات السنية[43] ما كانوا راجين .

واعلم إن الرسول (صلعم) من حيث لطافته ، وصفاء صورته ، وضياء جوهره ، وسمو عنصره ، لم ينله شيء من هذه الطواري[44] ولا أبصرته عيون الكفار ، وإن ما رأى في ذلك مما رأى وقد قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ وَتَراهُم يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبصِرُونَ ﴾[45] . فإذا كان لا يدرك بالأبصار ، فكيف ينال به الحدين والأحجار .

وأما ناسوته الشريف فقد نالته الآلام ، ووقع عليه ما يقع على الأجسام ، لأن أولياء الله (ع) بمنزلة الياقوت الأحمر من الأحجار ، وأن الياقوت وإن كان فيه الصفا ، والنور ، والإشراق ، فإنه كالحجارة ، وإن كان له عليها فضل عظيم ، وخطر جسيم ،

(41) المراتب : سقطت في ن .
(42) معرفته : معارفه في ن .
(43) السنية : السينية في ن .
(44) الطواري : سقطت في م .
(45) سورة 7 آية 198 .

والذي وقع على النبي إنما وقع على ريحيته[46] من هو مثل عبد الله بن رواحة من الحدود الـذين صارت ريحياتهم في ذلك النـاسوت الشريف ، فـإن كانت لـطائفهم قـد علت في اللاهوت اللطيف .

وقد أردف ذلك البـاقر (ع) بقـوله : وكـذلك فـاطمة (ع) جميع مـا نـزل من المصائب والأشياء المنكرة كان على الخيال وهو الستر ، ولا بد لكل ناطق ، وكل أساس ، وكل حجاب ، من ستر يستر عليه . هذا قـوله (ع) أوضح فيه مـا ذكرنـاه من كون مـا وقـع عليهم صلوات الله عليهم من الآلام ، فلما هو واقـع بنـواسيتهم الشريفـة التي هي أفضل الأجسام . فأما اللطائف فهي بعيدة لا تدرك ، ولا ترام . ولذلـك قال الله تعـالى في المسيح (ع) : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[47] فلم يدركوا غير الشبه المرئي بالعيون ، دون اللطيف الذي لا تدركه الأوهام والظنـون ، وذلك واقـع بكل نبي ووصي وإمام ، وأجسادهم (212) الشريفة قد نالتها الآلام ، ووقع عليها القصاص ، لينجوا تلك الفضلات مما أحدثته وتنال الثواب والخلاص .

ثم قال الإمام الباقر (ع) : وكـذلك الحسن والحسـين لهما مثـالان : فما كـان من مصيبة ، أو نكبة ، أو بلية ، فهو واقـع بالمثـال . وعلى هـذا تقع العقـوبات ، لأنهم إنمـا أرادوا (تلك الأفعال)[48] بالأئمة (ع) . فقد بين علينا سلامه ، الحادث الواقع على الغـلاف الذي هـو المثال الحـاصل لـه من الريحيـة ، فقـال سـلام الله عليـه : واعلم يـا خالد بن زيد أن الحسن والحسين ولدا فاطمة عليهم السلام من أمير المؤمنين عليهم جميعاً السـلام ، ولكنهما خـرجـا من غـير مخـارج الأولاد ، خـرج أبـو محمـد الحسن من الجنب الأيسر ، وخرج الحسين أبو عبد الله من الجنب الأيمن ، بلا حال من أحوال[49] النساء ، ولا سبب كرهته فاطمة عليها السلام ، هذا قول الباقر (ع) .

واعلم يا أخي ثبتنا الله وإياك على الطريقة ، وسقانا مـاء غدقـاً من علم الحقيقة ، إن كلام أوليـاء الله (ع) صعب مستصعب لا يحمله إلاّ نبي مـرسـل أو ملك مقرب ، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ، فقوله علينا سلامه أن الحسن والحسين ولدا فـاطمة من أمير المؤمنين عليه السلام فذلك القول الحق الذي لا مرية فيـه ولا شك يعـتريه ، إذ همـا

(46) ريحيته : رواحه في ن .

(47) سورة 4 آية 157 .

(48) تلك الأفعال : ذلك الفعال في ن .

(49) أحوال : حوال في ن .

ولداهما في الجسمانية والروحانية ، لكونها حجة الوصي ، وحجة المقام الأعظم ، الذي جل عن الشبه ، والمثل . وقوله علينا سلامه أنهما خرجا[50] من غير مخارج الأولاد ، وذلك يريد به غير مخارج الجسم المنشأة من الدم ، واللحم ، إلى قوله (ع) : لأن رتبتهما الحاصلة لهما هي غير والدة ولا مولودة ، وهي رتبة الإستيداع لمولانا الحسن ، ورتبة الاستقرار لمولانا الحسين ، وذلك النور الذي انقسم بينهما نصفين ، وتلك الرتب الشريفة هي التي لم تأزها الأرحام ، ولا احتاجت إلى مادة[51] الغذاء من الثمرات والطعام ، فالجنب الأيسر الذي حصل منه مولانا الحسن هو (213) الظاهر ، ومعاني الشريعة ، والتأويل ، والولاية التي ارتقى العاملون بها ، والعارفون لها إليه .

والولاية سابقة للسبعة دعائم[52] ، فمن ذلك حصل الحسن (ع) على صور أولئك الأركان الذين أجابوا الرسول وهو بصفاء ، ووفاء ، وطاعة ، وإخلاص ، ونية ، وحد ، ويقين ، وصدق طوية . وذلك في بدء قيامه وقبل أن يقوم بالسيف ، بل بأمر ونهي وشدة بتعزيز وجلد ، وما شاكل ذلك . فلذلك لم يكن القصاص منه إلاّ السم الخفي لا بيان فيه ولا أشتهار ، وأما مولانا الحسين فهو كان خروجه وحصوله من الجنب الأيمن الذي هو التأويل ، والحقيقة ، والعلوم الباهرة . وهو الماء المحيي المستقر في قرارة المنافع[53] الظاهرة منه كالبذور الدينية ، والصور الشريفة العالية القدسية ، وهذا هو عدل الله تعالى ، لأن لا يضيع ولا يبطل عمل عامل ، من ذكر أو أنثى ، وهو جنب الدين الأيمن المنزلة عليه وعلى عقبه ببقاء الكلمة فيهم إلى يوم الدين . فهاتان الرتبتان لم يلدا[54] ولم يولدا ، ولم يفذيا بدم الطمث ، ولم يخرجا من رحم ، ولا ضمهما[55] جسم ، ولا لحقهما حال من أحوال النساء الطارئة عليهن في الولادة ، ولا بسبب كرهته فاطمة (ع) ، بل ظهرا بحسب ما قدر لهما صاحب الإرادة .

فقد صح أن الجنب الأيسر رتبة الإستيداع ، والجنب الأيمن رتبة الاستقرار ، وبان الحق اليقين لذوي الدراية والاستبصار ، ثم قال (ع) : فصار الحسن والحسين

---

(50) خرجا : خارجين في ن .

(51) مادة : وادة في ن .

(52) دعائم : دعم في م .

(53) المنافع : الدافع في ن .

(54) يلدا : يلدون في ن .

(55) ضمهما : ضمها في ن .

الأولان ، ولـدي المشيئة ، وهمـا شبهان[56] أرضيـان ، بلا علة دخلت عليهـا ، ولا على أمير المؤمنين . هـذا قـولـه (ع) . فـالحسن والحسـين (ع) الأولان من المقـامـات الشريفة الإمامية الناشئين في الدعوة المحمديـة ، والعلوية ، وهمـا منسوبـان إلى المشيئة ، وهي فـاطمة التي في فضلهـا وعلو قدرهـا كالنفس الكليـة ، وكونها حجـة أمـير المؤمنـين عـلي بن أبي طالب (ع) (214) الذي توجهت إليـه الدعـوة العقلية . وأمـا قولـه هما شبهان أرضيان ، فذلك من حيث ظهرا بنا سويتهما في الأرض ، لهداية من اتصل بهما من أتبـاع الرسـول القائمـين بالسنـة والفـرض ، وإنمـا كـان ظهـور أوليـاء الله بـالأشبـاح ، والنواسيت ، للعالم ، لأن ينظروهم ويهتدوا بهم ، فالأولياء يعـاينوا تلك الأشبـاح حقيقة بصورهم اللطيفة ، النيرة الشريفة ، على قدر صفاء صورهم ، وإنارة جوهرهم .

والقـاصرون يـرون أشبـاح تخلفهم[57] وتحـيرهم ويعـاينـون أشكـالهم ، ويـرون أمثالهم ، كما قال بعض الأولياء قدس الله روحه : بل ينظر المرء منهم في مرآته تشكيله لا سواه منه منظور ، لكونها قد تغشا وجهها صدأ غذا به ، وهو أعمى اللب مبتور .

وقد قال بعض الأئمة (ع) : كثائفنا لطائف شيعتنا . وقال سيدنا المؤيد في الدين قدس الله روحه في مولانا المستنصر بـالله (ع) :إن أجسامكم لنـاشئة الـطين الذي منـه شف منا القلوب ، قد خلقتم من طينة وخلقنا نحن منها ، لكن بلا ترتيب .

وقـد قـال أيضـاً في بعض المقـامـات الشريفـة صلوات الله عليهم ؛ إن الله خلق أجسادنا من طينة عليين ، وخلق قلوب شيعتنا من فضلات تلك[58] الطينة ، فأجسادهم من صفوة النادم المستغفر ، الراجع عند الزلة إلى الإنابة ، المسـارع حين دعـوة الدبـر إلى الإجـابـة وقلوب شيعتهم من تلك الفضلة اللطيفـة ، والصـفـوة الشريفـة فـكـان الحسن (ع) أول المقـامات الشريفـة الناشـئين من ذريـة محمـد (صلعم) ، وهو قـائم بمـرتبـة الاستيـداع مسلم للحسـين (ع) مـا هـو أهله من رتبـة الاستقـرار ، عـازف بفضله ، مبـين لخلصـاء شيعتـه عـظيم محله ، وقيـل إن الحسن كـان شبـه جـده النبي محمد (صلعم) من سرته إلى رأسه .

والحسين كان يشبهه من سرته إلى قـدميـه ، وذلـك لمـا كـان الحسن (ع) قـائمـاً

---

(56) شبهان : سقطت في م .

(57) تخلفهم : توالفهم في ن .

(58) تلك : ذالك في ن .

(215) بالدعـوة الظاهـرة التي أتى بها النبي (صلعم) تـابعيه عليـه ، وهداهم إليـه ، وأدنى رتبة من رتبة الاستقرار يتصل بأعلى رتبـة من رتبة الإستيـداع ، الخاضعـين لهم بلا استنكاف ولا استكبار ، وباطن أهل الإستيداع ظاهر أهل الاستقـرار ، وهـم لهم كالمعنى من اللفظ الذي هو سر الأسرار ، لما أفضي الأمر إلى مـولانا الحسن بن عـلي بن أبي طالب صلوات الله عليـه قـام بنص[59] أبيـه وجـده عليـه ، وتسليمهـا[60] الأمـر إليـه ، قـال النبي (صلعم) : الحسن والحسين إماما حق قاما أو قعدا ، وأبـوهما خـير منهما . فسلك طريق الستر والتقية ، لأنه في إبتـداء الروحـانية ممثـول السلالـة مقابـل لآدم ، أو لابتداء السـتر والشريعة ، فلزم كهف التقيـة ، وغصب معاويـة[62] حقه ، فصـبر كما صـبر أمير المؤمنـين علي بن أبي طـالب عليه السـلام قبله ، وقـام بـالنبـوة والـرسـالـة مقـام نبي الله المصطفى جده عليه السلام ، وهدى إلى شريعة الإسلام ، وحفظ وديعته ، ووفى بأمانتـه حتى دس إليـه معاويـة اللعين ابنة الأشعث لعنها الله فسقتـه السم ، فاحضر كـبراء أهـل دعـوتـه ، وخلصـاء شيعتـه ، وعـرفهم بمقـام أخيـه الحسـين (ع) ودرجتـه الرفيعـة ، وسلم إليـه ما استـودع له من الـوديعة ، وأدى إليـه النبوة والـرسالـة ، وصارت المـراتب الأربع في الحسين (ع) وهي : النبوة ، والرسالة ، والوصاية ، والإمامة .

واستقـرت في عقبه إلى يـوم القيـامـة[62] ، وعـدلت عن أولاد الحسن (ع) ، لأن الحسن ممثـول هابيـل الذي عـدلت الإمامـة عن ذريته ، واستقـرت بهبة الله شيث ، ومكثت في عقبـه . فكان الحسـين (ع) ممثول شيث صلوات الله عليهم أجمعـين ، فقام الحسين صلوات الله عليه في أول الروحـانيـة ممثول النـطفة ، وهـو أول أولي العزم مقـابل لنوح (ع) ، فقام في السر والستر (216) ، وبث دعاته ، ونشر علمه ، في التـابعين لـه ، وقـام في عبـادة الله مجتهـداً إلى أن حضر الـوقت المؤجـل السـابق علمـه عنـد الله ورسوله ، وأمير المؤمنين في مثل ترك رسول الله (صلعم) تراباً في قارورة . وقوله : اليوم الـذي يرون فيـه هذا الـتراب ما يستشهـد[63] فيه ولـدي الحسـين بكـربـلاء ، فلما أراد الحسـين (ع) إظهـاره الغيبـة بما حكم الله لـه لم يحجم عن المسـير ولا عـدل إلى إشـارة

---

(59) بنص : صف في ن .

(60) وتسليمهما : وسلامها في ن .

(61) معاوية : معية في م .

(62) القيامة : قوام في ن .

(63) يستشهد : شهد في ن .

المشير ، بل سعى إلى ما حكم الله عزّ وجل وقضى عليه[64] إلى أين المصير، ولم يكن تقدمه إلى أهل الكوفة وإسعافه لسؤالهم إرادة الدنيا ، ولا جهل بما هو صائر إليه ، وإنهم يخدعونه ويخذلون[65] عن نصرته ، وإنما سعى مبادراً ليدرك فضل الشهادة ، ويرتقي إلى ما ارتقى إليه أبوه وجده في دار القرار ، التي لا يصفها واصف ، ولا يحيط بها عارف ، إلّا الأئمة (ع) الذين أطلعهم الله على باطن غيبه ، واستنبطوه مما أوحاه إلى رسله ، فتقدم فكان من الأمر ما هو مشهور ، ومعروف .

وأظهر (ع) من المعجزات في مشهده ما عرفه الموالف والمخالف ، وقد قال النبي (صلعم) : بورك لولدي الحسين في ثلاثة : في ولده ، وقبره ، ومشهده . أما ولده فكون الإمامة جرت فيهم ، وانقطعت حقيقتها من غيرهم ، فاتسقت في عقبه الطاهر ، وورثها الأول عن الآخر . وأما قبره فإن المعروف عند الخاصة والعامة ما لزائره من الفضل العظيم المشهور ، والأجر الكريم المذحور ، فقد ذكر أهل العلم أنه إذا أخذ شيء من تربته وجعل في بيت ، أو في قماش ، سافر وما نهب القماش أو سرق ، فإنه يعود إلى صاحبه ، ومالكه .

ومن كان لا يعيش له ولد ، وأخذ من التربة وزن حبة بن وسقى المولود ، وذلك بالماء ثلاثة[66] أيام عاش المولود . وأما مشهده فهو ما أظهر الله فيه من المعجزات بكونه لم يبق إلّا علي بن الحسين زين العابدين (ع) من عقبه حجة الله وكلمته ، وقد أراد الظالمون لعنهم الله (217) قتله بعد أبيه بأجمعهم وهو[67] في شدة مرضه ، فحماه الله من شرهم ، ودفع عنه كيدهم ، وحفظه منهم أن ينالوه ، أو[68] يتوجهوا إليه بضر ، إرادة من الله تعالى ، لأن الله لا يقطع أمره ، ولأن يبقى حجته في الأرض غير مرفوعة من العالم ولا ممنوعة ، فتوحد علي بن الحسين (ع) عن المماثل والقرين ، ولم يبق له شبيه في فضله المبين ، وكانت أيضاً معجزة الحسين (ع) في مشهده ظهور الدم العبيط تحت كل حجر وشجر ، أربعين يوماً .

وبكت عليه الأرض والسماء ، وناحت عليه الجن وغير ذلك من المعجزات

(64) عليه : سقطت في م .

(65) ويخذلون : ويحسدون في ن .

(66) ثلاثة : سقطت في م .

(67) وهو : هي في ن .

(68) أو : سقطت في م .

الكثيرة ، والآيات العظيمة المشهورة ، التي لا يجحدها ولا ينكرها ولي ولا معاند . وقد كان (صلعم) استكفل أخاه محمد بن علي بن أبي طالب على ولده ، واستودعه له إلى بلوغ أشده ، وكان أول معجزات علي بن الحسين (ع) أنه لما قبض عليه الظلمة ، وعلى حرائم[69] الأئمة الطاهرين ، ونكلوا بهم في إركابهم على الأقتاب ، ووصولهم به إلى يزيد ألا لعنة الله على الظالمين حماه الله من كيدهم ، وورد عنه بأسهم .

وكانت ميتة الحسن (ع) بالسم ، لما كان مجمعاً للذين كانوا مع الناطق (ع) قبل فرض الجهاد ، وقتل الأضداد . وقتل الحسين (ع) لما كان مجمع الفضلاء المجاهدين مع أبيه وجده القاتلين للأضداد الكافرين ، والمنافقين ، فوقع به القصاص[70] لعدل الله تعالى في خلقه ، ولأن يرتقي بذلك من الفضل والشرف في معاده إلى أعلى المراتب عند المليك المقتدر في مقعد صدقه ، لأنه قد يكون من الأضداد اللعناء من يقتله الأولياء جهاداً في سبيل الله ، ومع أولياء الله . فإذا اجتمع أولئك الأولياء في مجمع الإمام والإمامة ، وصاروا في محل الفضل والكرامة ، وقع عليهم القصاص لأن يتم العدل ويقوم الحكم والفصل[71] ، ولا يبقى على الأولياء شيء من التبعات ، ليكرمهم الله تعالى (218) بالشهادة لوليه الذي اجتمعت تلك الفضلات الشريفة عنده ، وصارت ريحياتهم في ناسوتهم ، فتصير الصور الخبيثة المظلمة ، ومغناطيس أعداء الأئمة ، فينزل منها شيء إلى النبات ، فتكون[72] المضادة لأرباب الأعصار الفاعلة من الفحشاء والمنكر ، ما يدحرج به في إدراك النار ، وينتهي إلى العقدتين مجمع الظلمة ، ومغناطيس أعداء الأئمة ، فينزل منها شيء إلى النبات ، فتكون منه السموم القاتلة ، فيتناوله من يتناوله من المقامات عليهم أفضل السلام والصلوة ، كالذي كان منه إتلاف[73] ناطق الدور ، وكالذي تلف منه مولانا الحسن ، وكذلك مولانا المستنصر (ع) . ومنها ما يكون في المعادن فيكون منه سيوفاً وسكاكين ، ومنها ما يفتك بها في المقامات الشريفة لأنها تقع على أمثالها من المعادن والنبات الخبيثة المظلمة الكدرة المنحدرة ، وكل شيء منحفظ بصاحبه الحافظ له الجوهر الظلماني الذي هو العقدتان ، بمشيئة المدبر ، وموجب الحكمة ، وميزان العدل قائم من الله تعالى لأن المقام

(69) حرائم : حرائر في ن .

(70) القصاص : الوصاص في ن .

(71) الفصل : الوصل في م .

(72) فتكون : فكون في ن .

(73) إتلاف : لاف في ن .

في ذلك العصر (ع) إن كان صاحب سيف ، وقتل ، وغلبة ، كانت صور المقتولين من الأضداد[74] الصائرة إلى العقدتين هي المقتصة من ذلك المقام الشريف ، لأنها تصير معجلة إلى القامة الألفية ، شخصاً ملعوناً شيطاناً ، يفتك بالمقام الشريف مقتصاً لمن وقع به القتل ، وإن كان العصر عصر أوامر ونواهي ، وإقامة حد وجلد وسجن ، وما يجري ذلك المجرى كانت صور الأضداد الجاري عليهم ذلك ، عند موتها ، ومصيرها إلى ذلك البرزخ الخبيث المظلم ، ونزولها منه سموماً كما ذكرنا .

ومنها شخص يسلم ذلك السم إلى المقام الشريف عليه أفضل السلام ، فيقع بهم النقلة ، والشهادة ، وبذلك يخلصون من عالم الكدر ، إلى (219) السعادة . وقد كان أمير المؤمنين (ع) يقول : أين أشقى هذه الأمة ليخضب هذه يعني لحيته من هذا وأومى إلى رأسه ، تعجلاً للخلاص من دار الإمتحان ، واللحوق بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، أعد لأولياء الله في دار الجنان .

والعقدتان مثل أهل الخبث والشر من الفلاسفة المعارضين لعقائد أهل الشريعة ، ودعاة الذين هم[75] شنعة على الشيعة ، فهؤلاء يجذبون أهل الشك والارتياب ، ويخرجونهم عن تصور ما في التنزيل والتأويل بما به نزل الكتاب ، وهم مجمع الظلمة وموضع الكدر المعاندون[76] لأهل العصمة ، ومنهم سير الشكوك التي هي صور الأضداد ، وأهل النفاق . فمتى أراد الله باتباع أوليائه السداد ، والتي في مراتب العلوم إلى مقامات الآحاد الأفراد ، نظروا إلى ما يكون من الشكوك والشبهات في أوضع الحدود ، فطلبوا المعنى الذي به في دار البقاء حقيقة الوجود ، فيقع عليهم بذلك الشهادة ، ويجوزون الفضل والسعادة ، وأي ميتة مات بها المؤمن فهو شهيد ، وكذلك نقلته ينتقل بها في درجات العلم فهو حميد سعيد ، والحمد لله الذي جعلنا من أتباع الأئمة أوليائه الهداة ، وهدانا بهم إلى معالم النجاة ، وعلى النبي محمد وآله الطاهرين أفضل السلام والصلاة .

الباب السابع عشر في ذكر الأئمة من ذرية محمد (صلعم) ، وعالي فضلهم ، وسامي شرفهم ، وعظيم محلهم . نقول : إنا ذكرنا في هذا الكتاب ما وعدنا بذكره من فضل محمد (صلعم) وأخيه ووزيره ، وفضل فاطمة والحسن والحسين اللذين هما إبتداء

---

(74) الأضداد : الأضواد في م .

(75) الذين هم : سقطت في م .

(76) المعاندون : العاندون في ن .

أئمـة دوره ، صلوات الله عليهم أجمعين . مـا هو سر السر ، ولب الألبـاب ، وبمعـرفتـه تستنير البصائر ، وتتجلى الألبـاب ، فالآن نـذكر أئمـة (220) دوره (ع) وقصصهم وأسابيعهم ، وما خصهم الله به من الفضل العظيم ، والمقام الكريم ، لأنهم آيات الذكر الحكيم ، وأبناء النبأ العظيم ، وصفوة ما في الدائر ، وزبدة الأوائل ، والأواخر .

فكان أول من اجتمعت فيه المراتب ، وكملت منه الفضـائل والمنـاقب ، فجمع في الـدور(77) المحمدي المـراتب الأربع ، وحـاز الشرف الأفضل الأرفـع ، الإمام عـلي بن الحسين زين العابدين ، قدوة الراكعين والساجدين ، وكان النبي (صلعم) قد نبـأ به ، وأشار إليه ، وأعلم بمقامه الكـريم ، وصيه ، وسبـطيه . وقـال : إن الإمام المستقـر(78) الجـارية كلمـة الله في عقبه ، البـاقية في نسله وذريتـه ، هـو الـذي لأمـه ثـدي واحـد في صدرها . وكـان الحسن بن عليّ يكـثر خطبـة النساء وتـزويجهن ليقع عـلى تلك الصفة ، وهي لأخيه مولانا الحسن مكنونة ، وعن غيره(79) مصونة مخزونة ، فلما كـان في وقت أمير المؤمنين تغلب على(80) الأضـداد ، وأتت السبايـا من بنات كسرى ملك المعجم صـار في حصـة علي بن أبي طـالب (ع) ابنـة كسرى خـير النسـاء وجهـاً ، وأكملهن عقـلاً ، فـدعـاهـا إلى الإسـلام فـأسلمت ، وهـداهـا فـآمنت ، وصـدقت . فـوهبهـا لـولـده الحسين (ع) فوجد فيها تلك العلامة ، وعلم أن ولـده منها أحـرى الخلق بالإمـامة ، فكـان منها مـولانا عـلي بن الحسين ، فجمـع شريـف النسبتـين وحـاز الفضلين ، فضيلة العرب والعجم مع شرفه الباذخ(81) ،وأصله الشـامخ في بني عبـد المطلب ،وكـونه من صفوة ذرية الرسول ، وخيرة أولاد الوصي والبتول .

فلما جـرت الحادثـة بقتل الحسـين (ع) لم يغب عن هذه الـدار إلاّ وقـد أقـامه في شريف مقامه ، وسلم إليه ميراثه من جده وأبيه ، بكمالـه وتمامـه ، وجعل عمـه محمد بن الحنفية ذي الأفعال الرضية ، حجة له ، وحجاباً وستراً دونه ، وباباً ، وكفله له وللهداية (221) إليه نصبه وجعله ، فـمال أكثر الشيعـة إلى محمد لـذلك ، وكـان يدعـو إلى ولاية علي بن الحسين عليهـما السلام من خلص وأخلص من أتبـاعه ، ومكث أيام حياتـه على ذلك .

---

(77) الدور : سقطت في ن .

(78) المستقر : القرار في ن .

(79) غيره : غيار في م .

(80) على : سقطت في ن .

(81) الباذخ : زادخ في ن .

ولما أسر علي بن الحسين عليهما السلام وهو في مرضـه ، وحضر عند يـزيد (لعنـه الله) حماه الله من بأسه ، ولم ينل منه ما أمل من غرضه ، فلما كان يوم الجمعة سأل يزيد أن يخطب فـظن يزيـد أنه لا يحسن الكـلام لما رآه عليـه من الخشوع ، ولـما هو بـه بعد مـرضـه من السقام ، فأراد أن يعجز عن النطق عنـد أهل الشـام ، ولم يعلم عدو الله أن الحق ينـطق من لسانه ، ويظهر منه نور برهانه ، فقال لـه بعض أصحابـه لا تفعل ، فـإنه ابن طـلاع المنبر ، وكاسر العساكر . فرقى ولي الله المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصـلى على جـده النبي (صلعم) بقول طلق ، ولسان ذلق ، يخال أن له شقشقين لشدة بيـانه ، وفصـاحة لسانه .

فلما سمـع يـزيـد (لعنـه الله) ذلـك من ولي الله أسكتـه ، وقـال : إنـزل ولـك مـا أحببت فقـال : لي عليك ثـلاث خصال : تـطلقني ومن معي من عقالـك . وتردنـا إلى حـرم[82] نبينـا ، فنحن أحرى الناس بذلك . فأجابه إلى ما سئل ، وحمى الله منه ووليه أن يهان أو يـذل ، ليبقي الله كلمته في عقبه ، وليحيي ما أماته الظالمون من سنة رسوله به . فنهض من جوار القـوم وظلمهم ، وأقام مستتراً في كنف عمه ابن الحنفيـة ، ووصل إلى عمـه ، فقـال : سلم لي وديعتي . قـال : وما هي ؟ قـال : قارورة فـارغة فيهـا قرطـاس أبيض . ففتش محمد القاورة فإذا هي على ما حكى له ، فجمع النقباء وسلم وديعتـه ، وأدى إلى ولي الله أمانته . وكان أول من عاهده وبايعه ، وأفضل من ناصره وتبعه[83] والقـارورة مثل عـلى محمد وأنه فارغ من الإمامة ، والقرطاس الأبيض الذي في وسطها مثل على الإمـام علي ، ودلالته على قدره[84] العلي ، وأنـه الإمام المستقـر في كنف عمه ، الكـافل سـتراً عليه ، وعلى (222) شريف علمه .

وكـان مـا ظهـر من معجـزات الحسـين (ع) ، ومما حـدث عليـه ، وعـلى زين العابدين القائم معه في شريف المقام ، لأنه أعني علياً هو العـاشر يعني محمد أنـه سادس النـطقاء ، وعـلي سـابعـه وحسن (ع) ثـامنـه ،وحسـين (ع) تـاسعـه ، وعـلي (ع) عاشره ، من السابع مقابلا للرابع من الطالع ، فجرت الأمور شاهدة له ، كما جـرت لمن كـان قبله ، حذو النعـل بالنعـل ، والمثل بـالمثل ، وهـو في الأتماء ثـالث ممثولـه العقلة في

---

(82) حرم : الحرام في ن .

(83) تبعه : تابعه في ن .

(84) قدره : قرار في ن .

الـروحانيـة ، مقابـل لإبراهيم (ع) فقـام بالسـتر والتقية ، وأظهـر العلوم والأدعية ، واستعكف على العبادة ، وكانت له خمسمائة نخلة ، وكان في كثير من الأوقات يصلي تحت كل نخلة ركعتين ، ولقب زين العابدين لنسكه وعبادتـه ، وفضله[85] وصحة هجـرته ، من دار عـدوه وضـده إلى مستقـره وهجـرة جـده ، وحكم بـين الـرعيـة ، وانقـادت لـه العلويـة ، وبث الدعـاة في البلدان ، من تحت الستر والكتـمان ، وكثر أهـل الإستجـابـة والإيمان ، فبث[86] علومه لأهل الصفا ، وأبدى نوره إلى الظهور من الخفا .

وقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه سئـل المولى زين العـابدين عـلي بن الحسـين صلوات الله عليه وعـلى من أشبهه من عقبـه المهديـين ، عن عـظيم مـا رآه من عبادته ، وتهجده ، وقيامه ، وكد بدنه ، فقال له المولى على ذكره السلام : يا بن عبد الله من جعله مولاه مولى خلقه ورب عصره ، وواحد وقته ، وفرد عبيـده ، وصمد قـوته زاد في الشكـر ، وواصل الـذكر ، يـا بن عبد الله كـان لنا من الله مـا كـان ، فـالآن لله منـا مكان ، وإنما سكن الخلائق إلى ما فينـا منهم ، ونفروا ممـا فينا من الله ، فجعلوا المخلوق خالقاً ، ولم يميزوا بما وهب الله لهم منا بين الآيات الربانية إلاّ الآيات المربوبية ، ولا فطنوا لفـرط مـا عـلى في قلوبهم من حسـدنـا للقـدر ، وبـالمغـارب مـا غـرب فيهـا ، (223) وبالمقامات ما بدأ منها ، ولكنهم لجوا في عتو ونفور ، يا بن عبـد الله أنا بيت الـرحمن فعني بعمد طوله ، وشدني بلطائف عمله ، وأمدني بعظيم حكمته ، لا أشاء إلاّ ما يشاء ، ولا أريد إلاّ ما يريد[87] ، وأنا حفيظ عنه ، عليم به ، أعلم ما تكتمـون . قال جـابر فقلت لـه : يا مـولاي ، سمعتك تـروي عن آبائـك الطاهـرين عن جـدك محمـد رسـول رب العالمين ، صلى الله عليهم أجمعين ، إنه قال : إن الله جل مقامه لما أدنـاني منه جعـل بيني وبينه مرآة من نور أراه بها ، وأراني جميـع ما يـريده مني فيهـا عيانـاً ، فأفعله إن كـان[88] فعلاً ، وأقوله إن كان قولاً ، فما تلك المرآة فداك أبي وأمي ؟ فقال : المولى زين العـابدين على ذكره السلام : يا بن عبد الله أما سمعت الله يقـول : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَـهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[89] وقوله : ﴿ وَجَعَلنا لَهُ نُوراً يَمْشي بِهِ في النَّاسِ ﴾[90] وذلك وأيم الله

---

(85) وفضله : وفاض له في ن .

(86) فبث : سقطت في ن .

(87) يريد : أريد في ن .

(88) إن كان : سقطت في ن .

(89) سورة 24 آية 40 .

(90) سورة 6 آية 122 .

قلب أشرق لله ، فأشرق نور الله منه فرآه به ، وكل أحد فله قلب ، إما بتأجج نوره ، أو محجوب بالدين قد عمي ، فإنها لا تعمي الأبصار لكن تعمي القلوب التي في الصدور ، يا ابن عبد الله إن الله بعدله يستانس عند إشراق نوره إلى كل عالم بشكله ليعقل عنه ، إذا قال ، ويفهم إذا فعل ، ولولا تاينسه لكل خلق بواحد هو[91] المصطفى بفعله ، فهم لما أطاقوا إشراقه ، ولا فهموا نطقه ، ولكان مكلفاً خلقه من عظيم نوره ما لا يطيقونه[92] ومطالبهم من غيبه ما لا يقدرون .

قال جابر : يا مولاي فإذا قال الله ما لا ينبغي لمخلوق أن يقوله كيف نسمعه ، نحن حروفاً مقسومة ، وألفاظاً مفهومة ؟ قال : ينطق الرب من حيث هو كالصداء المجيب ، من نطق مقابله ، فهذا كلام الله تعالى من وراء الحجاب .

قال جابر بن عبد الله : وسمعت المولى سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام يوماً يقول كلاماً في معنى آخر ، فيخالفه في المعنى ويبعد عنه ، فقلت في نفسي : هو بريء من الذلل ، معصوم من النسيان ، ممتنع من الخطأ ، وذلك أنه قال : نحن (224) وجوه الرحمن ، وبيوت الديان ، وألسن مسموعة بنا والناطق بها العلي الكبير ، فعلينا وقفت العقول الصافيات ، وإلينا إنتهت الأفكار اللطيفة ، وان وراء من نحن له مسلمون . قال جابر : وامسك المولى (ع) ملياً ، ثم قال : أنا كل الكل ، وغاية الغايات ، أنا البريء من المثل ، العلي عن الشكل ، وأنا بكل شيء محيط .

قال جابر بن عبد الله : فقلت في سري الكلام الأول كلام مربوب ومالوه ، وهذا كلام رب ، إن هذا الشيء عجيب . فوالله ما تم ما خطر على فكري حتى نظر إليَّ المولى علينا سلامه مبتسماً ، وقال : إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ، ويسبحونه ، وله يسجدون . ثم قال : أنا عبد الله حقاً ، وأنا المؤمن صدقاً ، أنا محمود بما بلغت عن ربي ، وأحمد من شكر على نعمه ، وأعرف من حمد على ابتلائه ، أنا واحد مرتبتي ، وحمد درجتي[93] ، وأعلا الأسماء الحسنى لربي ، لا طريق إلاّ بي ، ولا سؤال إلاّ عني ، وأنا الحفيظ العليم . ا

وروي عن البلغاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : شاهدت نور

---

(91) هو : هم في ن .

(92) يطيقونه : يطيقونهم في ن .

(93) درجتي : دراجة في ن .

رسول الله ، وأنوار وصيه علي ، والحسن ، والحسين ، سبطيه[94] (صلعم) ، وسألت كـلا منهم عما يجب لي السؤال عنـه من مقامـه ، ورأيت مـولاي زين العـابـدين عـلي بن الحسين قد ملأ الخافقين ، وصفا صفاته قد عم المشرقين والمغربين ، ولقد سألته عن جميع ما سألت عنه رسول الله (صلعم) من الغوامض ، فأجاب بغير رويـة ، وهذا في بـواهر معجزات علي بن الحسين عليه السلام وآياته البينات .

وكان له ولدان : محمد الباقر المنصوص عليه صلوات الله عليـه من جده محمـد ، بقوله لجابر بن عبد الله الأنصاري والحسـين (ع) بين يـديه : يـا جابـر إنك تـدرك ولد ولد ولدي هذا ، فإذا لقيته ، فخصه بالسلام ، وقل له : يا باقر العلم أبقره بقراً . وابنه الثاني زيد . فلما تم الأجل وانقضى (225) لعلي بن الحسين صلوات الله عليه نص على ولده الباقر .

فقام الباقر محمد بن علي صلوات الله عليه وهو الرابـع من الأئمة ، مثـل المضقة في الروحانية مقابلاً لموسى كليم الله ، ومقابل للشمس في الفلك الـرابع ، ومـا لها من القـوة الطبيعية في إمداد المنبعثات من الأمهـات والمولـودات ، فكان للبـاقر (ع) من القـوة في أحكـام الشريعة من إظهـار العلوم التأويليـة المختصة الجلية أعظـم ممن تقـدم عليـه من الأئمة ، ولاذ به أهل العلوم والمعرفة ، وأقام الفروض والسنن على أصلها ، وبين معانيها لأهلها .

ولمـا كان الـرابع من الأئمـاء كان الحسن بن عـلي عليـه السـلام ممثـول الـطالـع ، والباقر (ع) ممثول الرابع ، وكانت الحـادثة عنـد الباقر اللازمـة الواجبـة قيام أخيـه زيد على الضدّ ، وهو في كنفهم[95] وفي قبضتهم ، فكان قيامه على أخيه خاصة بالحقيقة لأنـه فرق الشيعة ، وأتى عـلى ولي الله بالبـدعة ، فنهـاه البـاقـر (ع) وثبطه عن القيـام ، وقال لـه : إن قمت في هذه المـدة أخطأت ، لأن القـائم منـا[96] أهـل البيت يقـوم بـأمـر الله ووحيـه ، ومن لم يقم من دارهجرة يكـون له أهلك نفسـه ومن معـه ، وكـان مثله مثـل الفرخ[97] الطائـر إذا طار في غـير أوانه وقـع في أيدي الصبيـان لضعفه ، فتـلاعبت به ، وأنك أيضاً في كنف القوم فتصير عليهم متعدياً ولنفسك مهلكاً .

---

(94) سطيه : سطاويه في ن .

(95) كنفهم : كتفاهم في ن .

(96) منا : سقطت في م .

(97) الفرخ : الفروخ في ن .

قال زيد : ليس الإمام منا من أغلق بابه ، وأسدل ستره ، وإنما الإمام من شهر سيفه . قال محمد الباقر عليه السلام : قال جدنا علي أمير المؤمنين عليه السلام : إلزموا الأرض ، وأصبروا على البلاء ، ولا تحركوا أيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم[98] ، ولا تستعجلوا ما لم يعجله الله لكم ، فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة بحق ربه ورسوله مات شهيداً ، قد وقع أجره على الله ، واستوجب ثواب ما نوىٰ من صالح عمله ، (226) وقامت النية مقام صلات السيف ، فإن لكل شيء مدة وأجلا فإن أبيت فإنك تقتل من يومك ، وتصلب على الكناسة .

وراح زيد بيته فأمر الباقر (ع) رجلاً من شيعته فكره ، وقطعه ، وثبطه عما نواه ، فدخل الرجل عليه وهو في بيته[99] فقال له : على ماذا خرجت من أخيك ؟ قال : نهاني عن القيام ، فقلت له : ليس من أغلق بابه ، وأرخى ستره بإمام ، وإن الإمام من شهر سيفه . فقال الرجل : هل فوض الأمر أبوك من بعده ، ونص عليك كما ينص الإمام على ولده ؟ قال : اللهم لا . فقال له : كيف تتقوى[100] على ما ليس لك بحق ، وهذه شهادتك على نفسك بأنك عن ذلك عري ؟ ثم قال له الرجل : ما تقول يا بن بنت رسول الله (صلعم) إذا قام منكم أهل بيت النبوة عشرة شاهرون السيوف ، هل تكون الإمامة في جميعهم ؟ وهل لا يكون إماماً من أغلق بابه ، وأسدل حجابه ، لتغلب الأضداد واستيلاء أولي العناد ؟ فاسكته الشيعي وأفحمه ، وللشبهة أقحمه ، وتغافل زيد عن جوابه لعلمه أن الإمامة لا تكون في الاثنين ، ولإغلاق أمير المؤمنين بابه (ع) فلم تحيد[1] عنه الإمامة ، ولم يقصر عما رفعه الله من الكرامة ، ثم قال الرجل : إنا قد سمعنا عن محمد أن أباه نص عليه ، وأشار بهذا الأمر إليه . فقال : ما علمت بذلك ، ولقد كان أبي لو هس عظماً ما كتم عني ، ولو فعل ذلك لاغمرني . قال الرجل : ألم تسمع ما حكاه القرآن الحكيم عن يوسف وأبيه ، والمنام الذي عبره عليه ؟ فقال له يعقوب : ﴿ **لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾[2] وقد سمعنا من شهد لمحمد من حدود دين الله بتسليم الأمر إليه .

---

(98) هوى ألسنتكم : سقطت في ن .

(99) بيته : سقطت في م .

(100) تتقوى : قوي في ن .

(1) تحيد : استحل في ن .

(2) سورة 12 آية 5 .

فلما أصر[3] عليه وعرفه أن قيامه عدواة على الله سبحانه ، وعلى وليه في أرضه ، رجع الرجل(227) إلى مولاه الباقر (ع) فاعلمه بما ألقاه عليه من قوله . قال الباقر(ع) : قد ودينا من الوعظ ما يجب علينا فلم ينته زيد عن عدوانه ، وتمادى في عصيانه ، فقتل ، وصلب على الكناسة في نهاره الذي جرد فيه سيفه على ما بناه الإمام ، فكانت هذه معجزات الباقر وآياته البواهر .

وهاجر من الضد بعد قتلهم لزيد كما جرى به شرط الغامة من أولياء الله (ع) بالإنكتام بين الأضداد ،وستر أمرهم عن ذوي العناد . فقام (ع) وبث دعاته ، وأوى كثير من الشيعة إليه ، واجتمعوا للسؤال والاستفادة للعلم عليه ، فكان له (ع) من الآيات الباهرات ، والمعجزات الباطنة والظاهرة ، ما ظهر عيانه ، وقام برهانه ، ومنعه الله من الظلم والعدوان ، من بني أمية اللعناء ، الذين عناهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ الملعونَةَ في القرآنِ ﴾[4] وكانت تلك الشجرة اللعينة بنو أمية أضداد الشجرة الشريفة الطيبة الزكية التي قال الله تعالى فيه : ﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طيبَةً كشجرةٍ طَيبةٍ ﴾[5] فكانت الكلمة الأولى هي العقل كلمة الله التي قال فيها المسيح (ع) : في البدء كانت الكلمة .

والكلمة عند الله وهي العين العظيمة التي عناها الحدود ، ورمز بها الأولياء ، ودل عليها الأصفياء . وهي الصورة الأنزعية التي نزعت عنها الكثافة ، وتوحدت باللطافة ، وظهرت بالمقامات ، وعلت عن الإشارة .

وقد قال الداعي أحمد قس : إن الصورة الأنزعية هي صورة الذات التي دعاء الله الخلق إلى الإيمان به ، والإقرار بأنه الخالق الباري المصور الرازق ، وإن المؤمن من آمن بالصورة ، والكافر من جحد الصورة ، فالمؤمن من أقر بالصورة ونفى عنها التحديد ، والتخطيط ، والزوال ، والانتقال ، والتغيير من حال إلى حال ، وأنها القديم سبحانه ، ظهر للخلق في الأمم السالفة ، والأدواء الماضية ، فجعلها الله سبحانه وتعالى اسمه القديم الذي لم ينفصل عنه داعياً إليه في كل (228) وقت ، ودور ، وعصر ، وزمان . يظهر اسمه لخلقه شخصاً يدعو الخلق إليه ليكون أسهل العارف ، وإذ لا تعرف العلوه

(3) أصر : إصرار في م .
(4) سورة 17 آية 60 .
(5) سورة 14 آية 24 .

إلاّ باسمه وصفته ، فأظهر اسمه داعياً لخلقه إلى معناه جل من لا يغيب ، ثم أبرز لهم صورة ذاته تصديقاً لما دعا إليه تفضلاً منه على خلقه ، وأظهر لهم من الصورة القدرة الباهرة وتسمى[6] لهم بالوصاية الإمامة ، فكل وصي في كل عصر أشار إليه نبي ، أو دعا إليه قوم بعد مايغيب من الرسالة فهو اسم ، أو صفة .

فالواجب كما قال مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام : لا تنكر ولي[7] اسماً ، ولا تجحد ولي[8] صورة . فهذا قوله في كلام طويل . فهذا الذي عناه الله تعالى وأشار إليه بالكلمة ، وهو أعلى الحدود الروحانية في مراتب اللطافة ، ومنه استمدت عقول عالم الإبداع كافة ، والشجرة التي هي مثل تلك الكلمة محمد رسول الله صفوة الله في العالمين ، ورسوله إلى الآدميين المتحد[9] به العقل الذي قارنه فاستمد منه ، وأخذ من تأييده . وقال النبي (صلعم) : أنا شجرة وفاطمة حملها ، وعلي لقاحها ، والحسن والحسين ثمرها ، ومحبونا أهل البيت ورقها ، حقا حقا أن يكونوا معنا في الجنة .

فلما كانت تلك الشجرة الطيبة ثمارها ، الزهراء أنوارها ، المقابلة لكلمة الله العليا ، في العوالم العقلية ، كان بنو أمية أضداد تلك المقامات الشريفة ، الشجرة الملعونة في القرآن ، القائمون بعد الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، وهما الأولان اللذان جحدا ربهما وكفرا بنعمته ، وانقطعت الإمامة عن ذريتهما ، وخرجت عن عقبهما . فصبر الإمام الباقر (ع) على ما لقيه من الشجرة الخبيثة الأموية ، وأظهر الله منه كلمته العليا ، وجعله محط أنواره القدسية ، فصلوات الله عليه وعلى آبائه والأئمة الطاهرين من أبنائه ، ما تواترت الأحقاب ، وتسلسلت الأعقاب ، ولعنة الله على الظالمين الذين[10] عموا عن أنوارهم (229) المضيئة[11] وأنكروا فضائلهم النبوية ، فآن للباقر (ع) الأجل ، وإنقضى المهل ، وتم له العمل ، ونص على ولده الإمام الصادق جعفر بن محمد (صلعم) بأمر الله وحيه الملقى إليه ، فقام جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه ، وهو خامس الأئمة ممثول العظام في الروحانية ، ومقابل

---

(6) وتسمى : وسما في ن .

(7) ولي : أولى في ن .

(8) ولي : أولى في ن .

(9) المتحد : الممد في م .

(10) الذين : سقطت في م .

(11) المضيئة : الضوء في ن .

لعيسى روح الله ، فأظهر من العجائب في دين الحق ، والآيات المعجزات أعظم مما أظهره عيسى (ع) من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمة ، والأبرص ، والأعمى ، وخلق الطير من الطين ، فيسعى بنفحته العليا ، كذلك الحذو بالحذو ، فأبرأ الموتى من الجهل والضلال الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[12] فهداهم إلى الطريقة ، ونفخ فيهم روح الحقيقة الباقية بعد فناء الخلق ، وبها الصعود إلى جوار الحق .

قال الله تعالى في كتابه المبين : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱستَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحيِيكُمْ ﴾[13] تبييناً على كونها (إشارة)[14] إلى أمير المؤمنين (ع) تحيي الأرواح بدعوته ، وتبقى بما تستمده من علم حقيقته ، لأنه روح القدس الذي نفخه الله في العقل المقدس فأحياه ، وهو متصل بمقام العظمة في كل وقت وزمان ، فكان جعفر الصادق (ع) مقر ذلك وموضعه ،وكان عند المسيح (ع) شيعته مما يجمعه ، والأكمة فهو الأعمى وأولياء الله مبصرون من عمى عن النور .

وقد قال تعالى : ﴿ فَإِنها لاَ تَعْمَى الأَبصَارُ ولكِن تَعْمَى القُلُوبُ ٱلَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[15] وكذلك الأبرص يزيلون عنه ما عراه ، ويكشفون ما بلغ فيه وأذاه ، وذلك علم حقيقي به النجاة والحياة ، والطير فهم حججهم ودعاتهم المحتجبون[16] بالعلم والعمل ، وخلقهم من الطين هو إرقائهم من حد المستجيبين ، فإذا نفخوا فيهم روح الحقيقة القدسية ، وأمدوهم بما استمد به الجوهر الأنسي ، صاروا ملائكة بالفعل ، منزهين عن الأجسام ، مواصلين بالإجلال والإعظام ، يطيرون في (230) ملكوت العلوم ، ويدبرون أمر الحي القيوم .

وقد قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : اكتموا علمنا[17] وأطيعوا أمرنا نجعلكم الصفوة والخلفاء كما إصطفينا من كان قبلكم من الأمم السالفة لما أدوا أماناتنا ، وكتموا سرنا ، وعملوا بأوامرنا ، فجعلناهم أنبياء ورسلاً ، وجعلنا منهم ملائكة

---

(12) سورة 16 آية 21 .

(13) سورة 8 آية 24 .

(14) إشارة : سقطت في ن .

(15) سورة 22 آية 46 .

(16) المحتجبون : سقطت في ن .

(17) علمنا : علامنا في م .

مقربين . ولقد كانوا يمشون في الأسواق كما تمشون ، ويأكلون كما تأكلون ، فاخلصناهم لنا ، وجعلناهم رسلنا إلى الأنبياء . فقيل له : ومن هؤلاء يا أمير المؤمنين ؟ فقال : المسمى بجبرائيل ، والمسمى بميكائيل ، والمسمى بإسرافيل .

قال الداعي المؤتمن جعفر بن منصور اليمن نضر الله وجهه : فمن كتم أمر أولياء الله وأخفاه ، ولم يجهر به ولا أبداه ، وستر الحكمة عمن سواه ، وكان صفوتهم ومخلصهم ، ونال منزلة الملائكة المسمين بتمليكهم علوم الدين ، وإطلاعهم على حكمة أولياء الله ووقوفهم على سرائرهم ، وإحاطتهم بمكنون علمهم ، وقد سمى الله أهل هذه الصفة ملائكة . فقال تعالى : ﴿ وتَرَى الملائكةَ حافينَ مِنْ حَوْلِ العَرشِ يُسبِّحُونَ بحمدِ رَبِّهِمْ ﴾[18] . فالعرش هو علم الله الذي أطلع عليه أنبيائه ومن إرتضاه واصطفاه من عباده للإمامة ، وغيبه الذي استودعهم واستسرهم إياه ، وخطره ومنعه من جميع خلقه ، فجعلهم ملائكة وأرباباً فضيلة خصهم بها ، ومنزلة أنالهم إياها ، خالصة لهم ، وهي الإمامة ، حال لا يتغير ولا ينتقل ، جارياً أبداً مع مرور الدهور ، في كلام طويل إختصرناه .

نرجع إلى ذكر الصادق (ع) فأظهر العلوم والمعجزات والفقه حتى شاع في الخلق خبره بذلك ، ونسخت عنه العلوم ، وأخذ عنه[19] كل ما هو يستحق ، ودرس عليه شيوخ وعلماء أهل الظاهر في ظاهر أحكامهم ، مثل : أبي حنيفة ، والشافعي ومحمد بن إدريس فأخذ عليه ، وأطلقه منكتماً . ولذلك إنه في أحكامه[20] وافق أهل البيت (ع) ، (231) فحرم الخمر وقطعه وجبر في أحكامه ، فيقول : وأما ما يروى عن أهل البيت فكذا وكذا ، ولم يعد الزاني والزانية لأن ذلك إلى ولي الأمر ، والأمر في أيدي الظلمة .

ودرس على الصادق (ع) كثير من علماء الظاهر وأقر بفضله الخاص والعام ، فظهرت بركته ، وعلت كلمته ، وبث الدعاة وحدود الدين في الجزائر ، وأخذ العهود ، وكشف الحقائق .

وكان ضده اللعين ابن جعفر يدس إليه من يستطلع إسراره ، وإلى من يشير من

---

(18) سورة 39 آية 75 .

(19) عنه : عنهم في ن .

(20) أحكامه : حكامه في م .

أولاده ، وقبض مرة عليه وسجنه ، وخلص الله وليه ، ودفع عنه كيد الظالمين ، ونجاه من الكرب العظيم .

وروي أن رجلاً من شيعته كان وزيراً لأبي جعفر منكتما بذلك ، فحضر عند الضد لعنه الله فرآه تنفس الصعداء ، وقد كان جعفر بن محمد عنده وافداً ، فسأله الرجل عن قصته ، قال : إني قتلت من العلوية ألفاً أو يزيدون ، وبقي سيدهم وأشرفهم ، ولقد أليت على نفسي أنه لا يمسي آخر يومه هذا . قال الرجل : إنه شيخ كبير ، وقد أنحلته العبادة ، وضعف[21] جسمه ، وليس بطالب لعرض الدنيا . قال : إنك لتعتقد إمامته وإني كذلك لعالم أنه إمامك ، وإمامي ، وإمام هذا الخلق أجعين ، ولكن الملك عقيم . ثم أمر لسيافه وقال له : إذا دخل جعفر بن محمد ورائي تركت قلنسوتي على رأسي فاضرب عنقه ، وأمر للصادق (ع) في آخر ساعة تلك ، فلما دخل عليه نظر الوزير إلى جعفر (ع) وهو[22] يلملم شفتيه ، وكان المنصور (لعنه الله) في صرح الدار، فلما نظر إلى الصادق (ع) سار بين يديه حافياً والبرنس بيده ،ورأسه مكشوفة حتى دخل إلى مجلسه ، فاجلسه على مرتبته ، وجلس بين يديه جلوس المملوك بين يدي مولاه ، وقال : هل من حاجة يا با عبد الله نقضيها ؟ قال : لا حاجة لي إلاّ أن رسولك وصل[23] يطلبني الوصول إليك . قال : ما طلبتك إلاّ لقضاء حاجة تكون لك . (232) قال : حاجتي منك بأن تكون لا تأمر لي حتى إذا بدت لي حاجة وصلت لها من ذات نفسي .

وخرج الصادق (ع) إلى دار ضيافته ، فأقبل الوزير علي بن الدوانيق فسأله[24] عن خبره ؟ قال : ويحك إني رأيت تنيناً قد فتح فاه ، وجعل شدقه في فاه على القصر . وقال : لئن أحدثت شيئاً في جعفر لأجعلنك نكالاً لما بين يديها وخلفها ، فأظهر هذه المعجزة (ع) .

وكان جماعة من أصحاب الصادق (ع) وقوفاً بين يديه وقد أقبل عليهم يعاتبهم في قول سمعه منهم في بعض حدوده ، وقد كشف لهم شيئاً من رتبته ، فأنكروا . فقال لهم الصادق (ع) : ما تقولون في ذلك ؟ قالوا : نقول بفضلك ، ولا نقول بربوبيتك . فحرك شفتيه وهو يحرك اصبعيه بعضهما ببعض فخرج من بينهما طائر

---

(21) وضعف : سقطت في ن .

(22) وهو : علي في ن .

(23) وصل : وصار في ن .

(24) فسأله : فسوله في م .

كالذباب فطار ووقع على رأس واحد منهم عليه برنس فلزم بخيط من عذبة البرنس فطار به وقام الرجل يستنقذه فلم ينله في الهواء . فقال (ع) : إجلس . فلما جلس رد الطائر برنسه على رأسه ، وتلى الصادق (ع) الاية : ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يستنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾[25] ضعف الطالب والمطلوب ما قدر الله حق قدره . إن الله لقوي عزيز فأقر بالمعجزة ، وقبلوا عن أحدهم الذي أنكروا عليه بالحقيقة ، ولذلك إنا أبا الدوانيق أمر رجلاً من أصحابه بالمسير إلى الصادق (ع) وتملق له في أن يأخذ العهد عليه ، ففعل وهو غير جاهل بمراده ، وإنما أراد إظهار المعجزات لئلا يكون للناس حجة على الله حجته ، وحضر ذلك الرجل مجلس الصادق (ع) وحفظ شيئاً مما سمعه من الحكمة ، وتحقق أن المشار إليه إسماعيل (ع) وراح بعد ذلك إلى أبي الدوانيق وأخبره بجميع ذلك فملأه غيظاً ، وازداد لولي الله حسداً وبغضاً ، وأرسل إلى[26] الصادق (ع) من وقته ، فلما مثل بين يديه وسأل كل واحد منهما صاحبه (233) عن حاله ، وقد خبأ الرجل تحت ستره يسمع الكلام ، فأقبل عليه يعاتبه ، وقال : إن لك علماً تكتمه وتخفيه ، وأنك قد نصبت ولدك إسماعيل وأشرت إليه بأن الإمامة فيه ، وكان الواجب عليك إظهار الحق إن كان معك . قال الصادق (ع) : كذب لك مبلغك ذلك ، فظهر الرجل من تحت الستر[27] وقال : ألست تقول : كذا وكذا ، وقد أشرت إلى إسماعيل ؟ . قال الصادق (ع) :فاقسم بالله أن قولك هذا حق . قال : نعم . فاستحلفه الصادق (ع) باليمين المشهورة فلما فرغ ، قال له : قم . فنهض ليقوم فنكص ظهره ، وسقط ميتاً الساعة ، فبهت الذي كفر ، وانثنى الضد عن نيته ، لما رأى برهان ربه .

وأمر الصادق (ع) إلى دار الكرامة فاكرمه واتحفه وجهزه بخير جهاز لمسيره ، ورجع الصادق (ع) إلى دار قراره . وكذلك فإن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين لما هم بالقيام[28] على هشام بن عبد الملك أمر جعفر (ع) رجلاً من أصحابه لينهاه[29] عن القيام . فلما وصل الرجل إلى يحيى سلم عليه وقال له : إن ابن عمك يقرءك

---

(25) سورة 22 آية 73 .

(26) إلى : سقطت في ن .

(27) الستر : سقطت في ن .

(28) بالقيام : قوام في ن .

(29) لينهاه : نواه في ن .

السلام ، ويقول : لا تقوم ، ولا تتحرك[30] إلى إتعاب نفسك ، فلا قيام لـك . فقال : يحي ما سمعته يقول فيما يجري فيَّ وعليَّ إن قمت . فقال : يا بن بنت رسـول الله أفلست تعلم غلم ابن عمـك ؟ فقال : إن بني عمي يعلمـون علمنـا وعلمهم ، ونحن نعلم[31] علمنا ولا نعلم علمهم . قال : فإني سمعته يقـول : إن قمت قتلت وصلبت ، كما فعـل أبـوك حيث قتل وصلب ، وستحـرق بعد ذلـك بالنـار . فبكى لـذلـك ، وأخـرج إليـه صحيفة وقال له : تأخذ هذه الصحيفـة وتسلمها إلى ابن عمي وديعـة عنده إلى ولـدي ، فلا عذر لي عن القيام . قال له الرجل : فأرى الشيعة أجابـوا ابن عمك ، والمحب لـك منهم قليل . قال : لأن ابن عمي دعاهم إلى الحياة فأجابوه ، ودعوتهم إلى الموت فعدلـوا عني .

ورجـع الرجـل إلى الصادق (ع) وسلم إليـه الصحيفة ، وقام ابن زيد فـانتضى سيفه ، فقتل ، وصلب ، وأحرق كما دكـر له الصـادق (ع) . يدعوهم إلى الحياة وهـو يدعوهم إلى الموت . وكثير من (234) معجزات الصادق (ع) لـو تقصيناهـا لطال بها الشرح ، وإنما قصدنا البرهان على ما أوردناه .

وقـد كان الصـادق (ع) نص على ولـده إسـاعيـل وأقـامـه إمـامـاً بـين يـديـه ، وأخذت الحدود عنه ، وأمرهـم باتباعه بأمر الله له بذلك ، قام إسماعيل بن جعفر صلوات الله عليـه المبـارك الميمـون[32] في كنف أبيـه ، وهـو سـادس الأتمـاء ممثـول اللحم في الروحانية ، مقابل لجده نبي الهدى (صلعم) سادس النطقاء وخاتم الأنبياء ، وعلي أمير المؤمنـين الخلق الآخـر ، والـروح المنشـأ المحـرك المتحـرك المحيي المنـطق ، كـذلـك إسماعيل بن جعفر خاتم الأنبياء[33] والخلق الآخر ، ولده محمد (صلعم) .

وقـد كـان ظهـر شخصـه ، وبـان رسمـه ، وهـو في رتبـة القـائم السـابـع من النطقاء (صلعم) روح الحياة . فلما آن لإسماعيل الأجل تلبيساً على الضـد لشدة حسـده وبغيه وحرصه على اطفاء نور الله ، والله متم نوره بما فعله إن شاء الله . فأوصى إسماعيل والده الصادق الأمين صلوات الله عليهم أجمعين ، أن يقيم لولده حجـاباً ومستـودعاً كـما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلاً ، فأقام له يوشع بن نون ستراً عليـه ، وحجابـاً

---

(30) تتحرك : حرك في ن .

(31) نعلم : سقطت في م .

(32) الميمون : الومون في ن .

(33) الأنبياء : نباية في ن .

له ، فسلمه أعني محمد بن إسماعيل إلى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي قس . فرباه وأخفى شخصه ، وهو ابن ثلاث[34] سنين مع ميمون القداح قدس الله روحه ، وهو كفيل له ، ومستودع أمره .

وميمون بن سلمان ، وسلمان من أولاد إسحاق أهل الإستيداع ، والقائمين بالبلاغ والإبلاغ .

وكان إسماعيل في كنف أبيه كما كان محمد جده (صلعم) في كنف صاحب الزمان أبي طالب صلوات الله عليه ، فأظهر إسماعيل مرضاً ، وصارت العواد من أهل الحضر والسفار يعودونه في أثناء ذلك يشهد أبوه من وصل إليه على ذلك ويكتب شهادتهم . فلما أظهر نقلته سجّاه ثلاثة[35] أيام وهو يأخذ على ذلك شهادة من وصل إليه يغريه فيه من بني هاشم وغيرهم . فلما (235) كان في اليوم الثالث أمر بحمله إلى القبر ، وكشف عن وجهه ، وقال لمن حضره : أليس هذا ولدي إسماعيل ؟ فيقولون : بلى . فجدد شهادتهم على ذلك ، ثم دفنه وراح وكتب إلى أبي الدوانيق يعرفه خبره . ووصل إليه أهل الأخبار بعلم ذلك فسره ، وقطع خاطره عما كان ينويه ويظهره ، لعنة الله عليه ، وعلى الساعين في الأرض بالفساد ، المظهرين لأولياء الله العناد . فلما كان بعد ذلك ظهر إسماعيل (ع) بالبصرة ، وأقبل إليه الناس يهرعون ، وهم يقولون : هذا إسماعيل بن جعفر عاد حياً ، إلى أن مر بشيخ (جالس على)[36] دكانه وهو[37] من الشيعة الموالين لأبيه . فقال له : يا بن بنت رسول الله (صلعم) خذ بيدي ، أخذ الله بيدك . فطلع إليه ، ومسح على ظهره بيده المباركة ، فثبت ظهره ، وبرىء من علته ، وشاهد الخلق ذلك ، وغاب عنهم . فلما سمع بذلك أبو الدوانيق ، قال : إن سحر بني أبي كبشة لعظيم . فأمر (أن يأتيه جعفر)[38] ، فلما وصل إليه عاتبه في ذلك ، فأظهر الصادق (ع) ما كسبته الشهود ، وكان في المجلس كثير ممن شهد ، فشهدوا بذلك ، فسكن عليه منه غيظة ، وراح الصادق سلام الله عليه فكان ما أظهره إسماعيل (ع م) من الغيبة والظهور بعد ذلك كما فعل ذلك جده الناطق المرسل محمد (صلعم) وعلى عقبة الأفضل ، لما ظهر للضد حين عاتبه أمير المؤمنين في أخذ حقه ، وأراه

(34) ثلاث : سقطت في م .

(35) ثلاثة : سقطت في ن .

(36) جالس على : مزمن على في ن .

(37) وهو : سقطت في م .

(38) أن يأتيه جعفر : بجعفر في ن .

الناطق (صلعم) فعاتب أبا بكر في ارتقائه إلى ما ليس من أهله ، ولا هو بمستحقه . ولمثل ما ظهر لأمير المؤمنين وهو يغسله ، وأفاده وقد أمره أن يجلسه[39] ثم يسأله . وكذلك فعل المسيح عيسى بن مريم . وشهد الحواريون حين ظهر لهم في الجبل مع شهادة النسوة المؤمنات اللواتي كن لقبره زائرات . فأظهر الإمام إسماعيل إعجازاً للخلائق بظهور القدرة من الله تعالى فيه ، وبقاء الكلمة في عقبه الطاهرين من نبيه لأن تتم (236) الحكمة وتصل إلى الخلائق رحمته ، وتكمل الحجة ، وتتم النعمة ، فمثل هذه المعجزات العظيمة التي تقصر عن معرفتها العقول ، ويتيه فيها مع السائل والمسؤول ، يظهرها العقل الأول الذي هو الإبداع الأول بهم لتظهر القدرة للعارفين ، ويبقى في تحيرهم المعادين[40] لأولياء الله من المضادين المخالفين ، ولا يعقلها إلا العالمون ، ولا ينال عهد الله إلى أوليائه الظالمون .

ثم أن الصادق (ع) أقام موسى بن جعفر حجاباً على محمد بن إسماعيل وعلى من جعله له باباً الذي هو ميمون الستر عليه والكفيل ، وكان موسى دارسا في التأويل والحقيقة ، فاجتمع عليه كثير من الشيعة المخالفين للطريقة ، فقصدوا الاسم دون[41] المسمى ، وقنعوا باللفظ دون المعنى ، وكتم الصادق(ع) ابن ابنه ، وأقام له ميمون القداح وابنه عبد الله الميمون كفلاً ، وكتم أمر ذلك عن الخاص والعام إلاّ على المخلصين العارفين لمن أوجب الله له الولاء .

وسار ميمون وولده في طلب دار هجرة لولي الأمر يأويها ويقيم الحدود الهادين فيها ، والشيعة في اعتقادهم مختلفون والفضلاء البالغون منهم لولي أمرهم عارفون ، أعلمهم ولي الله بمقام صاحب أمرهم فعلموا ، وأمرهم أن يكتموا ذلك ستر الخوف فكتموا .

واعتقدت فرقة أن الإمام[42] رجعت القهقري ، وفرقة تعتقد إمامة موسى بن جعفر إذ أقامه ولي الله ستراً على ولده إذ صار مستتراً . ثم اعتقدت فرقة أخرى إمامة الأفطح[43] عبد الله بن جعفر فمات في عصر أبيه ، وهو منقطع الولد ، فبطل ما الفقوه

---

(39) يجلسه : يجالسه في ن .

(40) المعادين : المعودن في م .

(41) دون : دوان في ن .

(42) الإمامة : الأوامة في ن .

(43) الأفطح : الأفلخ في م .

من الترهات . وفرقة اعتقدت إمامة محمد بن جعفر وتفرقوا بعد غيبة إسماعيل . وذهبت بهم أهوائهم كل مذهب إلى الأباطيل .

فلما آن للصادق (ع) الأجل وانقضى المهل لبس على الضد أبي الدوانيق ستراً على ولي الله وصيانة لحدود دينه ، وأمانا عليهم من تتبعه لهم بافكه (237) وبينه ذلك كما فعل أمير المؤمنين في مبايعة الظلمة بيساره ، إذ لا يعلمون ما عند أولياء الله من علم الله وأسراره . وكان ذلك من علي (ع) بعد أن قام حجته وأبان إليه دعوته ، فقام موسى بن جعفر الرضي واعتكف أكثر الشيعة عليه ، ومالت أهواء عامتهم إليه ، وكل من أولاد جعفر ادعى الإمامة لنفسه . وانكتم ولي الله (ع) بهذا التلبيس عن الضد ومن اتبعه من أبناء جنسه .

وكان أولاد جعفر قائمين بالشريعة والتأويل كقيام أبي بكر وعمر ، وهم إلّا من عصم الله منهم ممن عرف فضل ولي الله من ذلك القبيل . وكان قيام أبي الدوانيق في مقابلة عثمان[44] في التحويل في شريعة محمد (صلعم) والتبديل ، فبان خلق عبد الله عن الإمامة لانبتار عقبه . ومحمد بن جعفر شهر سيفه في الحرم وقطع مناسك الحج ، وما أمر الله به فظفر به عدوه ، وجعلوا حبلاً في عنقه وجروه في البلدان ، وأطلعوه المنابر متبرياً من الإمامة ، وشاهداً على نفسه بالخطأ في الجهر والإعلان . والإمام لا يتبرأ من كلمة الله وسره ، بل يستسلم للقتل كما فعل الحسين (ع) ، ويدخل كما فعل[45] الطاهرون من أولاده في كهف ستره ، وموسى فلم يجعله الصادق إلّا ستراً على أولي الأمر لينكتم أمره عن الأضداد . ولأن لا يطلع على ما خص به أهل العداوة والعناد . فادعى موسى الأمر له ولولده من بعده ، وقالوا أن رسول الله (صلعم) أشار إلى المهدي الثاني عشر من أمير المؤمنين ، فجعلوا جعفر (ع) السادس من علي (ع) وموسى أول الستة الثانية ، وأتوا بالاعتقادات الفاسدة ، والأقوال الواهية ، فكذبهم قول رسول الله (صلعم) : إن الشمس تطلع من مغربها ، وأنها لا تنكس[46] راية المهدي (ع) حتى يقوم بها . فبان قوله ، وظهر أمره ، بولي الأمر صاحب المعجزات ، ومبين الآيات ، المهدي بالله (ع) الذي طلع من المغرب وقام قيام النبي (صلعم)

---

(44) عثمان : سقطت في م .

(45) فعل : عول في ن .

(46) تنكس : تكنس في ن .

(238) مهلكاً لمن ناصبه الحروب ،وذهب الزبد جفاء وأشرقت الأرض بنور ربهـا إنارة وضياء .

وبطل ما موه به موسى فظهر في الأئمة من ورثة إسماعيل (ع) نور الله .وقد سئل مولانا المعز (ع) عن الوحي فقال : معناه الإشارة الإلهية تتجلى بالنور الرباني .

قال جعفر بن منصور اليمن أعلى الله قـدسه : لا تتغـير ولا تنتقل جـارياً أبـداً مع مرور الدهـور ، فـالأئمـة (ع) ينتقلون ويصـيرون إلى دار كـرامـة الله ومحـل رضـوانـه بغيبة أشخاصهم ، وقيام الخلوة منهم في مقام السلف باتصاله بالإمامة . لا أن الإمامة لا تنتقل ولا تزول ، وأن الأئمـة (ع) يتوارثـونها بالإنتقـال والإتصـال خلفـاً عن سلف ، كـما أن عرش الله حـالاً لا تزول ، والحـافون حـوله المسمـون بالملائكـة هم مـالكـوه ، والقائمون بـه لأتباعهم لأربـابه ، وإتصـال المواد إليهم من أهله الـذين هم أحرى بـه ، فكـانـوا منهم بـالإتبـاع والإتصـال ينـوبـون عنهم في المنـازل ، والأسبـاب . إذ هؤلاء مربوبون ، وهؤلاء أرباب ، والمـربوب لاحق بـربه إذ أطـاعه واتبعـه كما أن الـولد لاحق بوالده في المنزلة والرتبة ، والإئتـلاف . وإذا عصى برء[47] منـه بالعقـوق والخلاف ، كـما حكى الله جل جلاله في قصة نـوح (ع) : ﴿ إنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ ﴾[48] فنودي أنه ليس من أهلك إنه عمـل غير صالح فبرأه الله منه بعقوقه ، وخلافه على أبيه ، وقـال عـزَّ وجـل في الـولـد البـار :﴿ ألحقنـا بِهِمْ ذُرِّيَتَهُمْ وَمَـا أَلتنـاهم مِّن عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[49] ثم عـطف بالقـول فقال : كـل نفس بما كسبت رهينـة إلاَّ أصحـاب اليمـين استثناهم على المتواصلين بالبر ، وعطفاً على المتبائنين بالخلاف .

هذا قوله قدس الله روحـه أبان فيـه أن الإمامـة حال بـاقي لا يتغير ولا يتبـدل على مـرور الأزمنة والأعصـار بقيـام الخلق عن السلف . وأن الأولاد ينسبـون إلى آبـائهم إلاَّ بطاعتهـم ، وإتباعهـم ، والـبر بهم ، والـوفـاء لهم ،واستشهـد بقـول الله تعـالى لبني (239) نوح حين قال : (إن ابني من أهلي) فأجابه تعالى بقوله : ﴿ إنَّهُ لَيْسَ من أهْلِكَ إنَّه عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ ﴾[50] . فمن ادعى من أولاد الأئمة الـطبيعين مقـاماتهم الشريفـة بغير نص حقيقي ، ولا نور إلهي فقد خاب وخسر ، وانقطعت عصمتـه منهم ، وبرأهم الله منـه ،

---

(47) برء : برءوا في ن .

(48) سورة 11 آية 45 .

(49) سورة 52 آية 21 .

(50) سورة 11 آية 46 .

فبرء منهم ، ومن أطاع إمامه واقتفى في أتباعه سنة الله وأحكامه ، فقد اتصل بهم سبباً كما اتصل نسباً .

وكان أتباعه لولي أمره لفضله على غيره موجباً ، فلما انقطعت في موسى وولده الذرية ، كانت الحجة عليهم قائمة إنهم عريون من لباس تلك الرتبة السنية ، لأن النبي (صلعم) قد قال : إني مخلف فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض .

والحوض هو القائم (ع) ، الذي لا تزال الإمامة متصلة إليه ، ولذلك يذكر أن أمير المؤمنين يسقي من أمة رسول الله من ذلك الحوض إلى يوم القيامة وهو الذي يمتاز كل ولي من علمه الحقيقي ، وشفى أوامه ، وهو حوض النبوة ، والرسالة ، والوصاية ، والإمامة ، ومجمع أهل الفضل الذين[51] أتاهم الله الكرامة ، صاحب الحقائق والعلوم الباهرة التي تصير بقيامه لأهل دوره بعد انكتامها ظاهرة .

وهذه العلامات والإشارات ظهرت مسفرة في ولاة الأمر يتوارثها منهم خلف عن سلف ، بظهور المعجزات ، وكشف العلوم البينات ، وإخراج المتبعين[52] إلى النور من الظلمات . وتخلصهم من غرق طوفان الضلال والشبهات ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .

فقد صحت إمامة إسماعيل بن جعفر وبقيت كلمة الله في عقبه ، وفي كل إمام من ذريته إن ظهر أو استتر ، وبطل ما ادعاه المفترون ، وخاب الأشقياء المبطلون ، والله يريد أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ولما بلغ محمد بن إسماعيل (ع) أشده وزالت عنه أوهام الظلم بما ليس إليه جده صلوات الله عليهم أجمعين ، وقام محمد بن إسماعيل صلوات الله عليه فهو سابع الأتماء وقائمهم ، مقابل لجده علي (240) أمير المؤمنين (ع) تمام الدور الروحاني ، والخلف الآخر الذي هو نفس الشيء ، وروحه ومعناه ، وهو تمام الدور الروحاني ، ومنه ابتداء الدور الثاني .

وكان بالمدينة فقام بدين الله سبحانه ، وبث الدعاة ، ونشر العلوم ، وأمر دعاته

---

(51) الذين : الذينهم في ن .

(52) المتبعين : التابعين في ن .

بطلب دار الهجرة كما جرت العادة لأولياء الله ، إذ لا بد لكل طالع ورابع وسابع من دار هجرة يلجأ إليها . وكان في عصر الرشيد لعنه الله . فلما بلغه[53] علم محمد (صلعم) بسبب إنتشار دعوته أمر بالقبض عليه ، وأن يؤدي إليه ، وكان الإمام (ع) قد أعد بداره سرداباً[54] ينكتم فيه من الضدّ ، فلما وصل الرسول من الرشيد إلى المدينة دخل ذلك السرداب واختفى فيه ، وطلبوه فلم يجدوه ، ولا قدروا عليه ، فعادوا إلى الرشيد وأنهوا إليه ما فعلوا ، ولما هدأ الطلب ، سار الإمام (ع) في طلب دار هجرة[55] وخلف بالمدينة ولدين خاليين عن الإمامة وهما إسماعيل وجعفر ، وشخص إلى نيسابور بنفسه منكتماً عن ضده ، وهو يدور ما بينها وبين الديلم ، وتزوج بنيسابور امرأة فولدت له ولداً فسماه عبد الله ، وكناه الرضا ، وعرف عبد الله الإمام بالعطار كتماً لمقامه ، وإخفاء له ، ونصب له حجباً ، وأمر كل واحد من الحجب ، والحجج ، أن يتسمى باسم الإمام ، فمن أخذ العهد على مستجيب سمى له أحد اولئك الحجب حتى يمضي الوهم إليه ستراً على صاحب الأمر (ع) ، وجرت بذلك السنة القضية في الأئمة المستورين الثلاثة ، فمن ذلك أن الدعاة في أوضاعهم يسمون هؤلاء الأئمة باسماء مختلفة ما اتفق منها في ذلك اثنان ، فقام محمد (صلعم) باللسان ، وصمت عنه السيف إلى بلوغ الكتاب أجله ، فأظهر العلوم ، وبين الحقائق ، وكشف لخلصائه منها السر المكتوم .

فظهرت منه حقائق ومعجزات ، ودلائل وآيات ، لم تظهر في الأئمة من قبله ، ولا قام أحد من الأئماء (الثلاثة لأنه)[56] السابع صاحب القوة والظهر ، والضياء والنور ، ومبين العلم المستور .

وكان محمد بن (241) إسماعيل متم الدر المنتهية إليه غاية الشرائع المختومة به ، المشتمل على مراتب حدودها المحيط بعلومهم ، وهو القائم بالقوة صاحب الكشفة الأولى ، لأن القائم بالفعل هو القائم الكلي الذي هو صاحب الكشفة الأخرى ، والبطشة العظمى ، قائم القيامة الكبرى ، لأن القيامات كثيرة : أولها المأذون المكفوف[57] ، ثم المأذون المطلق ، ثم الداعي المحروم ، ثم الداعي المطلق ، ثم داعي

(53) بلغه : بلاغ له في ن .

(54) سرداباً : سرباً في ن .

(55) هجرة : سقطت في م .

(56) الثلاثة لأنه : ثلاوتهم في ن .

(57) المكفوف : الكافون في ن .

البلاغ ، ثم الحجة وغايتها الباب . وإنما كانت هذه الحدود قيامات لقيام كل واحد منهم بما يتصل به من الصور المجردة المفارقة للأجسام ، الصائرة إلى أفقه ، المعروفة به .

ويتلو هذه المقامات قيامة كبرى ، وهو المقام الذي هو الإمام (ع) ، فهو قائم القيامة ونهاية النهايات ، وكل حد ممن ذكرنا قائم بنسبة إلى من دونه ، ويتلوها جميعاً قائم القيامة الكبرى ، صاحب البطشة العظمى ، المجتمعة عنده جميع المقامات . وهو لهم غاية الغايات ، الشريفة الجامع لها من أول الثلاثة آلاف السنة التي هي آخر دور الكشف إلى آخر دور محمد (صلعم) ،وبه رمز مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بقوله : لشعرة آلاف سنة تقوم صورة . إشارة إلى هذا المقام العظيم ، الجامع لمقامات الأدوار في سلك[58] علمه العظيم .

وهو الذي يخلف العقل العاشر بعد نقلته ، ويقوم مدبراً للعالم[59] في رتبته ، وإنما وقع عليه اسم الناطق السابع لنطقه بالأمر الإلهي ، وجمعه للفضل الذي هو إليه متناهي ، وليس بمتم ، ولا رسول ، بل هو منفرد برتبة[60] الوحدة ، وقد تم التمام ، واتسق النظام .

وإنما خص محمد بن إسماعيل (ع) بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر ، لأنك إذا عددت آدم ووصيه وأئمة دوره[61] كان خاتمهم الناطق وهو نوح (ع) ، وإذا عددت نوحاً ووصيه وأئمة دوره كان خاتمهم وهو إبراهيم ناطقاً ، وإذا عددت إبراهيم ووصيه وأئمة دوره كان آخرهم ناطقاً ، وهو موسى (ع) ، وإذا (242) عددت موسى ووصيه ومتمي دوره ، كان خاتمهم ناطقاً وهو عيسى (ع) .

وإذا عددت عيسى ووصيه وأئمة دوره ، كان محمد (صلعم) متسلماً لمراتبهم ، وهو الناطق الخاتم للنطقاء ، وكان وصيه (ع) بالفضل منفرداً . وإذا عددت الأتماء[62] في دوره كان محمد بن إسماعيل سابعهم ، وللسابع قوة على من تقدمه . فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للأسبوع وقائماً ، وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ببيان معانيها ، وإظهار باطنها المبطن فيها .

---

(58) سلك : ملك في ن .

(59) للعالم : للعوالم في ن .

(60) برتبه : براتبه في م .

(61) دوره : أداره في ن .

(62) الأتماء : تمامه في ن .

وبذلك نطق مولانا الإمام المعز لدين الله (ع) حيث قال في دعاء يوم السبت : وعلى القائم بالحق ، الناطق بالصدق ، التاسع من جده الرسول الثامن من أبيه ، الكوثر السابع من آبائه الأئمة سابع الرسل من آدم ، وسابع الأئمة من علي[63] سلام الله وصلاته عليهم أجمعين . إلى قوله علينا سلامه : الذي شرفته[64] وعظمته ، وكرمته ، وختمت به عالم الطبائع ، وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد (صلعم) تملأ به الأرض عدلاً وقسطاً ، كما ملئت جوراً ، وظلماً ، وخبطاً . كالذي قال النبي (صلعم) : المهدي منا أهل البيت رجل أشم الأنف ، أكنى ، أكحل ، يملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً وخبطاً .

وهو مترجم القرآن ومفسره ، ومظهر بيانه ومنوره ، وثائم يوم القيامة[65] والفضل ، والبعث ، والتغابن . هذا قوله (صلعم) لفضل محمد بن إسماعيل ، ومبيناً لحده الشريف الجليل ، إذ هو سابع الأئماء ، المبين للمعنى ، وللسابع قوة تكون ليس لمن تقدمه .

ولذلك كانت قوة القائم لما كان سابع النطقاء ، والذي كان للإمام محمد بن إسماعيل كان لسابع الخلفاء الذي هو المعز لدين الله (ع) سابع اسبوعين ، ورابع أربعة . وكذلك لمولانا الإمام الطيب صلوات الله عليه ، ومثل ما كان سيكون ، وما علم سيعلم ، وما تحت الشمس شيء بجديد .

ولا يزال تكرار الأسابيع يكون[66] سابع الأئمة صلوات الله عليهم (243) أقواهم وأجمعهم للعلوم وأكثرهم بياناً ، وأوضحهم برهاناً ، حتى يكون الانتهاء إلى القيام الآخر صاحب الكشف والظهور ، ومبين العلم المستور ، والكشف هو انكشاف المعاني من غواشيها ، وبيانها لمستحقيها ، فمن بلغ إلى ذلك[67] فهو من أهل دور الكشف ، وقد عرف القائم وبان له الفضل والجزاء وبلغ الميعاد ، وشاهد أهل ذلك الدور عياناً عقلياً لا حياً وكشفاً ، لا ستر فيه جلياً . ومحمد بن إسماعيل (ع) لم يبطل شيئاً من ظاهر شر ـة محمد (صلعم) بل أكدها وأمر بالعمل بها . وعلى ذلك سنة

---

(63) علي : إله في ن .
(64) شرفته : سقطت في م .
(65) القيامة : القوام في ن .
(66) يكون : كان في ن .
(67) ذلك : كذالك في ن .

الأئمة[68] الطاهرين من أبنائه (ع) التابعين لهم قياماً بالتكليفات، ومحافظة على المفترضات من غير ترخيص ولا إهمال، ولا ترك ولا إبطال. وإنما عني الإمام المعز (ع) بقوله: وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد لما كان لمعانيها مبيناً، ولأسرارها كاشفاً ومجلياً، فأزال عن أتباعه وأشياعه اعتقاد الظاهر على ما فيه من تعطيل وتشبيه للمبدع الحق بمخلوقاته، وتمثيل، وتجسيم، للملائكة الروحانيين. واعتقاد لذلك على ما هو موجود في هذه الدار، فعطل ذلك الإعتقاد، وبين فيه المراد، كشفاً للحقائق، وإظهار البيان الصادق، وقياماً بالتأويل الذي عرف فيه التوحيد بحقيقته، ونزه الباري سبحانه عن صفة خليقته، وعرفت الملائكة بجوهرها اللطيف.

وبين الثواب العقاب لا على ما يعتقده أهل التجسيم والتكييف، وذلك كفعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، فإنه أول قائم بكشف المعنى، ومبين للباطن الشريف الأسنى، والأئمة الطاهرون صلوات الله عليهم أجمعين، فإنهم بذلك عن (. . . . . .)[69] وعلى الحافظ عليه دائمون، فقاموا بالقوة لأهل القصور الذين عنهم بيان المعنى مكتوم مستور، وقاموا بالفعل لأهل الحقائق العارفين، وكشفوا لهم ما (244) كانوا عن معرفته واقفين، فإنهم يا أخي ما أوتيت من الحكمة، وأعلم فضائل أولياء الله الأئمة، وتلق ما أوتيت وكن من الشاكرين، واستمسك[70] بالعروة الوثقى والحبل المتين.

ولما آنت لمولانا محمد بن إسماعيل (ع) نقلته ودنت غيبته، سلم الأمر إلى ولده عبد الله الرضي، وجعله له الخلف والوصي. فقام عبد الله الرضي صلوات الله عليه أول الثلاثة (1) الأئمة المستورين بأمر الله ووحيه، وتسلم الرتبة من والده وخلفه في شريف مقامه، وهو كالسلالة مقابل لآدم (ع) في الدور أول النطقاء، وهو أول الخلفاء لكون الحسن بن علي (ع) أول الأتماء، فكتم نفسه، وستر حجبه، وحدوده، فكان حجته وحجابه عبد الله بن ميمون رضوان الله عليه، ولم يظهر[71] علمه لأحد، ولا أطلع عليه ولا عرفه إلاّ حملة العرش، القائمون بأمر الله، أمناء خليفته، وفضلاء حججه المنصوبون في دعوته.

---

(68) الأئمة: سقطت في م.

(69) وجد مكان النقاط بياض بمقدار كلمة أو كلمتين في كلا النسختين.

(70) واستمسك: مسك في ن.

(71) يظهر: ظواهر في ن.

وكان استتاره لظلمة بالليل الشديد ، وذلك لما غلب الباطل على الحق ، ولشدة[72] دولة الظلمة من آل عباس ، وعظم الريب والوسواس ، وكان لشدة استتار الإمام (ع) إذا أخذ أحد من دور دينه العهد على المستجبين إلى دعوته يقول : وإنك سمعاً وطاعة لولي العصر ، ولا يفوه باسمه . فإذا ترشح في العلم وعلت فيه درجته ، وارتفعت منزلته ، كتب له اسم الحجب ولا يكشف[73] له اسم إمامه ، ولا يبينه بإشارة ، ولا عبارة في كلامه ، إلّا لحد له باستيجاب واستحقاق ، وجرى ذلك مدة الأئمة المستورين حتى طلعت شمس الحق من مغربها ، وأنارت آفاق الدين لكل مستمسك بالعروة الوثقى معتصم بها ، فلم يزل الإمام عبد الله مدة هذا ممداً لحدوده الداعين إلى معرفة الله وتوحيده ، مادية فيهم أشعته ، كما تسري أشعة الشمس في النجوم ، متصلة بهم منه مواد الحي القيوم ، إذ ذلك جار في كل وقت وزمان ، وحين ، وأوانه ظهر الإمام (ع) أو استتر فأشعة نوره (245) مواصلة لحدوده ، وعلى قدر درجهم في الصفا وترقيهم في المراتب العلى ، وذلك النور الساري من الإمام (ع) هو نور الله الذي واصل به العقل الذي هو أول مبدع أبدعه ، وخير موجود أنشأه واخترعه ، ومنه فيمن دونه من العقول النيرة الشريفة العالية اللطيفة ، ومن آخر عقل لطيف روحاني ، إلى أول مقام شريف في العالم الطبيعي ، ومنه إلى من دونه[74] من حدوده ، المتصلين بدائرة وجوده .

وهو المغناطيس الجاذب لهم في الصعود ، والمرقي لهم في درجات السعود ، فيصعد كل واحد إلى من يعلوه ، وينتقل إلى كل عال[75] من يتلوه ، فمرجع المستجيب إلى المكاسر ، والمكاسر إلى المأذون ، والمأذون إلى داعي الإحرام ، وهو يرتقي إلى داعي الإطلاق ، إلى داعي البلاغ ، المرتفعة درجته عليه بحسب الإستحقاق ، ومعاد جميعهم إلى الحجة الذي[76] هو الباب الشريف أفضل محجة ، فإذا اجتمعوا عند الباب رقوا به إلى أعلى المراتب ، وأشرف الأسباب . الذي هو مقام الإمام الأعظم الجامع لمن تأخر من حدود دعوته وتقدم ، ولا يكون ذلك إلّا بعد فراق الأجسام ، والترقي في ضمن أهل المراتب الشريفة إلى ذلك المقام ، ومن الحدود من يرتقي في قميص واحد إلى ما قدر له

---

(72) لشدة : لشواهد في ن .

(73) يكشف : كشف في م .

(74) دونه : دانوه في ن .

(75) عال : علوان في ن .

(76) الذي : التي في م .

من هذه الحدود والمراتب ، وينتظم حيث انتهت رتبته بحكم الحق الواجب ، ولا يرتقي إلى أسماها في قميص واحد إلاّ الآحاد الأفراد ، المستحقون للإعلاء إلى أسمى المراتب والإصعاد[77] ، فيكون مستجيباً ، ثم مؤمناً ، ثم مكاسراً ، مأذوناً نجيباً ، ثم داعي إحرام ، وداعي إطلاق ، ثم داعي بلاغ ، وحجة ، وباباً ، بواجب الإستحقاق .

وقد شرح ذلك الداعي محمد بن زيد قدس الله روحه في كتاب (البلاغ الأسنى)[78] إلى الصادق (ع) أنه قال لخاصته : إتبعوا في السماء سلماً تجدوا ما تحبون . فقال أحد حدوده : وما ذلك السلم يا مولاي ؟ فقال : (246) مراتب العلم يرتقي المرتقي إليها بعلم ، ويتوجه نحوها بمعرفة ومنهم ، وذلك أن المؤمن العارف بمراتب الإيمان إذا استكمل إيمانه حصل في الإخلاص ، ثم يرتقي إلى الإختصاص ، فحينئذ الرتبة التي لا يصل إليها بعمل إلاّ بفضل الله تعالى على عبيده .

ثم إن منّ الله عليه باريه ، واصطفه مصطفيه ، نزع عنه ثواب البشرية ، ولطفه[79] عن حد الصورية ، وعلى الروحانية ، ثم إلى الجوهرية ، ثم إلى السبوحية ، ثم إلى القدسية ، ثم إلى الظلية ، ثم إلى الضيائية ، ثم إلى النورانية المحدثة ، ثم إلى النور الكلي .

فهذه ثمان مراتب علوية ذلك هو الفوز العظيم . قال بعض الدعاة[80] الميامين أعلى الله درجاتهم : ألا تفكر أيها الأخ الكريم في معنى قوله : إن المؤمن العارف لمراتب الإيمان إذا استكمل إيمانه حصل في الإخلاص ، أي في الولاء المحض لولاة الأمر ، ثم يرتقي إلى الإختصاص ، أي يختصه باريه المفيد له إذا علم حسن طويته ، فحينئذ إذا من عليه بالرتبة التي لا يصل إليها بعمل نزع عنه ثوب البشرية ، أي كشف عنه ظواهر الأمور ، ولطفه[81] عن حد الصورية . أي خلصه عن أسر الهيولي والصورة ، وعلا[82] إلى الروحانية ، أي محققاً ، ثم إلى الجوهرية ، أي مؤمناً محقاً ، ثم إلى السبوحية مأذوناً مطلقاً ، ثم إلى القدوسية داعياً مطلقاً ، ثم إلى الظلية داعي بلاغ ، ثم إلى الضيائية

---

(77) والإصعاد : والصعود في ن .

(78) الأسنى : الأثنى في م .

(79) ولطفه : سقطت في ن .

(80) الدعاة : سقطت في ن .

(81) ولطفه : ولطائفه في م .

(82) وعلا : وعلواً في ن .

باباً ، ثم إلى النور الكلي ، أي للعين العظيمة .

وقال الصادق (ع) وقد سأله[84] بعض أوليائه المخلصين عن البلاغ ، فقال : البلاغ بلاغان : بلاغ كلي ، وبلاغ جزئي . فأما البلاغ الجزئي فمن درجة إلى درجة وإرتقاء مرتبة . وأما البلاغ الكلي فاستكمال المراتب كلها ، والبلاغ[84] إلى غاياتها ، وهو الوصول إلى منتهى المواقيت والأهلة . فبهذا يصير إماماً بعد أن كان مأموماً ، يطلع منه النور ، ويتجلى به الحق (247) عند الظهور ، فمتى بلغ المربوب ذلك لم يبق عليه بشرية ، ولا يوصف بصورية ، بل يرى الصور كلها فيه . كما قال تعالى : ﴿ فَلا أُقسم بِالخُنَّس * الجوَارِ الكُنَّسِ ﴾[85] فقالوا له يا ابن رسول الله ما الخنس الكنس ؟ فقال : الخنس الأشخاص التي بلغت النهاية العالية والغاية في المعرفة ، فخنست عن الأبصار ، فهي ترى ولا تُرى ، والكنس هم الأولياء المجدون الذين لم يبلغوا بعد وهم يجرون في طلب البلاغ ، ويكنسون أوصافهم من الكثافة حرصاً على الوصول ، كما قال الحق فيهم : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبصِرُونَ ﴾[86] . فأما (ما تبصر العيون) فمن كان دون البلاغ الكلي ، وأما (ما لا تبصرون) فأهل البلاغ الأعلى الذين خفوا عن الأبصار ، فأوضح (ع) طريق المعاد ، وتنقل الرتب في الإرتقاء والإصعاد ، بأن كل مربوب يرجع رباً ، وكل مأموم يعود إماماً ، ولا تزال الصور ترقى حتى تنتهي إلى الباب ، الذي هو صفو الصفو ، ولب اللباب (الذي يرتقي إليه)[87] صاحب رتبة الوحدة المتسلم في آخر دقيقة من المسلم الذي هو هيكل العين العظيمة ، فيتسلم الخلافة ويكون هيكلاً لطيفاً نورانياً حتى يستكمل ويدنو أجله .

ويوجد مؤمناً مثله ثم يخنس عن الأبصار ، ويلحق بما سبقه من لطائف الأنوار ، إن في ذلك لهدى بينا لذوي الإستبصار ، والآن نرجع إلى ما كنا فيه من قصة أول الخلفاء عبد الله الرضي (ع) .

ولما انتهت مدته ، وتمت دعوته ، أقام ولده أحمد التقي ، فصعد إلى المقامات الشريفة التي هي في عالم الملكوت ترتقي ، فقام الإمام أحمد بن عبد الله التقي عليه

---

(83) سأله : سوله في ن .

(84) البلاغ : سقطت في ن .

(85) سورة 81 آية 15 ، 16 .

(86) سورة 69 آية 38 ، 39 .

(87) الذي يرتقي إليه : الأنبوتة في ن .

صلوات الله وسلامه بأمر الله ووحيه ، وهو الثاني من الخلفاء وحجته عبد الله بن ميمون ، وأحمد بن عبد الله (ع) ممثول النطفة في دورهم ، مقابل النور لثالث النطقاء ، وجده الحسين بن علي (ع) ثاني الأتماء ، فنشر العلوم ظاهراً وباطناً ، (248) وصنف الرسائل[88] وجعلها على العلوم الأربعة ، فجعل أولها الرياضيات ، وثانيها الطبيعيات ، وثالثها النفسانيات ، ورابعها الناموسيات الإلهيات .

ثم جعلها ثلاثة وخمسين رسالة شاهدة له ودالة عليه ، لأن اسمه بحساب الجمل ثلاثة وخمسون . ونشر دعاته ، فأظهروا من هذه الرسائل علم العدد ، والهندسة ، والمساحة ، والنجوم ، والطب ، وما جمع فيها من علم الأبدان ، وعلم اللسان ، وعلم الأديان ، وشد أركان الشريعة ، وثبت قوائمها بالمقابلات بين[89] الآفاق والأنفس ما بهر العجم والعرب حتى أقبلت الأمة على حدود دينه يدارسونهم في هذه العلوم ، وولي الحق عنهم مكتوم .

وسبب ذلك أن المأمون جمع المنجمين وأنفق عليهم الأموال الجمة لعمل الزيج الذي باسمه وولاة الأمر مكتومون داخلون في كهف التقية ، وظن المأمون اللعين لعتوه وتكبره ، أن الفاطميين نفذوا أمر ما بقي للشريعة من يقيم دعائمها ، يوضح مراسمها ، وطمع في إبطال الشريعة ، شريعة محمد (صلعم) ، وأراد أن يظهر علم الهيئة ، وجعل معرفتها الدين ، وأن الهيئة المبدأ والمعاد ، على معرفتها الحساب ، والعقاب ، والثواب ، ليرى الخلق أن الذي جاء به محمد (صلعم) لا أصل له ، وأن الصحابة لما تيقنوا ذلك عملوا بعلي (ع) ما عملوا ، وأنهم في ذلك مصيبون وأن لا ذنب عليهم ، ولا عنت ينسب إليهم في قتل ذرية النبوة (صلعم) ، قضاء بما طل من دماء قريش .

فلما علم ولي الحق ذلك صنف الرسائل ، وأظهر فيها ما أظهر من علوم الفلسفة الأربعة ، ما هم عنه عاجزون ، وشد أركان الشريعة فوطد قوانينها بالمقابلات والشواهد التي لا تختل ولا تستحيل عن المعاني . فلما كملت ونشرها الحدود ، شاعت[90] واشتهرت ، فنظر المأمون منها ما بهره ، وأعجزه ، وحيره ، وواقف المنجمين على (249) ذلك فأعجزهم ، ونبههم على أشياء غابت عنهم ، ودلهم على علم المجسطي ، وتحدث عليه إذ هم لا يحسنون فيه شيئاً ، فعند ذلك علم المأمون أن ولي الأمر منكتم ،

---

(88) المقصود بالرسائل رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا المعروفة المشهورة في الأوساط الفلسفية .

(89) بين : في في م .

(90) شاعت : شوعت في ن .

وأن الأرض لا تخلو من حجة ، فرجع عزمه عما نواه ، وتعلق على ولي الأمر وعلى (. . . . .)[91] وارسل إلى القضاة والفقهاء من البلدان ، ووكل للفاطميين من فدك والعوالي وخصم في ذلك ففلج ، وأمر بالنداء في البلدان من كان من نسل فاطمة فليصل إلى المأمون لقسطه من فدك ،والعوالي وخاصم من خاصمه بذلك ، وأبان الحجة بأن فدك والعوالي هبة من رسول الله لفاطمة عليها السلام . وأن أبا بكر وعمر ظلما في ذلك ،فوصل إليه جماعة من الفاطميين ،وكان في من[92] وصل إليه علي بن موسى الرضى من الأئمة الستة عند الإمامية الاثنا عشرية ، فلما وصل وقف على أشياء معه من التأويل والحكمة، وطلب عنده شيئاً من الرسائل التي اشتهرت، وسأله[93] هل هو مصنفها؟ فلم يجد عنده شيئاً ، فاظهر القبول للرضى ، وكتب اسمه مع اسمه للدنانير والدراهم ، وعقد له البيعة بالخلافة من بعده ، فانتسب العلوية إليه .

ولما انتهى إلى الداعي الذي أمر بنشر الرسائل في بلدان المأمون ، أمر الرضي مع المأمون ، ظن المأمون ناصحاً في فعله ، وكان الداعي من أرض المقدس ، فتقدم إلى ولي الزمان وأخبره بما كان من المأمون واستأذنه في القدوم عليه ، لئلا يزداد ضلال الناس بعلي بن موسى الرضى ، كما ازداد ضلالهم بأبي بكر وعمر ، فلما عرض ذلك على ولي زمانه ، قال له : إنما أظهر ذلك احتيالاً عليّ (بهدف اغتيالي)[94] فأقدم إليه ، ولا تظهر له شيئاً من أمري ، وكن حازماً في جميع أمورك عن أن تفضي سري ، فإنه عدو لله ولأوليائه . فوصل إليه الداعي وكان حسن العبارة ، قريب الإشارة ، دارساً[95] للرسائل ، حافظاً لأكثرها غيباً .

وكان من سيرة المأمون أن يجالس الواردين عليه ، (250) ويجاري الوافدين إليه ، فلما وصل إليه الداعي حدثه وأمنه ، وأخلى له مجلسه ، فحين رأى ما عنده من حسن الكلام في فنون العلم ، قال له : هل أنت ولي النعمة ؟ قال : لا ، ولكني الباب إليه ، والدليل عليه . فأخذ عليه العهد ، وأظهر له المأمون الولاء والقبول ، والصفاء .

وأقبل عليه مواظباً[96] للتعلم منه ، والإستفهام عنه ، وهو في كل ساعة يستخبره

---

(91) وجد مكان النقاط بياض بمقدار كلمتين أو ثلاثة في كلا النسختين .

(92) في من : سقطت في ن .

(93) وسأله : سقطت في م .

(94) بهدف اغتيالي : واغتياله في ن .

(95) دارساً : دساً في ن .

(96) مواظباً : سقطت في م .

عن إمامه ، وذلك الداعي يغالط ولا يبين له في كلامه ، ويقول : لا أعرفك باسمه إلاّ بإذنه وعلمه ، فقال المأمون : قد علمت أني ومن تقدمني ظلمنا أولياء الله وأني أريد أن أتبرأ من هذه المملكة ومن الأمر ، وأسلم ذلك كله إلى صاحب الأمر ووليه ، فامض أيها الداعي إليه فاخبره بعلمي ، واستنهضه لأسلم ما في يدي ، وأقوم معه مجاهداً ليظهر الحق ، ويتبين الصدق .

فصدقه الداعي ومضى إلى ولي الله (ع) فجهزه المأمون وأعطاه ، وبره[97] وحباه . وتقدم إلى أرض المقدس ، ونهض بعد ذلك إلى ولي الله فأخبره بولاءه وقبوله ما يلقى إليه ، فقال له الإمام : إنه يكذبك فيما يقول . وإنه عدو لله وللرسول ، فاحذر كيده ، ولا تأمن مكره قال : يا مولاي إن ذلك ليس عنده . فقال : تقدم إليه وأذكر له أنك الإمام ، فإن دفع إليك ما في يديه ، فأنت أعلم به مني ، وإن ضرب عنقك فأنا أعلم به منك . ففعل ذلك فتقدم الداعي إليه فلما وصل إليه أكرمه وأتحفه ، وقربه ، وأنصفه ، وأقبل إليه ، بالسؤال عما مضى فيه ، فقال له عند ذلك : أنا الإمام ، وإنما انكتمت عنك إختباراً للكل[98] ، وامتحاناً حتى تحققت ما عندك من النصح والقبول ، فحينئذ كشفت لك أمري ، واطلعتك على سري ، لما رأيت فيك الولاء ، وخالص الصفاء .

فلما سمع كلامه أمر لسيافه غلامه وأمره أن يضرب عنق الداعي معتقداً أنه الإمام .

فقال[99] الداعي : صدق (ع) فإنه أخبرني بما في نفسك وما أنت تريد . قال المأمون[100] : وتريد الآن (251) أن تكتمه عني . اضرب عنقه يا غلام . فقتل الداعي شهيداً ، وسُم علي بن موسى الرضى فمضى ، وظهرت الرسائل عن ولي الزمان بما ساء أهل الضلال والطغيان بسبب هذه الأحوال ، وانثنى المأمون لعنه الله عليه عما منته نفسه من نسخ الشريعة لما بهره من الرسائل ، وحكمها البديعة .

وكان دارساً في العلوم الثلاثة التي هي : علم اللسان ، والأبدان ، والأزمان .

---

(97) وبره : عرفه في ن .

(98) للكل : كلل في ن .

(99) فقال : سقطت في ن .

(100) المأمون : سقطت في ن .

وهذه علوم الجن الذين يستجنون بها عن أهل الظاهـر ، ويتراؤن بلطافتهم لأهـل الرتبـة الرابعة الذين هـم الملائكة أهل العلوم الحقيقية ، فلما دفعه علم الملكـوت وقمعه أن لهـذا الأمـر أهلاً يحفـظونه وأعجـزه دركهم ، وكـانت معجـزة ولي الله ثـاني الخلفـاء علميـة ، وبراهينه حقيقية ، وغرق أهل الضلال والجهل في علمه ، وتاهوا فيـما أورد من رسائله ، ولاذوا إلى علمائهم ليجدوا عندهم حقيقة علمها ، فلم تجدوا في أمر الله عاصماً ، ولم ينـج إلّا من لاذ بسفينة النجاة ، من أهل بيت النبوة العارفين لحقـائق علومه ، المـطلعين عـلى المعنى الـذي ضمنه في الجـامعة[1] من رسـائله ، وكـانت معجـزتـه كمعجـزة الثـاني من النـطقاء ، ومـا كان في زمـانـه من الـطوفـان ، المهلك لأولى العـدوان ، والمـورد لهم دار الهوان ، ومعجزات أوليـاء الله (ع) عظيمـة ، وآياتهم قـدسية كـريمة ، لأن نورهـم من نور الأول الذي منه الأنوار إستمدت ، وعن معرفته طرق العقـول إنسدت ، وإنما غايـة أولي الألبـاب ، إلى الوقـوف دون معرفـة الحجاب ، الـذي هو أقـرب الحجب ، وأعـلى الرتب ، وهو الباب الذي وقفت دونه الحدود ، وذلك دون رتبة الحجة العظمى التي هي منتهى الرتب وغايتها ، وتلك هي الرتبة السلسلية العالية الكلية .

ورفـع[2] جابـر بن زيد الجعفي عن البـاقر (ع) فقـال[3] : دخلت على مـولانا وبيده المسباح من زيتون ، وهو يقول : سبحان من كلما رفعت عنه حجاباً إنكشف لي منه باب ، وكلما قرعت عليه باباً ظهر منه حجاب ، سبحان من منتهى طالبيـه إليه ، ومصير من قصده (252) إلى نوره . فقلت في خاطري : إنك لعظيم . فرفع رأسه إليّ وقال : إن العظيم من أنابه عظيم ، والعليم من أنابه عليم ، بما بـدا إلـيّ أنا عبد الله يوحى إليّ أن لا تعبـدوا إلّا الله جل وعـلى . فقلت في نفسي : هذا الحجـاب ، فكيف المحتجب ؟ فرفع رأسه إليّ فرأيت ضياءً عظيماً ، ونوراً مضيئاً ، لا يكاد بصري يقع عليه ، ولا عقـلي يحيط به ، وهو يقول : إن هذا بعض أوليائك المكرمين . وقال لي : هلا أزيد ؟ فقلت : حسبي . فقال : يا جابر أبشر بتطهير الله لـك ، لنزول ظله بـك ، وظهور بـابه منـك ، سلسل الكريم . يا جابر سلمان منا أهل البيت ظاهر ممثل ظـاهره[4] بـاب ، وباطنـه من نـور حجاب ، الـرحمن الرحيم ، فـإذا حجب الأبصار عنـك ، وبـدا شخصـك بـين في

---

(1) الرسالة الجامعة حققها ونشرها الدكتـور مصطفى غـالب من منشورات دار صـادر بيروت للطبعـة الأولى ومن منشورات دار الأندلس بيروت للطبعة الثانية .

(2) ورفع : ووقع في ن .

(3) فقال : سقطت في ن .

(4) ظاهره : ظهر في ن .

ضيائه ، فرأيت منه ما حملت ، ورأى الخلائق منه ما قابله فيك ، فينطق بما نطق فيك ، ويقول ما قاله بك ، فنحن من ورائه ، وهو لنا ظاهر ، فمتى حملت منه منك ما حملك منا كنا نحن بك ، كما نحن منه ، فاسرع في كشف ما بيننا وبينك ، وما ذلك على الله بعزيز .

فهذا فضل أبان فيه الباقر عليه السلام معرفة الحجاب الأعظم الذي هو أرفع الحجب[5] وأشرفها ، وأعلاها ، وأقربها . فإذا كان ذلك الحجاب فكيف المحتجب ؟ إن الأبصار عن نظره لكليله ، والأبصار عن معرفته قصيرة غير طويلة .

ولذلك قيل : حيث ما ظهر لك النور فاسجد ، فإذا كانوا كذلك فغير بديع أن يظهر من علمهم (ع) ما يبهر الألباب ، ويبلبل العقول ، إن لم تتصل إلى معرفة معانيه بالأسباب ، فكانت معجزة ثاني الخلفاء عظيمة ، والطريقة إلى معرفته قوية .

وذلك أحمد المحمود بما أبداه العظيم بما أسره وأخفاه من نوره ظهرت الأنوار ، بمعرفته عرف السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار .

ولما آنت نقلته ، ودنت إلى دار الكرامة رفعته ، سلم الأمر إلى ولده الحسين بن أحمد وجعله بيت نوره الشريف الممجد . فقام الحسين بن أحمد المقتدي الهادي صلوات الله عليه (253) وهو الثالث من الخلفاء ممثول العقلة في الدور ، مقابل لإبراهيم الخليل في النطقاء ، ولزين العابدين في الأئمة ، في وجود الحوادث[6] والتلبيس فظهور المعجزات لقرب ظهور الرابع وهجرته .

وكان حجة ثالث الخلفاء سلام الله عليهم ، أحمد الملقب بالحكيم من ولد مولانا الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) تسلم مرتبته من عبد الله بن الميمون ، وهو الحجة الجليل قدرها ، العظيم خطرها ، وأرفع الحجب وأسماها ، وألطفها وأعلاها .

وهو الذي ظهر منه لأوليائه وبداعنه لأصفيائه ، كما ظهر زين العابدين لجابر بن عبد الله الأنصاري في صورة الميم[7] ، والفاء ، والحاء ، والسين ، ودعا إلى صورة العين[8] ، وقال : أعقلك يحتمل هذا يا جابر هي قمص في كل وقت وزمان ، تتبدل

---

(5) الحجب : الحجاب في ن .

(6) الحوادث : الأحداث في ن .

(7) الميم : سقطت في م .

(8) العين : العيون في ن .

القمص ولا أتبدل فالأنبياء والأئمة هم هياكل النور ، المتجلي بهم الحق عند الظهور ، كما قال الداعي جعفر بن منصور الـ ن أعلى الله قدسه في (كتاب الكشف) حيث قال : العين عظيمة ، غاية دل غاية يشار بها إلى الباري العظيم القدر الذي لا تدركه صفات الخلق ، ولا زمن ، ولا تغيير زمان ، بل هو مزمن الزمان ، ومعنى كل عصر وأوان ، وحقيقة كل دهر ، فجلّ مدهر الدهور ، وقاضي بواطن عظائم[9] الأمور ، لم يزل في الأرض معروفاً ، وفي الدهر والأزمان موصوفاً في جميع بيوته ، بائناً عن جميع أشكاله ، منفرداً بكمال قضائه ، واحداً عند من عرفه ، موجوداً عند[10] من وصفه ، سبحانه ، بل من عرف الحجاب فقد إرتدى بالبهاء والكمال ، وصار إلى غاية الآمال ، ونهاية الأسباب .

والله تعالى بريء ممن أشرك به غيره ، وإتخذ إلهاً دونه ، أو عبد شخصاً لم يقمه ، وإتخذ رباً لم يرفعه .

هذا قوله أعلى الله قدسه . فالعين العظيمة العقل الأول ، والإبداع الأفضل ، الظاهر بإشراق الحجب ، والباطن بغيب مبدعه ليس لأحد إلى دركه مذهب ، والعين العظيمة الأعلى الذي (254) عناه الله تعالى بقوله : ﴿ وإنَّهُ في أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[11] ومن ورث مقامه الذي هو مقام الوحدة فذلك الاسم واقع عليه ، ولا بد لكل مقام من حجب شريفة يكون أعلاها وأسماها حجته التي هي أرفع الحجج ، ودون الإمامة الأعظم وهو غاية الحدود ، ومنتهى الوجود ، ومحل القبض والجود ، فافهم يا أخي صفة الحجاب ، وما خص به وتعلق ما اتصل بكل من سببه ، لتكون من الناجين . وتدخل مع أولياء الله في الحرم الأمين .

والآن نرجع إلى ما كنا فيه من ذكر الإمام المقتدي (ع) فقام (ع) متماً ولأوضاع أبيه ، وعلومه ، وأحكامه ، فلخص من الرسائل كتاب الجامعة ذات الفوائد النافعة ، وبث دعاته ، وكثر الإستجابة إلى دين الله الحق لقرب ظهور المهدي (ع) .

ونفذ الحسن بن الفرج بن حوشب المنصور إلى اليمن ، وكان أهل النجوم

---

(9) عظائم : عزم في ن .

(10) موجوداً عند : واجداً عنه في م .

(11) سورة 43 آية 4 .

والحساب يذكرون ظهور المهدي بالله (ع) ويبشرون بدولته ، ثم أن الملوك والأضداد أيقنوا بذلك حتى أنْ كثيراً منهم تبرأوا[12] من الأمر كملك صفاء ، وكثير منهم .

ثم إن الإمام صاحب الزمان تقدم للهجرة إلى المغرب في كوفة فاظهر النقلة في سفره ، وأوصى إلى سعيد الخير ، وتسمى بالإمامة بأمر الناص عليه ستراً على ولي الله ، وإخفاء[13] مقامه عن أهل دعوته ، حتى يكون أوان ظهوره ، وطلوع نوره .

وأمر الحدود بذلك وأن يأتوه[14] بالشمس الطالعة ستراً على ولي الله ، ولد القائم من بعد فلم يطلع أحد عليه ، ولا أوقف على سر الله فيه إلاّ الخلصاء الأبرار ، والمصطفون[15] الأخيار ، العارفون لسر الله في أوليائه ، المطلعون على معرفة ما أظهر لهم من أصفيائه ، حتى إذا آن الميقات ، وظهرت الدعوة والدعاة ، وأشاروا إلى ولي أمرهم الذي أمروا بالإشارة إليه ، وأوضحوا فضله لمتبعيهم ودلوا عليه ، وبشروا بظهور الشمس من غربها ، ووعدوا بدنوا الميقات لظهورها من أستار حجبها .

فقام المهدي بالله صلوات الله (255) عليه ، وقد انتشرت دعوته في الآفاق ، واستدل بواضح براهينه أهل الخلاف ، فرجعوا إلى الوفاق ، فظهر من سجلماسة على يدي داعيه أبي عبد الله صاحب الدعوة بالمغرب[16] قدس الله روحه ، ومعه الإمام القائم بأمر الله محمد بن عبد الله المستحق بعده للخلافة ، والذي إليه دعوة الأولياء كافة ، والمهدي بالله (ع) كافل له في كفالته ، ومرتقي إلى مقامه أهل دعوته .

وكان المهدي بالله (ع) رابع الخلفاء ممثول المضغة في الدور مقابلاً لجده الباقر (ع) ، ولموسى كليم الله (ع) صاحب العصى ومبين الآيات ، ومظهر البينات ، وكانت معجزاته باهرة ، وآياته ظاهرة ، ويقابل من الخلقة الشمس الرابعة من الأملاك التي لها قوة الإمداد لما (علا ولما دنا)[17] منها في العالم الطبيعي ، وهو قائم بما قام به جده محمد (صلعم) خاتم الأنبياء ، وسيد الأصفياء ، وبه بشروا بظهور أمره ،

---

(12) تبرأوا : تراوا في ن .

(13) وإخفاء : خوف في ن .

(14) يأتوه : سقطت في م .

(15) والمصطفون : سقطت في ن .

(16) بالمغرب : غرب في ن .

(17) علا ولما دنا : على ولما دنى في ن .

وأنـذر في مواقف عـدة ، وإشارات جمـة ، وقال عـلى وفاء الثلاثمائـة من هجـرتي تـطلع الشمس من مغربها .

وكان شمس الله الطالعة وآيته السـاطعة ، والحجـاب الأعظم ، والبـاب الأشرف الأكرم ، حامـل أمانـة الله ووديعته ، ومسلمهـا إلى القائم بـأمر الله ولـده ، المنتسب إليه بتعليمه وإفادتـه ، وهو خليفتـه القائم منـه كعلي جـده أمير المؤمنـين من محمد رسـول الله الأمين صلوات الله وبركاته ، وتحياته عليهم أجمعين .

وكانت قد ظهرت معجزاته ، وقامت آياته ، وأبانت فضله دعاته ، فظهرت دعوته في اليمن والمغرب[18] ، وانجلى عن المؤمنين لما علمـوا من دنوه وظهـوره شدة الكـرب . ولما انتهى إلى مصر وهو قاصد للمغرب في سفره ، ومجد في سيره ، والأقـطار قد إمتـلأت من ذكره وخبره ، أتى بعض المنجمـين إلى صاحب مصر وأمـر أن يقسم البلدان ليعلم في أي الجـزائر هـو ، وفي أي بلد ومـوضـع مسكنـه . فلما علم ذلـك ولي الله (ع) أمـر بـطشت أصفر[19] فجعـل (256) في ماء ذلـك الطشت منبر[20] جلس عليـه ، فقـال المنجم إنه في مدينة سورهـا أصفر ، وهـو في قلعة في المـدينة حـولها المـاء ، فما زال يقسم المدينة حتى ظهر ، فقبضوا عليه وعلى القائم بأمر الله صلوات الله عليهما ، وسجنوهما فلما صارا بالسجن وفيه قوم مسجونون منـذ مدة طـويلة ، فقال لهم : هـل تحبون أن تخـرجوا معي من السجن ؟ فتغامزوا به مستهزئين ، وقالوا : هم يريدون النهوض به إلى الشام ، وهو يعد لنفسه بما لا يكون فنهض إلى باب من أبواب[21] السجن فقلعه ، وأخـذ الفحم وخط في البـاب صورة مـركب ، فلما أكمـل الصـورة ، قـال : من أحب منكم الخـروج فليقعد معـي على البـاب ، وجلس على البـاب ، وهو وولـده وجلس معه الجميـع ، إلا واحد منهم كذب ذلك .

فلما رأى الباب إرتفع في الهـواء تعلق به فسقط فـاندق سـاقه ، ووقـع الباب عـلى النيل ، واشتهر الخبر ، وخاب من كفر ، ونظر الناس إلى الباب على البحر يجري فايقنـوا أنه[22] المهدي المنتظر المبشر به ، وشاعت الأخبار بذلك ، فانصرفت الأضداد عنه .

---

(18) والمغرب : والغرب في ن .

(19) أصفر : صغر في ن .

(20) منبر : سقطت في م .

(21) أبواب : بواب في ن .

(22) أنه : سقطت في ن .

وخـرج إلى سجلماسة ، ثم إلى القـيروان ، ورقـادة ، فـأخـذ العهـود والمـواثيق ، وكـثرت[23] الإستجابـة إلى دين الحق ، وكان خـروجه من سجلماسـة على يـد داعيـه أبي عبـد الله رحمـه الله عليـه ، فـأقـام مـدة حتى دخـل في عقـل الشيعي أبي عبـد الله أخـوه العباس ، واستتر بـه ، وقال لـه : ليس هذا المهـدي وكان الشيعي يـدخل عـلى ولي الله وقميصه مقلوب ، ومكث على ذلك ثلاثة أيام وهو لا يعقل أمر قميصه لأنـه أسس مخالفـاً على أن يكون على ولي الله مخالفـاً مخادعـاً نعوذ بـالله من الحور بعـد الكور ، والشـك بعد الإيقان ، والنكوص بعد الإيمان ، ونسأله أن يجعـل موتنـا ونحن بحبله[24] معتصمون ، وبعروة الخضوع لمن أمرنا الله تعالى طاعته ، ملتزمون غـير مستنكفين ، ولا مستكـبرين ، ولا مولين عن قبلة الحق ولا مدبرين ، بحق محمـد وآله (257) الـطاهرين . فـأمر ولي الله (ع) بـأبي عبد الله الشيعي ، فـطهـر بـالقتـل ، وصـلى عليه وتـرحمه ، ولم يبـطل صـالح عمله ، لمـا حدث من زلله ، وقتـل معه أخـوه أبـو العبـاس المستكـبر المصر عـلى الإبلاس ، منه دعوته ، وتـبرأ منه ، معلماً بـذلك كـافة النـاس ، فباء بـالخسران المبين ، وحرم خير الدنيا والدين ، وأرأس مع الظالمين .

ثم أن ولي الله (ع) أمـر بعمارة المهـديـة فلما أتمهـا وأكملهـا انتقـل إليها وجعلهـا دار هجرة الإمام القـائم بأمـر الله أمير المؤمنـين . وأمر من يـرمي منها[25] بسهـم ، فـوقع السهم في مـوضع قـد أشار إليـه ، فأمـر أن يبنى على المـوضـع الـذي انتهى إليـه السهم مصـلى ، وقال : إلى ههنـا يصل الـدجال مخلد بن كيـداد لعنـه الله . وقـال لـرجـل من شيعته[26] يسمى موسى بن أحمد : يا موسى اليوم أمنت عـلى الفاطميـات . وكان الضـد اللعين مخلد بن كيداد قد ولد في بلاد السودان في موضع يسمى كوكوا .

وقـام المهـدي (ع) بـدعـوتـه أحسن قيـام ، وأمـد دعـاتـه في سـائـر البلدان ، فاشرقت الأرض بنور ربها ، وظهرت أنوار[27] الله من حجبهًا ، وأشـار المهدي بـالله إلى محمد بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، ونشر لأهـل دعوتـه فضله[28] المبين ، وأدى إليـه

---

(23) وكثرت : وكارت في م .

(24) بحبله : بأحواله في ن .

(25) منها : سقطت في ن .

(26) شيعته : شوائع في ن .

(27) أنوار : نوار في م .

(28) فضله : فضائله في ن .

أمانته ، وسلم إليه رتبته ، وأعطاه وديعته التي استودعها الله إياه له ، ولم يجعل لسائر أولاده فيها نصيباً ، بل أقر الحق في مقرف جعله في مستقره ، توحيداً لولي الله ، وتعريفاً لشريف مقامه ، واقتدى بجده محمد المصطفى في نصبه[29] على وصيه علي بن أبي طالب يوم الغدير لما نعيت إليه نفسه ، وأن قرب حمامه .

وكان القائم بأمر الله نور الله الذي تجلى من أعظم الحجب ، وبرهانه الذي إلى الإعراب بفضله بدت ، فدانت له حدود الدعوة ، وعرفت أن المهدي بالله لهم إليه أفضل قدوة ، صلوات الله عليهما ، وعلى أبنائهما ، والخيرة من أوليائهما .

وكان المهدي بالله (ع) قد جمع الحبوب الكثيرة إلى المهدية وحصنها ، وبالأموال والرجال شحنها ، وكان له عبد يسمى (جوذر)[30] نشأ على الطهارة والفضل مقتدياً (258) بمواليه مهتدياً بهم ، سائراً بسيرتهم غير مستنكف عن ولايتهم ، وكانت على يديه الأموال ، وأمر قصر مولانا المهدي ونهيه فقلده جميع ذلك لعلمه (ع) بما يجمع فيه من البركة ، وكونه بطاعتهم قاصداً وجه الله العظيم في السكون والحركة .

وقد روي أنه في بعض الأيام كان قاعداً ورجل من خدام القصر يدخل إلى المولى (ع) ويخرج ويبلغه عن قوم قد أمره بقضاء ، حوائجهم وإبلاغهم إليه (ع) . فقال له المولى (ع) : رح بارك الله فيك . فخرج الرجل معبساً وجوذر ينظر إليه فأنكر حاله ، وسأل عن خبره قال : كنت أرجو مولانا يهب لي شيئاً أشرف به على عولتي فلم يتم لي شيء مما أملته منه . فقال : إن البركة التي دعى بها لك أعظم من كل ما على الدنيا من حطام . قال له : قد كان الذي أمله أعجب إليَّ من البركة . قال له جوذر : فهل لك أن تبيع مني البركة التي دعاك بها بعشرة مثاقيل ؟ قال : نعم . فعد له العشرة المثاقيل ، واستقصى عليه في تسليم البركة بيعاً جائزاً نافذاً لا رجوع له في شيء منها ، ولا نية ولا ضمير يكنه . وقبل جوذر ما اشترى وافترقا عن تراض منها ، فلما كان[31] النهار الثاني أمر المهدي (ع) لجوذر فسأله عن ذلك فأخبره ، فقال له : بارك الله فيك ولك ، فأعطاه مائة مثقال بالحسنة عشرة أمثالها ، فاستقر ذلك

---

(29) نصبه : صبه في ن .

(30) جوذر : المقصود الأستاذ جوذر صاحب السيرة المعروفة في الأدب الفاطمي التي روى فيها أخباره مع الأئمة الفاطميون الذين خدمهم في المغرب ومصر . نشرت في مصر .

(31) كان : كون في ن .

الدعاء وتلك[32] البركة في جوذر حتى خدم بعد المهدي ، القـائم ، والمنصور ، والمعـز ، صلوات الله عليهم ، وسار معه لما هاجر إلى المشرق ، وانتقل في الطريق قس .

ولما توطدت قوانين الدعوة الهادية ، سلام الله على وليها بـالمهدية ، وظهر أهـل الكهف من كهف التقية ، وآن الآجل وانقضى المهل ، سلم الإمام المهدي بالله إلى ولـده القائم رتبته ، وأدى إليـه وديعته وأمـانته ، وأظهـر الغيبة (ع) وانتقل إلى جوار ربـه ، والقدوم عليه .

فلما أراد القـائم (ع) دفنه في جـانبـه القصر لم يحصر معه أحـد عـلى حـافة القبر حين أراد إنزال المهدي بالله قدس الله روحه وصلى عليه إلاّ جـوذر ، وقال : يـا (259) جوذر أنه لا يحل أن يدفن الإمام ، والإمام الذي قبله حتى يقيم حجة لنفسه ، وليس يحل ذلك لي حتى أقيم حجتي وقد أرى[33] تضميك لهذه الأمانة دون جميع الخلق ، وتلى عليـه قـول الله سبحانـه : ﴿ إِنَّا عَـرَضْنَا الأمَـانَةَ عَـلَى السَّمواتِ والأرضِ وَالجِبَـالِ فَأَبَـيْنَ أن يَحمِلْنَها ﴾[34] إلى آخر الآية . ثم قال لـه : أدن مني ، فلما دنى منه ، قـال : هات يـدك فبسط يده ، وهو مرعوب لهيبتـه . وقال : أنـا آخذ عليـك عهد الله وغليظ ميثـاقه أنـك تكتم عني ما أظهره ، واكشفه لك . قال : نعم يا مـولاي صلى الله عليـك . فقال لـه : ولدي إسماعيل المنصور هو حجتي وولي عهدي فاعرف حقه وقدره ، واكتم أمره وسره ، حتى أظهره في الوقت الذي يريد الله فيه ظهوره .

وقد كان لجوذر من القيام والخدمة والوفاء بعهد الأئمة مـا بعضه مـذكور في كتـاب منصور الذي شرح فيـه سيرتـه وقيامـه مع الأئمـة الأربعـة (ع) ، فمن أراد الـوقوف عليهم فهو معروف مشهور ولا حول ولا قـوة إلاّ بالله ، ولا إمـام ولا حجة إلاّ بتـأييد ذو الأجل لنا ، ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

وقام الإمام القائم محمد أبو القاسم صلوات الله عليه وبركاته واشرف تحياته ، وهو خامس الخلفاء ممثول العظام فيهم مقابل لجده الصادق خاتم الأتماء ، وللمسيح عيسى بن مريم (ع) روح الله محيي الموتى ، ومبرىء الأكمة والأبرص ، كان أصل النور ، وثـاني لأئمة الظهـور ، مقابـلاً لأمير المؤمنـين علي بن أبي طـالب فيما قـام بهبعـد النبي محمد (صلعم)

(32) وتلك : سقطت في ن .

(33) أرى : سقطت في ن .

(34) سورة 33 آية 72 .

ومضاهي له حذوا بحذو موضع أمر الله وكلمته الباقية[35] في عقبة إلى يوم القيمة .

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أول القائمين في المقام الأعظم في دور محمد (صلعم) ،وكان الإمام القائم بالله أول قائم بعد المهدي بالله (ع) ، فكان له من الفضل العظيم ، والمقام الكريم ،الذي عجز أكثر العالم عن دركه ، فلم يعرفه بحقيقته غير الإمام المهدي بالله (ع) ،والأئمة من ذريته (ع) ، كما أنه لم يعرف أمير المؤمنين حقيقة معرفة (260) غير رسول الله والأئمة من ذريته .

وقد رُوي جابر بن عبد الله الأنصاري لمولانا الإمام زين العابدين (ع) ، وقد أمره أن يذكر ظهور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) له بالنورانية ، فقال : كنت جالساً عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يوماً إذ دخل عليه سلمان ، وجندب ، رضوان الله عليهما ، فسلما وجلسا ، فقال علي (ع) : مرحبا بكما ، وأهلاً وسهلاً من وليين ، مخلصين متعاهدين لربهما ، لعمري أن ذلك واجب على كل مؤمن ، فإنه لا يستكمل[36] بي عبد حقيقة الإيمان حتى يعرفني بحقيقة معرفتي بالنورانية ، فإذا عرفني بهذه الصحيفة ، فقد امتحن الله قلبه بالإيمان وشرح صدره ، وصار عارفاً مستبصراً ، ومن قصر عن ذلك فهو شاك مرتاب . يا سلمان ، قال لك جندب في هذه الساعة : قم بنا نسأله عن معرفته بالنورانية . فقال : لبيك ، لبيك ، كذا كان . فعرفنا النورانية ومعرفة الله . فقال (ع) : وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين ، له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيامة . يقول : وما أمروا إلاّ بالتوحيد ، وهو إخلاص العبادة . وقوله حنفاء يعني الإقرار بنبوة محمد (صلعم) لأنه صاحب الحنفية ، ويقيموا[37] الصلاة هي ولايتي ، من أقامها أقام الصلاة . لقوله : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَٱلصَّلاةِ وإنَّها لَكَبِيرَةٌ إلاَّ عَلَى ٱلخَاشِعِينَ ﴾[38] ولم يقل الله تعالى وإنهما لكبيرتان . لأن أكثر الناس مقرون بنبوة محمد (صلعم) ، وقليل من الناس يقربون بولايتي ، إلاّ من كان من الخاشعين . وكذلك قال : وبئر[39] معطلة ، وقصر مشيد . فالقصر هو رسول الله (صلعم) ، والبئر أنا عطلوا والله

(35) الباقية : الباقيات في ن .
(36) لا يستكمل : لا يستكل في م .
(37) ويقيموا : ويقوموا في ن .
(38) سورة 2 آية 45 .
(39) وبئر : وبار في م .

ولايتي . ويؤتون الزكاة فهي الإقرار بالأئمة من ذريتي ، وهم الزكاة من استكمل ذلك ، فهو على دين القيامة .

وسأبين لكما بعون الله يا (سلمان ويا جندب)[40] أنا ومحمد نور واحد من نور الله وأمر الله ، وذلك النور لينشق نصفين : فقال للنصف الأول كن محمداً ، وللنصف الثاني كن علياً . فلهذا قال رسول الله : علي مني وأنا (261) منه ، ولا يؤدي عني إلاّ علي يا سلمان ويا جندب ، فصار محمد نبي الله المصطفى ، وصرت أنا وصي محمد المرتضى ، وصار محمد الناطق وصرت الصامت ، وصار محمد المنذر ، وصرت الهادي ، وصار محمد صاحب الجنة وصرت صاحب النار ، أقول للنار لك هذا ، وهذا لي ، وصار محمد صاحب الرحمة وصرت صاحب الرجفة[41] ، وصار محمد صاحب الدلالات ، وصرت صاحب الآيات ، وصار محمد خاتم النبيين ، وصرت خاتم الوصيين .

أنا أهلكت القرون الأولى ، وأنا النبأ العظيم ، الذي هم فيه مختلفون ، وصار محمد صاحب الدعوة ، وصرت صاحب السيف ، وأنا الأمر من الله يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ، والأمر من روح الله ، ولا يعطى ذلك إلاّ النبي والوصي . فمن أعطاه الله من روحه أبانه من الناس ، ورفعه فوق الحياة ، وفوض إليه القدرة ، فأحياء وأمات ، وعلم ما كان وما يكون بذلك الروح ، وعلم ما في السماء ، ونزل إلى الأرض . يا سلمان ويا جندب . وصار محمد الذكر وصرت أنا الكتاب ، لقول الله عزّوجل : ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكراً * رُسُولاً ﴾[42] وقال : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيكُمْ كتاباً فيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾[43] وصار محمد حجة الله على الخلق ، وأنا حجته ، رفعني وأعطاني ما لم يعط أحداً كما أمر الله بقوله : ﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبكَ وإِن لَّمْ تَفْعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[44] فعقد لي ، وأخذ بقبتي ، وأنا اللوح المحفوظ ، وألهمني الله ما فيه يا سلمان ويا جندب محمد يس ، وأنا القرآن الحكيم ، ومحمد نون وأنا القلم ، ومحمد طه وأنا القرآن ، ومحمد الياقوتة الصفراء ، وأنا الياقوتة الحمراء ، وليس بيني وبين محمد فرق . أنا محمد ، ومحمد أنا ، أنا منه وهو

---

(40) سلمان يعني سلمان الفارسي الصحابي المعروف ، وجندب يعني أبو ذر الغفاري وهو صحابي شهير أيضاً ، وله مواقف جبارة في التاريخ الإسلامي ، وهو من شيعة علي الأول .

(41) الرجفة : سقطت في ن .

(42) سورة 65 آية 10 ، 11 .

(43) سورة 21 آية 10 .

(44) سورة 5 آية 67 .

مني ، بقوله : ﴿مرج البحرين يلتقيان ● بينهما برزخ لا يبغيان﴾[45] ومحمد إلاّ الله الأكبر ، وأنا إلاّ الله الأكرم ، لقوله : ﴿ فبأي إلا ربكما تكذبان ﴾[46] يا جندب ويا سلمان . إن ميتنا لم يمت ، وقتيلنا لم يقتل ، ولا نلد ، ولا نولد .

قال جابر : فقلبت الأرض بين يديه إعظاماً له لما سمعت (262) وقلت : يا مولاي قد اشتكل علي مما سمعتك تتكلم به قولك : أنا أهلكت القرون الأولى ، وقولك في الباب الثاني ، إن ميتنا لم يمت ، وقتيلنا لم يقتل ؟ فقال : يا جابر أنا الأمر من الله لأنه عزّوجل يقول :﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾[47] فلما أمرني الله تعالى بقوله : ﴿ إذا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنورُ ﴾[48] بنجاة نوح (ع) نجيته . وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَها ﴾[49] وأما قولي : إن ميتنا لم يمت ، لأنه من روح الله ، وقتيلنا لم يقتل ، وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى ومن بقي يا سلمان ويا جندب ، فلما أيدت بما أيدت به الأنبياء من الروح ، ونطقت على لسان عيسى بن مريم في المهد ، فآدم ، وشيث ، ونوح ، وسام ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وموسى ، ويوشع ، وعيسى ، وشمعون ، وأنا ، كلنا واحد ومن رآني فقد رأى جميعهم .

وأنا عبد من عباد الله فلا تسمونا أرباباً ، وقولوا في فضلنا ما شئتم لأنا أبواب الله ، وحججه ، وأمنائه على خلقه ، وخلفائه ، وأئمة دينه ، ووجه[50] الله وجنبه ، وأمر الله وصراطه ، بنا يعذب ، وبنا يثيب ، اختارنا من بين خلقه ، وطهرنا واصطفانا ، فلو قال في ذلك قائل لم ، أو بم ، أو عم ، أو فيم ، لكفر ، لأنه لا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون . يا سلمان ، ويا جندب . من آمن بما قلت وأوضحت ، وشرحت ، وفسرت ، فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ، وإذا ميز ظاهر قولي وباطنه فهو عارف مستبصر بالغ كامل ، ومن شك ، وارتاب ، وجحد ، ووقف ، فهو ضال[51] مقصر . يا سلمان ، ويا جندب . أنا أحي وأميت ، وأخلق وأرزق ، وأبرىء الأكمه ، والأبرص . وأنبئكم بما تأكلون ، وما تدخرون في بيوتكم باذن ربي ، وكذلك

(45) سورة 55 آية 19 ، 20 .
(46) سورة 55 آية 32 .
(47) سورة 40 آية 15 .
(48) سورة 11 آية 40 .
(49) سورة 11 آية 82 .
(50) ووجه : سقطت في م .
(51) ضال : ضلال في ن .

الأئمة المحقون من ولدي لأنا كلنا شيء واحد يظهر في كل زمان ، فإذا شاء الله شئنا ، وإذا كره الله كرهنا ، الويل لمن أنكر فضلنا ، وما أعطانا الله رسالاته ليستكثر قدرته ومشيئته فينا .

ولقد أعطانا الله ما هو أعلى وأجل ، وأكبر من هذا كله ، أعطانا الاسم الأعظم ، الذي لو شئنا لعرجنا به إلى السماء ، وأطاعتنا الشمس والقمر ، والنجوم والدواب ، ومع هذا (263) فإنا نأكل ونشرب ، ونمشي في الأسواق ، ونعمل ما نشاء بأمر الله ربنا ، عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون .

فهذه معرفتي بالنورانية فتمسكا بها ترشداً وتسعداً ، إن شاء الله تعالى . هذا قوله (ع) أوردناه ليعرف العارفون قيامه مع النبي (صلعم) ، وأنه كقيام الإمام القائم بالله مع المهدي بالله صلوات الله عليهم أجمعين ، لأن النور من النور ، والظهور كالظهور ، والذات واحدة ، والقدرة على ذلك شاهدة[52] ، فظهروا بآيات الله ، وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً .

ولما كان القائم بأمر الله مشابهاً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في دور الظهور ، كانت دولته مشوبة[53] بالتكدير لظهور الضد اللعين مخلد بن كيداد ، أبي يزيد الدجال لعنه الله في زمانه ، كما ظهر الأضداد في زمان أمير المؤمنين (ع) ، وكان مرافد أبي يزيد الأعوج لعنه الله على القيام أبو عمار الأعمى المعلم ، وكان مخلد اللعين على رأي الخوارج ، ومن الحرورة فاستولى مخلد على العباد ، وأظهر في الأرض الفساد ظلمته[54] وتشتمل وقوته تظهر حتى انتهى إلى قرب المهدية ، ووصل المصلى حيث وقع سهم المهدي (ع) الذي رمى به علماً حيث يصل عدو الله ، وكان أباضياً لعيناً يعتقد لعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، والبراءة منه ، ويستحل سفك دم ذريته ، وسبي الذراري ، فحط بعساكره لعنه الله على المهدية وحصرها ، وأمر القائم (ع) بأقفال الأبواب ، واشتد الحرب ، واسعرت الفتنة ، وعظمت المهنة ، وأظهر القائم (ع) الطعام[55] المشحون الذي أعده هو والمهدي (ع) وانفقه على العسكر وعلى الضعفاء من أهل المدينة ، وأمر اللعين عسكره وكان أكثرهم من البربر

---

(52) شاهدة : شواهد في ن .

(53) مشوبة : شوائبه في م .

(54) ظلمته : ظلواته في ن .

(55) الطعام : العظام في ن .

يحرسوا الطريق ومن ظفروا بـه قتلوه ونهبوه ، واستبـوا حريمـه حتى آل الأمر بهم إلى شق بطون الرجال ، وأرحام النسـاء ، يطلبـون الخبايـا من ذهب ولؤلؤ حتى آل بهم الحال إلى بيع الأمعاء (2) وشرائها .

ثم تقرمط اللعـين النجس وعتى وأفسـد ، وخبث وتمـرد ، (264) وكـان يبتنى بـالساعـة الواحـدة بالأخـوات الأبكـار الإثنتـين والثـلاثـة . وقـوي أمـره ، وملك بـلاد المغرب[56] أجمع .

وقابل أضـداد الصـادق ، وأضـداد أمـير المؤمنـين عـلي بن أبي طـالب (ع) ولي الله ، وأضداد عيسى روح الله . فلما آن الأجل ، وانقضى المهل ، أمر مولانا القائم عبده المخلص المطيع جـوذر بعهـد المهـدي بـالله (ع) ، فسلمـه إلى شيـوخ الـدعوة وقـرأه عليهم صولات ، وكان صاحب الرتبة ، فتقدم جوذر به وسلمه إلى صولات فقراء عليهم ورده إلى جوذر ، ثم رده جوذر إلى مولانا وأمره مرة أخرى مولاه بـه إليهم فقرأه صـولات ورده ، ولم يعلمـوا غرض مـولانا في ذلـك ، ولا السر الذي تقـدم به إلى جـوذر يوم دفن المهـدي بالله (ع) واستـودعه رتبـه ولـده المنصـور ونص عليـه ، وعـاهـده لـه ، فكان جوذر مستودعا للمنصور ، ومن سبب ذلك لم يكن ليظهر العهد إلى الحـدود غير جـوذر ، فلما كان في المرة الثالثة أمـره فوصـل بهم إليه ، وسـألهم جوذر عن حـالته عنـد مواليـه ، واعتقادهم فيه ، وثقتهم به ، فأخبروه بما يعرفونه له من الحق عنـد مواليـه ، فقال لهم : إن مولانا أمرني بهذا العهد ليأخذ صولات عليكم لولده إسماعيل ، وأخـرج عهد مـولانا القائم لمولانا المنصور إسماعيل ، فسجدوا وأطاعـوا ، ونص القائم عليـه ، وأمره بمقـابلة أبي يزيد الدجال اللعين .

وظهر المنصور بـالله (ع) بالعسكـر الميمون وحط بـالشعب ، وطرد أبا يزيد من المصـلى[57] ، وقام المنصـور بالله إسـماعيل بن محمـد أبي القاسم صلوات الله عليـه وعلى آبائه ، والصفوة من أبنائه بأمر الله ووحيه ، وهو سادس الخلفاء ممثول اللحم مقابلاً لجده إسماعيل بن جعفر سادس الأئماء ، ولجده محمد (صلعم) سادس النطقاء ، وله أن يظهر مثل ما أظهراه من المعجزة الباهرة ، والقوة الظاهرة ، على كل ضد قاتله وحاربه ، وباينه وناصبه ، مؤيد بالنصر وتأييد[58] جده محمد المصـطفى (صلعم) (265) وتسمى بولي

---

(56) المغرب : الغرب في ن .

(57)المصلى : الصلى في ن .

(58) تأييد : سقطت في م .

عهد المسلمين ، والقائم بأمر الله لازم للمهدية ،فهزم المنصور بالله (ع) أبا يزيد إلى القيروان ، وحط المنصور (ع) في طرف المدينة ،وحط الضد في البرية ، وكتب القائم ترد إلى ولده المنصور بالله (ع) ، وكذلك كتب المنصور ترد إلى القائم بالأخبار .

وكان في يوم جمعة زحف الضد بعسكر لجب قد أعده وجمعه يريد أن يهاجم[59] محطة المنصور بالله (ع) حتى قرب من المحطة ، وتراءى العسكران ، والمنصور (ع) قاعد على منبر له في وسط المحطة فلجب عليه عسكره أن اركب إنهم قد قربوا ، فأمر بخيله[60] فسقيت ، ثم أمر بها فاسرجت ، غير مكترث ولا مستعجل ، فركب والتقى القوم ، فقتل بينهم قتلى كثيرة ، وكانت وقعة ذلك اليوم عظيمة ، وكد عليهم المنصور (ع) كالأسد المغضب بذي الفقار ، وجالدهم كجلاد جده علي بن أبي طالب (ع) للكفار ، وكثر عسكر الدجال فانهزم عسكر مولانا (ع) وليس معه غير خمسة وعشرين فارساً ، ومضى المهزومون[61] من عسكره إلى مدينة القيروان ، وكان هو ومن بقي معه يحاملون القوة حتى كلوا وقلوا .

ثم أن صاحب المظلة خاف على المنصور بالله فنكسها فأقبل عليه المنصور (ع) وأمره برفعها ، ثم أن المنصور بالله كبر وحمل فكسر القوم وهزمهم ، وقلب أولهم على آخرهم ، فولوا هاربين ، وتراجع عسكره من القيروان ، وقتل من عسكر اللعين عالم كثير . وكتب بعلم ذلك ، فوصلت جوابات جوذر مكتومة بأن مولانا (ع) شرح على أهل المهدية وأهل القصرين بأنه ولى مملوكه جوذر أمرهم ، وصرف أمرهم إليه . وأسر جوذر أنه منتقل ورسم عليه كتم ذلك ، وأنه قد انتقل وما علم به أحد غير جوذر ، فكتب إليه المنصور (ع) أن يكتم ذلك ، وأمره بالحزم في الأمور ، وكانت عنوانات الكتب باسم القائم (ع) ، والكتب تصدر في كل حين وأوان ، من جوذر باسم القائم ومن قبل المنصور كذلك .

ثم أنه (ع) طرد اللعين واجتث عساكره[2] (266) وأمكنه الله من

---

(59) يهاجم : هجم في م .

(60) بخيله : خواله في ن .

(61) المهزومون : الهازمون في ن .

(62) عساكره : عكر في ن .

اللعين ، وقد ذكرنا ذلك في غير هذا الكتاب[63] .

ورجع المنصور (ع) فعمر المنصورية ، وهو في أوان عمارته لها يسير جيوشه إلى بلاد الروم ، وإلى جميع المغرب ، فاستفتح البلدان ، وذلت الرقاب وأطاعت ، وخطب بعد منصرفه من حرب الدجال ، وقد أظفره الله به يوم الجمعة ، فشهر نقلة والده (ع) ، وأقام الدعوة باسمه ، واختص عبده وعبد آبائه جوذر وبلغه في العلم أقصاه ، واستعمله على المهدية والياً على الأمراء من أولاد المهدي ، والقائم ، وغيرهم .

وكان الكل منهم تحت يده ، واستقر قرار الدعوة الهادية بالإمام المنصور وبث العلوم ، وأقام الحدود في الدعوة والرسوم ، بعد أن أراح الله المؤمنين من إبليس الأبالسة المحكى على ألسن النطقاء ، والأنس ، وأهل الملاحم .

وكان لمولانا المنصور من المعجزات ما هو مشهور وقامت به الدعوة ، واهتدت به الأدلة ، وأقيمت الشريعة والملة ، وظهرت أنواره الساطعة ، وقامت حججه القاطعة ، إذ هو (ع) نور الله الأعظم ، ومقامه الأشرف الأكرم ، ولم يزل ذلك النور ينتقل في الأعصار ، ويظهر في الحجب الناسوتية بما يبدو عنه من الأنوار ، وقد قال الإمام الصادق (ع) للمفضل : يا مفضل كدوا أفكارهم تصح[64] أبصاركم ، فكلما قلتم في الله فهو في لطائف حجبه ، وكل ما قلتم فينا فهو في البلقاء من شيعتنا ، ما عليكم إذا عرفتم الله ومقاماته أن لا تعرفون الناس ولا أن لا يعرفوكم ، نحن غاية من تدبر منكم ، ومعنى من تفكر ، يا مفضل : من عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة ، الصفة هي نوره المنير المؤدي إلى معرفته ، ولمواقع نبوته من خلقه ، تلك مساكنه التي تطلع مصابيحه عالي نورها . ثم قرأ : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كمشكاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[65] الآية . يا مفضل . هل علمت المشكاة ؟ الولي الناسوتي الذي يحتجب به للبرية ، ويخاطب من صفاته ناطقه ، والمصباح الحجاب الظلي الذي يحتجب به ، لذلك الولي رفقاً به ورأفة ، إذ لا يطيق (267) إنكشاف النور ، وهو في البشرية ، وأما الزجاجة فهي الحجاب العالي على الحجاب الظلي الذي به الحجاب الأعلى الذي هو الواحد الأقدم ، وهو الكوكب الذي يتوقد من الشجرة المباركة ، وهي نور الذات معنى مستمد من الشجرة التي هي النور

---

(63) يعني أنه ذكر كافة الأحداث والوقائع والمعارك في السبع الخامس من كتابه عيون الأخبار وفنون الآثار حققه ونشره الدكتور مصطفى غالب من منشورات دار الأندلس بيروت لبنان .

(64) تصح : صحاح في ن .

(65) سورة 24 آية 35 .

الأقـدم ، والبـاري الأعـظم ، منـه شجـرة الصفـات ، وانبعثت الآيـات ، وأثمـرت الغـايـات ، وتشعبت الغصـون . فتلك التي وعـد الله عـزّ وجـل بـظلهـا ، ووصف لهم قربها ، ممن تقرب منها بمجاهدة نفسه ، ونبذ هواه ونزعـه ، وصقل صـداه ، وهي شجرة طوبى ، وسدرة المنتهى ، وعنها نهى الله آدم أن يأكـل منها ، يعني أن يـذكرهـا بما لا يليق بها ، أو ينسبها إلى ما لا يلائمهـا ، فتلك زيتونـة الحق ، وشجرة الله ، أصلهـا لا شرقية ولا غربية ، يـريد بـذلك أنها لا تعـبر بكيف ، ولا نفي ، ولا بمن ، ولا أنها بالمشرق قط يخلو[66] منها المغرب ، ولا أنها بالمغرب فقط فيخلو منها المشرق .

والمشرق هو الناص ، والمغرب هو المنصوص عليه في آخر دقيقة ، وهـذا هو المعنى المتحد مما غرب عنه ، وبما شرق به ، يكاد زيتها يضيء بـذاتية ، ولـو لم تمسه نـار الإنكار من الخلق ، وظلمة الجحود ، من أهـل العناد ، فلذلـك صار نـور على نـور . يعني نور قديماً على نور محدث قد حجب الخلق عنه يهدي[67] بـه من يشاء ، ويضرب الله الأمثـال للناس لعلهم يتفكرون .

وفي هذا الفصل ما يكفي ويشفي ليعرف بـه المقامـات الشريفة الـظاهرة بحجبهـا لقصة الخلق عن معرفتهـا ، وكيف ينتهون إلى معـرفة المحتجب ، وبينهم وبـين الحجاب أستار مردودة ، وعرى الإدراك مبتورة ، مقصومة .

ولمـا أزف من المنصور بـالله (ع) الأجـل ، وانقضى المهـل ، نص[68] على ولـده المعز لدين الله (ع) ، فقـام الإمام المعـز لدين الله أبـو تميم معد بن إسـماعيـل صلوات الله عليه ، وعلى الأئمة الطاهرين من آبائـه وأبنائـه مقابـل لجده محمـد بن إسماعيـل قائم الأتماء ، ولأمير المؤمنـين علي بن أبي طـالب (ع) قائم النـطقاء ، (268) وهـو سابـع الخلفاء ، سابع اسبوعين ، ورابع أربعة الذي اجتمع في وقته أساسان ومتم .

كما قال سيدنا جعفر بن منصور اليمن أعلى الله قدسه في كتاب (تأويل الزكاة) .

وأنـه ما اجتمـع أسـاسـان ومتم في عصر واحد إلاّ في خمسـة أعصار . والإشـارة في ذلـك تغني عن الشرح له وفي الـرمز بـه كفايـة لمن تدبـره وفهمه ، فـأول الأعصار الـذي اجتمـع فيهـا أسـاسـان ومتم عصر[69] إبـراهيـم الخليـل (ع) ، والثـاني عصر مـوسى

---

(66) يخلو : خلو في ن .

(67) يهدي : هدى في ن .

(68) نص : سقطت في ن .

(69) عصر : خصر في ن .

الكليم (ع) ، والثالث عصر محمد رسول الله (صلعم) ، والرابع عصر جعفر بن محمد بن الصادق الأمين ، والخامس عصر صاحب القوة والنور سابع[70] اسبوعين ، ورابع أربعة المعز لدين الله (ع) .

وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان على إقامة الحدود وترتيبها والإستدلال على معرفتها من وجوهها ، ولا يمكن القول أكثر من هذه الإشارة والرمز ، فمن تدبره ، وعقله ، وعلم المراد به وفهمه ، ووقف على الحقائق ، وعرف نفسه وخالقه ، وعرف مبدأه ومعاده ومنتهاه .

وقد جرت العادة الإشارة بمثل هذا غير موضع من هذا الكتاب . هذا قول سيدنا جعفر بن منصور اليمن قدس الله روحه ورزقنا الفهم ، ونفعنا بالعلم ، وجعلنا ممن عرف الإشارات واستدل بالدلالات ، فكان مولانا المعز لدين الله (ع) قد أبان في عصره التنزيل ، والتأويل ، والحقيقة ، ورتب حدوده للإفادة[71] بها والتعليم ، وبها عرف المبدأ والمعاد ، والخالق جلّ وعلا ، وبها يعرف الإنسان نفسه .

وكانت في هذه الأعصار الماضية أظهر من غيرها لكونها جامعة لما أتى به النطقاء الخمسة أولو العزم الذين قطعوا ما قبلهم من الشرائع ونسخوها بالبيان . وآدم لم يكن له عزم إذ كان دوره مقابلاً لدور الإستجابة وأولي الترقي من[72] الحدود العلمية الذي هو حد تعليمي بالدلائل والإشارات لم تنسخ فيه الألفاظ إلى معانيها ، ولم ترفع الشرائع إلى بيانها الذي به صعود النفس وترقيها ، فكان للمعز (ع) من إظهار (269) علم جلي ونور بهي[73] ، وهجرة عن وطنه إلى غيره ، وهو تمام الأسبوع الثاني ومنتهاه وختامه ، فأظهر من العلوم ما لم يظهره من تقدمه ، وأوليائه بلسانه الذي هو لسان الصدق ، وكانوا يحضرون[74] في مقامه الشريف فيقتبسون من أنواره ، ويسمعون من علمه ما تزول به الشكوك والريب ، ويتحققون بمعانيه الإيمان بالغيب ، وكان النعمان بن محمد أحد أبوابه ، فأمره بتأليف دعائم الإسلام ، وكتاب[75] الشريعة فانقادت له علماء

---

(70) سابع : سوابع في م .

(71) للإفادة : وفادة في ن .

(72) من : مانون في م .

(73) بهي : شهي في ن .

(74) يحضرون : سقطت في ن .

(75) وكتاب : وكتب في ن .

الظاهر لما اجراه من الأحكام ، واذعنوا لحججه القاطعة ، وأغشت أبصارهم أنوار علومه الساطعة ، ونجوم هدايته الطالعة ، واجتنوا من ثمرات قطوفه اليانعة ، ودانت له الأمم الدانية والشاسعة ، وظهر به الحي القيوم ، وانتظمت عقود الحكم والعلوم ، فلما آن وقت هجرته فعل كما فعل فعله من تقدمه من الأسابيع ، وأمور دولته منتظمة في جميع البلاد ، وأوامره ونواهيه قامعة للأضداد ، وأمر (ع) إلى كافور وهو حينئذ صاحب ديار مصر ومالكها أن يعمر له قصراً يهاجر إليه ، فسمع له كافور وأطاع قوله ، وأعاد الجواب يسأل في أي موضع يكون البناء[76] . فأمر (ع) رجلاً من شيعته ، وخلصاً أهل دعوته ، وحمله على (عفو وقال له :)[77] تمضي إلى كافور فإذا سألك عن البناء أين يكون فاركب على العفو إلى براري مصر فأين وقف العفو فالبناء يكون فيه . فمضى الرجل إلى كافور وأخبره الخبر ، وركبوا على ما أمرهم الإمام (ع) وطافوا تلك البراري حتى وصلوا إلى موضع فوقف فيه العفو فحركه صاحبه وزجره فلم يتحرك من مكانه ، عندها[78] أخرجوا الوطن الذي أمرهم به ، ومسحوا الموضع على درع معلوم ، فأمر كافور بالعمل في ذلك وأن يؤثر فيه القصر العزيز ، وعزم كافور أن يكاتب الحضرة النبوية ويسأل عن الأبواب كم تكون ، وإلى أي جهة تكون ، وإذا بهم قد وجد الحفارون مآثر مبنية (270) بأبوابها ، فأمر كافور البنائين يبنون على تلك المآثر وأبوابها ففعلوا ذلك ، وأشبه العفو ناقة رسول الله (صلعم) يوم هاجر إلى المدينة ، وأراد عمارة المسجد ، فبركت الناقة موضعه ، فقال : ينبغي للمرء أن يحط مع رحله ، وأمر بالبناء هنالك .

وذلك القصر هو ما أقام من دعوته (صلعم) بأرض مصر قبل هجرته إليها ، كما أقام النبي محمد (صلعم) دعوته بالمدينة ، واعتمد على بعض حدوده الممثلة بالناقة ، وكذلك أمرهم المعز (ع) أن يعتمدوا في إقامة الدعوة وإرقاء مبانيها ، ورفع حدودها القائمين فيها ، على ما يعلمهم بعض دعاته ، ويبين لهم ما يستدلون به على الدين وثباته ، فلما[79] تم بناء القصر العزيز سمي بالقاهرة المعزية ،

وكان القائم بتلك العمارة هو عبد الإمام (ع) المعروف بجوهر ، وقد مات

(76) البناء : الدواء في ن .
(77) عفو وقال له : سقطت في م .
(78) عندها : سقطت في ن .
(79) فلما : ولم في ن .

كافور رحمه الله في أيام العمارة ، ثم أن الإمام المعز (ع) أمر أهل المنصورية ورؤساء المهدية من الحشد والعسكرية والتجار وغيرهم بالإجتماع إلى حضرته المقدسة النبوية للرسم العالي إلى الهجرة الكريمة المعزية ، فلما حضروا ظهر إليهم ، ونصب له منبر ، وخطب (ع) فابتدأ بالتحميد وتعريف التوحيد ، والصلاة على النبي (صلعم) ، وتعريف مقامه الشريف العظيم ، وذكر الماضين[80] من أبائه عليهم أفضل الصلاة والتسليم ، ثم قال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي ، أنا مفصل الآيات ، ومعنى الحكمة والبينات[81] ، أنا الأمين على أهل الأرض والسموات ، أنا سدرة المنتهى ، أنا العروة الوثقى ، أنا الحبل من تمسك بي نجى ، ومن تخلف عني هلك وهوى .

إلى قوله (ع) : أنا صاحب الأفلاك ، والأجرام الدائرة ،والحوادث[82] الكائنة . إلى قوله : معشر الأولياء ، والبربر ، والعبيد ، وسائر القبائل ، إن من عصى أمري ، واتبع هوى نفسه ضل وغوى ، ونزل به سخطي ، وحل ساحته نقمتي ، وأخذه العذاب من كل مكان وباب ، وسقط من مرتبته الجليلة التي خصصته بها، ونزعت عنه النعمة (271) التي جللته بعدو له عن[83] الطاعة ، وأهرقت دماءكم واستحلت ، وعظم الفساد فيكم ، وهتكتم حريمكم ، وسعيتم في خراب دياركم ، بخلافكم لنا ، وإنحرافكم عنا ، وهل مثلكم إلاّ مثل من كان قبلكم ، من أهل العناد ، منهم من أغرقنا ، ومنهم من دمرنا ، ومنهم من أهلكنا ، يخربون بيوتهم بخلافهم ، وفسقهم ، ونفاقهم ، بأيديهم ، وأيدي الموفين[84] من رسلي ، فلما أسرفوا انتقمنا منهم بعباد لنا أولي بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً ، إن إلينا إيابكم ، ثم إن علينا حسابكم . إلى قوله : يا أيها الناس اسمعوا وعوا ، أنا الأول ، وأنا الآخر ، وأنا الباطن ، وأنا الظاهر ، وأنا بكل شيء عليم ، لا يشك فينا شاك ، ولا يرتاب فينا مرتاب .

أيها الناس قد بينا لكم ذكراً ، وأرسلنا إليكم روحاً منا[85] لينذركم بأسنا ،

---

(80) الماضين : الواضين في ن .

(81) والبينات : سقطت في م .

(82) والحوادث : أحداث في ن .

(83) عن : سقطت في ن .

(84) الموفين : المؤمنين في م .

(85) منا : سقطت في م .

ويدلوكم على طاعتنا وموالاتنا في ظهورنا ، وغيبتنا ، ورجعتنا ، إلى قوله (ع) : إن لنا الآخرة والأولى ، فأين تذهبون أغير الرب تعبدون ؟ أم سوانا تدعون ؟ أم علينا تتجبرون ؟ سأقول لكم إن كيدي متين . إلى قوله : قد بلغ الكتاب أجله ، المؤمن أمله ، فلا تغرنكم المهلة ، وأيام الغفلة ، إن أحسن الكلام ، وأبلغ الموعظة محبتي ، وموالاتي ، وإتباع أمري وطاعتي ، فمن تبعني فقد فاز ونجى ، ومن تمسك بي فقد تمسك بالعروة الوثقى ، التي لا انفصام لها .

أقول قولي هذا وقد عرف الله ولايتي ، وأهل طاعتي ، معاشر من تقدم ذكرهم من الأولياء وغيرهم ، وأهل الطاعة ممن وصل معي ومن تقدم ، إن عدوكم بين أيديكم وليس يضركم بقائه[86] لكم ، وإني سائر بكم إلى أرض المشرق وشر كلا بكم خير من أميرهم ، فلا تعاشروهم[87] ، ولا تأنسوا إليهم ، ولا تآكلوهم ، ولا تشاربوهم ، ولا تسلموا عليهم ، ولا ترحموا منهم صغيراً ولا كبيراً . قد أبحتكم دماءهم وأموالهم ، ذلك بما قدمت أيديهم[88] ، وما أنا بظلام للعبيد .

ثم نهض بمن معه وحمل ثلاثمائة جمل ذهباً ، ولذلك سمي باب الذهب ، أخذ الأبرار لأنه أدخل منه ذلك ، وانتقل جوذر مولى مولانا المهدي بالله والأئمة (ع) (.....)[89](272) في مدينة برقة فصلى عليه مولانا المعز (ع) وترحم عليه ، ووصل مصر وقد انتقل كافور إلى رحمة الله فطاف ولي الله بقبره ، وترحم عليا لطاعته ، وهل الولاء شيء غير الطاعة ؟

فلما وصل إلى القصر العزيز ودخله أظهر له الرجل الذي كان أرسله بالعفو عن المآثر التي وجدت ، وأن كافور أمر البنائين يبنون على تقطيع ما وجدوا ، ويتركوا الأبواب بحللها ، فلا يبدلوا شيئاً من ذلك . فقال (ع) : صحيح قد طال ما سكناها .

وأقام (ع) في القصر العزيز ، واستفتح البلدان ، واستباح الأوطان ، وبث الدعوة ونشرها ، وفعل فعل من تقدمه في هجرته ، إذ لا بد لكل سابع ورابع وطالع وعاشر في دار هجرته من أن[90] يلجأ ، إليها ، ويقيم الحدود فيها ، فلم

---

(86) بقائه : وقاه في ن .

(87) تعاشروهم : سقطت في م .

(88) أيديهم : يديهم في ن .

(89) وجد مكان النقاط بياض مقدار عدة كلمات في كلا النسختين .

(90) من أن : سقطت في ن .

يتخلف (ع) عن الواجب ، وقد كان في دولة رضية في أرض المغرب سالماً من الأضداد ، والفتن ، والشرور ، والمحن .

وإنما هنالك أسراراً إلهية[91] لا يعلمها إلاّ هو صلوات الله (عليهم أجمعين)[92] . فاستقام في أرض المشرق والأحوال جارية لديه على أحسن عوائدها ، وأجل فوائدها ، حتى ظهر عليه الضد المكنى بالمارق لعنه الله في أرض الشام في خمسمائة فارس ، وحط على القاهرة وحصرها . فأمر ولي الله بإقفال الأبواب بالقاهرة ، وأقام أربعين يوماً حول المدينة ، وولي الله يأمر الله كل ليلة بألف مثقال برسم الضيافة .

فلما كان آخر عشية من الأربعين أمر له بألف دينار غير عشرة وأنكر نقصانها ، وأمر يستطلع أمر الواجب له في ذلك ، فأجابه ولي الله (ع) يقول له أنه سيموت لساعتين داخلتين من ليلة ، ويبقى من الليل عشر ساعات ، فأوصى الضد إلى ولده يحمل آخر ساعته في عماريته حين يموت ، وينهض إلى (. . . . .)[93] .

وتقدم مولانا المعز (ع) فنص على ولده الإمام العزيز بالله نزار بن معد وسلم إليه أمره ، وأخبره أنه ينتقل عشية النهار الثاني في تنيس ، لأنه عزم على النهوض إثر الضد حين يفوضهم ، ورسم على ولده العزيز (273) بالله (ع) أن يرفعه في عماريته إلى القاهرة المعزية .

فلما مات الضد المارق لعنه الله حمله ابنه في عماريته إلى الشام ، ونهض المعز لدين الله (ع) وولده العزيز بالله (ع) بقية ليلتهم ، وفي اليوم الثاني .فلما أمسى (ع) بتنيس ودخل المسجد يصلي المغرب ، وغفلوا عنه ساعة ، فجاؤا (وإذ به قد)[94] أظهر الغيبة في المحراب ، ورفعه العزيز بالله (ع) في عماريته[95] إلى القاهرة المعزية ، وأمرهم يشهد أوله لآخره لإظهار العجز والمعجز ، فإذا أظهر العجز ، فذلك من الناسوت الذي ظهروا به وهو محدود بالأقطار ، فإذا أظهروا المعجز فذلك فعل المتحد بهم ، وهو العقل الأول ، المظهر منهم الأنوار . ثبتنا الله على طاعتهم ، وجعلنا من القائمين بأوامرهم بحسب قوتهم واستطاعتهم . وأقام الإمام المعز بالله نزار بن معد

---

(91) إلهية : الهيهية في م .

(92) عليهم أجمعين : سقطت في ن .

(93) وجد في مكان النقاط بياض مقدار عدة كلمات في كلا النسختين .

(94) وإذ به قد : وهو في ن .

(95) عماريته : عاراته في ن .

صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين من خلفه وسلفه ، وهو أول الأسبوع الثالث المكنى عنه بالدور النوراني أول الأشهاد ممثول السلالة مقابلاً لجده عبد الله بن محمد بن إسماعيل أول الخلفاء ، وللحسن بن علي أول الأئمة ، ولآدم أول النطقاء ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وهذا الدور الثالث أشرف قدراً ، وأظهر أمراً ، في العلوم والمعجزات ، والرسوم من سائر الأدوار التي قبله لقربه من اليوم الآخر صاحب القيامة سلام الله على ذكره ، لأنه كلما قام مقام عظيم المقامات الشريفة كان ظهوره بالفعل ، لدنوه منه (ع) .

فقام الإمام العزيز بالله (ع) بدين الحق أشرف قيام ، وأبان العلوم ، وأقام الأحكام ، ونشرت راياته صفراً والأعلام ، وكانت أيام خلافته على أحسن نظام ، وأتم تمام ، وأضداده خامل ذكرها ، ودعوته عالي أمرها ، وهو موضح للرشاد ، مخلص أوليائه من ظلم أولى العناد[96] ، فأقام حدوده ، وأبان تأييده ، فعلت كلمته ، وعزت دعوته ، وظهرت حكمته ، وسطعت بالأنوار الحكمية عزته ، وخالف عليه عامله على دمشق فخرج إليه بنفسه وملك ناصيته (274) ثم عفى عنه بعد ذلك .

وظهر عدله في جميع الممالك[97] ، ورد الكفار من الإفرنج عن بلاد الإسلام ، وحمى أكناف الدين أن يضام ، وبان فضله ، وانتشر عدله ، وعز به الدين وأهله ، ووضح به الفضل المبين ، فظهر منه الدلائل للعارفين .

وقد روي أنه اجتمع عنده صلوات الله عليه جماعة من دعاته ، فسجدوا بين يديه إلاّ رجل منهم سندي ، فقال : مالك ألا تفعل كما فعل أصحابك ؟ فأجابه السندي : بما فيَّ منك عرفتك ، وبنوري منك سجتك ، سبوحي سبوحي ، أنا أنت ، وأنت أنا ، لا فرق إلاّ برتبة السبق .

فقال (ع) : يا سندي الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة واحدة . فلا يتوهم متوهم ولا يعتقد معتقد ، أن ذلك السندي يتعاطى مقام مولاه ، أو يدعي من الفضل ما هو لمن أنعم عليه وأولاه ، وإنما عني السندي بذلك حجابه الذي أظهر له فسواه ، وعلى قدر مبلغه من العلم رآه ، فهو كمثله فيما لاح وأبداه ، ذلك حيث أدركه وعرف فحواه ، كما قال بعض الدعاة .

---

(96) العناد : الجواد في ن .

(97) الممالك : المهالك في ن .

وفقنا الله لما هداه ، هل ينظر المرء منهم في مرآته تشكيله لا سواه منه منـظور ، فلم ير ذلك السندي إلاّ شكله ، ولا وصف إلاّ مثله . إذ ظهر لـه مولاه بحـد العبوديـة ، ولم تبد[98] له ذاته الخفية ، وأنواره الشعشعانية ، ولو ظهر له بنوره الأول المتحد بالأزل ، لا كمهه عجزه عن النظر إليه ، ووقف موقف القصور والحسور بين يـديه ، كـما قال مـولانا المعز (ع) في سجـل لـه إلى القـرمـطي : أيهـا النـاس إن الله عزّ وجـلّ إذا أراد أمـراً قضاه ، وإذا قضاه أمضاه ، وكان في قضائه فينا قبل التكوين أن جعلنا أشباحاً وأنـواراً ، وأرواحاً مالكين ، وبالقـوة قادرين[99] ، حيث لا سـماء مبنية ، ولا أرض مـدحية ، ولا شمس تضيء ، ولا قمـر يسري (3) ، ولا ليـل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا فلك دوار ، ولا كوكب سيّار، فنحن أول الفكـرة وآخر العمـل ،بقدر مقـدور، وأمر في القـدم مبرور، فعنـد تكامـل الأمـر وصحـة العـزم ، وإن شـاء الله (275) المنشـآت ، وإبـداع[100] الأمهات من الهيولات ، وطبعنا أنواراً وظلماً ، وحركة ، وسكـوناً[1] ، فكـان من حكمه السابق في علمه ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ، وما في الآفاق من آيـات معجزات ، وأقـدار باهـرات ، وما في الأقـطار من الآثـار ، ومـا في النفـوس من الأجناس ، والصور ، والأنواع ، من كثيف ، ولطيف ، وموجود ، ومعـدوم ، وظاهـر وبـاطن ، ومحسوس وملمـوس ، وداني وشاسـع ، وهابط وطـالع ، كـل ذلـك لنـا ومن أجلنا ، وإشارة إلينا ، يهدي به من كان ذا لب صحيح ، ورأي سجيح ، قـد سبقت[2] لـه من الله الحسنى ، فدان بـالمعنى ، أنه جـلّ وعـلا أبـرز من مكنـون العلم ، ومخـزون الحكم ، آدم وحواء أبوين ذكـراً وأنثى سبباً لإنشـاء البشرية الإنسـانية ، ودلالـة لإظهار (القـدرة القويـة)[3] وزاوج بينهما فتـوالدا الأولاد ، وتكـاثرت الأعـداد ونحن ننتقل في الأصلاب الزكية ، والأرحام الـطاهرة النقيـة ، كلما ضمنا صلب ورحم أظهـر منا قـدرة وعلم ، وهلم جرا إلى آخر الجد الأول ، والأب الأفضل سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، أحمد ومحمد ، في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه ، وبان عنـاه ، وأباد المشركـين ، وقصم الضـالين ، وأظهـر الحق ، واستعمل الصـدق ، وبان بـالأحديـة ، ودان بالصمـديـة ،

(98) تبد : تود في ن .

(99) قادرين : قدر في م .

(100) إبداع : ابداء في ن .

(1) وسكونا : سقطت في ن .

(2) سبقت : سقطت في ن .

(3) القدرة القوية : القوة المعدنية في م .

فعندها سقطت الأصنام ، وانعقد الإسلام ، وانتشر الإيمان ، وبطل السحر والقربان ، وبطل الكفر والطغيان ، وأتي بالقرآن ، شاهداً بالحق والبرهان ، فيه خبر ما كان وأخبار ما يكون إلى يوم الوقت المعلوم ، مبيناً عن كتب قد تقدمت ، وصحف قد نزلت ، تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة (1) ونوراً وسراجاً منيراً ، وكل ذلك آيات لنا . ومقدمات بين أيدينا . وأسباب لإظهار أمرنا (هدايات وآيات وشهادات) (2) وسعادات قدسيات ، إلاهيات (3) أزليات كائنات فردانيات ، مقدمات ، فما من ناطق نطق ، ولا من نبي بعث ، إلاّ وقد أشار إلينا ولوح بنا ، ودل علينا ، في كتابه وفحوى (276) خطابه ، ومنار أعلامه ، ومرموز كلامه ، فيما (4) هو موجود غير معدوم ، وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع النداء ، وشاهد ورأى ، من الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو سهى ، أو ضل أو غوى ، فلينظر في الكتب الأولى والصحف المنزلة وليتأمل القرآن ، وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم ، فقد أمر الله عزّ وجل . بالسؤال ، فقال : فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

وقال جلّ من قائل : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون . وقوله عزّ وجل حيث يقول : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ . وقوله : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .

ومثل ذلك في كتاب الله كثير ، ولولا الإطالة لأتينا على كثير منه .

ومما دل به[4] علينا وأنبأ به عنا قوله : ﴿ كمشكاةٍ فِيهَا مِصباحٌ المصبَاحُ في زُجَاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌ يُوقَدُ مِن شَجَرةٍ مُّبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرقيةٍ وَلَا غَربيةٍ يَكَادُ زَيتُها يُضيءُ وَلَوْ لم تَمسَسهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[5] ﴿ وَيَضربُ اللَّهُ الأَمثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يتذكرون ﴾[6] . وقوله في تفضل الجد الفاضل والأب الكامل محمد (صلعم) وعلي ، إعلاماً بجليل قدرنا وعلو أمرنا . ﴿ وَلَقَدْ أتينَاكَ سَبْعاً مِّنَ المَثَانِي وَالقُرآنَ العَظِيمَ ﴾[7] هذا مع ما قد أشار ولوح وأبان وأوضح ، في السر

(4) به : سقطت في ن .

(5) سورة 24 آية 35 .

(6) سورة 14 آية 25 .

(7) سورة 15 آية 87 .

والإعلان . من كل مثل مضروب وآية وخبر ودلالة حيث يقول : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[8] وقال : عز من قائل : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآياتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾[9] . وقوله : ﴿ سَنُرِيهِم آياتِنَا فِي الأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّى يَتبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[10] فلو اعتبر معتبر وقاس وتدبر ، بما في الآفاق وما في الأنفس من (277) الصور المؤتلفات والآيات والعلامات ، وإتقاناً لإختراع الأجناس والأنواع ، وما في كون الإبداع من الصور البشرية ، والآثار العلوية ، وما تشهد به حروف المعجم ، والحساب المقوم ، وما جمعت السنون من فصل ويوم وشهر ، وتصنيف القرآن (من تخريبه)[11] وأسباعه ومعانيه وأوضاعه ، وموضع الشرائع المتقدمة ، والسنن المحكمة ، وما جمعته كلمة الإخلاص في فصولها ، وتقاطيعها ، وحروفها ، وما في الأرض من أقليم وجزيرة ، وبر ، وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض ، وفوق وتحت ، إلى ما اتفق عليه في[12] جميع الحروف من أسماء المدبرات السبع والأيام السبعة ، والنطقاء والأوصياء ، وما صدوت الشرائع في فرض وسنة وحدود دينه وباقي الحساب من آحاد وأفراد ، وأعداد في مثلثاته ومربعاته ، وتسابيعه واثنا عشراته ، وأبواب المعشرات والمائين والألوف ، وكيف تجتمع وتشتمل على ما اشتمل عليه وما هو شاهد عدل وقول وفصل ، وحكمة حكيم ، وترتيب عليم ، فلا إله إلّا هو له الأسماء الحسنى والأمثال العليا ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . وفوق كل ذي علم عليم . ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله .

أيها الناس[13] من كان له قلب أو القي السمع وهو شهيد ، أن كلمات الله الأزليات ، وأسمائه التامات ، وبدائعه المسماة ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ، وآياته الباهرات ، وأقداره النافذات ، لا يخرج منا[14] أمر ، ولا يخلو منا

---

(8) سورة 59 آية 21 .

(9) سورة 3 آية 190 .

(10) سورة 41 آية 53 .

(11) من تخريبه : سقطت في ن .

(12) عليه في : من في ن .

(13) أيها الناس : وليعلم الناس في ن .

(14) منا : منها في م .

عصر ، وأنا كما قال الله تعالى : ﴿ ما يكون (من نجوى ثلاثة)[15] إلاّ هو رابعهم ، ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك، ولا أكثر إلاّ هو معهم أين ما كانوا . ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ فاستشعروا الظهور[16] فقد نقر في الناقور ، وفار التنور ، وأنى النذير بين يدي (278) عذاب شديد ، فمن شاء فليبصر ، ومن شاء فليتدبر ، فما على الرسول إلاّ البلاغ المبين .

هذا قوله (ع) في سجله الشريف ، وأن ذلك السندي قدس الله روحه ، وإن كان قدره قد سما وعد من الفضلاء والعلماء ، فإنما نظر ما أظهره له مولاه من حجابه ، وغاب عنه معرفة ما وراءه من أنوار الغيب الذي عجزت الأوهام أن تقرع ما ارتج عليها من أبوابه ، فمن كان ظاهره حد التأييد ، فإنه عن الإدراك في المقام الأقصى والمكان البعيد ، وإن كانت إحاطته بما دونه أدنى من حبل الوريد ، جل مبدعه الذي عجزت أن تسمو إليه الأوهام ، ولا إله إلاّ هو علواً عن إدراك العقول والأفهام .

ولما انقضى من العزيز بالله (ع) المهل ، وآن الأجل سلم الأمر إلى ولي الله المنصور الحاكم بأمر الله ، ونص عليه بأمر الله سبحانه ، فقام الإمام المنصور بن نزار الحاكم بأمر الله (ع) بأمر الله ووحيه ، وهو الثاني من الأشهاد ممثول النطفة في الدور الثالث الروحاني ، مقابلاً للثاني من المستورين ، ثاني الخلفاء صاحب الرسائل والفضائل ، وللحسين بن علي ثاني الأئمة ، ولنوح ثاني النطقاء ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وكان له من المعجزات ، وإظهار الآيات ، ما هو أظهر وأشهر ممن تقدمه ، وكانت دولته أعز دولة ، وصولته في المسجد أعظم صولة ، زاهرة أنواره ، عالي مناره ، حقائق علومه منشورة ، وآيات فضله مبينة مشهورة ، ودولته قاهرة ، وأيام سعده ظاهرة ، وحججه لكل عدو قاهرة ، وخيراته لأوليائه المتصلين به غامرة ، ومعجزاته جمة باهرة ، فمن معجزاته[17] ما حكى عن بعض أوليائه أنه جنه الليل فخرج إلى قرية في ديار مصر ، فدخل مسجداً من مساجدها ، فلما حانت صلاة المغرب اجتمع إلى المسجد من يصلي (279) فيه من جيرانه ، فلما فرغوا[18] من الصلاة أقبل بعضهم على بعض

---

(15) من نجوى ثلاثة : من نجوم في ن .

(16) الظهور : سقطت في ن .

(17) معجزاته : ذواته في ن .

(18) فرغوا : أفروا في ن .

والمستجيب والـولي في جانب من المسجـد ، وهم يسبون أهـل الـدعـوة أعـظم السب ، ويثلبونهم أكبر الثلب ، وكانوا من النواصب ، وكان أكبر سبهم متوجه إلى الإمام الحـاكم بأمر الله (ع) ، فـأقبل ذلـك الولي من مكـانه يتلقى كـأنه عـلى جمر الغضـا ، ولا يطيق شيئاً سوى الدعاء لمـولاه ، فما زالـوا كذلـك إلى أن صلوا صلاة العشـاء الآخرة وسمـروا ساعة ، وعادوا إلى ما كانوا فيه من السب ممعنين في ذلك . ثم راحوا إلى بيوتهم ، فأمسى ذلك الولي في المسجد ، فلما كانت صلاة الفجر دخلوا فصلوا ورجعوا إلى ما كانوا فيه من السب والثلب ، وذلـك الـولي لا يفـتر في الـدعـاء عليهم والتضرع إلى مـولاه في ســوق الخذلان إليهم ، وإحلال اللعنة عليهم ، ويتأسف في كونه لا يجـد عليهم قوة ، ولا يجـد للإنتصار منهم قدرة ، فهو كذلك ، وإذا الشخص الشريف الإمـامي الحاكم قـد طلع لا ينكره ، فدخل المسجد فعرفه الكل منهم .

وكان النواصب اثنـا عشر رجلاً ، فقـام كل واحـد منهم إلى سكينه وتمثـل[19] كل واحـد في صورة صـاحبه فـاقبل بعضهم يـطعن[20] بعضاً ، وهم يـظنون أنهم يـطعنونـه ويطعنهم حتى قتل بعضهم بعضاً ، وصاروا في المسجد مجندلين[21] لعنهم الله .

وخرج الولي عن المسجـد فإذا ولي الله (ع) قـائم وفي يـده رسن فـرس مـا معـه أحد سواه ، فقـال له : يـا مولاي مـا هذا ؟ قـال له : دعـوتنا فـأجبناك . وركب (ع) والولي عن المسجد ومضى ذلك المستجيب هادياً بين يديه من القـرية ، فكـذلك المعجـزة الغـيرية الـوهمية التي أظهـرها بقـانون الشرع نفيـاً للجور وأخـذاً بـالعـدل ، وإيضـاحـاً للفضل ، وإظهاراً للحكمة لأولياء النعمة .

وهو ما روي أن رجلاً من ديار مصرهمّ يريد الحج وله متعة ، وهي ألف مثقال من الـذهب معدودة مـوزونة مكيسـة في كيس من ثوب ديبـاج (280) قـد خـاطـه بيـده ، واستعلم صنفه باعلامه ، وختم عليه بخختمه ، (ووضعه أمانة)[22] عند قاضي من قضاة مصر بريء ظاهرهُ بالورع ، والزهد ، والعفاف ، ومضى في حجـه . فعمد القـاضي إلى الكيس فبسطه بسطاً[23] رقيقاً ، واستخرج المثاقيل ، وأعـاد عوضهـا بالعـدد والوزن من

(19) وتمثل : وترايا في ن .

(20) يطعن : يصبح في ن .

(21) مجندلين : مجدلين في م .

(22) ووضعه أمانة : فشرحه في ن .

(23) بسطا : بساطا في ن .

الفضة . ودعا برفاء حاذق فأمره أن يرفي ذلك الخرج ، بأدق رفي يكون ، وأجزل أجرته على ذلك ، ففعل[24] الرفاء ذلك وأعاد للقاضي الكيس حيث تركه مودعه الحاج .

فلما وافى من حجه أتى القاضي يطلب وديعته فادخله منزله وسلم الكيس إليه ، وقال له : أتعرف بخاتمه وعلامته ؟ قال : نعم . وشكره الحاج ، وأثنى عليه ، وحمل الكيس إلى منزله ، فلما عنت حاجته إلى فتحه وجد المثاقيل كلها فضة ، فاستغاث ، وكبر عليه الأمر وهاله ، وقال : إن أتيت مطالباً له ، طلب شاهدين (ليشهدا أنني أودعت عنده)[25] (وحتماً سيقول) :[26] ما تركت عندي غير كيس مختوم لا أعلم ما به ، وقد أعدته إليك بحاله . فعزم أن يشكو إلى ولي الله (ع) ، وكان من العادة الشريفة له أن يقعد من طاقات القصر إلى ربع الليل يفرق الصدقات على من صاح إليه ، لكل بقدر ما يعلم من استحقاقه في الوقت المعروف .

فتقدم إليه من ليلته حتى وقف في الموضع بين طالبي الصدقات ، وصاح : أنا بالله وبك يا غياث المستجرين ، وطرح له بكيس فيه مثقالات ، فقال : إني مظلوم فانتصر . فقيل له : تعود الصبح إن شاء الله . فلما أصبح تقدم إلى الباب باب الإمامة فوجد الإمام (ع) قد أمر من ينتظر[27] وصوله . فقال له : أنت المظلوم ؟ قال : نعم . فأدخله إلى ولي الله فقبل الأرض بين يديه ، فأمر ولي الله برفع الكيس ، وأمره بالمراح ، ووعده بماله يعينه إن شاء الله . فراح الرجل ، ولما جن الليل دخل ولي الله (ع) موضع مهجعه لينام ، والعادة أن يكون على موضع فراشه ثلاثة[28] رجال يقسمون الليل أثلاثاً .

فلما نزع المولى ثيابه (281) لينام ترك منديله على ركن من أركان كرسيه منشوراً ، وقد أغلق الفراش والأبواب والطبقات ، وأسدل الستور ، والشمع يتقد ، إذ بريح قد استدارت في مجلس الإمام فحملت المنديل فوقع طرفه في نار الشمعة فاحترق ، وظن المثقال فتلافا الرجل وأطفاه ، وبهت لذلك ولقطه ، وعزم على الهرب لوجهه في الدول الثاني لخوف مولاه والحياء منه . فلما أوصل صاحب الدول ظهر وفي يده المنديل ،

---

(24) ففعل : فقل في م .

(25) ليشهدا أنني أودعت عنده : أنك أودعتني في م .

(26) وحتماً سيقول : وتقول في ن .

(27) ينتظر : نظر في ن .

(28) ثلاثة : سقطت في ن .

وهو عازم أن يرمي نفسه في النيـل ، وخرج من بـاب القصر العزيـزي ، وكانت أبـواب القصر العزيزي لا تغلق بـالليل والنهـار أكثر الأوقـات ، فلما صار في بعض سكك المـدينة التقى صديق له فنظره قلقاً مرعوباً فسأله عن شأنـه فقص عليه القصص . فقـال له : لا تشغل لهذا الشأن ، وأعطني المنديل أدفعه لك إلى جار لنا يرفي الثياب ، وهـو يأتيـك على حسب المراد إن شاء الله في الثلث الآخر من الليل ، ولا يهتدي لما حـدث فيه أي كـان ، فأعطاه إياه ، وعاد بعد أن سلم الأجرة إليه .

فلما كان الوقت الذي وعده أن يصـل إليه بـه صار ينتـظره عند البـاب حتى وصله به ، فأخذه منه وتأمله فما علم[29] أين كان الخرق لدقة الصنعة ، ولا قدر عليـه ، فتقدم به حتى تركه في الموضع حيث تركه مولاه علينا سلامه ، فلما أصبح لبس ولي الله سبحـانه ثيابه ، وأمر للفراش ، وقال له : لا ذنب لك ، ولا جرم عليك ، الأمان لك ، قل لي : من رفى ذلك المنديل ؟ فشرح له القصة . فقال له : لا تقصص ما علمناه ، ولا تروي ما فعلناه ، فلنا الأمر من قبل ومن بعد ، فأخـبرني عن الرفـاء . قال : دفعـه صديق لي إلى جار فأمر باحضاره ، فلما وصل الـرفاء أمـره بإحضـار الكيس . وقال للرفـاء هذا الكيس خرق وأخرج منه الذهب ، وجعلت فيه الفضة ، وأنت أصلحته ، فاخبرني من دفعه[30] إليك ؟ فاستأنس وأخبره أنه صاحب الفضة القاضي صاحب الوديعـة . فأرسـل له ، فلما وصـل قالـه له : بـالحق (282) أخذنـاك ، وبالشهـود طالبنـاك ، سواء منكم من أسر القول أو من جهر به ، ومن هو مستخف بالليل ، وسـارب بالنهـار ، ما حملك عـلى أخذ أموال المسلمين ؟ فلما نظر إلى الرفاء علم أنه قد أقرّ عليه ، وسأل الأمان ، وانصرف وأتى بـالمثاقيـل الذهب بعينهـا عدداً ووزنـاً ، وأخذ الفضـة . وعزل عن القضـاء ، وأنفذ ولي الله (ع) لصاحب المتاع مسلم له ماله ، وخرج الكل من عنده ، وحرّم على الـرفاء مثـل ذلك .

واشتهـرت هذه القضيـة ، وظهرت هـذه المعجزات ، فحملهـا الأولياء عـلى السر المكنون ، وحملها العامة على ما يظنون ، ولو طالب القاضي بغير بينة ، لقال الجهـول هذا غير الحق ، ولم يأخذوا القصة على وجه الصدق ، وإنما أخـذ بالعـدل ، وقضى بالشرع ، وحرك الرياح لحمل المنديل إلى النـار وتحريقـه بها ، وحـرك الفراش إلى الهـرب ، وحرك الصديق لوجود الرفاء إتماماً للحكمة ، وإظهاراً للنعمة ، لتقـوم الحجة ويشمـل العدل ،

(29) علم : تعالم في ن .

(30) دفعه : رفعه في ن .

ويظهر الفضل ، ويقوم القضاء الفصل ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[31] .

وكان في أوانه (ع) من الطوفان ما هلك فيه كثير من الناس عدولاً عن محجة الإيمان ، فأظهر السيف وقام به ، وأهلك اعداءه ، وظهر أولياءه ، فقامت معجزاته ، وظهرت آياته وبيناته .

وقد ذكر سيدنا حميد الدين قس في رسالة (مباسم البشارات)[32] ما ذلك معناه بقوله : فإني لما وردت الحضرة النبوية مهاجراً ، وللسدة العلوية زائراً ، رأيت السماء قد أظلت بسحاب عميم ، والناس تحت ابتلاء عظيم ، والعهد في الرسوم السالفة قد نقض ، وعن أولياء الله بما كسبت أيديهم أعرض ، والرسم في عقد مجلس الحكمة جرياً فيهم بالإحسان قد رفض ، والعالي منهم قد اتضح ، والسافل قد ارتفع ، وشاهدت في أولياء الدعوة الهادية بسط الله أنوارها ، والناشين في عصمة الإمامة ، وأولي ولائها قد حيرهم ما يطرأ عليهم ، من هذه الأحوال التي (283) تشيب لها النواصي ، ويهرهم ما تجدد لهم من الأسباب التي لا يهلك بها إلاّ أولو النفاق والمعاصي ، وهم يومئذ يموج بعضهم في بعض .

ويرى كل واحد منهم صاحبه بفسق وبعض تتلاعب بهم الأفكار الردية ، وتتداولهم الوساوس المردية ، ثم لا يعلمون ما أظلهم من الدخان المبين ، وما ألم بهم من الإمتحان المستبين ، فصار البعض منهم في الغلو مرتعين[33] إلى ذراه ، والبعض في النكث على أعقابهم تاركين عصمة الدين وعراه ، والقليل منهم قد تزعزع أركان اعتقادهم وما قبلوه من الدين باختيارهم وارتيادهم .

وقال نضر الله وجهه في هذه الرسالة : فأي إمام ظهر من أفعاله ما ظهر من الإمام (ع) من الأفعال التي قد حيرت العقول ، واظلمت المقاصد في البحث عن الغرض فيها ، وأي طوفان أعظم مما عم المؤمنين ، وهل ذلك إلاّ امتحان به يهلك الفاسق ، وينشأ[34] عليه الصادق ، فوجود ما قيل فيه وقيامه قيام الصدق مع سوابق

---

(31) سورة 41 آية 46 .

(32) نشرنا هذه الرسالة بعد أن حققناها في كتابنا الحركات الباطنية في الإسلام وضمن مجموعة رسائل حجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني .

(33) مرتعين : مراتبين في ن .

(34) وينشأ : وشيء في ن .

الشـواهد ، وتـوافقها من إمـارات الحق . حـرسنـا الله وجمـاعـة المؤمنـين عـلى الـطاعـة والتسليم ، أنه رؤوف رحيم .

هـذا قولـه أعلى الله قـدسه ، فـأي طوفـان أعظم من هـذا الطوفـان الذي أظهـره الولي (ع) في مقابلة الأدوار لما كان عصره مقـابلاً لـدور نوح ثـاني النـطقـاء ، وإذ هو ثـاني الأشهاد ، وأي سفينـة عند وقـوع هذا الـطوفان كـانت أنجى من الإلتزام بـالدعـاة والحدود الناشئين[35] في دعوته ، والمثبتين النفـوس على حسن اعتقـاد ولايته ، بغـير غلو ولا تقصـير ، وسقياً لهم من عـين الحقيقة الـذي ليس فيه زعـوقة ولا تكـدير ، كمثـل ما أورده حميـد الدين قـدس الله روحه في (مبـاسم البشارات) وغـيرهـا من كتبـه المقـومـة للنفوس ، على استقـامة الـطريقة في الـولاء والثبات ، فـأوليـاء الله (ع) يـظهرون[36] المعجزات ، ويبينون (284) الآيات ، ويوضحون الدلالات ، فحيناً يأتون بالمعجزات الباهرات التي هي فعل الخالق بمـا واصل بـه إبداعـه فيبهر بـذلك الجهـول ، وينطق من يباهي بغير استدلال بدليل بلسان الغلو ، ويقول : ويظهـرون العجز بمشـافهة الأنـام في الجسدانية ، وجرياً على شاكلتهم في الخلقة الطبيعيـة ، فيقع بـذلك تقصـير المقصرين ، ويكونوا في هـذا متحيرين ، فمن عـرفهم حق المعرفـة من أوليائهم عـرف المعنى والمراد ، ونظر إلى نوامسيتهم المشابهة للأجساد ، فنـزههم عنا وأوقـع الفناء والـدثور ، وأشـار إلى العقل المتحد بهم الذي منه ظهر الضياء والنور .

وقد ذكرنا سجود سلمان الفارسي للنبي (صلعم) ، وأنه كان سجوده لما عاين من النـور بـين عينيـه ، ثبتنـا الله عـلى طـاعتهم أحسن الثبـات ، ولا جعلنـا من أهـل الغلو والتقصير ، الذين صاروا في أقبح مصير ، وردوا إلى الوقوع في الدركات ، إنه ولي ذلـك والقادر عليه .

وكان من معجزات الإمام الحاكم بأمر الله الذي أظهرهـا ما لا يحصى ، وذلـك أن ضده أبا ركوة اللعين صاحب المغرب ، الواصل في أيامه بجمع[37] عظيم حـول القاهـرة المعـزية ، فـأمر ولي الله (ع) بـاقفال الأبـواب أيامـاً ، وأمر بعـد ذلك أمـير الجيوش أن يبرز إليه في اثنى عشراً لنا من الفرسان ، ورسم عليه أن لا يفتنه فإنه يولي عن القاهرة إذا خرج العسكر المنصور ، ويحطه على بير الدرج ، فإذا حط هنـالك فليكن محـطته عـلى بير

(35) الناشئين : النواشين في ن .

(36) يظهرون : ظهروا في ن .

(37) بجمع : بوضع في ن .

الرفاق ، ففعل أمير الجيوش ذلك وحط على بير الرفاق ، وولى الضد عنه إلى أن حط إلى بير الدرج .

وكان فيما قاله ولي الله (ع) لأمير الجيوش : لا تغتر ، فإذا وقع الريح العاصف المدلهم ، وانجلى فارسل طليعة إلى محط القوم لتنظر إلى النخلة التي على بير الدرج ، فإن كانت الريح كسرتها أثلاثاً ورأسها إلى المغرب فادرك القوم واقتلهم قبل أن تشتتهم القفار ، وتغرقهم البحار . وإن كانت[38] النخلة انقطعت قطعتين (285) ورأسها إلى المشرق فانهض إلى القاهرة وأدخلها . فتوقف أمير الجيوش حتى وقع في بعض الرياح[39] ريح عاصف انقلعت له الأشجار ، وأظلمت به الآفاق ، حتى كان الإنسان إذا أخرج يده لم يكد يراها . فلما انجلى ذلك أمر من يفتقد النخلة التي هي في محطة القوم ، فإذا هي ثلاث قطع ، وفرعها إلى المغرب .

فلما أتاه طليعته بعلم ذلك ، ركب العسكر المنصور فهجموا على[40] محطة الأضداد ، وهم في مائة ألف ويزيدون ، فقتلوهم وغنموا وسلبوا مسيرة أيام كثيرة ، ولزموا أبا ركوة اللعين ، وأقام ولي الله (ع) في دولة رضية أكنافها مضيئة[41] ، يظهر المعجزات ، ويبين الآيات ، حتى آن الأجل ، وانقضى المسهل . فنص على ولده الإمام الظاهر علي بن المنصور صلوات الله عليه وسلم الأمر إليه ، وأظهر الغيبة صلوات الله عليه .

فقام الإمام الظاهر لإعزاز دين الله علي بن المنصور صلوات الله عليه وعلى آبائه ، والصفوة من أبنائه ، بنص أبيه عليه وتسليم أمره إليه ، وهو ثالث الأشهاد ، ممثول العلقة ، ومقابل للثالث من المستورين ، ثالث الخلفاء . ولعلي بن الحسين زين العابدين ثالث الأئماء ، ولإبراهيم الخليل ثالث النطقاء صلوات الله عليهم أجمعين وسلامه . فقام بالإمامة خير قيام ، وجرت له سعادة الليالي والأيام ، فبث العلوم وأظهرها ، وصفى النفوس والعقول ونورها ، وأقام الحدود ، وأخرج من العدم إلى الوجود ، والضد[42] مقموع مقهور ، والدين عالي بالإشراق والظهور ، فقامت به الدعوة الشريفة على

---

(38) وإن كانت : سقطت في م .

(39) الرياح : الألواح في ن .

(40) على : سقطت في ن .

(41) مضيئة : وضية في ن .

(42) والضد : والرد في م .

ساقها ، وجرت على أحسن نظامها وإتسامتها ، وأنارت في أقطار الأرض وآفاقها ، واتصل به التأييد القدسي المواصل لكل مقام ، وأوصل إلى أوليائه منه ما اقتضاه ، وأوجب الطول والإنعام ، وذلك هو من غيب الله الذي أطلع (286) عليه أوليائه ، وأخذ منهم أسبابهم كل بمقدار حظه ، ومبلغ فضله ، ولطافة نفسه ، وإليه أشار الداعي جعفر بن منصور اليمن نضر الله وجهه في كتاب (تأويل الزكاة) بقوله : منهم العباد المصطفون المخصصون بعلم الغيب الذي به الحياة والفوز ، الذين يهدون إلى الحق ، ويدعون إلى التي هي أقوم ، وهم العباد المكرمون الذين هم الحجج ، واللواحق ، والأجنحة ، والمأذون ، كل واحد نال من علم الغيب بمقدار حده وقسطه ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[43] . عنى به الإمام الموجوب الطاعة على أهل عصره ، وغيبه الذي أنال حدودهم ما أطلعهم عليه منه ، هي المادة التأييدية المتصلة به من الحكمة بوساطة الجاري الذي هو مؤيد الناطق ، ينيل كل حد منهم بقسطه[44] ، وعلى قدر وسعه ، فالعلم روح الحياة في الناطق ، وغير الناطق الصامت والجماد ، والذي لا حركة فيه ، وهو العلم المكنون الذي خص الله به أوليائه ، وكتموه وستروه ، إلاّ عن ملتمسه وطالبه ، والدرج فهو علم الغيب أيضاً الذي أدرج علمه على العباد ، إلاّ الخاصة من أوليائه أصحاب المقامات والمراتب ، والمكشوف الظاهر الذي شاركهم فيه وما لا شاركهم فيه ، من العلم الباطن الخفي المكتوم ، فهي الحكمة المحمودة التي في البدء والعاقبة ، وهو القسم المحض الذي خص به القوامون وأمر[45] الناس بطلبه ، والبحث عنه .

هذا قوله أعلى الله قدسه مبيناً لعلم الغيب الذي أطلع عليه أولياءه ، وخص به أصفيائه ، لأن الغيب هو الإمام ، الغائبة[46] معرفته عن الأوهام ، فلم يدركه حد جسماني ، ولا عقل روحاني . وقد ذكرنا قل الصادق (ع) : ظاهرنا إمامة ، وباطننا غيب لا يدرك . وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : أن لي منزلة لم يخطر على قلب بشر ، ولم يبلغ معرفته أحد . وأن الربوبية والإلهية لتخطر على قلب البشر ، فيعرفها أهل الحقائق منهم ، وإن الخلق باجمعهم (287) ليعرفون الله سبحانه بظاهر

---

(43) سورة 81 آية 24 .

(44) بقسطه : بقواته في ن .

(45) وأمر : الأمر في ن .

(46) الغائبة : غيب في ن .

المعرفة ، وأهل الحقائق منهم يعرفونه بحقيقة معرفته ، وأن علياً لم يعرفه بالجملة إلاّ رسول الله ، والأئمة من ولده ، وعرفه أهل الحقائق بظاهر المعرفة ، وإثبات البراهين والمعجزات التي أظهرها لهم مرة بعد مرة .

وقد قال بعض الأئمة عليهم السلام : ما جرى لأولنا جرى في آخرنا . وقال بعضهم عليهم السلام : ما قيل في الله فهو فينا ، وما قيل فينا فهو في البلغاء[47] : من شيعتنا . يعني أن صفات الله تعالى واقعة عليهم ، إذ هم أسمائه الحسنى التي أمر أن يدعى بها ، وصفتهم صفة العقل الأول الذي أبدعه الباري تعالى من نور كلمته ، واختصه بازليته . فلما نظر الناظرون إلى ما ظهر عنهم عليهم السلام صاروا بين غالي يظن فيهم أن الخلق صدروا عنهم ، وينفي ما يراه ويشاهده من ظهورهم بالجسمانيات ، ووقع الآلام في شريف أجسادهم ، ووقوع الحمام عليهم عند انتهاء أعمارهم ، فكذبوا[48] عقولهم التي جعلها الله فيهم حجة عليهم ، وألزم بها التكليف[49] ، وبين المقصر فيهم ، ورماهم ورمى أتباعهم بالإفك والزور ، وأتى ببهتان عظيم في دفع فضلهم المشهور ، وبين عارف نظر في الخلقة الدينية والنشأة الصورية ، فوحّد وجرّد وما أشرك ولا ألحد ، وعرف ما ظهروا به (. . . . .)[50] المعنى فأصاب المغزى ، وآمن واهتدى ، وفاز بمعرفة المولى ، ونال الحظ الأسنى .

ثم أن مولانا الإمام الظاهر لما دنت نقلته ، وآن ارتفاعه من العالم وغيبته ، سلم الأمر إلى ولده الإمام المستنصر بالله صلوات الله عليه ، وأوقع النص عليه ، والإشارات إليه ، فقام الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين معد بن علي صلوات الله عليه بأمر الله ووحيه ، والنص عليه من أبيه صلى الله عليهما ، وتسلم الأمر إليه وهو في دور الأشهاد بمثول المضغة ، مقابلاً لجده الإمام المهدي بالله (ع) ، لظهور وسطوع نور رابع الخلفاء ، وللباقر رابع الأئماء ، ولموسى رابع النطقاء ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وهؤلاء لهم من إظهار المعجزات ، وإتيان الآيات ، (288) ما لم يكن لغيرهم من المقامات الشريفة ، ذوي الفضائل الزليفة ، وهي كالشمس الرابعة ، من الكواكب المحركة للطوالع ومنها الحياة الهيولانية السارية في العالم المبلغة لكل جنس إلى منتهاه ،

---

(47) البلغاء : غوغاء في م .

(48) فكذبوا : فاكذبوا في م .

(49) التكليف : كليف في ن .

(50) وجد في مكان النقاط بياض بمقدار كلمة أو كلمتين في كلا النسختين .

المظهر : للقامة الألفية آخر الموضوعات ، ونهاية المواليد وغايتها ، فكان لولي الله المستنصر بالله (ع) من القدرة الإلهية ، والحكمة الإبداعية ، ما هو أشهر مما كان لمن تقدمه . فأحيا[51] الله به خلقه ، وأدر رزقه ، وعمر الدين ، والحب سبيل الهداية للموحدين ،وانطمست به أعين الفساد ، وظهر أمر الله في الأغوار والأنجاد ، وبث الدعاة في الجزائر ،وأقام دين الله الباطن منه والظاهر ، فعم البلاد فضله ، وشملها جوده وعدله ، ولا سيما جزيرة اليمن فإنه نظر إليها نظراً كلياً ، وأوضح فيها بالبرهان جلياً ، وجعل إليها بلاد الهند والسند فظهرت أوامره في الغور والنجد ، وخمر الخمائر الشريفة في الجزيرة اليمنية ، وأحيا[52] مراسم الدين فيها الحقيقية ، على يد داعيه لمك[53] بن ملك ، وحجته الحرة السيدة الصليحية .

وجعل عندهما وفيهما رتبة الإستيداع ، لوقوع الفترة وحدوث أوان التقية ، وأودع عندهما الأمر الجديد ، وأبان فيمن قام مقامهما أنوار التأييد . فسبحان الله المنشي المبدأ المفيد ، وأمر بابه وحجته الداعي المؤيد في الدين عمدة الموحدين ، فنشر الحقائق جلية البيان ، وأظهر ما كان كامناً منها إلى العيان ، وكشف أمر القائم بعده حجته ، وأوضح من المعاني ما اتصل به من المستقام على محجته ، وكان له قوة عظيمة ، وآيات ظاهرة كريمة .

والمؤيد في الدين قدس الله روحه هو نجل حميد الدين حجة مولانا الإمام الحاكم بأمر الله نسباً دينياً ، ونسباً طبيعياً . وهو إذا انتسب كان من أهل البيت سلمانياً ، وقد قال موضحاً لرتبته التي هي رتبة سلمان ، ومبيناً أنه قائم بما قام به في ذلك الأوان ، حيث يقول (289) : لو كنت عاصرت النبي محمداً ما كنت أقصر عن مدى سلمانه ، ولقال أنت من أهل بيتي معلناً ، قولاً يكشف عن وضوح بيانه ، وهو بالحقيقة للدعاة القائمين في الجزيرة اليمنية أب ، وكلهم إليه بعلمه منتسب ، لأنه سلم إلى الداعي لمك[54] بن مالك ما عنده ، وعرض ذلك إلى مولانا المستنصر بالله صلوات الله عليه نص الذي أكمل الله به مجده ، فسلسلت المراتب الشريفة منه ومن الحجة الملكة القائمة بدعوة مولاها ، الشاكرة له على ما أنعم عليها وأولاها ، وهي أم الدعاة الميامين ، وعمدة

(51) فأحيا : حي في ن .

(52) فأحيا : حي في ن .

(53) لمك : لك في م .

(54) لمك : لك في م .

أصحاب اليمين ، وخصهم الله تعالى بالتقديس ، وجعلنا ممن نشأ في ربع فضلهم الأنيس[55] ،وكانت للمستنصر بالله (ع) قوة علمية ،وآيات ومعجزات ظاهرة جلية ، توضح فضله وفضل آبائه ، وتبين ما أظهره الله فيه من غيبة وأنبائه ، ووفد إليه سيدنا الداعي المؤيد في الدين ، عصمة الموحدين ، هبة الله بن موسى من أرض شيراز ، فرفعه من رتبة الدعاة إلى رتب البابية ، وجعله إليه أدنى الحجب النورانية ، كما ذكرنا بعض ذلك .

وكان ذلك بعد امتحان عظيم ، وابتلاء لا يقوم له إلاّ من أهله الله للمقام الكريم ، وخاطب مولانا (ع) وقد أدخل إلى شريف حضرته ، ومثل بين يديه فائزاً بالنظر إلى لألأطلعته ، وقد ورد عليه الأمر الشريف الإمامي للقاء التركمانية ، والطوائف من العرب ، والعجم ، الذين هم من أتباع الدعوة العباسية . فكان مما قال له : يا مولانا صلوات الله عليك ، إن مثلي مثل إعرابي ، بلغني أنه كان يدعو ربه سبحانه : فيقول[56] : اللهم اغفر لي فانني لا أجد من يغفر لي غيرك ، وأن تجد من تعذبه غيري . وهذه الوجهة التي أنا متوليها طاعة لك على وجهته كنت تصادف[57] من ينفذ فيها ، ويطلب دائماً مثلي أو فوقي أو دوني ، ولن تصادف من يجاور قصرك الشريف ويكون عنده كل (290) يوم ختمته ، أو ختمتان للقرآن ، ودعاء لك وتمجيد لنبيك مثلي ، وأنا شيخ هذه الدعوة ويدها ولسانها ، ومن لا يماثلني أحد فيها ، فكان الجواب عن هذا الفصل وما قبله تبسماً كشف عن درر الثغر النظيم ، وبشاشة ظهرت في الوجه الكريم ، وأمره بالنفور والخروج لذلك الأمر ، فلم يزل يدعو بفصاحة لسانه ، ويدل بواضح بيانه ، حتى استجاب له طوائف كثيرة من تلك الأمم . وحل بالضد العباسي المتسمى[58] بالخلافة وتابعيه النقم ، وانتهى إلى أن قبض عليه ،وظهرت معجزة ولي الله (ع) على يد بابه .

وقامت دلالته من أفضل أوليائه وحجابه ، وكان سيدنا المؤيد قس إذا دخل إلى مولانا صلوات الله عليه ، يقول : صلوات الله عليك يا حجة الله في أرضه ومحي العظام وهي رميم ، صلوات الله عليك يا صاحب النعيم ، والفضل العميم ، صلوات الله

(55) الانيس : الأليف في ن .

(56) فيقول : سقطت في ن .

(57) تصادف : تصارف في ن .

(58) سقطت في م .

عليك يا فاصلاً بين الخير المطيع ، وبين المخالف الذميم ، صلوات الله عليك يا من هو بالمؤمنين رؤوف رحيم . أشهد أنك الإمام الحق ومن يطعك فهو بك مهتدي ، ومن خالفك في الدين فهو مضل غوي ، والدين إلاّ في طاعتك جاهلي . أشهد الله وملائكته إني بك وبطاعتك[59] مهتدي ، وممن يعاديك في الدنيا والآخرة بري . فإنك في الآخرة لمواليك شاهد مرضي ، وبخزائن علوم الأنبياء أمين قوي ، وفي أداء أمانتهم لأهل الدنيا وفي ، وفي حفظ[60] دين الإسلام وأدائه فمستحق كامل ملي ، وفي علوم جديك محمد وعلي مكني معني،فمن اغترف من غير بحرك يا أمير المؤمنين فهو شقي ، استمد يا مولانا صلوات الله عليك من بركات[61] إحسانك ، وفائض أنعامك ، في صلاح ما الكلم به عنك وعن أجدادك ، وأستملي من غزير بحرك ، وحسن نظرك ، في سداد ما أملي على عبيدك ، وأتصور في جناني ، فمهما كان صواباً فهو عنك وما هفوت فيه فهو مني وعلى من دونك بك أستعين ، وبأجدادك (291) يا ولي الله وابن نبيه وحجته على العالمين . وصلوات الله وبركاته ورحمته عليكم يا أئمة المؤمنين أجمعين .

قال سيدنا حاتم بن إبراهيم الحامدي قس : فيجب على كل ولي إذ وفقه للوقوف بين يدي إمام زمانه أن يكون هذا كلامه ، ومفتاح[62] سلامه ، ومعنى قوله . ومما يؤثر من معجزات الإمام المستنصر بالله (ع)يوصف من براهينه أنه كان ملك من ملوك الروم ، كانت له صورة يد من ذهب قد إتخذها له قبلة ، وكان يعظمها ، وسماها روح القدس ، وهي صورة ألفية وأنه كان تركها في بيت مفروش منزه محفوظ ، وكان من عادته إذا ورد عليه أمر يسر به ، أو أراد الدعاء إلى الله تقدم إلى تلك الصورة وسجد ومرغ خديه قدامها ، ويتوسل بها إلى الله تعالى ، ويستجاب[63] له في كثير من دعائه ، لأنه قد اعتقد بركتها ، واعتقد سيادتها .

وكان رجل مسلم من أهل ديار مصر قد اتصل به فأحبه الملك وقربه وجعله من وزرائه ، وحفظة سره . وكان المسلم قد أطل عليه في ذلك وكان يكثر منه تعجبه حتى كان فتح لذلك الملك في بعض أيامه ، فنهض ومعه وزرائه فتذلل[64] الملك وسجد له

---

(59) بطاعتك : طاعاتك في ن .

(60) حفظ : حظي في ن .

(61) بركات : سكوات في م .

(62) ومفتاح : وفتاح في ن .

(63) ويستجاب : وجواب في م .

(64) فتذلل : فتزاول في ن .

ومرغ خديه وحمد الله تعالى وشكره . فقال له المسلم : ما هذه الصورة التي أنت تسجد لها ؟ قال : إنها صورة روح القدس . قال المسلم : إنها صورة عزيز مصر . وخفي سر الله عنهما ، إذ هو ولي الله (ع) .

وكان ذلك مقدمة لسعادة الملك وإظهار المعجزات سبباً لما أراده الله بالملك من الخير لعلمه بصدق نيته ، ومحبته للاسم العظيم الذي هو اسم روح القدس . فوقع بينهما في ذلك جدل كثير آل فيه الأمر إلى إجتماع رأيهما على أن الملك يسفر[65] إلى الحضرة المقدسة المستنصرية سلام الله عليها عشرة جال من أهل الحكمة ، وذوي الثقة والأمانة ، فأمر من يثق بهم ، وأرسل معهم بالهدية السنية مما يهدي[66] مثلها إلى الحضرة الشريفة النبوية ، فوصلوا إلى الحضرة المقدسة ، واستأذنوا لأداء (292) واجب السلام ، فأذن لهم الإمام عليه السلام ، فلما دخلوا عليه ، ومثلوا بين يديه ، أمر من حضره في مجلسه بالإنصراف ، وتجرد عن بزته وابتدأهم بالكلام ، وقال لهم : تفضوا ما به أمروا ، وكبر عليهم[67] علمه بذلك وسجدوا له خاضعين ، وأذعنوا له متواضعين ، فأمرهم برفع رؤوسهم فرجع كل واحد منهم إلى ما أعده لنقش الصورة ، وصاروا يتأملونه (ع) وهم ينقشون في قراطيسهم ، فلما أفرغوا أخرجوا إلى منزلتهم التي أعدت لضيافتهم ، ثم أقبل كل واحد منهم إلى ما صفه ونقشه ، فإذا نقشهم[68] متفاوت مختلف ، فأجمع رأيهم على استئناف الحال في اليوم الثاني ، ففعلوا كفعلهم بالأمر . وإختلفت صورهم ونقشهم ، وعزموا أن يستأنفوا النقش والتصوير ، فلما كان اليوم الثالث دخلوا إليه (ع) ونقشوا وتأملوا ، فلما أكملوه ظهروا إلى موضعهم . فإذا الصورة التي صوروها في اليوم الثالث متفقة ، فاطمأنت قلوبهم ، وسألوا النفاذ ، فجهزوا بأحسن جهاز ، وراحوا إلى صاحبهم وأظهروا تلك القراطيس التي صوروا فيها الصور في اليومين الأولين ، فإذا هي صورة واحدة متفقة لا زيادة فيها ولا نقصان ، فأخذ الملك الصورة الثالثة فناظر بينها وبين الصورة البدء من الذهب[69] التي عنده فإذا هي هي بعينها ، فعجب من ذلك ، وأيقن أن الحق مع ولي الله .

---

(65) يسفر : يسافر في ن .

(66) يهدى : هدى في م .

(67) عليهم : سقطت في ن .

(68) نقشهم : نقاشهم في ن .

(69) الذهب : الذهاب في ن .

فأعاد السفراء إليه يسأله[70] إنقاذ بعض دعاته لأخذ العهد ،فانفذ ولي الله إليه داعياً لأخذ العهد عليه فأمن وحسن إيمانه ، ودفع الله به عن وليه فتن صاحب الإفرنج ، وكان متوجهاً لحرب الحضرة العالية .

وهذا مثل مضروب تحته معنى من الحكمة محجوب ، وذلك أن الملك كانت له معرفة وعلم ، وكان قد نظر إلى الحكمة ، وعظم شريعة[71] من شرائع الأنبياء ، وقصدها بجده وجهده (293) معترفاً بما فيها من الفضل ، فعرفه ذلك الرجل أن تلك الشريعة جعلت مثلاً على ولي الله ، وأن الأنبياء (صلعم) في شرائعهم وأدوارهم دعوا إليه ، ودلوا على فضله صلوات الله عليه ، وهو معنى شرائعهم وزبدة أوضاعهم ، وأن من إلتزم بظاهر الأمر ولم يعرف معناه فقد عبد جسماً لا روح فيه ولا معنى ، فحين دل على تلك الأدلة ، وأوضح له ما يخرجه من سبيل الجهالة ، أمر قوماً من أهل المعرفة والمخبرة ليعرفوا ما رمز له في الكسر والإحتجاج ، ويعلموا ذلك ويعرفوه ، بين الطريق وأوضح المنهاج ، وظهر المستنصر بالله (ع) في اليوم الأول بعشر صور شريفة وهي صور الأئمة من الحسين بن علي إلى آخر الأئمة المستورين صلوات الله عليهم الذين أتموا دعوة النبي الظاهرة التي فيها الاختلاف والتشابه[72] والتناقض ، ولذلك إختلفت الصورة عليهم .

وفي اليوم الثاني ظهر بصور الأئمة العشرة قباب النور ، وأهل الظهور صلوات الله عليهم ، الذين أقاموا حد التأويل وبرهنوه لأولي الألباب والعقول ، على اختلاف معانيه ، وكثرة وجوهه ومبانيه ، وقد أجاب بعض الأئمة عليهم السلام بعض السائلين بسبعة[73] أوجه في أمر واحد . فقال بسبعة يا ابن رسول الله يستكثر ذلك . قال : نعم . وبسبعين لو استزاده .

وكان ظهوره لهم في اليوم الثالث بصورة الإمام الحادي والعشرين ، روح القدس لا صاحب الدعوة الحقيقة ، لا اختلاف فيها ولا تباين في معانيها . فلذلك نظروا إلى صورة واحدة قد جمعت الصور لا اختلاف فيها عند من أيد بنور الحقيقة ، فأبصر وقامت لهم الدلالة الحقيقية ، وعرفوا معنى صاحب الشريعة ، والحكمة الإلهية ، فاستجاب

(70) يسأله : سقطت في ن .

(71) شريعة : شرائع في م .

(72) والتشابه : والشبه في م .

(73) بسبعة : سوابقه في ن .

الملك حين تبينت له الحقيقة المحضة التي لا مراء فيها . وعرف معنى البدء وما (294) تضمنته تلك الدعوة في مطاويها .

وكان ظهور مولانا المستنصر بالله (ع) بهذه الحجب الشريفة كظهور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) لجابر بن عبد الله بصورة الميم ، وصورة الفاء ، وصورة الحائين ، ثم رجع إلى صورة العين . وهي الصورة الشريفة العظيمة الكريمة الظاهرة بالحجب ، التي ما قامت بها معاني الكتب ، فقال : يا جابر هذه حجتي وملابسي أظهر بها في كل وقت وزمان .

وقد روي أن بعض أصحاب الصادق (ع) دخل عليه فقال له : حك لي ظهري . فأدخل يده فوجده جراحاً كله[74] . فقال : يا مولاي أنت أجل وأعلى عن هذا . ولما كان اليوم الثاني دخل عليه . فقال : حك لي ظهري . فوجده سوياً لا جرح فيه . ولما كان اليوم الثالث ، قال : حك[75] لي ظهري . فأدخل يده فلم يجد في الثياب شيئاً . وكان الإمام عليه السلام قد خاطبه في اليوم الأول بحد الظاهر الذي وقع فيه الشك والإشتباه فشبه بالجرح لما يعتقده المصورون له من الاعتقادات المردية لمن لم يرجع في معانيها إلى أولياء الله ، وأبان له بعد ذلك حد التأويل الذي لا يطلع عليه إلاَّ الخلصاء من أهل التأويل ، وهو سوي لا جرح فيه ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه . ثم إنه ظهر له بحد الحقيقة في معرفته (ع) ، فلم يدرك معنى معرفته ،ولا تناهى إلى صفته فلم يجد شيئاً ، بل غاب ذلك عنه ، وبعدت معرفته .

وهو كما قال بعض الأئمة عليهم السلام : ظاهرنا إمامة ، وباطننا غيب لا يدرك . ومولانا المستنصر بالله (ع) ظهر لأولئك النقاشين في كل يوم بعشر صور ، لأنه لما ظهر لهم بالنورانية نظروا إليه جميعهم ، فكل واحد أدرك صورة غير الأخرى ، كما ينظر جماعة إلى المرآة[76] فيدرك كل واحد منهم صورته وينظر شكله ، ولا يرى إلاَّ خيالاً لا حقيقة له . وظهر لهم في اليوم الثالث بصورة الحقيقة ، التي هي واحدة لا اختلاف فيها عند من نظر بعين البصيرة العقلية .

وكان في عصر ولي الله الإمام المستنصر بالله صلوات الله (295) وبركاته وتحياته

---

(74) جراحاً كله : سقطت في م .

(75) حك : حاك في ن .

(76) المرآة : المرء في ن .

عليه سبعة من بني حمدان منهم ناصر الدولة ، وقد تناصروا في إضلال العباد ، وإظهار العناد ، وقاموا في الوزارة ، وتغلبوا على الدولة ، وانتهبوا القصر الشريف حتى لم يبق عند الإمام (ع) غير السيف والدرع ، وأمروا أولاده بالهرب والتفرق في البلاد ، وهم نزار ، وعبد الله ، وأبو القاسم أحمد المستعلي بالله (ع) ، يومئذ لم يظهره الله . فلما تجبر الضد وعتى وتكبر وبغى ، وصل إلى ولي الله هو وأصحابه يسألونه[77] تسليم السيف والدرع ، فأظهرهما ، وقال : إنهما لا ينفعان أحداً منكم ، وذلك لأن[78] من يلبس الدرع وينهض معه به ، ويجرد[79] السيف من غمده فليأخذه . ففعلوا ذلك فلم يقدر منهم أحد عليه ، فخرجوا وخلوهما .

وقد كان رجل من العسكرية يقال له (بلدكور) قد أنكح ناصر أمير الظلمة لعنة الله عليه بابنته ، ونال بقربه جاهاً ورفعة ، وصار ذا حالة وطولة وصوله ، فدخل على ولي الله (ع) فوجده جالساً ليس سوى الحصير تحته ، فأخذته الغيرة[80] ، فبكى بين يديه ، وقال : يا مولانا أبلغت بك الحال إلى هذه الغاية ؟ قال له (ع) : لو شئت لأزلت ذلك . فوقع كلامه (ع) في قلب بلدكور وراح إلى منزله وهو مكروب ، فدخلت زوجته عليه وسألته عن خبره لما رأت تغير لونه ، فذكر لها ما رآه عند ولي الله (ع) وما أطلع عليه ، فجزعت المرأة وكانت مؤمنة وقالت : نعم . إنك كما قال مولانا لو شئت قدرت على إزالة هذه الحال . أو لم قبلت ففعلت ذلك ونلت خير الدنيا والآخرة ؟ قال : وكيف أصنع في ذلك ؟ قالت رحمة الله عليها : تقتل صهرك وأصحابه ؟ قال لها : إن ابنتك تؤذينا . قالت : فابدأ بقتلها ، وتخلص من شرها . فلما قوي برأيها عزمه ، وعمل في ذلك وأمر لأصحابه وحاشيته ، فاستخلف[81] ثقاتهم وأسرهم ، وبات ليلة ، وقد كانت (296) جارية من جواري القصر (قد دخلت على أمير)[82] المستنصر بالله (ع) وقالت[83] : يا مولاي إن نفسي إشتاقت إلى قرص بر وهريس ، وذلك لما بلغ بهم من الحاجة . فقال لها : تأكلينه غداً إن شاء الله . فلما

(77) يسألونه : سؤاله في م .

(78) لأن : سقطت في ن .

(79) ويجرد : جارد في ن .

(80) الغيرة : الحيرة في ن .

(81) فاستخلف : خلف في ن .

(82) قد دخلت على أمير : سقطت في م .

(83) وقالت : سقطت في ن .

أصبح اليوم الثاني أمر بلد كور أصحابه فانقسموا سبع فئات ، وعمد كل واحد منهم بفئة إلى واحد من الأضداد لئلا يفلت أحد منهم ، ففعلوا كذلك ، وتقدم في الفئة السابعة إلى دار صهره فقتله ، وقتل زوجته وهي ابنته ، وقتل الكل من السبعة ، ونصب رؤوسهم على رماح وأراح الله منهم ، وخلص أولياءه من شرهم .

وكذلك لا تزال المحن تطري على أولياء الله (ع) من أضدادهم ، وأهل عنادهم ، فيظهرون العجز تسليماً لقدرة الله تعالى مع ما لهم من المعجزات[84] والآيات البينات ، وواضح الدلالات ، التي تبهر العقول ، ويكيع فيها السائل والمسؤول ، ظهوراً بالعجز مع القدرة على المعجزات ، وذلك لكيلا تفتن الأمة بهم ، وتغلو فيهم ، فهم يمزجون العجز[85] بالمعجز إقراراً بالله تعالى وربوبيته ، وإذعاناً لقدرته تعالى ووحدته ، ليعلم الخلق أنهم إبداع الله أبدعه في غاية العجز عن إدراكه ، والإحاطة به سبحانه . فهم عباده المكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

ولما كان المستنصر بالله (ع) رابع الأشهاد ، مقابلاً للمهدي بالله ، رابع الخلفاء ، وللباقر لعلوم دين الله رابع الأئماء ، ولموسى رابع النطقاء ، علم أنه لا بد من الاختلاف بعده بين أولاده ، ولبس على ولي الأمر ، ونص عليه في أوانه ، وكان قد تشاجر نزار وعبد الله أيهما أحق بالإمامة . فقال لهما : لا تتشاجرا في شيء صاحبه ههنا ، وأشار إلى صلبه الشريف ، وذلك قبل ظهور الإمام المستعلي بالله (ع) من أشرف الأصلاب الطاهرة ، وبروزه إلى أمه التي هي من الأناث المطهرات ، ثم سمي ولده نزاراً بالمنصور ، وسمي الثاني أبو القاسم ، والثالث عبد الله ، والرابع داؤد ، والخامس والسادس (297) وولي الأمر المستعلي بالله (ع) سماه أحمد ، وكناه أبا المنصور بالله (ع) .

وكان ابن الصباح[86] من أحد دعاته فسأله من صاحب الأمر . فقال : أبو المنصور ، فظن أنه يعني نزاراً ، فاعتكف عليه وكابر معه ، ولم يعلم أن رمز أولياء الله حق ، وإشاراتهم صدق ، فأسرارهم خفية لمن سأل عنها قبل أوانها ، كما قال الحسين بن علي عليهما السلام : من سأل[87] عن شيء قبل أوانه أجيب بما يسوء . فأجابه المستنصر

(84) المعجزات : عجوزات في ن .

(85) العجز : العاجز في ن .

(86) الصباح : صاح في ن .

(87) سأل : سول في م .

بالله (ع) بحقيقة لم يدركها ، وكان جوابه له ما ضل به ، وذلك أنه لم يكن من المخلصين ، فوقع في الشبهة[88] وارتطم في الحيرة ، كما سأل عما لا يعنيه قبل أوانه ، فقال له : في أبي المنصور . يعني أبا المنصور أحمد أبا القاسم المستعلي بالله (ع) ، فيا لها من أمور ما أقربها لمن تدبرها ، وما أبعدها على من جهلها ، وقصر عن معرفتها ، ولذلك رسموا على أوليائهم الرضى والتسليم .

فلما آن الأوان ، وولد المستعلي بالله (ع) نص والده عليه ، وكتب إلى الجزائر بعلمه ، وبحقيقة الحق إلى داعي اليمن للصحة فيهم والنصيحة ، وثبوتهم على الإعتقادات الصحيحة ، وكان ورود السجل المعظم المكرم بشارة بالمستعلي بالله إلى الداعي المكرم أحمد بن علي الصليحي قدس الله روحه ، ونص فيه الإمام على ولده الإمام المستعلي ، وأن الإمامة باقية في عقبه إلى يوم القيامة .

وقام الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين أحمد بن معد صلوات الله عليه بأمر الله ووحيه ، ونص أبيه عليه وتسليمه الأمر إليه ، وهو خامس الأشهاد ، ممثول العظام ، مقابل لجده محمد القائم بالله خامس الخلفاء ، ولجده الصادق جعفر بن محمد (ع) خامس الأتماء ، ولروح الله عيسى خامس[89] النطقاء ، صلوات الله عليهم . فأظهر (ع) من الآيات والبراهين والمعجزات ما لا يحص وصفه ، ولا يبلغ كنهه ، ووقع من الخلف في دولته من أخوته ؛ 298) مثل ما وقع من الاختلاف عند كل خامس ، مثل خلاف الدجال مخلد بن كيداد على القائم بالله (ع) ، ومثل اختلاف أولاد الصادق جعفر (ع) في وقته ، ومثل خلاف عيسى بن مريم (ع) حتى دل عليه خاله يهودا وسعى في قتله ، وذلك لما سمعته[90] الدعاة من الرموز من الرابع المستنصر بالله (ع) في مثل كلامه لابن الصباح وغيره ، قبل أن ينصب حجته ، بقوله : الإمامة في أبي المنصور ، يريد المستعلي بالله قبل ظهور الأمر فكناه بولده قبل كونه . وحملوا ذلك الأمر إلى نزار الموجود وكنيته أبو المنصور ، فحملوه على الخلاف ، وأوهموه أن هذا نص عليه ، ولم يغب ذلك عن ولي الله المستنصر بالله (ع) بما يكون ، إذ ذلك في علمه المكنون ، فاتبع أهل الحقائق الحق الواضح ، وما قاله في سجل البشارة بمولانا المستعلي بالله حيث قال : شد به أذى

---

(88) الشبهة : الشوهة في ن .

(89) خامس : خاص في ن .

(90) سمعته : ساعته في ن .

الإمامة ، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة[91] ، وعقبه المنصور الآمر بأحكام الله (ع) المرموز به للسائلين .

ولما قام ولي الله المستعلي بالله (ع) قام أخوه نزار بن المستنصر في صنف من الشيعة يفسدهم ويدس الدسائس ، وينصب الأبالس ، وكان ولي الله يعظه ويهديه ، ويسعى في هدايته ورشده ، ورأفة به ورحمة ، فما إرعوى عن غيه ، بل زاده ذلك جهالة وضلالة ، وظن ما يصدره إليه ولي الله من الجميل ضعفا وركة ، ولما رآه ولي الله يزداد في الفساد ، ولا يرعوي عن الغي والعناد ، أحضره وأحضر عبد الله وأبا القاسم أخوته ، وقال لهم : إن للإمامة حدوداً معروفة[92] ودلائل موصوفة ، وهذا سيف ذو الفقار الذي لا ينهض به ولا يجرد السيف غير الإمام ، فمن قدر على ذلك كان الإمام ، فاتبعناه وأطعناه . فقام نزار وعبد الله وأبو القاسم فما قدر أحد منهم أن ينهض بالدرع ، ولا يجرد (299) السيف ، ولبس ولي الله الدرع فنهض به وجرد[93] السيف . فلم يقبل ذلك نزار وعبد الله ، فأما أبو القاسم فشهد لولي أمره ، ودخل في بيعته وعهده .

وقال نزار : ليس يؤخذ هذا الأمر بتجريد السيف ، والنهوض بالدرع ، وإنما هذه قوة في الجسم . فقال له الإمام (ع) : إنه لا بد للإمام من المعجزة وإقامة الفضيلة ، وهذا الأسد في القصر فأمر له فإذا حضر أمرته بي إن كنت الإمام فهو يطيعك أو لا أمرته ؟ قال نزال : (طالما هو أسدك) فقد[94] قلت ذلك كونه[95] يعرفك ، ولي أسد أيضاً وهو يعرفني ، فإذا حضر أمرته يفترسني إن كانت[96] فيك الإمامة . قال له ولي الله (ع) : افعل ذلك . فأمر نزار إلى سائس الأسد أن يأتي به ، فحين أحضره قال ولي الله : أنا أقوم له (فأمره ليفترسني)[97] فإن لم يفعل ذلك ، فاني آمره بك ، فكن على حذر منه . فقام ولي الله إلى الأسد وقد فكه السائس من عقاله . فلما صار عنده حرك الأسد ذيله وهمز أذنيه ، وضراه نزار إلى ولي الله فأقبل الأسد يلوذ به ، ويمرغ عند

---

(91) القيامة : سقطت في ن .

(92) معروفة : عروف في ن . .

(93) وجرد : واجترد في م .

(94) طالما هو أسدك فقد : سقطت في م .

(95) كونه : سقطت في ن .

(96) إن كانت : سقطت في ن .

(97) فامره ليفترسني : سقطت في م .

قدميه . وقال ولي الله : كن منه على حذر ، فاني أريد أن أمره بك . فدخل نزار من خلف باب المجلس وكانوا في الصرح ، فجراه ولي الله فوثب إلى الباب فأغلق نزار بينه وبينه ، ولزم السائس بالأسد وانصرف . فخرج عبد الله ونزار على مغالطة عن تسليم الأمر لوليه ، فحين رأى ولي الله ما هما عليه من الإصرار والخروج عن الطاعة والإستكبار أمر بأن يقبض على عبد الله ، ولما صح ذلك عند نزار خرج إلى الإسكندرية ، وحالف أهلها على القيام معه ، وأظهر الخلاف والعناد ، والمكر والفساد ، وأمر ولي الله الأفضل أمير الجيوش في عساكره المنصورة ، وجيوشه المكلوة المحبورة ، فكسر الأفضل لما التقى العسكران بعد قتال شديد ، واتبع نزار في أثره ومن معه حتى (300) وصل أبواب القاهرة ، فأغلقت[98] الأبواب ، وبلغ الأفضل إلى ولي الله وقد تمزق العسكر كل متمزق ، وقال لولي الله : كن فيما أنت كائن فيه ، فإن العسكر قد إنكسر وإنهزم .

وهذا نزار في أثرنا إلى الأبواب ، واضطرب أهل البلد منه ، وخافوا ووقعت الذلة ، واطلقت بالكلام على ولي الله الألسنة ، ولما دنا نزار ومن معه ظهر ولي الله عليه صلوات الله من باب الذهب ، ومعه خمسة وعشرون فارساً من الأكراد . ولما وضع رجله اليسرى في الركاب ونهض باليمنى قال : إقتلوهم قتلهم الله . فحملت خيلهم عليهم ، فإنهزم نزار ومن معه ، ورفعت بهم الصيحة ، وتتابع الناس في أثرهم وقتلوا ، وسلبوا ، وانتهوا في الهزيمة إلى الإسكندرية مسيرة ثلاثة أيام ، وأسر نزار ووصلوا به إلى ولي الله (ع) . فلما رأى (ع) كثيراً من أهل الدعوة قد مال[99] إليه ، وضلوا فيه ، أمر به مبنى عليه وهو قائم ، وحصص عليه إنفاذاً لأمر الله فيه ، لئلا تشتمل الضلالة ، وتعم الجهالة ، وانقسمت النزارية قسمين ، وصارت فرقتين ، منهم من زعم أن نزار حي لا يموت ، وأنه بالقصر حتى يظهر فيملأ الأرض عدلاً ، وازدادت في ذلك غواية وجهلاً . وتقول فرقة بموته ، وأنه قتل مظلوماً ، وأن له ولداً ينتظرون قدومه ، وتاهوا في أودية الضلال ، وركبوا مركب غيرهم من الجهال ، فلما أظهر الله وليه الإمام المستعلي على من بغى عليه أمر بعبد الله فأخرج من دار الفضل بعد نزار ، لأنه كان أقل منه عداوة ، فدخل في عهد ولي الله ، واعترف بفضله ، ولم يتمادى بغيه[100] تمادي نزار والإغراق في جهله .

---

(98) فأغلقت : فعلت في ن .

(99) مال : سقطت في ن .

(100) هنا لا بد لنا من التعليق على هذه الروايات والخرافات الأسطورية التى اعتبرها المؤلف من المعاجز ، =

ثم قام عليه الضد اللعين الأرمني فتكين ، وزحف بالعساكر إلى أبواب القاهرة ، فرده الله بالكرة الخاسرة ، وأهلكه الله تعالى بسيف وليه ، وكذلك أبو القاسم الأفضل احتوى على المملكة ، (301) وقتل المؤمنين وغير الدعوة ، وأظهر دين النصب ، وأعلن بالصلاة خير من النوم ، وصلى صلاة التراويح في مسجد عمرو بن العاص ، لعنهما الله جميعاً . وأظهر البدع ، وظن أنه يقدر على إطفاء نور الله ، فسلط الله عليهم الروم الذين هم من جنسه ، فكسر عسكره في فلسطين بالشام ، وقتل رجاله ، وأخذت أمواله ، ورجع مذموماً مدحوراً ، وانقلب خاسئاً مكسوراً .

وملك الروم جميع مدن الشام ، ودان لهم كثير من أهل الإسلام ، وذلك بما كسبت أيديهم بجحدهم آلاء الله وعنودهم على الإمام ، فسلط الله عليهم شرار خلقه ، إذ كانوا من الجاحدين لحقه ، وأهله الله الأفضل ، وظهرت رايات الحق ضفراء ، وهزمت الروم ، وقوي بولي الله الإسلام ، وانتشر العدل والتوحيد ، ورجع الدين كله خالصاً لله ، وبث ولي الله الدعاة ، ونشر العلوم ، وأظهر دين الحي القيوم ، وقام بما قام به أباءه من المعجزات الباهرة ، والآيات الباطنة والظاهرة ، وأظهر له الله القدرة ، وكانت على معاندية الكرة ، فحين آن أوان انتقاله[1] ، ودنى علوه إلى المجاورة في دار القدس لأمثاله ، سلم إلى ولده المنصور أبي علي الآمر بأحكام الله أمره ، ونشر صيته ، وأعلى ذكره .

فقام الإمام المنصور أبو علي الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وعلى آبائه والأئمة الطاهرين من أبنائه ، وهو سادس الأشهاد ، ممثول اللحم ، خاتم الدور الثالث ، مقابل لجده المنصور سادس الخلفاء ، ولإسماعيل بن جعفر سادس الأئماء ، ولجده محمد بن عبد الله سادس النطقاء ، وخاتم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين في إظهار الآيات والمعجزات ، وكان له من الفضل والفضيلة أضعاف ما هو لهم ، لأنه سادس الدور الثالث ، وإليه وإلى أبيه المستعلي بالله وإلى ولده الإمام (302)

= وهي ليست سوى خرافات وأكاذيب صنفت بعد وقوع الانشقاق بفترة طويلة ، لإثبات أحقية المستعلي بالإمامة مع أنه كان صغيراً يسيطر عليه خاله الأفضل الجمالي . ونحن مع تقديرنا واحترامنا للمؤلف نربأ به أن يروي أمثال هذه الأساطير والخرافات التي لا يقبلها العقل ، ولا تقرها الوقائع ، إذ المعروف والمشهور أن المستنصر لم ينص مطلقاً على المستعلي ولم يرشحه للإمامة لصغر سنه أولاً ولعدم توفر الشروط فيه .

(1) إنتقاله : نقله في ن .

الطيب صلوات الله عليهم ، أشار سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه في كلامه على شهر رمضان ، وما فضل اليوم التاسع عشر فيه إلاّ والحادي والعشرين ، وقال : يجب أن يكون الإنسان في ليالي هذه الثلاثة[2]الأيام على ضوء ونقاء[3] وتهجد بالصلاة والدعاء ، فلا تعدم في أحدها ليلة القدر ، وكذلك ليلة القدر ، وكذلك المؤيد في الدين نضر الله وجهه أشار بأنها في العشر الأواخر من الشهر ، وهي ليلة الحادي عشرين ، وكذلك إجماع الحدود (ع) . وأول العشر الأواخر من الممثول الذي هو الحقيقة ،وهذه زبدة مكنونة من خفي الأسرار جلية لمن تدبر ذلك من أهل الإستبصار .

ولما كان الإمام المنصور (ع) سادس الأشهاد ، مقابلاً لكل سادس من الأدوار ، أهل النصر والتأييد ، نصبت راياته ، وظهرت آياته ، وقمع الأضداد في البلدان ، ودان له أهل ذلك الزمان ، من ذلك ظهور أمره العالي ، بخروج خمسين فارساً إلى دمشق فقتلوا بهرام وحاشيته ، ورافدهم على ذلك أهل دمشق ، ورجعوا سالمين غانمين وورد أمره العالي على ابن أخت ابن الصباح أن يقتل خاله فقتله ، وهما ضدان جميعاً نزاريان ، فلم يخرج عن طاعته ، وكانت لولي الله وقائع في بلاد الروم مما لو تقصيناها[4] لطال به الشرح .

وكان من معجزاته الباهرة أن رجلاً ورد إلى الأفضل وأقام عنده ، وكان إذا حضر الطعام كان كل شيء من الألوان يطلع في الهواء من المائدة قدر ذراعين ، فاعجب الأفضل بذلك ، ودخل على ولي الله (ع) فأخبره بذلك وهو به في نهاية العجب ، فقال ولي الله (ع) : إذا كان غداً فاحضره إلينا ، فلما كان وقت الغداء[5] دخل مع الأفضل وعمل ما كان يعمله ، فقال ولي الله : هل أعجبكم هذا ؟ قالوا نعم . قال : أتحبون أن تروا أعجب منه ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين . وكان المجلس الشريف (مغطى بالأستار)[6] (303) في بعضها صورة أسد ، فأقبل[7] (ع) على صورة الأسد مما يلي ذلك الإنسان فمد اصبعه المسبحة ، وأشار بها ، وقال : كله فرأى الجماعة

---

(2) الثلاثة : سقطت في ن .

(3) ونقاء : ولقاء في م .

(4) تقصيناها : قصاها في ن .

(5) الغداء : العودا في ن .

(6) مغطى بالأستار : مستائر في ن .

(7) فاقبل : سقطت في ن .

الستر خفق وابتلع ذلك الإنسان من بينهم ، فما علموا[8] أين صار ، وطلبوه وراء الستور فما قدروا عليه ، فبهت الأفضل ومن معه ، ومن معجزات ولي الله (ع) إذ حرك تلك الصورة التي لا روح فيها ، فابتلعت ذلك . وقد يرى من أمثال أولياء الله (ع) في علومهم الظاهرة التي لا يكون منها شيء من البيان الذي هو مثل الروح ما يحيط بالأفكار ويستغرقها[9] ممن يرى أنه قد دقق في المعنى ، وأن عنده معنى البيان ، والله يظهر معجزات أوليائه وبواهرهم ، بما شاء وكيف شاء جل وعلا لا راد لحكمه ، ولا معقب لأمره ، فإن سنير كان من بعض الأضداد ، المظهرين في الأرض الفساد ، وأنه قضى قوى أمره وخلافه على ولي الله (ع) وقام معه أوباش الناس ، واجتمع عسكره إلى باب القاهرة . فأغلقت الأبواب ، وأقاموا على ذلك أياماً . وكان رجل أرمني ومعه جماعة قد وكلوا حرساً على أبواب القاهرة ، فلما كان ذات ليلة وهم وقوف في مواضعهم وقد خرج أمام العسكر عليه السلام لملاقات العدو ، وبقوا متواقفين ، وقد دخل الرعب في قلوب المؤمنين ، فنظر ذلك الرجل الأرمني ومن معه إلى باب من أبواب القاهرة وقد فتح بالليل ، وخرج منه إنسان راكب ليس معه سواه ، فاخفقوا ليعرفوا ذلك الرجل ، فإذا هو الإمام الآمر صلوات الله عليه فصاينوه أين يريد ، وإذا برجل راكب قد التقى به فسلم عليه ، فسأل كل واحد منهما صاحبه عن حاله ونزلا عن فرسيهما[10] ، وسأله الرجل الذي لقيه : أين تريد؟ قال : أريد أن أنصر عسكري على أهل الخلاف ، وأوردهم موارد التلاق فقال : نحن نكفيك ذلك يا ولي الله فارجع إلى مستقرك ، ونزلا (304) عن فرسيهما[11] . وسأله الرجل الذي لقيه : أين هم تريد ؟ قال إلى وبسط واحد منهما وصليا على الأرض كل رجل منهما ركعتين ، ثم ركبا ، ورجع الإمام (ع) ، وقد قال له ذلك الرجل : نحن نكفيك لقاء العدو غداً إن شاء الله وتوادعا .

فلما كان الصباح أقبلت الجند تركض بشارة بهزيمة العدو ، وقتل سنير لعنه الله ، فايقن ذلك الأرمني بفضل ولي الله وأن الحق معه ، فأسلم وحسن إسلامه ، ورفع نفسه عما كان فيه ، ودخل في عهد الإمام إذ بانت له الآية ، وظهرت المعجزة . فمعجزات

---

(8) علموا : عاملوا في ن .

(9) ويستغرقها : غرقها في ن .

(10) فرسيهما : سواهما في ن .

(11) فرسيهما : سواهما في ن .

أولياء الله (ع) بارزة وكامنة ، وآياتهم ظاهرة وباطنة ، فمنها ما يظهرونه بالحس ليراه الجهلة الأغمار ، ومنها ما بينوه بالعقل هداية لأولي المعرفة والإستبصار ، وكانت قوة الأضداد وعنادهم لا تزال في كل أوان وعصر وزمان ، ولا سيما في وقت السادس لأوان ظهور السابع ، فإن قوة الأبالسة عظيمة لقوة صاحب الدور ، وظلمتهم شديدة بقدر إضاءة النور .

وقد قويت الأبالسة في وقت محمد (صلعم) وعارضوا وصيه سابع النطقاء الذي أشار النبي بقوله : أرادت الساعة أن تسبقني فسبقتها . لأنه هو الساعة ، قائم أهل الاستقرار ، والجامع لمراتب الإمامة في الأعصار ، فقويت أبالسته عليه ، وعلى سبطيه ، وأرادوا إطفاء نور الله فيه ، وفي الأئمة من بنيه ، فأراد الله إتمام نوره ، وإظهار أمر أوليائه ، والأمر بولايتهم . فقال في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾[12] فكان العدل محمد (صلعم) عدل الدين ، وعدل في المؤمنين . فأقام الظاهر وحداه على الباطن ، وجعله مثله سواء ، ودل على وصيه (ع) حين أنزل الله عليه : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[13] فولى علياً (ع) شطر دعوته ، وأقامه لبيان باطن شريعته ، فعدل (صلعم) الظاهر بالباطن ، ولم يخالف فيها أمره الله به (305) ولا مباين ، والإحسان هو أمير المؤمنين وحبه الجنة التي لا ينصر معها سيئة ، ولا تجتمع ولايته وولاية أضداده الذين هم[14] عن حول الله خارجين ، وإيتاء ذي القربى هو تسليم الإمامة إلى السبطين ، وثباتها وقرارها في الأئمة من ذرية الحسين . ثم قال الله تعالى عقيب ذلك تعنيفاً لمن عتى واستكبر من أولي الغي : ﴿ وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ ﴾[15] بعتوه على أمير المؤمنين ، والمنكر هو قرينه وخدينه ، وشيطانه ومعينه ، الذي أتى بالمنكر ، وعصى صاحب الآيات الباهرات ، والبغي الثالث نعثل الذي بغى في الأرض وغير الشريعة وبدلها ، وأمر بإحراق كتاب الله عزَّوجل ، وأوى الطرداء ، وطرد الأولياء ، حتى أنكر عليه ذلك المسلمين ، وقتله الأنصار والمهاجرون ، فهؤلاء الذين سنوا سنة الأضداد ، وظهروا في الأرض بالفساد ، وقاموا لأولياء الله بالعناد ، فعليهم إثمهم وإثم الذين أضلوهم ، يحملون أوزاراً كاملة يوم القيامة .

---

(12) سورة 16 آية 90 .

(13) سورة 2 آية 149 ، 150 .

(14) الذين هم : سقطت في ن .

(15) سورة 16 آية 90 .

﴿ ومن أوزارِ الَّـذين يُضلُّونَهُم بِغَيرِ عِلمٍ أَلاَ سَـاءَ مَا يَـزِرُونَ ﴾[16] إنهم على الله وعلى أوليائه يستكبرون ، وبعصيان الله تعالى يأمرون ، ويظهرون وأتباعهم النسك والورع ، ويبطنون الكفر والإنكار لمن للملة الحنفية شرع ، وذلك أن الشيطان يتشكل بغير أشكاله ، ويتمثل بمثاله غير مثاله ، ولو بدا بخلقه المغير وصورته المشوهة بالسماجة والعور[17] لكان في مشاهدة منظره ، ما يمنع عن إقتفاء أثره ، لكنه لعنه الله يستعير حيلة غيره للإضلال ، فيستوطيء بها مركب الإستغواء والإستزلال ، فجرب المحنة والبلية ، وغلبت العترة الطاهرة الزكية ، وغطت الظلمة على شمس الإمامة المضيئة ، وكانت أيضاً المحنة وقوة الأضداد[18] في وقت إسماعيل بن جعفر حتى إستتر ولده ، (306) ووقع من أولاد الصادق (ع) حسده ،وكمثل ذلك كان وقت سادس الأشهاد من علو أهل الزيغ والفساد ، حتى جرت بقتل ولي الله وغيبته الحادثة ، ورجعت عن الحق الفئة المجيدية ناكصة وحانثة .

ولم تزل الأضداد مقهورة ، وآيات الحق مشهورة ، في وقت السابع كما كانت في وقت سابع الخلفاء المعز لدين الله ، فإن أعادي الدين قهرت ، وآيات الله ظهرت ، وذلك بيان لما ذكر أن يكون في وقت القائم من قمع الأضداد ، وقتل المظهرين في الأرض الفساد ، وأنه يكون في ذلك الزمان فناء الأشرار ، وظهور الأنوار ، وذبح[19] إبليس بين الجنة والنار ، عند إنقطاع الشكوك والشبهات ، والإنتهاء إلى الحقائق والمعاني البينات ، فتزول دولة إبليس ، وينقطع الإمتحان والتلبيس .

ولما علم ولي الله الأمر (ع) بالحادثة ،بادر بالسجل الشريف[20] سجل الإمامة ، والنص إلى حجته الحرة السيدة الصليحية التي هي قائمة على الدعاة والأولياء في الجزيرة اليمنية ، وأمرها مولاها أن تتساوى في معرفة ذلك بين البعيد والقريب ، وتعلم به المتصلين من حدودها إعلاماً يعم الداني والعاني في الترتيب ، فشكرت على ذلك مولاها ، وقامت[21] ناشرة ما أنعم عليها به وأولاها ، ودعت إلى الإمام الطيب صلى الله

---

(16) سورة 16 آية 25 .

(17) العور : عار في ن .

(18) الأضداد : الأوضاد في ن .

(19) وذبح : وتذابح في ن .

(20) الشريف : الشواف في ن .

(21) وقامت : وقومت في م .

عليه بغير خوف ولا تقية ، وجرى بذلك الأمر من الدعاة في الجزيرة اليمنية ، ومواد مواليهم تلحظهم ، وعنايتهم الإلهية عن المعاندين تكلؤهم وتحفظهم .

وكان الإمام صلى الله عليه ، قد قال الخلصاء أهل دعوته وقد أحضر أترجا وأمرهم أن يختاروا واحدة منه ، وكان يقول : مسكين مسكين المقتول بالسكين . وأمر إلى حجته السيدة بالجزيرة اليمنية بمنديل سمل فلما نظرت إليك بكت ، وقالت : إن مولانا قد أعلمني أنها قد (307) دنت نقلته ، وأتت غيبته ، ونعى إليَّ نفسه ، فلم يكن أسرع من ورود الحادثة[22] بفتك اللعناء من النزارية بالإمام ، وما فعلوه بجسده الشريف وناسوته الذي أظهره عليه أفضل الصلاة والسلام ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .

وأقام عبد المجيد ابن عمه مستودعاً على القصر وظاهر المملكة ، وعلى[23] دعاة الجزيرة اليمنية الذين جعلهم القوامون[24] بحفظ الدعوة الشريفة الطيبية القائمين برتبة الإستيداع قيام ولد إسحاق ، والنائبين منابهم في خدمة أولياء الله المستوجبين لمرتبة الإمامة بالإستحقاق ، فكل واحد منهم فهو عبد المجيد . والمجيد اسم من أسماء الله واقع على أولياء الله ، وهم عبيدهم ودعاتهم الدالون عليهم وحدودهم ، فأما عبد المجيد المتسمي بذلك الاسم فقد عتى واستكبر ،وخالف أمر ولي الله (ع) وعلى الضلال والإضلال تمادى وأصر ، ووردت كتبه إلى الحرة السيدة الصليحية يدعي منها أمرة المؤمنين ، وتسمى بعد أن كان يتكنى ولي عهد المسلمين ، فغضبت الحرة قدس الله روحها لله وللدين ، وقالت : أنا ابنة أحمد بالأمس ، ولي عهد المسلمين ، واليوم أمير المؤمنين ، إن ذلك للضلال المبين ، وأعلمت أهل دعوتها بنكره ، وشهرت ما هو فيه من ضلاله وعداوته وشره ، وألزمت الداعي الذوئيب بن موسى الذي سلم إليه يحيى بن لمك ما تسلمه عن أبيه ، عن المؤيد في الدين ، عن المستنصر بالله أمير المؤمنين ، بأن يقوم بالدعوة الطيبية ، ويبين المشكلات ليخلص التابعين من الميتة الجاهلية . فقام يدعو إلى مولاه (ع) بأحسن الخطاب ، وعاضده في ذلك سيدنا سليل الحسن الخطاب ، أعلى الله قدسهم ، ورزقنا شفاعتهم وإنسهم[25] فقاموا ؛ 308) بذلك أحسن القيام ،

---

(22) الحادثة : الحدثة في ن .

(23) وعلى : سقطت في ن .

(24) القوامون : القائمون في م .

(25) وإنسهم : والسهم في ن .

وبينوا لأهل الدعوة الشريفة بمعرفة الإمامة ، وقفاهم إبراهيم بن الحسن الحامدي ، وحاتم بن إبراهيم ، وعلي بن حاتم ، ومحمد بن طاهر . فقاموا بالتثبيت[26] لأمر أولياء الله والتأكيد ، فأخرجوا من ظلمات الجهالة والضلالة من اتبعهم ، وأبانوا ما نفعهم الله به ورفعهم ، فلم يغيب مقام النور وهم عنه يخاطبون ، ولا صمت وهم ناطقون إليه بالدعوة إليه خاطبون ، ولا غاب ولي الله وهم بأنوار[27] تأييده طالعون ، ولا أظلم أفق الدين وهم بأنوار البراهين ساطعون ، فيهم قام دين الحق ، واستدل على الدين بالخلق ، وقامت الولاية لله والواحد الحق ، فدعوا إلى ولي الله بما اتصل بهم من القوة . وأبانوا مرتبة الإمامة والوصاية بعد معرفة الرسالة والنبوة ، فيا لها من أقمار ونجوم أنارت بها الدياجي ، وقال بها رشده وسعده كل آمل راجي ، ولم يغب الإمام لأمر (ع) إلاّ وقد أقام ولده الطيب عليه السلام مقامه ، وسالي[28] ما لا يرد دعوة الله فيه من بقاءها في عقبه الطاهر إلى يوم القيامة . فقام الإمام الطيب أبو القاسم ابن الإمام المنصور صلوات الله عليهما وعلى آبائهما وأبنائهما من وراء حجب الإستتار بأمر الله ووحيه ، وعلمه ، والنص من آبائه المنتهي إلى واحد عن واحد من الوصي والنبي ، فمن قبلهم صلوات الله عليهم أجمعين ، وهو كالخلق الآخر السابع الأشهاد مقابل للإمام المعز لدين الله سابع الخلفاء ، ولمولانا محمد بن إسماعيل سابع الأئماء ، ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب سابع النطقاء ، فحين جرت غيبة والده ، واستوى أهل الظلم والعناد على مملكة آبائه ، رحل (ع) وأبوابه وحججه ودعاة[29] البلاغ ، وفارق مصر ، وتلفع بحجب الإستتار كفعل جده محمد بن إسماعيل ، وكفعل أولاد (309) إبراهيم في سر أمر الله فيهم العالي الجليل ، ودخل تحت حجب الإستتار ، وعمت الظلمة باستيلاء الظلمة الأشرار ، ومنعت عن النظر إلى الشمس المضيئة الأبصار ، وإنما لنعلم علماً حقاً ونستقين يقيناً صدقاً ، أن الإمام (ع) وإن غاب شخصه الشريف عن العيون ، واستتر لعلم الله المخزون ، المكنون ، ليتميز الخبيث من الطيب ، ويتبين المؤمن المستغفر من المنكر المصر المذنب ، إنها لا تنقطع الأرض من قائم لله بحجة ، وإن ذلك في كل وقت وزمان

---

(26) بالتثبيت : سقطت في ن .

(27) الدعاة الذين أشار إليهم المؤلف هم الدعاة المطلقين للفرقة المستعلية بعد أن غاب إمامهم المستعلي كما يزعمون ، وقد عينتهم السيدة الحرة الملكة أروى الصليحي ملكة اليمن .

(28) وسالي : سقطت في ن .

(29) ودعاة : ورعاة في ن .

تبين فيه الطريقة والمحجة ، وهم[30] إمام بعد إمام ، يرثها ولد عن والد ، وتصير إلى واحد بعد واحد سبباً دينياً ، ونسباً طبيعياً ، كما نعلم أنه وإن وقع الليل ، وغابت الشمس ، وأظلم الأفق ، وظهرت النجوم ، إن الشمس في خلقة الله موجودة ، وأن الفلك لن يخلو عنها ، وأن أنوارها مضيئة[31] ، وأنها غير خالية من النور لحظة في أثناء الليل والنهار .

وإن ذلك باقي أبد الآباد والأعصار ، ما دامت السموات السبع الشداد ، والأرض المهاد ، وإن حجبت الشمس عن العيون ، ووقع الليل بظلمة ظل الأرض الحائلة من أن يراها المبصرون ، فإنها في ذاتها مضيئة[32] ، وعن الظلام مشرقة جلية ، وإنما الحائل بينها وبين الإبصار ، وهي على ما هي عليه من الإشراق والأنوار ، ومواد أنوارها إلى القمر والنجوم ، بأمر الله تعالى الحي القيوم ،فكذلك الإمام (ع) فإنه وإن غاب وإستتر فلا يخلي الله منه بلاده ، ولا يهمل سدى عباده ، ورحمة الله في الباقين كما كانت في الأولين ، ونعمته شاملة بخلقه أجمعين ، وأنوار تأييده متصلة غير منفصلة بأوليائه وحدوده غير منقطعة طرفة عين ، ولا ممنوعة عن أهل المشرقين والمغربين ، ودعاته وحدوده ظاهرون كظهور القمر والنجوم عند غيبة الشمس ، (310) ودالون على ولي الله سلام الله عليه في الجهر والهمس ، وقد أبان دعاة أولياء الله صلوات الله عليهم في ذلك من جميع الحجج والبينات ، والآيات المبرهنات ، ما دامت دلالة وضحت معالمه ، وبانت آياته ، وظهرت مراسمه .

وقد كان ولي الله (ع) أبان لخواصه ما يكون من المحنة ، وعرف البلغاء من شيعته بتلك البلية والفتنة ، وقال لابن مدين صاحب الرتبة الجليلة البابية ، وثقته الذي اختصه بالمكانة[33] العلية ، وقال له ، ولنسلان ، والعزيزي ، ورسلان ، وقونص ، وكان صاحب الرتبة ابن مدين قدس الله روحه ، ولا يزال في منزلته ، وهؤلاء الأربعة لا يزالون بين يديه ، وكان قونص أدناهم في المنزلة ،وكان الإمام (ع) يقول : هؤلاء الأربعة لا يشاقوا عني غيرهم ،وكانوا إذا سمعوا من كلام الإمام (ع) ما لم يفهموه ، وتأدى إليهم منه ما لم يعلموه ، دخلوا على شيخهم ابن مدين صاحب الرتبة الجليلة

(30) وهم : وهو في ن .

(31) مضيئة : ماضية في ن .

(32) مضيئة : ماضية في ن .

(33) بالمكانة : بالكائنة في ن .

فسـألوه ؟ فيقـول لهم : قلتم لمولانـا ، وقال لكم . وإشـارته إلى كـذا وكذا ، وهـو كذا وكذا . وكان ذلك دأبهم وعليه لهجهم[34] فلما أتوا إليه وسـألوه عن قـول الإمام (ع) : لا يثاقف عني غير هؤلاء ؟ قال لهم : إن الإمام يظهر الغيبة بالقتل ، فإذا أظهرها ، وقـع في البلد الخـلاف ، وتولى الأمـر أبو عـلي بن الأفضل ، ويتمـرد ويعلن بـدين النصب ، ويستتر ولي الله أبو القاسم ، فيقتل ابن الأفضـل الأولياء ، ويـطرد الحريم ، فـإذا قويت يـده أرسـل إليكم هؤلاء الأربعـة ويقـول لكم : أمـا تـبرأتم من الإمـام وإلاّ قتلتكم ؟ فتثـاقفون عن الإمـام ، وتسبون الشيـطان ، ويقتل نسـلان ، والعزيـزي ، ورسلان ، وتهرب يا قونص إلى اليمن ، وتأتي بعد ذلك فلا يفوتك القتل ، واني أكـون[35] في بيتك يا عزيزي منكتماً ، فيقبضوا عليَّ بعد ذلك ، ويعرضون علي (311) ما عـرضوه عليكم فلا أختار الدنيا عـلى الدين ، فـأكون في المستشهـدين . قالـوا : فمن الإمام بعـد إظهار المنصور[36] الغيبة بالقتل ؟ قـال لهم : إنه السـابع القـائم الإمام الـطيب ، صلوات الله عليه ، وأنه مستور مكتوم . قالوا له : فمن صاحب الرتبة بعدك ؟ قال : يكـون صهري القاضي ابن علي ، وأنه يغيب بمغيب صاحبه ، ويظهر بظهوره .

فلما وقعت الحـادثة عـلى ما حكـاهـا ، قـام ولـد الأفضـل ، وأمـر إلى الأربعـة أن يختاروا[37] السلامة فليتبرأوا من المنصور ومن دينه ، وإلا قتلهم ، فشرد قونص إلى بعض الدور ، وقال الآخرون : آمنا بالله وبولي الله وبرينا من الشيطان الملعون ، فقبض عليهم فقتلوا ، وقتل معهم من المؤمنين بشر كثير ، وقبض على ابن مدين صاحب الـرتبة من دار العزيزي ، وقتل في اليوم الثاني ، وخرج قونص إلى اليمن ، وعاد بعد ذلك فقتل .

وغـاب القـاضي أبـو عـلي الـذي أقـامـه ابن مـدين في منـزلـة اللواحق بـولي الأمـر(ع) بـعـد غيبته ،وافتقد الإمام الـطيـب (ع) في مصر ، وأصبحت الدور خالية لأنـه هاجـر معه المؤمنـين واستـتر أوليـاءه المخلصـون ،فلم يبق بعـده إلاّ من ضعف[38] عن السفر ، ومن كان له عذر يمنعـه من ذلك بـواجب[39] القضاء والقـدر ، وقد أرسـل

---

(34) لهجهم : يهجم في ن .

(35) أكون : كون في ن .

(36) المنصور : النصر في ن .

(37) يختاروا : خيروا في م .

(38) ضعف : خف في ن .

(39) جاء المؤلف على ذكر هذه الوقائع وما أتبعها من أحداث في كتابه التاريخي عيون الأخبار وفنون الآثار في السبع السابع أي المجلد السابع منه ، الذي سوف ننشره كما نشرنا بقية المجلدات .

الأمر (ع) الشريف محمد بن حيدرة بالنعا ، وأن يبين ذلك للحرة الملكة ولذويها القائمين إلى ولي الله بالدعاة ، وكان الملك في مصر تارة لعبد المجيد وأولاده ، وتارة لغيره من المتغلبين لتغلبه من أعداء الله وأضداده ، حتى انقطعت دعوته ، وحيزت مملكته ، وفنيت ذريته ، وخسر أتباعه وشيعته ، وبطلت حجته ، وانطمست محجية .

ونحن نذكر ذلك في غير هذا الكتاب ، والله المعين ، ومنه نستمد التوفيق والإحسان . وقد قال قوم من الجهلة الأغمار ، الذين هم مأواهم جهنم دار البوار ، إن الإمامة قد (312) انقطعت عن العقب الشريف ، ونعوذ بالله وبأوليائه ، ونبرأ إليه وأليهم من قائل ذلك ، ومعتقده . فإنه بذلك قد أبطل حكمة الله في خلقه وأمره ونهيه ، ونفى الإبداع والمبدع ، وتوهم المحال الممتنع . فإن الله تعالى لم يخلق الخلقة الطبيعية والمواليد إلاّ ليظهر من بينها الإنسان الحي الناطق بالتوحيد ، والصفوة الإنسانية هم أولياء الله (ع) وهم في الدين الخلق الآخر ، ولهم بهم دارت في العوالم الدوائر ، فمن نفى ذلك نفى الخلقة وأبطل صفة الله تعالى ، كما أن الخلق الآخر لو بطل من الإنسان لم يكن موجوداً ، أو لو[40] بطل الإنسان عن العالم لكان نوره معدوماً مفقوداً .

وقد أوضح سيدنا المؤيد في الدين ، عمدة الموحدين ، هبة الله بن موسى قدس الله روحه ، وتوحيد المبدع وبقاء رتبة الإمامة في كل وقت وزمان على مر العصور والأيام ، وتتالى الأحقاب[41] والأعوام ، حيث قال في بعض مناجاته : سبحان القديم الأزلي الشديد بطشه ، نور الأنوار في كل مثوى ومكان ، خالق الأشياء وباريها ، ومعلل العلل ومجريها ، قدوس قدوس قدوس ، يا من أقرت له النفوس ، وشهدت أنه قبل الدهور الداهرة معبود ، وفي الأزمنة الغابرة موجود ، والأنوار العلوية ، والعناصر الأزلية الصمدية الفردانية ، سهدي الذات ، مبائن الصفات ، بر البرايا في القدم ، وأمد حد ذاته لهم كما حكم ، حكم بالحق ، ولم يدع إلى عدم ، فهو الظاهر لتثبيت الحجة عليهم ، والباطن الذي لا يدرك بالحواس ، أقام في العالم الذي برأه ، فكل ينظر إليه على قدر صفاه ، وكالنظر إلى وجهه في المرآة ، سبحانه شاء فاحدثهم بلطفه خلقاً ، وظهر لهم ليقع الإيمان به صدقاً وحقاً ، ثم أنس إليهم لتثبيت الحجة عليهم ، إذ هم يعجزون عن إدراك كيفيته ، ولا يبلغون بقوة عقولهم معرفة ماهيته ، وحقيق علم من لم يصح له

---

(40) لو : لما في ن .

(41) الأحقاب : الاحفاث ، ن .

الوجود ، ولا معرفة الحد وأن (313) يلزم الإنكار والجحود ، لكنه تعالى عدل وأحسن إلى الخلق فيما فعلٰ ، إذ أقام فيهم ظاهراً موجوداً ، وألزمهم حفظ المواثيق والعهود ، وعرفهم نفس العبادة للمعبود ، فتعالى من نوره الأول قبل الأزل ، ومزيج[43] العلل ، ومغني الدول الأول ، والذي لم يزل باطناً في ظهوره ، وظاهراً فيما بطن ، يقوم بناسوته في كل عصر وزمان ليس بمحصور في الناسوت ، فيغيب عنه علم الملكوت ، لكنه يتجلى ولا يتجلى ، ويتدانى ولا يتدانى ، ظهر من غير زوال ، ولا تزول وغيبته من غير حركة ولا انتقال ، ظهوره بالشيء إقباله عليه ، وغيبته عنه توفيه إليه . إلى قوله أعلى الله قدسه : القائم بالناسوت حيناً ، وبالقدرة حيناً ، الموحى إلى كل معلول[43] لأمره ، الجاعل لكل علة منهم مقاماً معلوماً ، ورسماً مرسوماً ، يسيح[44] في دائرته ، يطيعه بفضله ، سبوح سبوح ، منزه عن الضد والأنداد ، سبوح لا يحيط به رسم ، ولا ينطق به اسم ، ولا يتصور في وهم ، ولا يخطر في علم ، ينتهي المخلوق إلى مثله ، ويهيج به الطلب إلى شكله ، وهل ينظر إلى النور إلاّ مثال ما فيه من الكثافة ؟ وهل يدرك الكثيف اللطيف إلاّ بمادة من اللطافة .

فبين رضوان الله عليه في هذه المناجاة التوحيد وتسبيح[45] العلي المجيد ، وأوضح مقام العظمة الذي هو غير محصور في ناسوت ، وأنه لا يغيب عنه علم الملكوت ، وأبان أن ظهوره من غير زوال ، وغيبته من غير انتقال ، ومقام العظمة الظاهر بالناسوت في كل زمان ، المبدل بالناسوت أواناً بعد أوان ، وهو لا يتغيب ولا يبدل ، كما قال سيدنا جعفر بن منصور (في كتاب تأويل الزكاة) : وهي الإمامة حال واحد لا يتغير ولا ينتقل ، جارياً أبداً مع مرور الدهور ، فالأئمة عليهم السلام ينتقلون ، ويصيرون إلى دار كرامة الله ، ومحل رضوانه ، بغيبته[46] أشخاصهم ، وقيام الخلف منهم في مقام السلف باتصاله (314) بالإمامة ، لأن الإمامة لا تنتقل ولا تزول ، وإنما الأئمة يتوارثونها بالإنتقال والإتصال خلفاً بعد سلف ، كما أن عرش الله حال لا تزول ، والحافون حوله هم مالكوه ، والعاملون به لأتباعهم لأربابه ، واتصال موادهم إليهم من

---

(42) ومزيج : وزويج في ن .

(43) معلول : علول في ن .

(44) يسيح : ساح في م .

(45) وتسبيح : وتوسيع في ن .

(46) بغيبته : سقطت في م .

أهله وخزانه ، فكانوا منهم بالإتصال والإتباع ينوبون عنهم في المنازل والأسباب ، إذ هؤلاء أرباب ومربوب لا حق بربه إذا أطاعه وابتعد ، كما أن الولد لا حق بأبيه في التربية .

هذا قوله قدس الله روحه مبيناً فيه أن الإمامة حال واحد لا تنتقل ولا تتغير ولا تبيد ولا تتبدل ، وإنما تتبدل بالنواسيت ،وتظهر بها اللواهيت ، والغيب تعالى ناطق بها ، متحد بها ، محتجب عن الأبصار والبصائر جل وعلا ، ولا إله غيره مبدع التام والتمام ، وخالق المأموم والإمام . فإذا وضعت الأئمة عليهم السلارم بأمر الله المتحد بهم ، كانت الملائكة[47] دونهم ، وجرت في عباد[48] يعبدونهم . والملائكة[49] هم المملكون لدعوتهم ، القائمون باصلاح الخلق وهدايتهم . وقد قال سيدنا جعفر بن المنصور أعلى الله قدسه في (تأويل الزكاة) : فكل إمام في زمانه هو اسم الله في أهل عصره ، فمن رأى إمام زمانه ، وأخذ عهده ، وسلم له في جميع أموره ، وعرف حدوده فأقرّ بها ، وأدى لكل واحد حقه ، ولم يلحد فيه .

فقد عرف الله بحقيقة المعرفة ، ووحد من وجه توحيده ، ومن رأى إمام زمانه بغير هذه الصورة ، وجهل مقامات الحدود فما عرفه ولا عرف الله ، ولا وحده[50] ولا أطاعه ولا عبده ، ولا تمسك بحبله ، وكانت طاعته لغير الله ، وعبادته في غير مرضاة الله ، وكان شاكاً في الله متعدياً لحدود الله ، ملحداً في الله ، مشركاً به .

وقد أبان ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام في بعض كلامه ، فقال : إن الشرك فيكم لأخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ، (315) على المسح الأسود . قال الله عزّ وجل : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾[51] . فمعرفة إمام الزمان وإقامة حدوده هي المعرفة بالله تعالى وبآياته ، والجهل بالإمام والتعدي لحدوده هو الجهل بالله والكفر به ، وبآياته ، والشرك فيه ، وإتخاذ الشريك معه . فمن جهل مقام الله وشك في الله وأشرك ، فقد باء بغضب من الله وحلت به النقمة واللعنة .

وقد روي عن رسول الله (صلعم) أنه قال : من مات ولم يعرف إمام زمانه حياً ،

---

(47) الملائكة : الملكة في ن .

(48) عباد : عبادات في م .

(49) الملائكة : الملكة في ن .

(50) ولا حده : حدده في ن .

(51) سورة 65 آية 1 .

مات ميتة جاهلية . والجهل ضد المعرفة ، والجاهلون هم المشركون فتعالى الله جل اسمه وتنـزه عن جهلهم وشركهم ؛ لقول الله سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[52] يعني به الإمام .

هذا قوله قدس الله روحه مبيناً أن معرفة الله تعالى بمعرفة الإمام الموجود ، ومعرفة الحدود ، وذلك حقيقة التوحيد ، فيجب على الإنسان أن يعرف حده العلمي الحقيقي يهدي به إلى معرفة إمامه ، ولا يكون جاهلاً فيقع في الشرك ، ويموت الموتة الجاهلية . وإنا قد عرفنا حدودنا فاستدللنا على معرفة إمام زماننا ، فرأيناه بحمد الله تعالى رؤية حقيقية ، وعلمنا بالمعرفة العقلية ، وليس معرفة الأبصار بمغنية عن معرفة القلوب ، والإطلاع على سر الله المحجوب ، فقد قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[53] . وقال تعالى لنبيه (صلعم) : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[54] . وقد وضح ونادى المنادي وأفصح ، وأبان وما لوح . وعرفنا أن الإمام الطيب (ع) قائم الأشهاد ، وكان بعده الأبدال ، يتبدلون في نواسيتهم ، ويحتجبون لغلبة طواغيتهم ، ويمدون الداعين إليهم ، والدالين عليهم ، بما تقتضيه[55] أزمان مواقيتهم ، فهم بهم يظهرون ، وعنهم يعبرون ، ولما تم دور الأبدال ، كان الدور الخامس الذي به يتم أدوار النطقاء الخمسة أهل العزائم ، ويقوم بعد (316) نهايته القائم ، ويرفع الأعمال ويصير إلى الله الكبير المتعال .

ويأتي الله في ظلل من الغمام ، والملائكة بظهور معنى المعاني ، وبروزه متجلياً بالهيكل النوراني ، فهنالك يرتفع الحجاب ، ويزول الشك والإرتياب ، فليست الإمامة متبدلة[56] ولا متغيرة ، ولا متحولة على أي حال ، وبجميع الوجوه والأمثال ، بل هي نظمت باشباح النور ، وتجلى بها في الستر ظهور ، وعلى ذلك الأدوار تدور ، وبعد كل ستر ظهور ، والظلام يعقب بالنور ، والفرج بعد الشدة يجيء .

فقد قال (صلعم) : اشتدي أزمة تنفرجي .فأشباح الأئمة عليهم السلام يقع عليها الستر والإنتقال ، ويجري عليها القتل كما نشاهد ذلك في الأحوال .

---

(52) سورة 21 آية 22 .

(53) سورة 22 آية 46 .

(54) سورة 7 آية 198 .

(55) تقتضيه : قضاته في ن .

(56) متبدلة : مبادلة في ن .

وهي كما قال سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه : اعلموا أن أئمتكم من حيث أجسادهم من طينة الأرض معجونون ، وبالكون والفساد مرهونون ، يأكلون الطعام ، وينـزل بهم الآلام والأسقام ، ويقضي عليهم عند استيفاء المدة الحسام ، ومن حيث هم (ع) . فدونهم التام والتمام ، وعنهم صدر الوجود الديني على ذكرهم أفضل الصلاة والسلام ، وليس فوقهم إلاّ مبدعهم الذي لا يعبر عنه بالكلام ، ولما تحويهم الأوهام[57] ، ولا تدرك ولا ترام ، فأين يتاه بالعقول ، ويذهب بالأحلام ، جعلنا الله بهم من أهل الإلتزام والإعتصام ، ولا قطع بنا عن ولايتهم التي بها الصالحات الأعمال النظام .

وقد كان في وقت مولانا الإمام الطيب (ع) قوة علمية ، وآيات حكمية ، صح بها ما أشارت إليه الحدود ، ونطقت به بعد أخذ المواثيق والعهود[58] ، من قوة السابع وظهوره ، وعلاء قدره وبيان نوره ، فذكر من ذلك سيدنا المؤيد في الدين عصمة الموحدين ، ما هو في كتاب (الإبتداء والإنتهاء)[59] .

وكذلك ورد عن سيدنا النعمان[60] أعلى الله قدسه فيما رواه عن مولانا المنصور ، ومولانا المعز (ع) ، السابع والسابع من ولد المعز صلوات الله (317) عليهم ، ما كان ذلك علمياً ، وبياناً جلياً حكمياً ، فإنما أظهرت دعاته من علمه المكنون ، وسره المخزون ، بما أمدهم وأيدهم ما هو ضياء قلوب المستبصرين ، ونور بصار العارفين المنيرين ، فاستتر بشخصه الكريم ، وظهر بعلمه الذي هو حقيقة النعيم ، وقد يكون ما وصف به من الظهور ، لمن يكون ذلك على يديه من ذريته الطاهرة ، وعترته التي هي بالعدل والإحسان آمرة ، فإنه ما قيل في الأول فهو في الآخر . وما وصف به العابر ظهر في الغابر ، والله متم نوره ولو كره الكافرون . وجاعل الإمامة باقية في العقب الشريف النبوي إلى يوم يبعثون ، جعلنا الله ممن التزم بولاية الولي ، ولم ينكر ما أقامه الله في مقام محمد وعلي ، والحمد لله حمد الشاكرين المستبصرين ، وصلى الله على محمد وعلي ، وعلى ذريتها الماضين ، والمنتظرين .

الباب الثامن عشر : في الإمامة والإمام ، وما عبر به مولانا من ذكر الناسوت ، واللاهوت في الكلام . نقول وبالله المعونة والتأييد ، ومن بركات وليه صلوات الله عليه

---

(57) الأوهام : مهام في ن .

(58) والعهود : والقعود في ن .

(59) هذا الكتاب لا يزال مخطوط وموجود منه نسخة خطية في مكتبتنا الخاصة .

(60) يقصد القاضي النعمان بن محمد المغربي قاضي قضاة الدولة الفاطمية .

نستفيد : إن الإمامة هي اجتماع النفوس الشريفة ، اللطيفة ، المرتقية[61] الصاعدة ، التي قد تهذبت بالأعمال الشرعية ، وتخلقت بالأخلاق الفاضلة الملكية ، وانصبغت بالصبغة الشريفة الروحانية ، وتجوهرت بالعلوم اللطيفة الحقيقية ، وواصلها العمود الشريف النوراني ، وتلطفت بلطافة العالم اللطيف الروحاني ، فانتقلت من ملابسة الأجسام ، وفارقت شخصها بما قدره الله من الحمام ، فجذبها المغناطيس الشريف الروحاني المعبر عنه بالعمود النوراني ،فارتقت لذلك الشبح مفارقة[62] ، وصعدت بحدها الذي كانت تستمد منه وتتعلم عنه لاحقة ، فجاورت نفسه وما زجت صورته ، وصارت تستمد ممن يعلم لطائف (318) العلم وحقيقته ، وصارت تلك النفس الصاعدة ، وما تصورته من الصورة العلمية ، والصورة العملية ، صورة واحدة قد امتزجت بها تلك الصورة الشريفة واتحدت ، وارتفعت كلمة طيبة إلى من يعلوها وصعدت ، وصارت في أول أبواب الجنان وفازت وصعدت ، فليست ترجع بعد ذلك مقهقرة ، ولا تعود بعد مصيرها في فسحة البيان متحيرة ، فإن رجعت[63] نفس الحد ناكصة مرتدة ، وصارت بعد الكون هابطة مستحقة للبعد عمن كان عنه مستمدة ، بما يعتريها من الذنوب ، ويلم بها مما تستحق به الإرتطام في أودية الهلاك والرسوب ، تقصير أو علو ، أو تكبراً على أولياء الله وعتواً .

وترك شيء من مفترضات الأعمال ، أو زيفاً عن محجة علوم أولياء الله التي بها الصعود إلى الكمال ، فإن تلك النفس المرتقية تصير محفوظة بما مازجته من صورة الحد التي هي من العلوم الحقيقية ، وقد تفارقه تلك الصورة صاعدة إلى من يعلوه من رتب الحدود العراة عن الزيغ والخطيئة[64] ، فليست تعود مقهقرة بعد انتقالها ، ولا ترتكس في الشكوك المردية بعد تخلفها ، وتخلصها بدار كمالها ، فلا تزال تصاعد في رتب الحدود ، وتنتظم في أفلاك السعود ، ومتى انتقل الحد وهو مستقيم على الولاية والفضل ، متصور للصور الحقيقية المخلصة من ريب الشك والجهل ، عامل من الأعمال بما أمر به ، مستمر في الهداية للمتعلمين وذلك حقيقة دنوه وتقربه ، صعد بما انتقل إليه من صور من دونه ، فما زجوا صورة من يعلوهم وجاوروا نفسه ، وهم يعلون بعلوه ، ويستمدون العلوم

(61) المرتقية : الرقية في ن .

(62) مفارقة : فرقت في ن .

(63) رجعت : راجعت في ن .

(64) والخطيئة : خاطي في ن .

ليكملوا ، ويبلغوا في علومهم بما يورده عليهم حدسه ، ولا يزال التصاعد والترقي في الرتب والأسباب حتى ينتهي[65] الصعود إلى جنة المأوى الدانية ، وهي رتبة الباب . فمتى اجتمعن بنفس باب الإمام ، و (319) تلك النفوس ، وتخلصت جميعها إلى ما عنده من الصور العقلية التي فارقت المحسوس ، صار لها مجمعاً يتم له به الصور ، ويفيض عليها ما يتصل به من المواد السارية إليه بوساطة الإمام (ع).المكنى علمه بنهر الكوثر ، فمتى اجتمعت تلك الصور ، واتصلت والتأمت عند[66] باب الإمام ، ومن جميع الجزائر عليه وردت ، صارت عنده كصورة واحدة ، ونفس واحدة ، قد ارتقت في المراتب ، وعلت إلى أن كملت كمالها الثاني بارتقائها في ضمن الحدود الأطائب ، فصارت كنفس واحدة ، وصورة واحدة .

وانبعثت كاملة متلقية لما يتصل[67] إليها من عالم اللطافة من الفائدة ، ولم يبق إلاّ نفخ الروح بقيام صاحب الإمامة ، وهو ربها التي هي إليه عائدة ، وقد ترقت خلقة دينية ، وكانت كمالاً صارت به حياتها أبدية ، إذا كملت حد الإستجابة الممثل بالسلالة ، وحازت مرتبة المأذون الذي كالنطفة بالإضافة إلى صاحب الإمامة الذي بلوغ المرتقى إليه إدراكه كماله ، وارتقت إلى مرتبة داعي الإحرام الذي هو ممثول العلقة ، وصعدت إلى مراتب الداعي المطلق المقابل به المضغة المخلقة ، وصعدت إلى مراتب الحجج[68] الممثلين بالعظام ، المخصوصين من ولي زمانهم بالإجلال والإعظام ، ويتناهي الترافع والترقي إلى مرتبة الباب ، الذي هو[69] كاللحم في الخلق الديني وبه الكمال ، كما كان في اللحم كمال الجنين وتمامه الجسمي .

فلم يبق إلاّ نفخ الروح بقيام الإمام الأعظم ، وأن يتلقى تلك الصور الشريفة ولها يتسلم ، وكل حد صعدت نفسه من مفارقة الأجسام ، وتعالت إلى من يعلوها تقربه من غايتها التي بها إليه يقصد[70] ويرام ، فإن جسدها الذي عبدت الله فيه يبقى إلى (320) أن يؤذن له بالصعود ، ولا بد من لحوقه بربه إذا شاء ربه بعد نفاد المدة بتقدير

---

(65) ينتهي : سقطت في م .

(66) عند : قد في ن .

(67) يتصل : يواصل في م .

(68) الحجج : الحجى في ن .

(69) هو : سقطت في ن .

(70) يقصد : قاصد في ن .

مدبر الوجود ، لكنه يصعد ألطف ما في الجسم بعد روحه إلى عالم الأجرام ، ويرتقي بعد إلقاء الجسد في قبره بثلاثة[71] أيام .

وذلك هو بقية الحرارة الغريزية الكامن في الجسد أوان الميتة الطبيعية ، فجذبه القبر بما بينه وبينه من المناسبة الجرمانية ، وتصاعدت[52] تلك النفوس المسماة بالريحية ، وقد خمرتها أشعة الكواكب بلطيف العناية الإلهية ، فيتسلمها شيئاً بعد شيء من أجسام المنتقلين ، واتحد به مستخلصاً له من أجساد الصاعدين من العالمين العاملين ، ومن ذلك يكون القمر ضياء متى اجتمعت الصور فيه ، ثم إنه يسلمها إلى الشمس بوساطة عطارد والزهرة ، فيتناقص نور القمر بتسليمه تلك اللطائف النيرة وتخليه .

فإذا صارت عند الشمس هذه النفوس الريحية ، وهي المستخلصة من نفس ما في الأجسام من الحرارة الغريزية ، عرفتها الشمس وقصرتها ، ولطفتها ، وخمرتها ، وسلمتها الشمس إلى روحانية المشتري الذي هو السعد الأكبر ، وإلى روحانية الزهرة التي هي السعد[73] الأصفر ، فلا يزال ذلك يتقصر في العالم الجرماني ، ويصفو ما خالطها من قبل تسليمها بالخلق الجسداني ، حتى إذا آن أوان ظهور الإمام عن أمه وأبيه ، وقدر الله تعالى بروزه في العالم وتجليه ، كان من تلك النفوس الريحية ناسوتة[74] وجسده ، وشبحه الذي تحتجب الإمامة فيه بإذن من ينشيه ويؤيده ، وذلك أن روحانيات المشتري والزهرة تلتقي ما اجتمع من الريحيات بإذن من له القوة والقدرة ، فيهبط كالظل في التمثيل إلى الماء العذب الذي لا يشوبه شيء من الأكدار ، وإلى الفواكه الطيبة التي لا يحتاج أكلها إلى دخولها في النار . (321) فحين يصير إلى المياه العذبة ، والفواكة الحلوة الطيبة ، بقدرة العناية الإلهية ، والحكمة الشريفة الربانية ، أن يغتذي من ذلك الإمام (ع) وزوجته المطهرة عن الطمث ، المصفاة عن الذنب والخبث ، وكذلك أمهات[75] الأئمة عليهم السلام يكن مطهرات عن الحيض والأقذار ، كما ظهرت حججهم[76] عن الريب والشك الموردين إلى جهنم دار البوار ، فحين يتغذى من تلك الزبدة الشريفة الإمام وزوجته ، ويكون مباشرتها بما اقتضاه عدل الله وحكمته ، ينشرا من تلك النطفة

(71) بثلاثة : سقطت في م .

(72) وتصاعدت : وصعدت في ن .

(73) السعد : السعادة في ن .

(74) ناسوته : ساوته في م .

(75) أمهات : وهات في م .

(76) حججهم : حجابهم في ن .

الشريفة عند الأنثى والذكر المشرفين على جميع الأناث والذكور من البشر ، فيكون منها جنين قد سعد في بطن أمه ، وفضل على الأجنة بما قدره الله فيه بلطيف علمه ، ويكون أصفى تلك النطفة وأشرفها نفساً بها يتم ذلك الجسد وينمو ، ويكمل مترقياً في مراتب الجنين ويسمو ، ثم يظهر بالولادة الطبيعية شخصاً تاماً فاضلاً ، ويبدو بالإمداد والإسعاد من الله تعالى مواصلاً ، فيرمي إليه العقول المجردة بأشعتها ، وتعطيه المدبرات ما فيها من لطائفها وسعادتها ، فيكون فيه من الفطنة والذكاء والهيبة والعلاء ما يسمو به عن أبناء عصره ، ولا يعبر معبر عن عالي شرفه وسنى قدره .

فإذا بلغ المولود سني التربية ، وهي أربع سنين انتقل باب أبيه الذي كملت عنده الصور ، وارتقى إليه ما تقدم من النفوس اللطيفة في عصر أبيه وتأخر ، واتصلت صورته وصورة من اجتمع فيه بذلك المولود ، وصار مجمعاً شريفاً جامعاً لجميع الحدود ، وذلك هو الخلق الآخر ، وقيام قائم الحدود المجتمعة فيه بما تصور[77] من بواطن العلوم والظواهر ، فإذا اجتمعت في شريف مجمعه ، وصارت في أصل الشريف العظيم ومنبعه .

وقد صارت روحاً لذلك الهيكل ، واستحق بها أن يعظم[78] على غيره ويفضل ، (322) فصار ذلك الجسد الشريف هو الناسوت المعبر عنه بالإمام ، وتلك الصور الشريفة هي الإمامة التي بها صارت تلك النفوس إلى الكمال والتمام ، وقد صارت جميعها نفساً واحدة ، ورجعت إلى ربها راضية مرضية حين آلت إليه عائدة .

وتلك النفوس مرتبة عند ذلك المقام السامي ، منتظمة في هيكله الشريف الإمامي ، فمنها كالقلب ، ومنها كسائر الأعضاء ، وقد شرفت على قدر سبقها ، وعملها وعلمها ، بعضها بعضاً ، فيكون منها كالقلب والدماغ ، ومنها كاليدين والرجلين ، وغيرهما من الأعضاء على قدر ترقيها ، والبلاغ حتى يكون أدناها كالشعر والظفر .

وقد كملت بحسب عِلْمها وعَمَلِها وعلى قدر ، فينتظم هيكلاً شريفاً سامياً ، لطيفاً نورانياً إمامياً ، فيصير قادراً عالماً مغتبطاً مسروراً ، باجتماع أبناء الجنس فيه . فتكون[79] تلك النفوس المؤتلفة على الولاية راقية من الشرف إلى أعلى مراقيه ، ويتصل بها من ممدها

(77) تصور : صار في ن .

(78) يعظم : لعظم في ن .

(79) فتكون : فكال في ن .

النوراني الشعشعاني ، ويتصل[80] بها العقل الشريف الروحاني ، فيظهر منها العجائب والمعجزات وتبان عنها بوساطة شخصها الآيات البينات ، فيكمل الخلق ويتسق النظام ، باقتران الإمامة والإمام ، ويقبل على من دونه مفيداً ومعلماً وهادياً إلى ربه ، ولتوحيده تعالى ملهماً مربياً لمن في دعوته من الحدود ، ناظماً لهم ليرتقوا في درجات الصعود ، مفيداً لهم مما اتصل به من وحي الله وعلمه ، مجرياً لهم تحت أمر الله وحكمه ، مخلصاً لهم من عالم الطبيعة ، مرقياً لهم إلى مجاورة عالم اللطافة[81] مسلم الشريفة ، جاذباً لهم بمغناطيس العلم الشريف الروحاني ، مواصلاً لهم ما اتصل به من العمود الشريف النوراني ، مرقياً لهم به ليصعدوا ، معلياً لهم ليفوزوا ويسعدوا ، معيداً لكل حد داني إلى حده الذي يعلق عليه مزلفاً[82] له نحوه صعدا له إليه ، وهو الفاعل فيمن دونه ، المدبر المقدم فيهم المؤخر الملقي فيهم روح (323) الحياة ، المخرج لهم بنور علمه من الظلمات ، المعلي لهم في الإرتقاء في المنازل والدرجات ، السائر بهم على سبيل النجاة ، المخلص لهم من عالم الكثافة ، المرقي لهم بما يواصلهم به إلى عالم اللطافة .

المبشر لكل منهم في أوان نقلته المردد[83] أعماله وعلومه ، فيسري أوان بلوغ نفسه حلقومه ، بظهوره له مع حجته ، ولا تزال الدعوة باسمه ، والدعاة والحدود عاملون برسمه ، حتى يرقى ولده إلى ما ارتقى إليه ، ويستخلصه من دعوته كما استخلصه والده الشريف سلام الله عليه .

فإذا آن أوان نقلته ، وحان حين غيابه ، ورفعته ، سلم إليه المرتبة ، ونص عليه كما نص عليه من قبله وانتجبه ، وذلك بعد أن يكمل فيه اللاهوت باجتماع الصور عند باب أبيه ، وانتهاءها إليه ، ويبرز ناسوتاً شريفاً ، حائزاً للنفوس الريحية التي كملت في العالم الجرماني ، وكان منها ناسوتة البارز ولادة طبيعية من الإمام الناص عليه .

وعند ذلك يرتقي الإمام بمنى في ضمنه إلى ضمن العاشر ، وهو البرزخ[84] المحمود المتكامل فيه النفوس الشريفة إلى اليوم[85] الآخر ، فلا يزال كذلك الترقي

(80) ويتصل : وصل في ن .
(81) اللطافة : اللطيفة في ن .
(82) مزلفاً : مزدلفاً في ن .
(83) المردد : المراود في ن .
(84) البرزخ : الروخ في ن .
(85) اليوم : سقطت في م .

والسمو إلى قيام القائم الذي به الصعود والعلو ، فتجتمع تلك المقامات الشريفة في ضمنه كما اجتمعت مراتب الحدود في هيكل الإمام وتكملت ، فجمع الأنبياء والأوصياء ، والأئمة الذين بهم يرتقي العاشر إلى ما فوقه من الرتب الشريفة والدوائر ، ولا يزال كذلك الصعود والإرتقاء واللحاق بعالم اللطافة والبقاء ، حتى يجتمع جميع الصاعدين إلى النفس الكلية ، ويصيرون في دائرتها اللطيفة العقلية ، وذلك هو الجامع لعقول عالم الطبيعة الصاعدة ، وعقول عالم الإبداع التي إليها واردة ، وهي في حظيرة القدس الكلية ، وجنة المأوى السامية العلية ، فيكون هنالك عز البهاء والضياء ، والغبطة والسناء ، فيما لا يعبر[86] عنه قائل بلسان ، (324) ولا يوصف برمز ولا بيان ، كما قال النبي (صلعم) : إن في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ونقول : إن كل حد فهو يؤم من دونه وهم به يأتمون ، لأنهم يصعدون ويسعدون من قبله بما يعلمون ويعملون ، وهو لمن دونه الإمام ، ومن يعلوه الإمامة ، ومنه تظهر المعجزات الشريفة التي ينال بها كل مسترشد كماله وتمامه ، وقد وضع أولياء الله (ع) من حدود التعاليم لمن يستفيد ويتعلم ، ما صفى في حد التأويل المقام للعالم الجرماني الضامن الرموز والإشارات التي هي من ألطف شرائع الأنبياء (صلعم) ، بعد المعاني الحقيقية ، والصور الشريفة المعنوية ، فكانت حدود التعاليم تلك التي قصرتها الحدود في التأويل ، وصفتها من شوائب الشكوك والأباطيل هي كالناسوت يظهر بها المعملون من أهل التأييد للمتعلمين ، وقد صنعوا بما جمعوا من الصور الحقيقية التي هي الألباب المستخلصة من حقائق علم الدين ، وتلك الصور الشريفة المعنوية ، والحقائق اللطيفة العلمية ، قد اجتمعت عند البلغاء والفضلاء ، المتصلين بالتأييد[87] ، كما اجتمع شريف اللاهوت ، واتحد بها الإمام (ع) مؤيداً لأهل التأييد بما يتصلون بها بتوحيد ذي العزة والجبروت ، وهو الغيب الغائب عن الحدود ، والقاصر عن معرفته كل حد عالي وداني محدود .

وإنما يظهر بلاهوته للعالين في المراتب بصورة الإمامة ، ويدنو بالناسوت للمتعلمين ، إفاضته عليهم من أنعامه ما يستحقون به الفضل والكرامة ، فتلك حجبه ونواسيته التي بها يظهر ، ومنها حجابه للبصائر ينظر ، فظاهرهم إمامة ، وباطنهم غيب لا

---

(86) لا يعبر : عابر في ن .

(87) التأييد : التوليد في م .

يدرك ، والناسوت حجاب ظهروا به للتعليم ليعتقد وبه يتمسك ، ومن يتصل[88] بهذه المعرفة فقد عرف الإمام والإمامة ، واستحق أن يكون من أفضل الفضائل والكرامة ، ووحد الغيب تعالى عن سمات الخلق[89] وارتقى به (325) وبالمعنى[90] على مقره ومستحقه ، وعرف أن مقام العظمة غائب عن الإدراك ، وأن على إدراكه من ظلمات الحجر أفلاك ، ثبتنا الله أيها الأخ وإياك ، ولا جعلنا من أهل الغلو والتقصير ، الواردين موارد الهلاك . والحمد لله على ما به هدانا وأنعم علينا سبحانه وأولانا ، وصلواته على محمد وآله الذين ننال الفوز بولائهم في أخرانا وأولانا .

الباب التاسع عشر : في ذكر الحدود وما يقيم أولياء الله منهم للهداية إلى البقاء ، وحقيقة الوجود . نقول وبالله نستعين وعليه نتوكل ، وبأوليائه عليهم السلام إليه نتوسل ، أن يثبتنا ويجنبنا الخطأ والذلل : إن أولياء الله (ع) قد رتبوا الحدود في دعوتهم مراتباً ، وجعلوا ولائهم على المتصلين بهم واجباً ، وأمر كل محدود أن يلتزم بحده ، ليفوز إذا بلغ في طاعته غاية جهده ، وأمروا أن لا يوضع حد عن مقامه الذي ارتقى إليه ، ولا يرفع عن حده الذي هو فيه ويُعلى عليه ، فمن رفع حداً فوق حده فقد هجاه ، ومن وصفه عن مقامه فقد قصر فيه وخالف مولاه ، فلذلك وجبت معرفة الحدود ، لأنهم الوسيلة إلى المعبود .

وقد قال النبي (صلعم) : من عرف نفسه فقد عرف ربه . أي من عرف حده الذي يستمد منه ويتنفس بعلمه إليه انتهى ذلك إلى معرفة حدهما العالي عليهما ، فعرف ربه من قبله ، وفاز بمعرفته في قوله وعمله ، فانتهى ذلك بمعرفة الحدود الجسمانية إلى معرفة الحدود الروحانية ، وبمعرفة إمام الزمان إلى معرفة مبدع المبدعات ، المتعالي عن الصفات المتوحد[91] بالفردانية ، لأن ترتيب الإمام (ع) حدوده على مثال أمر الله الفائض إلى العقول الشريفة الروحانية المجردة عن الطين الجسدانية ، وتفاضلها على قدر ترتيبها في قبول الأمر ، وعلوها بما اتصل بها من مبدعها في القدر .

وقد (326) قالت الحكماء : إن العقول من حيث[92] لطافتها وعلوها ، وسموها

---

(88) ومن يتصل : واصل في ن .

(89) الخلق : خلف في ن .

(90) وبالمعنى : سقطت في م .

(91) المتوحد : الواحد في م .

(92) حيث : سقطت في ن .

وفضلها ، وشرفها لا ترتب فيها ، وإنما ترتبت لما قوبلت بالحدود الجسمانية ، وجعلت مماثلة لها في تقاطر رتبها في مراتبها الدينية ، وضربوا مثلاً لذلك كالنبي (صلعم) ونزول الوحي عليه . فإن ذلك الوحي في ذاته غير مرتب بل في هيئة واحدة ، وحالة غير ناقصة ولا زائدة . فلما تكلم بعلمه ، ونطق بما واصله من عالم اللطافة ، معبراً عنه بجوامع كلمة ترتب فيه الناس وتفاضلوا على قدر فهمهم ، وقبولهم وتخلفهم ونقصهم . ألم يكن ذلك على النبي (صلعم) على كل حال واحد ، غير مترتب ، ولا متجسد ، فلما جسده بالكلام ، وأظهره للأنام ، تفاضلوا[93] فيه ، وترتب لديهم . وتفاضل عند اتصاله إليهم ، فدلنا ذلك على أن العالم الروحاني لم يوصف علو الرتب ودنوها ، وصعودها وسموها ، إلاَّ تقريباً للأفهام ، وترتيباً على قدر ما مثلت عليه المعاني ، وعبر عنها بالكلام . فإذاً اللطافة في العلم على حالة واحدة ، وهي عند المتعلمين ناقصة وزائدة . فلما ترتبت الحدود مقابلة مماثلة لعالم الإبداع ، وقامت بالهداية والتعليم في السنن والأوضاع ، كانت إلى العقول اللطيفة مستندة ، وعند الإستمداد منها متجردة ، وحين رجعت لإفادة المتعلمين كثيفة متجسدة ، كما قال سيدنا المؤيد في الدين ، عصمة الموحدين صفي أمير المؤمنين : عقول[94] عالم الطبيعة مستمدون من عقول عالم الإبداع . وإنهم لمتوقد أنوار أسمائه مطارح الشعاع ، وهم مستندون إليهم استملاء عنهم فيما يضعونه[95] من الأوضاع ، ذلك بأنهم مستندون ، وهؤلاء مستندون ، وهم مجردون ، وهؤلاء مجسدون ، وهم مطلقون . وهؤلاء مقيدون ، فريق فاعلون[96] ، وفريق منفعلون ، فريق قابلون ، وجميعهم في رتبة العبودية (327) للمبدع الحق سبحانه حاصلون ، ومن اعتصم بهم فقد اعتصم من الحق سبحانه بأقوى عصمة ، وأصبح والأفلاك موطأ قدمه ، والأفلاك تستملي تسبيحها وتهليلها من فلق فمه .

وقد ورد عن سيدنا حميد الدين حجة العراقين قدس الله روحه في (راحة العقل) من مقابلة الحدود للعقول ، وترتبها كمثلها مثلاً على الممثول ، ما فيه شفاء وجلاء للشكوك ، قال أعلى الله قدسه : وكانت مراتب الحدود المؤثرة في الأنفس ما يفيدها كمالها الذي فيه تمامها وانتقالها إلى درجة العقل ، خروجاً إلى الفعل من حد القوة ، وحصولاً في

---

(93) تفاضلوا : فضلوا في ن .

(94) عقول : مقبول في ن .

(95) يضعونه : وضع في م .

(96) فاعلون : عالون في ن .

حيز البقاء والأزل عن البركة الممنون بها عليهم في عالم الوضع ، الذي هو مجمع السنن الإلهية عشراً ، وجودها كلها عن أول منها ، وكل منها علة قريبة لوجود ما دونها .

ولم يكن بعد العشرة القائمة بالتعليم إلاّ المتعلم القابل لبركة فيضها . كان ذلك عند الموازنة شاهداً لنا بأن الموجود في عالم العقل من العقول المؤثرة فيما دونها هو عشرة ، وجود كل منها ، وكل منها علة قريبة لوجود ما دونها ، بكون هذا النظام في الترتيب تابعاً لنظام ذلك الوجود على ما صورناه فيما تقدم في دائرة الإبداع . وإذا كان ذلك كذلك ، فنقول : إن المراتب العشرة ثلاثة[97] منها كلية ، وسبع منها تابعة . فالثلاث الكلية هي الرسالة التي هي[98] إفاضة البركة بتأسيس قوانين العبادة العملية الظاهرة بالتنزيل والشريعة ، التي هي كثيرة بها تصير الأنفس إلى الوجود ، وتنال الكمال الأول . ثم الوصاية التي هي قبول البركة بكليتها ، والقيام بها بجميع التنزيل ، وتأسيس قوانين العبادة العلمية الباطنة بالتأويل الذي يجمع أشياء كثيرة ، بها تتصور الأنفس بالصور الأبدية ، وتنال كمالها الثاني . ثم الإمامة التي هي الأمر و(328) سياسة الإمامة كافة تجمع أشياء كثيرة بها يتعلق عمارة الحرث والنسل ظاهراً وباطناً ، وجذب الأنفس إلى الوجود ، وبذلك سماهم الله تعالى أولي الأمر ، والسبع التابعة ، هي أولاً فصل الخطاب الذي يتعلق بالباب . وثانياً الحكم في ترتيب المراتب ، وارتضاء الآراء والإعتقادات على موازنة الخلق ، وإظهار تأويل الكتاب الذي يتعلق بالحجة . ولذلك قال الله تعالى اخباراً عن منته على داؤد : ﴿ وأتيناهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ ﴾[99] إذ كان حجة فعلت درجته فنال المنة بالبابية . وثالثاً الإحتجاج بالبرهان في إثبات الحدود العلوية ، ومراتبها في وجود ذواتها ، وتعريف المعاد الذي يتعلق بداعي البلاغ . ورابعاً تعليم العبادة العلمية ونشر[100] التأويل ، وتعريف الحدود العلوية ، الذي يتعلق بالداعي المطلق . وخامساً تعليم مراسم العبادة العملية ، وتعريف الحدود السفلية وأدوارها صغاراً وكباراً ، الذي يتعلق بالداعي المحصور . وسادساً أخذ العهد والميثاق ، وتعريف رسوم الدين ، وآداب الدين الذي يتعلق بالمأذون المطلق . وسابعاً المكاسرة والهداية إلى الحق ، والإعتصام بالحبل[1] الذي يتعلق بالمأذون المحصور .

---

(97) ثلاثة : ثولثة في ن .

(98) هي : سقطت في م .

(99) سورة 38 آية 20 .

(100) ونشر : وشر في ن .

(1) بالحبل : بالجهل في ن .

وأن كل مرتبة من هذه المراتب العشر مالكة لما دونها ، ثم لا تنعكس كالناطق الذي يملك ما دونه من المراتب ، والوصي الذي يملك ما دونه ، ولا يملك ما فوقه . فالأعالي للأسافل كلية ، والأسافل للأعالي جزئية ، وترتيبها الناطق ، الأساس ، الإمام ، الباب ، الحجة ، داعي البلاغ ، الداعي المطلق ، الداعي المحصور ، المأذون المطلق ، المأذون المحصور[2] . المراتب السافلة للأعالي جزئية بمعنى أنها لا تنعكس ولا يستحق التحتاني مرتبة من فوقه . والمراتب العالية كلية كما نقول : كل ناطق ناطق ، وأساس وإمام ، (329) وحجة ، وغير ذلك إلى آخر المراتب . وكذلك كل عالي رتبته على من دونه ولا ينعكس . فيجوز أن يقال كل أساس ناطق ، وكل إمام أساس .

وإنه لما كان الناطق جامعاً للبركة ، محتوياً على مراتبها كلها ، وكان له التنزيل ، والتأويل ، والأمر ، وفصل الخطاب ، والحكم والإبلاغ ، وتعريف الحدود العلوية والسفلية ، وأخذ العهد والهداية ، واختص منها بالتنزيل الجامع للشريعة الذي هو بعض منها ، وأقام الأساس دونه[3] للتأويل ، كان كونه شاهداً في ميزان الديانة ، بأن الإبداع الذي هو المبدع الأول ذو مراتب عشر . يختص منها بالتصوير الذي هو تكوين الصور التي هي أعيان المبادي في الوجود عموماً ، والفلك الأعلى خصوصاً ، ولذلك سماه الله تعالى في كتابه المصور ، وأن يترتب عنه دونه بالإنبعاث ثانياً . وكان كون الأساس جامعاً للمراتب واختصاصه منها بالتأويل الذي هو بعض منها ، وأقام الإمام دونه شاهداً بأن الموجود الثاني الذي ترتب دون الأول بالإنبعاث ، مالك للمراتب . ويختص منها بالبراء الذي هو إعطاء ما حصل في الوجود من الصور أليق شيء به على ما يوجبه نظم الحكمة عموماً ، والفلك الثاني خصوصاً ، ولذلك سماه الله تعالى الباري ، وأن يترتب عنه دونه غيره ثالثاً .

وكان الإمام جامعاً للمراتب ويختص منها بالخلق الذي هو التركيب عموماً ، والفلك الثالث خصوصاً ، ولذلك سماه الله تعالى في كتابه الخالق . فجمع المراتب الثلاث في آية واحدة ونسبها إلى الأول فقال : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾[4] أي له المراتب التي دون ذلك ،وأن يترتب دونه الإنبعاث غيره رابعاً ، وكان كون الباب جامعاً لما دونه واختصاصه من مراتب البركة بفصل الخطاب

(2) المحصور : الحصار في ن .

(3) دونه : كونه في ن .

(4) سورة 59 آية 24 .

الذي هو بعض منها وإقامة من دونه الحجة شاهداً بأن المرتب الرابع الذي هو دون الثالث الجامع للمراتب دونه ، ويختص منها ببعض ما به يوجد (330) الموجودات في دار الجسم عموماً ، وبالفلك الرابع خصوصاً ، وأن يترتب عنه دونه بالإنبعاث غيره خامساً ، وكان كون الحجة جامعاً للمراتب التي دونه ، واختصاصه منها بالحكم الذي هو بعض البركة وإقامته دونه داعي البلاغ شاهداً بأن الموجود الخامس المترتب دون الرابع له المراتب التي دونه ، ويختص منها ببعض ما يوجد به المواليد في دار الجسم عموماً ، وبالفلك الخامس خصوصاً .

وأن يترتب عنه دونه بالإنبعاث وغيره سادساً ، كان كون الداعي قائماً بالبلاغ ودونه غيره مترتب شاهداً بأن الموجود السادس المترتب دون الخامس له المراتب التي دونه ، ويختص منها ببعض ما يوجد المواليد في دار الجسم عموماً ، وبالفلك السادس خصوصاً ، وأنه يترتب عنه دونه بالإنبعاث غيره سابعاً ، وكان كون الباقين من الحدود على ذلك واختصاصهم بما قد اختصوا به ، وترتب[5] من يقوم دون كل منهم إلى العاشر بحسب المذكور في كيفية الإنبعاث من وجود الموجودات شاهداً بأن يترتب عن كل واحد غيره دونه ، ويختص سياه إلى العاشر الذي صار تماماً لعالم الإنبعاث وتأثيره مختص بما دون فلك القمر من الأجسام المستحيلة ، والمتولدة على ما عليه حال الحد العاشر الذي هو المكاسر في تأثيره[6] في الأنفس واختصاص فعله بجذبها إلى طريق الحق . فجعل سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه الموجود الأول الذي هو المبدع الأول يختص بتدبير الفلك الأعلى ، ويقابله الناطق ، وله رتبة التنزيل ، والموجود الثاني هو المنبعث الأول ، وفعله في الفلك الثاني ، ويقابله الأساس ثاني المراتب الدينية وله رتبة التأويل .

والموجود الثالث من العقول المنبعثة في عالم اللطافة له الفلك الثالث فلك زحل ، ويقابله الإمام ثالث المراتب وله رتبة الأمر ، والموجود الرابع في عالم العقل له الفلك (331) الرابع فلك المشتري ويقابله الباب رابع المراتب ، وله رتبة فصل[7] الخطاب الذي هو الملك ، والموجود الخامس من العقول له فلك المريخ الذي هو خامس الأفلاك ، ويقابله الحجة خامس الحدود وله رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً .

والموجود السادس من العقول له تدبير فلك الشمس الذي هو سادس الأفلاك ،

---

(5) وترتب : ورتب في ن .

(6) تأثيره : تأسيره في ن .

(7) فصل : وصل في م .

ويقابله داعي البلاغ سادس المراتب ، وله الإحتجاج وتعريف المعاد . والموجود السابع من العقول له الفلك[8] السابع الذي هو فلك الزهرة ، ويقابله الداعي المطلق سابع الرتب ، وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنة ، والثامن من العقول له فلك عطارد ثامن الأفلاك ويقابله الداعي المحدود ثامن الرتب ، ولرتبته تعريف الحدود السفلية ، والعبادة الظاهرة . والموجود التاسع في عالم العقل له الفلك التاسع فلك القمر ، ويقابله المأذون المطلق تاسع الرتب ، ورتبته أخذ العهد والميثاق . والموجود العاشر في عالم العقل له ما دون[9] فلك القمر من الطبائع ، وتلك المرتبة العاشرة من الفلك الأعلى ، ويقابله المأذون المحدود عاشر الرتب ، وهو المكاسر ورتبته جر الأنفس المستجيبة .

فهذا ترتيب الحدود ومقابلتها للعالم الأعلى الذي هو عالم العقل المدبر لما دونه في الوجود ، ثم بيان تدبير العقول لعالم الأفلاك كتدبير الحدود في الدعوة لمن دونهم من أهل الإستيثاق بأسباب الهدى والإستمساك . وكانت مراتب العقول وترتب ما دونها فيما تدبره هو للعقل الأول وما دونه الفعل منسوب إليه ، فيما يؤيد به كل عقل لطيف ويقدره . وكانت كذلك المراتب[10] كلها للنبي في عصره ، والوصي في وقته ، والإمام في زمانه ، التي هي المراتب الكلية ، وكل فعل فعلته الحدود أو قامت به في الإفادة ، والتعليم ، وأخذ العهود ، فذلك منسوب إلى النبي ، والوصي ، والإمام ، وبهم (332) اتسقت الخلقة الدينية ، وكان لها الكمال والتمام ، فهم لمن دونهم بأمر ممدهم[11] الذي هو الإمام (ع) مدبرون ، وعن أمره موردون ، ومصدرون . وهو المبين لما كان في عالم العقل والممثل له للحدود القائمين بالدين والشرع بحسب ما لهم من الفضل ، فإذا هو مجمع العالمين ، ومركز الأمرين . فمركز العالم العلوي بكونه الجامع لخيراته وفضائله ، والممد بلطافته الراجي[12] ذلك باستحقاقه[13] وأمله ، ومجمع عالم الدين بكون ما صدر عنه من المادة الشريفة الروحانية في عالم العقل متصل من عالم الدين بأهل الرتب الشريفة ، والفصل .

---

(8) الفلك : الأفلاك في ن .

(9) دون : سقطت في ن .

(10) المراتب : الرتب في ن .

(11) ممدهم : موادهم في م .

(12) الراجي : رواجي في ن .

(13) باستحقاقه : أحقه في ن .

وكل نبي قام من النطقاء (صلعم) فقيامه بأمر صاحب وقته ، كما كان هنيد هو المقيم لآدم ، ونوح مقيمه لامنح ، ولد إدريس المسمى هرمس (ع) ، وصالح هو المقيم لإبراهيم ، وعدنان المقيم لموسى ، وخزيمة المقيم لعيسى ، وأبو طالب المقيم لمحمد صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الداعي سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه بعد القول الذي قدمنا في هذا الباب ذكره : وقد يوجب ميزان الديانة ميزاناً آخر هو يؤيد ما قلناه ، وهو أن يجعل مقام الحدود دون الوصي والأئمة السبعة في الدور ليكون كل منهم في عالم الدين بإزاء عقل موجود في عالم الإبداع ، فيكون عاشرهم القائم الذي يتمم[14] الدور . ويقوم بنفسه في مرتبته يحكم في الأنفس كلها ، ويملك عالم الطبيعة ، ويحكم فيها ، ويكون هو الذي لا يترتب بعده مرتبة أخرى ، لكونه النهاية الثانية . إلى قوله : فقد بان بذلك أن العاشر من الحدود السفلية لكونه نهاية لذوي المراتب التي عنها وبجميعها تكون المواليد الروحانية ، يترتب دونه مرتبة وليس له إلّا العناية بالأنفس في دار الطبيعة وجذبها إلى بيت العبادة لترتقي في الدرجات +، وظهر[15] بكون ذلك أن العاشر من الموجودات في (333) عالم العقل هو نهاية العقول المنبعثة الصادرة عنها القوى في الأجسام لتكون عنها المواليد الجسمانية ، ولكونه نهاية وقف الإنبعاث عنده ، وأنه ليس له إلّا العناية بعالم الكون والفساد ، ومواصلة ما يتهيأ منه للقبول ومرافدته كالعاشر من الحدود السفلية ، الذي ليس له إلّا العناية بالأنفس ، وجذبها إلى العبادة والطاعة .

ثم نقول : أنه معلوم من المقدمات أنها إذا كانت مثل شيء ، وذلك الشيء مثل شيء آخر ، فذلك الشيء الآخر ، مثل المقدمات . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان نظام ترتيب الحدود السفلية في عالم الدين مثل النظام الموجود في ترتيب الأجسام العالية . وكان نظام الأجسام العالية بكونه معلولاً عن عالم الإبداع نسباً[16] لنظام الموجود فيه ومثلاً ، كان الموجود من الحدود السفلية مثل الموجود من العقول العلوية في عالم الإبداع والإنبعاث مثلاً بمثل ، وثبت بما أوردناه أن الموجود عن الإبداع الذي هو المبدع الأول من العقول في دار الإبداع ، مثل الموجود من الحدود في عالم الدين لم يغادر منه شيئاً ما ترى

---

(14) يتمم : يتامم في م .

(15) وظهر : سقطت في ن .

(16) نسباً : سقطت في ن .

في خلق الرحمن من تفاوت[17] ، وهي الحروف العلوية الفاعلة ملائكة مقربون ، سارية أنوارهم في عالم الجسم ، بتدبير المتعالي سبحانه ، فسبحان من تدبيره هذا التدبير ، ونظمه هذا النظم ، ولا إله إلاّ هو ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

استغفر الله وأتوب إليه ، واستعين به ، وبوليه في أرضه إنه خير مستعان ، فوضت أموري كلها إلى الله ، وتوكلت عليه ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ونعم الوكيل .

وقد ذكر سيدنا جعفر بن منصور أعلى الله قدسه في كتاب (تأويل الزكاة) مراتب الحدود وجعلهم ثمانية أضاف . وأن قسمة الجاري بينهم فكل منهم يأخذ بقدر حده ومبلغ استحقاقه ، فقال في ذلك : وجميع الحدود (334) هم صدقات بعضهم على بعض . أي كل حد منهم يصدق الحد الذي فوقه ، ويدل على الحد الذي دونه ، لأن كل حد يستفيد ممن هو فوقه ، ويفيد من هو دونه بعضهم لبعض ، لإقامة الطاعة لولي الأمر ، وصاحب العصر . قال الله جلّ من قائل : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ للفُقراء والمسَاكِين والعَامِلينَ عَلَيها والمُؤَلَّفَةِ قلُوبُهُمْ وفي الرِّقَابِ والغَارِمينَ وَفي سَبيلِ اللّهِ وابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ آللّهِ ﴾[18] فالصدقات هم الحدود كلها التي أقامتها النطقاء في أزمانهم ، والأسس في أعصارهم ، والأئمة في أوقاتهم لأن الفقراء هم النطقاء ، وذلك لأنه ما في العالم بأسره من يستفيدون منه ، ولا من يحتاجون إليه ، لأن موادهم من الجاري ، والعالم مفتقرون إليهم ومحتاجون ، لا غنى لهم عنهم ، يقول الله جلّ من قائل لنبيه محمد (صلعم) : ﴿ ألم يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴾[19] يعني أنه كان أوحد زمانه وعصره ليس فيهم من دعا[20] إلى الله وقام بحقوقه إلاّ هو . فمثّله باليتيم الذي لا عشيرة له ولا أهل ، فأوى إليه من أطاعه وسمع دعائه ، وأجاب نداءه ، ودخل في جملته ، وآمن به ، فكثرة الله بهم بعد القلة ، وأعزهم به بعد الذلة ، وأواهم إليه بعد الحيرة ، ونصره بهم بعد الغلبة . ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فهدَى ﴾[19] . يعني في أُمة لا يعرفون ولا يقرون به ، فهو فيهم كالضالة التي ليس لها من يأويها ، ولا من يسكن إليه ، لأنه[21] كان على ضلالة من أمره ، فهدى الله به عبادة المؤمنين . ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأغنَى ﴾[19] . عنى به

---

(17) تفاوت : توالدت في ن .

(18) سورة 9 آية 60 .

(19) سورة 93 آية 6 ، 7 ، 8 .

(20) دعا : دواعي في ن .

(21) لأنه : سقطت في م .

أنه كان ثقيلاً ظهر بما حمل من أعباء الأمة ومن إقامة الشريعة، وما ندب إليه من تبليغ رسالة ربه فأغناه الله بالجاري وأمده بالتأييد، وشد أزره بالوصي ليبلغ عنه التأويل. ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾[22] أمر أمره الله عزّ وجل به أن لا يستر عن أمته ما أمر بتبليغه من تعريفه إياهم بمنزلة الإمامة، ومعرفة الإمام الذي (335) هو يتيم في عصره لا نظير له في العالم ولا شبيه، فيقهره، أي يكتمه. ﴿وَأما السَّائِلَ فلا تَنْهَر﴾[23] فالسائل اسم للوصي، فأمره أن لا يخفي عن الأمة أمره، ولا يتأخر عن نصبه وإقامته. ﴿وَأَمَّا بنعمةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[24]. فالنعمة التي أمره الله أن يحدث بها، هي نصب علي له وصياً، وإقامته له أساساً وخليفة، وإيجاب ولايته وطاعته.

فهذا حد الفقراء قد أثبتناه، وأما حد المساكين وهم الأسس، وأفضلهم، وأشرفهم، وأعلاهم، منزلة، أساس الرسول، ووصيه علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، ففضله على سائر الأسس كفضل رسول الله على سائر الرسل، وإنما وقع عليهم اسم المسكين لأن كل العالم إليهم يسكنون، وعندهم يأوون، عنهم يسألون[25] فهم كهوف من لجأ إليهم، ومعقل من سكن إليهم، فلهم إقامة حدود الدعوة التأويلية، وبسط العلوم الباطنية، وإحياء الشريعة الظاهرية، على ما شرعها الرسول، والعاملين عليها حجج الأئمة الذين يقيسون دعوة التأويل، ويقيمون دعاة المفاتحة[26]، لأولاد الدعوة والمستجيبين ببيان التأويل، وباطن التنزيل.

﴿وَمَن لا يُجِبْ داعي اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ في الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾[27] الآية. والمؤلفة قلوبهم هم الذين تألفوا على طاعة الله بولاية أوليائه الأئمة الطاهرين. قال سبحانه لنبيه محمد (صلعم): ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا في الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[28].

وقد تقدم ذكر الله الفقراء، وأنهم النطقاء، الذين افتقروا إلى ما يجري إليهم من

---

(22) سورة 93 آية 9 .

(23) سورة 93 آية 10 .

(24) سورة 93 آية 11 .

(25) يسألون : يتسألون في ن .

(26) دعاة المفاتحة : دعوة الفاتحة في م .

(27) سورة 46 آية 32 .

(28) سورة 8 آية 63 .

الحدود العلوية ، بوساطة المسمى بالأمين . يقول الله سبحانه : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾[29] يا محمد . يعني بقلبه أساسه ﴿ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِين ﴾[30] أي تنذر قومك بنصبك أساسك . فقد انقطعوا إلى الأصلين من الحدود العلوية ، قال الله جل اسمه في قصة إبراهيم (ع) : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إبراهِيمَ خَلِيلاً ﴾[31] أي فقيراً ، أفقره إلى التأويل . وقال في قصة (336) محمد (صلعم) : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبتِيلاً ﴾[32] أمره بالانقطاع إليه من الحدود الجسمانية .

ومنه قول الصادق جعفر بن محمد (ع) : اتخذ الله إبراهيم نبياً ، بعد أن اتخذه عبداً ، ثم اتخذه رسولاً بعد أن اتخذه نبياً ، اصطفاه خليلاً بعد الرسالة ثم قال له : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾[33] . يعني أنه أقامه في اللواحق بعد أن كان في حد المستجيبين ، ثم في حد الأتماء ، ثم في حد النطقاء ، ثم أمره بتأليف الشريعة ليأتم الناس كلهم به في دوره . فالمسكين هم الأسس فهم النهاية في التأويل الذي يسكن إليه أهل الدعوة ، وتطمئن به قلوبهم ، ويأوي المستجيب لدعوتهم إذ بهم تمام الدين كله وكماله ، فما تمت لرسول شريعته ، ولا كمل له دين إلاّ حتى أقام وصيه ، ونصبه ، ودعا إليه ، فكمل أمره به ودعوته ، كما نص الكتاب في قصة موسى (ع) قوله لما بعثه الله رسولاً سأل الله أن يشد أزره ، ويشرح صدره ، ويسير أمره ، بقوله : ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُواْ قَوْلِي * وَٱجْعَل لِي وَزِيراً مِّن أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[34] . وكذلك قال رسول الله (صلعم) : وأنا أقول كما قال أخي موسى : رب اجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي ، أشدد به أزري ، وأشركه في أمري . فالأسس متموا أمر النطقاء ، ومساكين الأولياء ، والعاملين عليها هم في الظاهر عمال الصدقة الذين يتولون قبض ما استحق منها ، وهم الأتماء لأن الأساسين ، أعني الناطق ووصيه (ع) ألفا الشريعة ظاهراً وباطناً ، وبينا الحدود في الدعوة بالتنزيل والتأويل ، ثم فوض[35] الأمر فيهما من بعدهما

(29) سورة 26 آية 193 ، 194 .

(30) سورة 26 آية 194 .

(31) سورة 4 آية 125 .

(32) سورة 73 آية 8 .

(33) سورة 2 آية 124 .

(34) سورة 20 آية من 25 إلى 32 .

(35) فوض : قوض في ن .

إلى الأئمة من ولدهما . وهم الأئمة الطيبون صلوات الله عليهم ، فهم العاملون بالشريعة ، والقيمون ومبينو تأويلها وباطنها في عصر كل إمام وزمانه إلى انقضاء أمر الدور ، وأخر (337) الأعصار يتعاقبون واحد بعد واحد ، خلف عن سلف . وإنما نسبوا إلى العمل بها لأنهم ورثة الأساس والناطق وعلومهما فهم يعملون باعمالهما ، ويقتفون أثارهما ، ويحيون أمرهما ، ويثبتون مقامهما ، والمؤلفة قلوبهم هم اللواحق . لأن الله عزَّ وجل ألف بين قلوبهم بما قسم لهم من الجاري ، فأتلفوا ، واتفقوا على إقامة الدعوة بالبيان ، وتمحص التأويل ، وإقامة البرهان . فأراد بقوله سبحانه : ﴿ لو أنفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾[36] . يعني أنه لو فاتحهم بجميع البيان والتأويل الذي قام به الوصي لأهل الدعوة وهو ممثول الأرض ، ولم يكن لواحد منهم حظ من الجاري لما ائتلفوا ، ولا اتفقوا ، بل كانوا مختلفين مفتونين ينافس بعضهم بعضاً ، لكن الله ألف بينهم بأن وفر على كل واحد منهم حظه من الجاري ، فأتلفوا قلوبهم بعد الإفتراق ، واتفقوا بعد الإختلاف ، لما علموا من أمر ملكوت السموات ، فاشهدوا من البينات الواضحات ، والآيات بقول الله جل اسمه : ﴿ سَنُرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[37] وفي الرقاب يعني به الأجنحة لأنهم اقيموا التربية المستجيبين فهم يتناولون[38] العهد في رقابهم ، ويأخذونه على من استجاب لهم ، والغارمين على كل مأذون مطلق للمكاسرة لأنه يتولى تربية من لم يلده ، ولا عهده فيكف مؤنته بالمفاتحة له ، ويعلمه وينيله مما رزقه الله من العلم والبيان ، وليس ينقصه ذلك بل يزيده ، لأن نفقة العلم تزكو ، وتزيد مضار ذلك له غرماً يغرمه . أي يفاتح به من يعلمه ويربي به من يتولى تربية ، وفي سبيل الله هو المأذون المكاسر المحدود ، دون المطلق الذي لا يجاوز حده الذي له لأنه سبيل الله من لا يصل إلى الجناح ، ولا إلى المأذون (338) المطلق . فمنها يقتبس ما يهدي به إلى سبيل الله من أسترشده من الحكمة ، والموعظة الحسنة ، وابن السبيل على المستجيب ، لأنه دون المأذون المكاسر في الحال والمنزلة ، وهو بمنزلة الابن ، وهو آخر هؤلاء الحدود .

فهؤلاء الحدود الثمانية كل ينال ممن فوقه بحدود الإستفادة ، ويتصدق على من دونه بحد التعليم والإفادة ، ما خلا المستجيب فإنه مقر[39] البيان ، ومستقر الإستفادة ،

---

(36) سورة 8 آية 63 .

(37) سورة 41 آية 53 .

(38) يتناولون : تنولون في ن .

(39) مقر : قرار في ن .

يستفيد ممن هو فوقه ممن أذن له بالإفادة والمفاتحة ، ولا يفيد أحداً لأنه غير مأذون له في ذلك ، ولا هو مطلق[40] له ، فهو محرم لأن المحرم لا يجوز له المجامعة ، وهو في حال إحرامه ، ولا الصيد فإذا أحل جاز له أكل الصيد واقتناصه ، ومجامعة النساء . كذا المحرم يحرم عليه المفاتحة ، والمكاسرة ، حتى يحل ، يعني حتى يطلق له ذلك ويؤذن له فيه . وكذلك يجب أن يصدق بعض هذه الحدود بعضاً ، ويقر بعضهم لبعض بالفضل أدناهم لا علاهم كل واحد هو صدقة ممن فوقه على من هو دونه ، يرون إقامة طاعة بعضهم لبعض فريضة من الله عزّ وجل .

روي عن النبي (صلعم) أنه قال لرجل سأله[41] وهو يقيم الصدقة أن يعطيه منها : إن كنت من الثمانية وإلا فهو داء في البطن ، وصداع في الرأس ، فالثمانية على ما فسرنا على العهود الثمانية الذي تقدم ذكرهم ، والبطن على الدعوة الباطنة ، والداء على الشك في علم الباطن وإنكاره ، والرأس على متم الزمان ، والصداع على إنكاره وجحوده ، ودفع ما جاء به وعنوده . فأراد (صلعم) إن لم يكن من الحدود الثمانية الموصوفين بأخذ الصدقة الموجوبة لهم بنص الكتاب ،وإلا فلاحظ له في البيان ، وهو شاك في الباطن ، منكر له جاحد للمتم الذي هو إمام الزمان وكافر به ، كما قال رسول الله (صلعم) : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية .

وفي رواية أخرى : من مات ولم يعرف إمام زمانه (339) فيأخذ عهده ، لقي الله يوم القيامة[42] أجذم لا يدان له . يعني لا إمام له يأتم به ، ولا حجة . ثم قال أعلى الله قدسه مبيناً لمراتب الحدود وترتيبهم للبقاء الأبدي والوجود ، وفرض الله الزكاة في عشرة أشياء في الذهب ، والفضة ، والإبل ، والبقر ، والغنم ، من الحبوب : الزبيب ، والتمر ، والحنطة ، والشعير ، والأرز . وسائر الحبوب بعد ذلك لا زكاة فيها ، ولا صدقة واجبة ، وذلك دليل على العشرة الحدود الذين بهم قيام الدين ، وتمام أمر الدعوة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[43] .

---

(40) مطلق : طلق في ن .

(41) سأله : سوله في ن .

(42) القيامة : القوامة في ن .

(43) سورة 7 آية 142 .

وكـانت الحدود العشرة تمـام حد النـاطق ، فإذا انضـافت[44] إلى الثلاثـين كملت أربعـين ، وهي نهاية حـد الناطق الـذي ببلوغها ينـال درجة النبـوة والـرسـالـة ، وبلوغ الثلاثين تنال حد الأساسية والوصاية . فكانت العشرة الحدود فرقاً بين حـد الناطق وحـد الأساس ، لأنها حدود باطنة ، وهـم : العقـلان ، والأساسـان ، والفرعـان ، والجناح ، والمـأذون ، والمستجيب . إلى قـولـه : فـاعلم إن هـذه الحـدود العشرة هم معـادن الطهارات ، والـزيادات ، وبعضهم أعـلى من بعض في مراتب الـدين وتقاسيمه ، وهم الذين أعطاهم الله الفضل والزيادة من التأييد ، وطهرهم ، وطهـر بهم وزكى أعمالهم ، فعلوا على جميع الخلق كلهم ، لأنهم أرباب الدين ، وأبوابه ، وحجبه ، ونقبائه . لا يتم لأحد دينه إلّا من جهتهم ومعرفتهم . هذا قوله قدس الله روحه .

وقد يكون الحد الملقب بالمفيد العلم عقلاً ، والحد الذي دونه نفساً وانبعـاثاً لكـونه انبعث مما عقله مفيده ، ومعلمه ، وهاديه ، ومقومه . وكل حد فهو قيامه لمن[45] دونه ، وإمام لمن يليه في فضله ، ويدنو إليه في سامي رتبته ، وعالي علمه .

وقـد قـال بعض الحـدود نضر الله وجـوههم : القيـامـات ثـمان ، أهـل الشريعـة والإستجـابة قيـامتهم المكـاسر ، والمـأذون قيـامـة من دونـه (340) من أهـل الشريعـة والإستجابة . والمكاسر والداعي قيـامة الكـل ، والباب قيـامة من دونـه ، والإمام قيـامة هؤلاء ، والعاشر من الإبتداء قيامة الكل ، وحجة القـائم قيامـة سائـرهم[46] ، والقائم الكل مجمع الكل والوارد بهم ، وهم البرازخ ، فعند ذلك التمام والإنتهـاء ، ويعود كلهـا إلى العاشر .

هذا قوله موضحاً أن كل عالي قيامة لمن دونه ، لأنه إليه مرجعه ، وإليـه صعوده ، وبه تمامه وسعوده ، وإلي ارتقاؤه ، وبه تمامه وانتهـاؤه . وقد قـال النبي (صلعم) : من مات فقد قامت قيامته . والمثل في ذلك حاضر موجود ، وشاهد ومشهود ، لأن المرتقي في مراتب العلوم فنقلته في حدود العلم حداً بعد حد قيامات لـه ، وكل مـا انكشف له معنى فتلك قيامته التي يعلو فيها فضله وقدره ، ويقوم بها أمره ، ويحيا[47] بهـا حياة يـزدلف بها عند ربه .

---

(44) انضافت : فهانت في ن .

(45) لمن : ما من في ن .

(46) سائرهم : سيرهم في ن .

(47) ويحيا : سقطت في ن .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[48] واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه حتى ينتهي إلى معنى المعاني ، فتكون تلك قيامة كلية تجمع ما دونها من حدود العلم المؤسسة المباني . وقد قال بعض الحدود نضر الله وجوههم : الإنبعاثات اثنى عشر : المستجيب ، والمؤمن البالغ ، والمكاسر ، والمأذون ، والداعي ، وداعي البلاغ ، والحجة ، والباب ، والإمام ، وحجة القائم ، والقائم ، والعاشر الذي منه الوصول إلى عالم الإنبعاث وهو الثاني عشر .

وقال : كل سابق حي وما دونه حياة على الترتيب . هذا قوله أعلى الله قدسه . وقد قال الله سبحانه في كتابه الكريم : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾[49] وليس للوجود إلاّ الله جل جلاله الذي يجل أن تسمو إليه الصفات ، أو تتوجه[50] نحوه الإشارات ، أو يعبر عنه بتصاريف اللغات ، خالق الخلق ، باسط الرزق ، والمعنى في الآية المتلوة في الكتاب الكريم خلق الدين الذي انتقل (341) فيه المترقون خلقاً من بعد خلق بمن صورهم وأفادهم وعلمهم ، فخلقهم خلقاً ثانياً للوجود في دار البقاء ومعرفة توحيد الخالق ليستحقوا الصعود والإرتقاء فإذا أحسن الخالقين هو المقام عليه السلام ، غاية الغايات ، ونهاية النهايات الذي كل الخلق دونه . وكل الموجود من عباده بأمر الله يعبدونه ، وهو في العالم كالإبداع المصور الذي خص بهذا الاسم ، لكون صور دار الإبداع من صورته الشريفة ، التي هي كلمة الله العلية ، ومادته السامية القدسية ، وكل دانٍ من الحدود متصل بمن يعلو عليه ، ومتقرب إلى ولي الله ، ومتصل إليه . فإتصال مراتب الحدود دلالة على الواحد المعبود ، وعلى ذلك أخذت المواثيق والعهود أن يتصل داني بعالي ،وأن يكون من معرفة فضله وولايته غير حال ، فإنه إذا اتصل به لم ينفصل عنه ، وكان متصلاً بعلمه الذي استمده منه ، فأداه ذلك إلى معرفة من صدر عنه العلم ، والإتصال بمن هو مبدع الروح ، وخالق الجسم .

وقولنا متصل به لا كاتصال[51] الأجسام ، بل إتصالاً لطيفاً به يوصل إلى الكمال والتمام . وقد قال سيدنا المؤيد في الدين أعلى الله قدسه في (رسالة المعاد) : وان الإتصال بالأئمة من جهة الولاية أفضل من الولادة فهم إذا خالفهم مولودهم ، أو علم

---

(48) سورة 8 آية 24 .

(49) سورة 23 آية 14 .

(50) تتوجه : وجهات في م .

(51) كاتصال : وصال في ن .

أن الله سبحانه جعل لكل شيء سبباً ، ولكل محدود حداً ، ولكـل ظاهـر باطنـاً . وجعل كشفه[52] بأيـدي أوليائـه ، وخزنـة دينه ، وسـتر ذلك من جميـع خلقه ، وأحـوج الخلقة إليهم . وذلك حكمة بالغة ، وخلاص لمن اتبعهم ، وأخذ قولهم وصدقه ، فأنالوا منه في كل زمان قدر ما يحتمل أهله ، وما يحتاج إليه من جميع العلوم ، وكل حـين وأوان ظاهـراً وباطناً على قدر ما يحتمل أهل[53] كل زمان ، والأمر كذلك جاري[54] إلى (342) آخر الزمان ، إلى قيام القائم على ذكره السلام . فإذا إنتهى الأمر وبلغ الكتاب أجله ، يكـون ظهور كل مستور ، وكشف كل محجـوب ، ولا يبقى شيء معسور . كـما قال سبحـانه : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود وهم سالمـون ﴾ ويصير الـدين روحانيـاً ، والجسم جـرمانيـاً ، وتظهـر اللطائف ، ويزول حـد الكثائف ، فـاظهر المعنى قـدس الله روحه . إذ جعل القائم غاية كل الحدود ، وهو الكـور الأعظم ، والأئمـة هم الأدوار كما كـان الإمام هـو الكـور الأعـظم ، والحـدود هم الأدوار ونهايـة الحـدود إليهم سـلام الله عليهم ، وهم الغاية . وكل قائم منهم فهو قيامة لمن قام بـه ، ولمن دونه ، وانهم يـدعون إليه بالسجود ، والطاعة ، والخضوع .

وقال سيدنا المؤيد أيضـاً في الرسـالة المقـدم ذكرهـا :واعلم أن الموت بسبب النقلة عن دار الدنيا التي هي دار الفناء إلى دار الآخرة التي هي دار البقـاء . وتأويـل الموت هـو النقلة من حـال إلى حـال ، ومن درجـة إلى درجـة عـلى قـدر مـا تـوجبـه[55] أعـمالهم وإستحقاقهم ، لأن ليس إنتقال الأنبيـاء ، والأوصياء ، والأئمـة النجباء مثـل انتقال من دونهم من أهل الدرجات ، ولا نقلة الحجج ، والأبواب ، والدعاة ، مثل نقلة من دونهم من المؤمنين . وقد قدم قدس الله روحه إيضاح[56] ذلك في أول هذه الرسالة بقوله : وإن نقلة المؤمنـين والحدود إلى الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمـة ، هم برازخهم . قـال : فإن (سأل سائل)[57] فإلى أين نقلة الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمـة ؟ فيقال : إلى الأصلين الذين هما أصل الأشياء ، وهمـا أصل الأشيـاء كلها ، أي أن الأنبيـاء والأوصياء والأئمـة نقلهم الخنوس عن الأعيان إلى جـوار الرحمـان ، موضـع العقل ، والنفس ، والحـدود ،

(52) كشفه : كشافه في م .

(53) أهل : هلال في ن .

(54) جاري : جرى في ن .

(55) توجبه : يوجهه في ن .

(56) إيضاح : فضاح في م .

(57) سأل سائل : سقطت في ن .

والمؤمنون يخلفونهم في رتبهم ، ولهم أن يسموا بأسمائهم ، ويبلغوا ببلاغهم ، فهذا ترتيب (343) حدود الدين ، وما أطلقه المتكلمون من الفلاسفة الإلهيين في المعاد .

فقد بان بما ذكره الحدود وأوردناه ، أن معاد كل محدود إلى حده ، لأنه كان إبتدأه من عنده ، وهو عالمه اللطيف الروحاني ، وإنما أعني من قبل العلوم اللطيفة ، والأنوار السامية الشريفة ، لا من قبل الأجسام الكثيفة .

وقد أبان سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه معاد النفوس في رسالة المعاد ، بقوله : فنقول وبالله التوفيق : إن نفوس البشر ليست[58] كسائر نفوس[59] الحيوانات ، لأن نفوس الحيوانات لها نفس الحس مجردة دون النفس الناطقة التي بها الفكر ، والتمييز ، والتدبير ، والنظر في سائر الأشياء دنيا وآخرة ، وفي سائر الصناعات ، والعلوم ، والدقائق ، وأن نفوس البشر تحل منها النطفة التي في وقتها أن تكسب صورة جسمية لها ، إلا أنها غير منظورة بحال . وكمثل ذلك النفوس في قوتها أن تقبل صورة مناسبة لجوهرها ، تقوم لدار المعاد بما تناله من العلم والحكمة ، وتجذب الحسية إلى ذاتها ، وتجعل مثلها صافية ، وتمنعها من الكدورات ، وهي مشوقة إليها لورودها عليها ، ومسعدة لقبولها ، فإن ورد عليها من تلك الصورة ما يكسب[60] جوهرها الروحاني من العلوم الملكوتية الجارية على ألسن أولياء الله (ع) التي اكتسبوها عن عالم العقل والنفس ، فقد سعدت ونجت ، وفازت فوزاً عظيماً ، ورجعت إلى ربها راضية ، مرضية ، مطمئنة ، وإنتقلت من حال إلى حال ، ومن درجة إلى درجة ، إلى أن تبلغ غايتها ، وحدها في الكمال الذي قدره الله لها .

فهذه النفس لا سلطان عليها للطبائع ، وإن ورد عليها ما ينافي جوهرها مما وجوده في دار الطبيعة ، وعالم الجسم ، وما يجري هذا المجرى مما يحرص عليه ذوي العقول السخيفة ، والآراء الناقصة ، من الطبائع (344) البهيمية ، وإتباع النفس الحسية (صارت تلك)[61] صورة لها ، وتصير مدبرة لنفس الحس بإتباعها لها . فعند المفارقة يكون نظر الذات إلى ما يلائمها[62] من الملأ الأعلى ، والصورة إلى ما يجانسها من دار

---

(58) ليست : سوت في ن .

(59) نفوس : نفس في م .

(60) يكسب : كاسب في م .

(61) صارت تلك : صاره ذلك في ن .

(62) يلائمها : يلائها في ن .

الدنيا ، وكلاهما عن موقع نظره ممنوع ، وعن ذكره مدفوع ، وما بين المركزين الروحاني والجسماني محصور مأسور ، وإلى أشد العذاب بالصورة الحسية المكتسبة مردود مدحور ، لا مخلص لأحدها من الآخر أبد الدهر ، ولا يقدر أن يجاوز مركزها ، فتشبثه[63] كدورات الدنيا وميلها إلى شهواتها ، ومطاوعتها لنفس الحس يصير في حيز الحسية من الكثافة لا يقدر على بلوغ غايتها ، فتبقى في العذاب السرمد ، إلى قوله : فقد بان بأن نفوس الأبرار والأولياء لا تجتمع مع نفوس الكفار . فهذا قوله قدس الله روحه مبيناً لصعود الناطقة التي إتصلت بها الحقائق ، وهي النطق الإلهي . فإذا إتصل بتلك الحقائق ما يلائمها من عالم اللطافة والحدود المفيدين أصعدتها ، ورقتها ، وأسعدتها ، وبعالم اللطافة علقتها ، فتخلص من الشكوك والشبهات ، وتصعد بلطائفها خارجة عن الموضوعات لاحقة بعالم القدس والبقاء ، مفارقة لعالم الضلالة[64] والشقاء ، وان استمدت ما يتصل بها من الحدود فردته إلى حد الكثافة والتجسيد ، رجوعاً في الحافرة ، وتصوراً لعالم العقل بما يوجد في العالم الحسي من الأشكال المتغابرة ، فتشبثت بكدورات الدنيا الدانية ، وتنقطع عن الحدود الشريفة العالية ، ميلاً إلى الشهوات ، وإتباعاً لنفس الحس للمعقولات ، فتبقى في العذاب السرمد مخلدة فيه ما بقي الأبد ، وذلك لانقطاعها عن الحدود ، وهبوطها من اللطافة العقلية إلى التجسيد . جعلنا الله من المقربين المتصلين ، ولا جعلنا من المبعدين المنفصلين بحق محمد (345) وآله الطاهرين . فالتزم يا أخي بالحدود تتصل بالواحد المعبود ، فقد سأل[65] العملاق اليوناني لمعلمه قسطا بن لوقيا ، وقال له : ألا تعرفني معبودي فلا أقرب إلاّ له ، ولا أفزع إلاّ إليه ؟ فقال : أيها الملك أتعرف من عرفك بنفسك ، وقد كنت لها جاهلاً ، ودلك على منافع حياتك ومضارها ، وقد كنت عنها غافلاً ، وعرفك بما أن امتثلته أنساك الخوف إن أوعدت به ، وأنقذك من الهم واحدث ما فيك ما تطعم عذوبته ، وتحس قوته ، وتستغني به عما ليس منه ؟ فقال : ما عرفت ذلك إلاّ منك . قال : فقد وجدت ربك فأنت من المؤمنين . فقال عملاق : يا معدن نور الغيب ، فما وراء ربي حتى أكون من الفائزين ؟ قال : وراءه من هو له كما هو لك ، واحد لواحد إلى باب من يجتمع له كل واحد دونه ، ويعجز عنه كل عالم عصره ، ويقصر عنه كل أهل زمانه ، ويفتقر إليه جميع أهل عصره ، فذلك رب

---

(63) فتشبثه : سقطت في ن .

(64) الضلالة : الضلة في ن .

(65) سأل : سول في ن .

الأربـاب لذلـك الزمـان ، ومولى[66] لـه في الخلق ، فكان يستمـد[67] من ربه العـلي ، ويسمع من ممده الخفي ، وكذلك بخفيه خفي عمن دونه ، وبعليه على عليه إلى الواحد الأقصى ، رب عـالم الإبتـداء ، روح القـدس الأوفى ، مكـان الحـرارة الأولى ، ألا وهـو العقل الأول ، والموجود الأول ، منه الإبتداء ، وإليه الإنتهاء . فأما ما وراءه ذلك فغيب لا يسمى ، ونعمة لا تحصى . فتفكر يا أخي في أوضاع الحكماء ، وما رمـزت به العلماء . والتزم بما أخـذ عليك من المـواثيق والعهود ، ولا تفـارق طاعـة الحدود ، وأعـرف حدك العلمي ، تعـرف مبدأك ومنتهـاك ، وتعرف إمـامك ، وتتصـل بتوحيـد مبدعـك الـذي أنشأك .

وفقك الله وهداك ، وأصعدك في درجات الفوز وأعلاك . والحمد لله على ما أولاك من معرفة الحدود الذين هم[68] ظهر بهم المعبود ، وثبتنـا على طـاعة أوليـائه الـذين منهم ظهر في خلق الدين الوجود ، وصـلى الله على محمـد رسولـه المخصوص بـالتأييـد ، وعلى وصيه علي بن أبي طالب الذي أيده بأسس الدين (346) والتوحيـد ، وذل به كـل جبار عنيد ، وعلى الأئمة الطاهرين في أبنائهما ، والصفوة[69] المختارين للإرتقاء بعدهما ، على مقام علائهما ، وسلم عليهم أجمعين .

البـاب العشرون : في ذكر القـائم الأكبر سـلام الله على ذكـره ، الذي هـو للأمـة والأنبيـاء صلوات الله عليهم ، وبه الكـمال لعدتهم ، وللتـمام ، وما يكـون على يـديه من الثواب والعقاب ، والصعود في زمرته إلى العالم الروحاني الذي إليه المرجع والمآب .

نقول ومن الله المادة ، ومن بركات أوليائه صلوات الله عليهم الإفادة : إنه لمـا كان لكل شيء غاية ينتهي إليها ، ونهاية يقف لديها ، وكان الإنسـان غايـة المواليـد ، وشرف عليهـا بالنـطق الذي لم يكن فيـما قبله من المـوجـود ، وكـان غـايـة مـراتب الإنسـانيـة ، ونهايتها ، وخلاصتها ، وصفوتها هم أولياء الله الآحاد ، والأفراد ، الذين قامت[70] بهم أسباب المعاد . كـما قال سيـدنا الـداعي المؤيد في الـدين ، عمدة المـوحدين ، أعـلى الله قدسه ، حيث يقول : واعلموا أن الذي يقع عليـه اسم الإنسانيـة بالإطـلاق هو في كـل

---

(66) ومولى : ولي في ن .

(67) يستمد : مدد في م .

(68) الذين هم : سقطت في م .

(69) والصفوة : الصفاء في ن .

(70) قامت : قومت في ن .

زمان فرد واحد في الآفاق كالنبي الذي له عند ربه قدم الصدق ، والحائز في الفضائل كلها قصب السبق ، وكالوصي الذي من بعده مقامه ، ويقيم للدين أعلامه ، وكالأئمة من ذريته ، واحد بعد واحد ، ومولود عقب والد . فكل واحد منهم هو الإنسان المطلق ، والأدمي المحقق ، وكل من قرب إليهم قربة دينه وعلمه ، لا قربة دنياه[71] وجسمه ، فهو أقرب من الإنسانية قرباً ، وأشهد لله ولوليه حباً .

وكان القائم برتبة الإمامة هو مجمع الحدود ، وغاية أهل دعوته ، الواقع على الداخلين فيها حقيقة اسم الوجود ، وكان غاية الأنبياء ، والأوصياء ، ومجمع الأئمة[72] الطاهرين النجباء ، هو قائم القيامة الذي هو كل الأنبياء ، والأئمة ، والأوصياء ، وهم أجزاءه ، وهو الجامع لهم (347) وهم أعضاءه . فكل من قام من أول الثلاثة[73] آلاف السنة التي هي بقية دور الكشف ، ودور آدم (ع) ووصيه ، وأئمة عصره ، ودور نوح ووصيه ، وأئمة عصره ، وإبراهيم ووصيه وأئمة عصره ، المستقرين والمستودعين ، وموسى ووصيه وأئمة عصره ، وعيسى ووصيه وأئمة عصره ، ومحمد ووصيه وأئمة عصره ، صلوات الله عليهم أجمعين . وكلهم مجتمعون في المجمع الشريف القائمي ، وصائرون في لاهوته اللطيف القلمي من أول تلك الأعصار إلى آخر الأدوار . وهو كالألف الجامع لما قبله من الأعداد ، وإليه إنتهاء المائين بعد العشرات والآحاد . والقائمة مع كل جملة شريفة من الأئمة من شيث بن آدم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه الذي هو وصي صاحب الدور السادس ، وهلم جرا إلى آخر أئمة دور محمد (صلعم) ، وهو بالقوة لعلة الموضوعات الشرعية ، وقيام معانيها في قوتها غير مجردة ، ولا حساسة حتى تنتهي[74] الأمور إلى التمام ، ويقوم في إتساقها على القيام والإنتظام[75] . فتنتهي جملة أجزائها إلى كلها ، وتقوم المعاني مجردة من أوضاعها ، مجتمعة مع جنسها وشكلها ، فتكون تلك الزبد الشريفة زبدة واحدة ، ومعنى واحداً إليه المعاني عائدة ، ولا بد من ظهور حجة القائم قبل ظهوره ، وتجليه قبل إنجلاء نوره ، كما يكون طلوع نور الفجر قبل ظهور الشمس ، وكما تظهر الحجة قبل ظهور المعنى لأولي الفطنة والحدس .

---

(71) دنياه : دناه في ن .

(72) الأئمة : سقطت في م .

(73) الثلاثة : ثوالث في ن .

(74) تنتهي : نهاية في ن .

(75) والانتظام : ونظام في م .

وحجة القائم هو آخر مقام من مقامات دور الناطق ، يدعو إليه مبيناً لفضله باللسان الصادق ، وله عنى الله بقوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[76] أي دللنا على القائم بحجته التي هي ليلة ، وماله عند الله من رفيع القدر وعالي الذكر . ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾[77] ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[78] أي أن حجة القائم خير من ألف حجة قاموا لأولياء زمانهم بإنشاء الذكر ، ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾[79] . يعني نزول الملائكة (348) والروح بإذن ربهم هو رجوع أهل المجمع الشريف الذي انتقلوا في أفق العاشر ، ومصيرهم في مجمع القائم المعبر عنه باليوم الآخر ، بإذن ربهم ، وهو العقل الأول الممد لهم بنور تأييده ، والمعلي لهم إلى مقامات العقول عند إرتقاء القائم الجامع لهم ، وصعوده من كل أمر سلام . أي من كل عقل روحاني وما يتصل بهم من الأنعام . ﴿ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾[80] وظهور قائم الأئمة وخاتمهم بما أيد به من الأمر .

وقد عنى بليلة القدر فاطمة البتول بعلة الوصي ، وابنة الرسول ، وهي حجة مولانا علي أمير المؤمنين ، وأم الأئمة الطاهرين ، الصفوة المنتجبين ، صلوات الله عليهم أجمعين . فهي حجة الوصي الذي قدر الله فيه المعاني ، وجعله قائم أولاد إسماعيل الجامع لأهل الاستقرار بلُطفِ المَعَاني ، كما كان القائم الآخر قائم أئمة دور محمد الشريف النوراني . ففاطمة البتول خير من ألف حجة من حجج أئمة الأدوار ، ولها الفضل بتناسل الأئمة الطاهرين منها بحفظ شريعة أبيها ، وإبانة معانيها ، والروح هي المادة السارية إلى كل مقام متصلة به لا ينقطع أمد الليالي والأيام .

وهو الروح الذي قال الله تعالى فيه لنبيه (صلعم) : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[81] . يعني بما أمد به من التأييد الملكوتي ، والنور الذي أنزل معه ، والفضل العظيم أوتي هي من كل أمر سلام ، أي من عقل من العقول الشريفة الروحانية متصل به بالأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة ، وذلك هو الروح الذي هو وحي

(76) سورة 97 آية 1 .

(77) سورة 97 آية 2 .

(78) سورة 97 آية 3 .

(79) سورة 97 آية 4 .

(80) سورة 97 آية 5 .

(81) سورة 42 آية 52 .

الله أمره . وبه الحياة الباقية لمن نفخه الله فيه رفعاً لصيته ، مبيناً لعظيم قدره ، هي حتى مطلع الفجر ، بإتصال الإمامة في ذرية البتول منهم ، إلى طلوع القائم ، وظهور صاحب (349) الحشر . فإذا أكمل حجة القائم الدعوة إليه ، وظهر معلناً بتعريف شريف مقامه ، والدلالة عليه ، برز القائم (ع) بمن جمع من الأنبياء والأئمة الذين عناهم الله تعالى بقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[82] فيبرز تلك المقامات الشريفة الذي قد إجتمعت من أول الأدوار ، ويظهر بما إتصل بها من مبدعها بوساطة العقول المجردة من الأنوار ، متجلية تلك الصورة العالية الشريفة في ناسوت شريف محدود ، قد إجتمع من صفوة أدمغة الفضلاء من الحدود ، كاجتماع نواسيت الإمامة من الريحية ، وذلك هو ناسوت المقام الشريف المشار إليه بالجملة القائمية .

وقد أبان سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه في قوله في المجلس الخامس والستين من المائة الخامسة : قد سمعتم ما قرىء عليكم من بيان قوله سبحانه : ﴿ عَمَّ يتساءَلُونَ * عَنِ النَّبإِ ٱلعظِيمِ * الذي هُمْ فيهِ مُختَلِفُونَ ﴾[83] . ما كثر لأهل الحقائق نفعه ، وحسن من العقول السليمة وقعه ، وأوردنا ما ورد في التفسير الظاهر من ذكر النبأ العظيم ، وأنه هو القيامة الذي يجلس الله تعالى على عرشه لفصل القضاء ، والقيام بثواب المحسنين ، وعقاب المسيئين ، ونقول ما قد قيل : عرفت شيئاً أو غابت عنك أشياء . فإن القائلين بهذا القول قد صدوا عن سواء السبيل ، فاعتقدوا في معبودهم من القيام والقعود ، ما يعتقد في ذوي الأجسام التي لها الجهات الست من فوق وتحت ، ويمين ، وشمال ، وخلف وإمام . والله منزه عن جميع ذلك ، فإن الذي هو بهذه المثابة هو قائم القيامة[84] على ذكره السلام ، المجموعة له قوى الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة ، وأرباب التأييد كلهم ، فيظهر في شخص جسماني موجود محدود .

وقلنا : إن على كل نبي طابعاً من شرف (350) الإيماء إليه لأنهم الأنبياء ، وهو النبأ العظيم فأساميهم مشتقة من اسمه ، ورسومهم منساقة[85] إلى رسمه ، والله تعالى المنزه أن يشبه بخلقه الروحاني والجسماني ، ولكن المخالفين للوضع الديني ، والمضادين

---

(82) سورة 2 آية 210 .

(83) سورة 78 آية 1 ، 2 ، 3 .

(84) القيامة : القامة في ن .

(85) منساقة : ساقوا في م .

للحدود الذين لم يفرقوا بين النفساني والطبيعي ، لما حادوا عن أدلة دينهم ، وأئمة شرعهم ، واختبطوا في الظلماء ، وسلكوا في سبيل القياس والآراء . فلم يفرقوا بين العبد والمعبود ، والرب والمربوب ، وأن من أسبتهم عليه طريق المعرفة إلى الحد الذي هو لا يتميز[86] بين هارون الأمة وبين عجلها المنصوب ، وهما في شرط الوجود حاصلان ، وفي جنس اللحم والدم متجانسان ، فأنا يصح له ما هو محجوب عن الأبصار ، من مراتب الروحانيات العظيات الأقدار ، والفرق أن بينها وبين الطبيعيات التي هي من شوب الأكدار ، والقائم على ذكره السلام هو صاحب المنزلة التي أوردنا ، والمستولي على عرشه لفصل القضاء ، التي كنى عنه بقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾[87] إلى قوله في هذا المجلس : وإذا كانت الصورة ما قدمنا ذكره من حديث صاحب القيامة غنينا عن أن نزيد في القرآن ما ليس فيه ، أو نحذف عنه من أمر المجيء ، والإستواء على العرش ، ما هو فيه .

وقد ورد عن بعض الصادقين (ع) : أن النبأ العظيم الذين هم فيه مختلفون اسم واقع على صاحب القيامة عليهم أفضل السلام حقيقته ،وعلى أمير المؤمنين (ع) مجازه . يعني سيدنا المؤيد بقوله : وعلي أمير المؤمنين مجازه ، أي طريقه . قال قدس الله روحه نسقاً للحديث : وأنه قائم في حد القوة ، وأن صاحب القيامة على ذكره السلام قائم في حد الفعل ، وكذلك قال الله سبحانه : ﴿ الذي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾[88] لوجود الإختلاف في أمرهما على سواء ، فقائل يقول إنه هو الكلمة الز قامت بها السموات والأرض ، وهو (351) كمثل اعتقاد النصارى في المسيح (ع) هو ابن الله ،كذلك يدعي في القائم أنه الأول والآخر الذي قامت به السموات والأرض .

وأهل الحقيقة لا يقولون بذلك ، ولا يعتقدون هذا الكلام موافق لقول المشبهة الذين يصفون خالقهم بصفات ذي الأجسام ، ويقولون إنه يستوي على عرشه ، ويسقي بيده وكمثل ذلك القول في علي (ع) : أنا الأول ، وأنا الآخر ، وأنا الظاهر ، وأنا الباطن ، وأنا بكل شيء عليم . وكنا سقنا في أحد مجالسنا إلى جل هذه الشبهة ، وأن شيئاً من هذه الصفات لا يقتضي دعوى الإلهية التي هم ينسبونها إليه ، وحاشاه أن يقول ما ليس له بحق . فقد ساوت الأقدام في وقوع الخلاف في أمره ، كالإختلاف في أمر (قائم

(86) لا يتميز : سقطت في م .

(87) سورة 89 آية 22 .

(88) سورة 78 آية 3 .

القيامة)[89] ، ثم إنه يعتقد أهل الحقيقة نفي الإلهية عنه ، وأنه وصي رسول الله (صلعم) ، وصاحب بيان شرعه وتأويل كتابه ، وهذا خلاف . وقال منه قائلون إنه رابع ثلاثة ، وهو خلاف آخر . وقال قائل من الخوارج لعنهم الله أنه ليس من الإسلام في شيء ، فقد ثبت وجود الخلاف فيه من وجوه شتى ، وهو النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون . والقائم الذي بشر الأئمة بقيامه ، قائم القيامة ، ثم يقوم الناس لرب العالمين . هذا قوله أعلى الله قدسه مبيناً للقائم الذي هو منتهى الأدوار ، والجامع لمن قبله من الأعصار ، وفي نفي إعتقاد أهل الغلو في أمير المؤمنين عليه السلام ، وأنه النبأ العظيم ، الذي اختلفوا فيه ، وفي القائم من عترته ، وهو اليوم الآخر ، واليوم المعلوم ، واليوم السابع الذي فيه الإستواء على العرش ، لأن الستة الأيام التي خلقت فيها السموات والأرض ، هم النطقاء (ع) ،أهل الشرائع التي ترتبت (352) فيهم مراتب الأئمة ، والحجج ، والقائمين بدين الله ، والفرض والإستواء على العرش هو الإستواء على العلم الحقيقي في اليوم السابع ، وظهور الأمر المكنون الذي دلت عليه النطقاء وأهل الشرائع ، وهو صاحب النفخة الثانية الذي به الحياة ، وبه تمام الشرائع الموضوعات ، كما كان تمام شريعة النبي (صلعم) ، وكمال الدين .

هو النص على علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، هو نفخ الروح في الشريعة المطهرة بقيام قائمها ، ومؤسسها على التقوى وناظمها ، فوقع الخطاب من الله تعالى على لسان رسوله مبيناً بقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾[90] فلم يكمل الدين ويتم إلاّ بالولاية التي لدعوة النبي (صلعم) الختام ، كذلك تمام الأديان والشرائع ، وكمال أمر النطقاء بظهور الصفوة المستخرجة التي هي أول الفكرة فيما أضمره المدبر ، وأقره الصانع[91] فيكون بظهور النفخ الثاني ، وتمام الأدوار ، ورجوعها إلى معنى حقيقة المعاني .

وقد قال سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه في كتاب (راحة العقل) : وأما ما يكون أخراً وهو النفخ الثاني ، المخصوص بالقيامة عند تكامل الأدوار ، وإستكمال قيام العمل بالفعل[92] ، بخروج الأنفس من حضانة التعليم من جهة المؤيدين ، فهو إتصال

---

(89) قائم القيامة : قوام القامة في ن .

(90) سورة 5 آية 3 .

(91) الصانع : الصنائع في ن .

(92) بالفعل : بالأفعال في ن .

بقـوى النهايـة الأولى التي هي المـوجـود الأول ، الإبـداع الأول ، والمنبعث الأول ، بـالإنبعاث الأول المعـرب عنه بـروح القدس ، نهايـة الثاني التي هي تمـام كون الإنسـان المتعلق وجوده بتكامل إتصال قوى النهاية الأولى الأدوار السبعة من جهة المؤيدين المنبعثين الإنبعاث الثاني في دار الطبيعة الذي هو الخلق الجـديد ، والخلق الآخـر الجامـع للأنفس كلياً الحاصلة في الوجود من أول الدهر إلى أخره ، المكتبسة في دنياها المفـارقة أشخـاصها في (353) أزمانها الحاصلة في الجمع لتمام المنتظر لقيامها .

قـال سيدنـا إبراهيم بن الحسين الحـامـدي في هـذا القـول الـذي ذكـره سيـدنـا حميـد الدين : ذكـر الجمع الجـامع للصـور ، وحصول الكـل من أول الأدوار . ثـم قـال سيـدنا حـاتم بن إبراهيم بن الحسـين أعلى الله قـدسه : اعلم بـأن هـذا الفصـل مـا بنى الكتاب من أوله إلى آخره إلاّ عليه . وأن معناه جامعة الحقائق ما بدده سيدنا حميـد الدين أعلى الله قدسه ، ورزقنا شفاعته وأنسه ، في كتابه هذا ، وفي جميـع الكتب قد ألم عليـك صفحاً ، وقد أجمل المعنى فيه ، وجمع ما كان مبدداً في غيره . فافهم ذلك فهماً تزول عنك به الشبهة ، جعلك الله ممن ينتقش في قلبه رموز الحقائق ، وممن فتح عليه مقلقات المعاني الدقائق ، بمنه وجوده .

هذا قولهم رزقنا الله شفاعتهم ، وأفـاض علينا من بـركاتهم . واعلم يـا أخي ثبتنا الله وإيـاك على سـواء المنهـاج والـطريقـة ، وسقـانـا غـدقـاً من عـين مـاء الحقيقـة ، أن القائم (ع) هو الجامع للمتقدمين والمتـأخرين ،كـما قال تعـالى في كتابـه المبين : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالأَخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[93] فيظهر كل إمام لأهـل عصره ، وكل ناطق لأهل دوره ، وكل حد لمن في ضمنه ، فيحاسبوهم على ما قـدموا من الأعـمال ، ويناظـروهم في يوم المـرجع والمآل ، فيبشرون أهل الأعـمال الصـالحـات بمـا يصيرون من الثـواب الأبدي في دار القرار ، ويتلقون أهل الضـدادة والعصيان ، قـائلين إنهم صالو النار ، ويبكتونهم على ما قـدموه من ضـدادة أولياء الله وعـداوتهم ، والإصرار على عصيانهم ومنابذتهم ، وقالوا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصـاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً . فعند ذلك يأمر القائم بـأعداء الـدين فيذبحون ذبحاً كما يذبح البدن وسائر الأنعام يوم الأضحى ، وينزل عليهم (354) نـار من السماء فتحرقهم ، ويسـاق دخانهم إلى حسـام الأرض صائـرين إلى الصخرة التي هي سجين ، لابثين فيها في العذاب المهين ، وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صـالحاً

---

(93) سورة 56 آية 49 ، 50 .

غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ، فذوقوا فما للظالمين من نصير . فيقال لهم ذوقوا ما كنتم تعملون جزاء بما قدمتم في الأيام الخالية ، وأصررتم عليه من عداوة المقامات العالية ، فيطرد[94] تلك الصور الخبيثة التي قد امتلأت من الشكوك والشبهات ، حين ظهور الصورة الحقيقية النورانية بما جمعت من لطائف المقامات . وذبح المخالفين للحق هو استقبال الأولياء بالطعن عليهم عند ذلك والدق ، فيخرج ما في ضمنهم من العلوم التي هي منهم كالدماء ، ويبدو الذي أبطنوه من النفاق عند ظهور علم العلماء ، وتنزل[95] عليهم نار من السماء . أي نزل عليهم من نور سلطان النبوة السامي مقامها ، ما يفرق تلك الأجزاء المجتمعة من ظلمة الشبهات ويحرقها ، ويدمغها ببراهين صاحب الدور والشريعة عليه السلام ويزهقها ، وينتهون[96] عند ذلك إلى دور المخرج لهم إلى أسفل الأرض ، ليستوفوا ما يستحقوه من العذاب الذي إقتضاه لهم المقدور . أعاذنا الله من الزيغ والجحود ، وجعلنا من القائمين بحفظ العهود ، المتصلين بمن ألزمنا طاعتهم من الحدود ، المطيعين لإمام العصر (ع) الحاضر الموجود ، لننجو من التورط في العذاب الأليم والخلود ، ويذبح إبليس اللعين عند قيام القائم (ع) بين الجنة والنار ، إشارة إلى ما يخرج ويبعد عن الشك عند الإنتهاء إلى البيان ، بظهور المعنى المجرد عن الشبهات ، الذي به تزول عن البالغين إليه الذنوب والأوزار ، ويكون دور القائم دور كشف وبيان ، وينشر العلم ، ويظهر في ذلك الأوان ، لصفاء أهل دوره ، وزوال الأضداد عنهم ، وذهاب ما يعتريهم من الشكوك وبعدها منهم ، فيكون الدين (355) لله كله ، ويعلو الحق على الباطل وأهله ، لا ينظرون إلّا تأويله ، يوم يأتي تأويله ، يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ، وذلك عند ظهور التأويل الكلي ، وبيان البرهان الجلي ، يقولون قد جاء ربنا بالحق ، وهذا التأويل الذي خاطبنا به الوحي بلسان الصدق ، فيكون أهل دور القائم في خيرات أزلية ، وبراهين جلية ، وعلوم مشرقة مضية . ويكون أهل دور الكشف من فضلات[97] أجسام أهل دور الستر ، قد صفتها الطبيعة ورقتها ، وخمرتها ، وصيرت لطائفها نفوساً مضيئة شريفة ، جلية قابلة للحكمة ، متصلة بالخير والنعمة ، وما بقي منها أجسام لأهل دور الكشف ، فيكون تنعمهم وفوزهم ، وزوال الأضداد في

---

(94) فيطرد : فطارد في ن .

(95) وتنزل : وتزال في ن .

(96) وينتهون : ونواهون في م .

(97) فضلات : فضلت في ن .

أدوارهم ، ثواب محسوس ، لما نالهم من الإمتحان ، وشملتهم من جوار أهل الضلال والطغيان .

وتكون فضله الداعي داعياً مثله ، وفضله الحجة حجة مثله ، وكذلك فضلات الحدود والمستجيبين مثلهم ، لطفاً من الله تعالى بهم ورحمة لهم . وأما أجسام الأئمة صلوات الله عليهم ، فإنها تتلطف وتتصاعد[98] ، ولا تبقى في قبورها أكثر من ثلاثة أيام ، ثم تصير مادة لقلوب الحدود البلغاء الفضلاء العلماء ، إذ هي من شكلها ، وهي من لطائفها وصفوتها فسبحان من هذا تقديره وتدبيره ، وجل لا إله إلاّ هو نحمده ، ونتوكل عليه ونسأله العصمة ، وأن يحشرنا مع موالينا الأئمة ، ويجمعنا بهم في قرار الفوز والرحمة ، ويجمع السابع صاحب الكشف والظهور ، المبين لكل معنى مستور .

ويدوم دور الكشف خمسين ألف سنة ولا يزال تعاقب الأدوار ، وتوالي الأعصار ، دور ستر يقوم فيه النطقاء بالشرائع ، ويكون صاحب الكشف منهم القائم السابع ، ودور يكون فيه اسمهُ الظهور ، ويبدون ظاهر كل معنى غامض مستور ، فيخلف القائم عند فراقه العالم (356) إرتقائه إلى ضمن العاشر ، ولده الذي يقيمه ، وينص عليه ، ويجعله خليفة له ، كما فعل كل نبي وإمام . يجري بذلك الدهر الداهر ، إلى أن يكون قائم القيامة[99] ونهاية النهايات ، عند إنحلال رباط الأفلاك ، وخراب الأرض والسموات ، فعند ذلك يعتق أهل النار ، وتدركهم رحمة العزيز الجبار ، وتجمع العقول الروحانية ومن صعد من عالم الطبيعة في المجامع العالية الشريفة النورانية ، ويصيرون جميعاً في دائرة المنبعث الأول الذي هو النفس الكلية .

وذلك هو غاية درجات الصعود ، ونهاية ما ترتقي إليه العقول ، والمقامات الشريفة بمن في ضمنهم من الحدود في حظيرة القدس ، ودار القرار ، وجنة الفردوس الجامعة للخيرات ، والنعم الأبدية والسعادات ، لأن العقول المجردة ، والنفوس الشريفة ، لما تعلقت بمعرفة المبادىء الأولى والصورية ، وكان شرف كل عقل بمعرفة ما سبق عليه ، وشرف عقول عالم الطبيعة بالإحاطة بالعقول الشريفة القدسية ، تصاعدت بجميع الرتب ، وإرتقت متعالية إلى الغاية الأزلية بمن هو لارتقائها الأصل والسبب .

وقد أبان ذلك سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه في كتاب (راحة العقل) بما شرح

---

(98) وتتصاعد : وصعود في م .

(99) القيامة : القامة في ن .

سيدنا إبراهيم بن الحسين الحامدي بيانه ، وأوضح برهانه ، وذلك هو قوله : ولما كانت النفس شرفها في نيل كمالها الثاني لما يرد على ذاتها عند التصور من الصور الإلهية التي هي الإحاطة بما سبق عليها في الوجود من أعيان العقول الإبداعية ، والإنبعاثية ، لتصير في ذلك الحد الذي يقوم به ، وبما تصورته عقلاً كعين[100] المتصور لا فرق بينهما ، فيصير بإشراق جوهره ، وإنارة لبه وبصره ، صورة واحدة قد شاعت فيها الفضائل ، فعلقتها إلى المبادىء الأبدية ، وشبهتها بها ، فيصبح عند المفارقة عقلاً محضاً يسيح[1] في فسحة لا (357) تضيق ، ويطير مع الملائكة المقربين في أرض دار الإبداع ، عند استتمام وعد المتبوع للأتباع ، ويحصل في روضة ترتع في زهرتها ،وجنة يتنعم في فنائها ، وجناناً أبدية ، وسعادة سرمدية ، وأنوارا قدسية ، وتنعم هي بالإضافة إلى النعم الطبيعية التي تلتذ بها النفس الحسية ، بالإضافة إلى ما يكون غذاء في أرحام الأمهات للنفس النامية ، مثلاً بمثل . بل ذلك أعلى ، وأشرف ، وأسنى ، وألطف ، ذلك بما أسلفت في الأيام الخالية ، وتزود بالتقوى بالآلة البالية ، ثم يستبشر بما تقدم عليه من الطيبات والنعم والبركات ، في مدينة مبنية هي مأوى من تقدمه من أمثاله المتخلصين السالكين طريق الديانة المتخصصة ، بناها الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة الأبرار ، في ماضي الأعصار ، من أنفسهم بأنفسهم ، تابعيهم[2] أولي الأيدي والأبصار ، لها سبعة[3] أبواب كل باب[4] ينهي إلى قصر من نور ،لها ساحة عظيمة فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة ، فيشتمل على بستان محفوف بالنخيل والرمان والأعناب ، محتوي على كل ما خلقه الله تعالى من الثمار الإلهية ، والملاذ السرمدية ، فيه غرف من فوقها غرف مبنية ، من أنوار القدس فيها وعليها قرار الأنفس ، في كل غرفة إثنا عشر مجلساً في كل مجلس من الملائكة الإنبعاثية ما لا يحصى من النعم والخيرات ، وألحان الملائكة ونغمهم الطيبة الحسنة ، بالتقديس ، والتهليل ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، يشرقها شمس دار الإبداع ، وقمر الإنبعاث ، ثم يستبشر بما يصادفه هناك من إستبشار الملائكة المقربين ، والأنفس المتخلصة من عالم الطبيعة ، بوفوده (358) عليهم ، ومسرتهم بوروده إليهم ، ثم بما

---

(100) كعين : عيون في م .

(1) يسيح : سبوح في ن .

(2) تابعيهم : توابعهم في م .

(3) سبعة : سبقه في ن .

(4) باب : سقطت في ن .

يكـون من جذلـه بما يـرد عليه وعليهم ، فيـما بعد من وفـد عالم الإنبعـاث الثـاني ، ومـا يسعد[5] به في جوار الباري ، والأنبياء ، ومجاورة الأوصياء ، ومصاحبة الأئمة الأطهار ، ومزاوجة الحور العين ، والأنوار أبد الأبدين ، ودهر الداهرين . فيكون مثاله في صورتـه مع تلك الأشياء التي وفد عليها كمن شاهد محبوبه ونال مناه ، وأصاب معشوقه يهتز فرحاً وسروراً وجذلاً وحبورا .

هذا قوله أعلى الله قدسه ، واصفاً للمجمع الأشرف الأعلى الذي هو مجمع النفس الكلية الجامع العقول الروحانية ، ومراتب كل قائم راقية من عالم الـطبيعة بمن في ضمنـه من النفوس الشريفة المجـردة الراقيـة إلى عالم الأزل الصـائرة جميعهـا بمن ضمن الإنبعاث الأول ، ومشيراً أيضاً إلى مجمـع القائم عليـه السلام ، اجتمـع فيه من مقـامات الأنبيـاء والأوصياء والأئمة والتابعين لهم ، ومـا لهم في ذلك المجمـع الشريف من الإنتظام ، ومـا يواصلهم من الخيرات الأبدية ، والنعم[6] السرمدية ، بالتأييدات الملكوتيـة ، في شريـف ذلك المقام .

وقـد يكون ذلـك صفة لـدار الدعـوة التي هي جنة بـالقوة منهـا الوصـول إلى تلك الجنات ، وباستكمال معرفة حدودها تنال البركات ، فالدعوة هي الجنة الدانية التي بنـاها الأنبياء والأوصياء والأئمـة الأبرار في مـاضي الأعصار من أنفسهم بلغتهم ، أولي الأيـدي والأبصار لها سبعة أبواب ، فهم أبواب النطقاء الذين هم[7] أوصياءهم السبعة كـل باب منها ينتهي إلى قصر من نور ، فالقصور هم النطقاء السبعة فيها عين جاريـة يعني بها علم التـأويل الجـاري من الحدود الميـامين ، الـذي هو يسقي مـا ينشـأ من مـواليـد الـدين . والسرر ، والأكواب ، والنمارق ، والـزرابي ، هم حدود النـاطق ، والأساس ، يشتمـل على بستان محفوف ، هو علم الناطق المحتوي على جميع الصور ، فيه غـرف (359) من فوقها غرف ، يعني الحدود الـذين هم[8] المأذونـون المحصورون ، فهم غـرف فوق رتب المستجيبين ، ومن فوقهم رتب المطلقين ،وهي غرف لما دونها .

وفي وجه آخر أيضاً ، فالغـرف هم المقامـات الإماميـة كل منهم عـلى قدر رتبتـه ، وعالي منزلتـه ، لكل واحـد منهم إثني عشر حجة في اثني عشرة جـزيرة في كـل مجلس من

---

(5) ما يسعد : ما يساعد في ن .

(6) والنعم : نواعم في ن .

(7) الذين هم : سقطت في م .

(8) الذين هم : سقطت في م .

الملائكة[9] الإنبعاثية ما لا يحصى ، وقوله : يشرقها شمس دار الإبداع . فشمس الإبداع في عالم الدين هو النبي ، وقمر الإنبعاث هو الوصي بعلومها ، فذلك ينتظم أهل دور كل ناطق ، وإماماً ينتظم هذا القول من الجنة العالية ، فالمدينة المبنية هي المجمع الأعلى الذي هو القائم (ع) ، بناها الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة الأبرار من أنفسهم بأنفسهم ، أي بتواردهم عند المصير بنفوسهم الطاهرة إليه ، فذلك هو العمارة التي كمل بها ذلك المقام الأعظم ، بالتيامها فيه ، واجتماعها بمن تأخر وتقدم ، وأبوابها هم الأئمة المتكررون سبعة بعد سبعة . ينتهي كل باب إلى قصر من نور ، وتلك القصور هي الحدود العالية الروحانية الذين إستملأ النطقاء عنهم ما إستملوه[10] فأفضوه إليهم .

وهذا يقع حقيقة على مجمع النفس الكلية ، وتقع أيضاً على مجمع القائم ، ويقع على مجمع الدعوة الشريفة التي فيها أمثلة هذه المجامع الشريفة المذكورة ، والمقامات العالية[11] القدسية المحبورة له ساحة عظيمة ، فالساحة العظيمة هي السعة التي لا تضيق بما اجتمع فيها من الصور الشريفة العالية ، والعقول الروحانية السامية ، فيها عين جارية هو الوصي (ع) العين العظيمة ، وكذلك الإنبعاث في الحد العالي الشريف اللطيف ، الذي منه تسري المادة إلى سائر الحدود ، وعنه يستمدون ما به ، الحياة الباقية الأبدية ، وحقيقة الوجود ، يشتمل على بستان محفوف ، (360) والبستان المحفوف إمام وهو إمام ناطق ، وعقل شريف إنبعاثي ، والغرف التي فوقها هي مقامات الأئمة والعقول الصاعدة إليها كل (واحد منها)[12] خارج إلى الصعود في النعيم الذي لا يزول ، ويشرقها شمس الإبداع ، وقمر الإنبعاث . يعني نور السابق والتالي ، كما يشتمل في الدعوة نور الإمام والحجة اللذين لهما عند الله المقام العالي ، إثنا عشر المجلس في الدعوة ، وهم أهل الجزائر الإثني عشر . وقد ترقوا إلى مجاورة العقول في زمرة أئمتهم ، وصاروا في المجمع الأعظم الأكبر . والحمد لله رب العالمين على ما علمناه من علم أوليائه ، وأسبغ علينا ظاهراً وباطناً من جزيل[13] نعمائه ، فخلاص النفوس لا يحصل لها إلاّ بالتزامها بالحدود ، وترقيها بمعرفة ما سبق عليها في الصعود ، فترتقي في زمرة حدودها إلى مقامات الأئمة ، وينتهي بهم الصعود إلى المجمع الشريف العالي

(9) الملائكة : الملكة في ن .

(10) إستملوه : ملوه في ن .

(11) العالية : العلوية في م .

(12) واحد منها : سقطت في ن .

(13) جزيل : جزاول في ن .

القائمي ، ولا يزال الإرتقاء والصعود إلى المجمع الأعظم العقلي الإنبعاثي ، فالإلتزام بالحدود هو طاعة الله سبحانه ، وتوحيده ، ومعرفة العالم[14] الروحاني ، وبه البلوغ إلى الوجود والكمال الثاني . كما قال سيدنا حميد الدين ، عمدة الموحدين ، قدس الله روحه : فمنها ما يفيدها تصويراً في ذاتها ، وعقلاً إلى السابق عليها في الوجود ، من المبادىء الإلهية وهي علوم ، وذلك كله سعادات لها يبلغها درجة الكمال الثاني ، فتصبح موجودة بعد أن كانت معدومة ، وباقية بعد أن كانت فانية ، وحية بعد أن كانت ميتة ، ومحضة[15] بعد أن كانت مشوبة .

والذي أوردناه في كتابنا هذا هو من قبيل ما يفيدها التصوير بنقوش عالم الإبداع ، وحقائق الأمور في وجدانها ، ويصلها بما تدوم بدوامه ، ويعطيها الضياء العقلي ، والنور الإلهي ، ويحرسها من الإستحالة والتغاير بإرتفاعها من سلطان الطبيعة ، وإكتسابها (361) صور الملائكة ، ويجري فيها بتصورها إياه وإحاطتها به من القيام بالعقل ، ونيل الأزل ، والسعادة القصوى ، والبركة الأولى ، ما جرى في مبادىء[16] الموجودات الإلهية . إلى قوله أعلى الله قدسه : والإمام الجامع للحدود القائمين بحفظ الشريعة وبسط معالمها ، ونشر أعلامها ، والدعوة إلى العلم ، والعمل بها الذين لمكانهم وتعليمهم وجود الإنسان إنساناً ، الجارين من كمال الإنسان بتأثيرهم فيها تعليماً وهداية وبلوغاً بها درجة الكمال ومنزلة العقول مجرى الملائكة الموكلين بالعالم

بتلك المبادىء الأولى ، وتصير في المقامات الشريفة من حالة إلى حالة منتقلة ، فترتقي في الأسباب ، وتدخل جنة المأوى ، حظيرة القدس في جميع الأبواب ، إذ كل حد عالي فهو لمن دونه قائم ، ونفس كل لمن في ضمنه من الحدود الأكارم[19] ، حتى يكون الإنتهاء إلى باب الإمام ، فيكون نفس الحدود الكلية ، وقائمهم الجامع لهم ، والمتصلون منه بالمقام الذي مقامه مقام الوحدة ، إذ (362) الإنتهاء إلى بابه ، والوقوف عنده ، كما ينتهي جميع النطقاء ، والأوصياء ، والأئمة صلوات الله عليهم ، إلى قائم الأدوار ، وهو لهم نفس ، ودار قرار .

ولا تزال تتصاعد الرتب في مراتب العقول الروحانية ، وكل منهم لمن دونهم نفس كلية ، وغاية الإرتقاء والصعود إلى دائرة الإنبعاث الأول ، والسابق مقامه مقام الوحدة التي لا إنتهاء إليها ، ولا صعود إلى مقامها ، إلاّ على الأجل . كما أنه لا ينتهي أحد في الصعود[20] من الحدود إلى مرتبة الإمام ، وغاية ترافع الرتب إلى الباب ، مجمع الأبواب والأحلام .

وقد أوضح سيدنا المؤيد في الدين أعلى الله قدسه بنقل النفوس من الحدود الدانية إلى الحدود العالية ، وارتقاءها إلى رتبة الكمال لاحقة بالقائم الذي هو النهاية الثانية ، وصعودها إلى مجمع النفس الكلية ، وهي الجنة التي وصفها[21] النبي (صلعم) : أن في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . مبيناً للطافتها بعد ترقيها في مراتب العقول الروحانية التي بأنوار توحيد مبدعها تشعشعت ، فقال أعلى الله قدسه ، ورزقنا شفاعته وأنسه : كما ينتقل المولود الجسماني من السلالة ، إلى[22] النطفة ، إلى العلقة ، إلى المضغة ، إلى العظم ، إلى اللحم ، ثم النشوء الآخر . كذلك تنتقل اللطائف العقلية ، والقوى الروحانية ، درجات ومراحل حتى تكمل صورتها ، وتشاكل صورة أبويها وأصلها ، وهما العقل ، والنفس . فإذا أشبهتهما وشاكلتهما بالغذاء الواصل إليها عنهما ، على لسان الرسول ، والوصي ، والإمام ، في كل عصر وزمان ، قدرت على اللحوق بعالمها ، والبلوغ إلى الموضع الذي بدرت منه ، فتأبدت في أفق الوحدة ، وقدرت على كل خير ونعمة ، وعملت جميع ما في العالمين ، وأدركت خير

---

(19) الأكارم : الكوارم في ن .

(20) الصعود : الخلود في م .

(21) وصفها : صنف في ن .

(22) إلى : سقطت في ن .

الدارين ، ومنازل إرتقائها في سبع قوى ، أولها (363) القوة المعدنية ، والنباتية ، والحيوانية ، والأجسام البشرية ، والجن ، والملائكة ، والأنس بالفعل ، وهم الثواب المشاكلون للأصلين الذين ظهروا عنهما ، وكانت موادهم منهما . ففي أصل الخلقة ، ونشوء الفطرة ، أن الإنسان لا بد له في آخر أمره ، وكمال صورته اللطيفة أن تصير ملكاً ، وكما انتقلت صورة الجسم إلى أن كملت وأشبهت أبويها ، وصلحت للإستخدام ، وقدرت على التصرف في دار الدنيا ، وصورتها غير عالمة ، ولا حية ، ولا عارفة .

وإنما قدرها الله تعالى ودبرها بمواد هذه الآلات التي تصلح لهذه الصورة الفاضلة الشريفة ، التي في طبعها وقوتها أن ترجع[23] إلى صورة أبويها ، العالمين القادرين الفاضلين الحيين ، اللذين هما أصل جميع المخلوقات الجسمانية ، والجرمانية ، النفسانيات ، والروحانيات العقلية ، وما يبلغ[24] المؤمن إلى أغراضه ونهاياته إلا باعتقاده لولي الزمان الذي مرجوعه إليه ، ومعوله في معاده عليه ، لأنه هو الصراط في كل وقت ، وحين ، وأوان ، وهي الدرجة التي يبلغ بها إلى ما لا نهاية ، كما قال النبي (صلعم) : إن في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ومن تخلف عنهم ، وأعرض وإعترض عليهم ، أو ألحد فيهم ، فقد سقط عن الصراط ، وضل ، وهلك ، وصار من حزب الشيطان . فليعلم المرتاد الطالب كيفية خلاصه إلى الآخرة بالأدلة ، كما أن معرفة الشهور بالأهلة ، والمؤمنون مستقرهم حدودهم ، والحدود ترفعهم إلى درجات الآخرة والجنة العالية وتعيدهم ، والحدود هم الدرجات إلى درجات[25] البقاء ، ومصيرهم إليهم . كما قال سبحانه : ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[26] الآية . فمن فارق هذا الجسد لحق بهم متصوراً في صورهم على قدر علمه وعمله واعتقاده ، ومن كان من جوهرهم طاب اغتذاءه ، ورجع إليهم بالمشاكلة ، وعرفهم وعرفوه ، واتصل بهم ، وحصل (364) في زمرتهم ومقرهم ، وعلت درجته على السموات ، ونال درجة عظيمة رفيعة ، إذا قام القائم ، وجرت نفخته[27] ، لأن النفخة نفختان ، فإذا جرت النفخة الأولى في الصور ، صارت الصورة

---

(23) ترجع : وجع في ن .

(24) يبلغ : بالغ في ن .

(25) درجات : الأدراج في م .

(26) سورة 17 آية 71 .

(27) نفخته : نفاحته في ن .

المكتسبة من العلم والعمل بمنزلة الأجساد ، والنفخة الثانية فيها بمنزلة الأرواح . فيكون لا موت ، ولا فناء ، ولا تعب ، ولا تغيير ، ولا نصب ، يرتقون من منزلة جليلة إلى منزلة أجل منها ، إلى أن ينتهي كل إلى منزلته .

هذا قوله أعلى الله قدسه ، ذكر فيه صعود[28] النفس وارتقاءها بما تتصوره من العلوم ، وتحققه من المعاني ، فترتقي في مراتب الحدود بلوغاً إلى الصعود في مقامات العالم الروحاني ، وتلك هي درجات الآخرة والجنة التي تنتهي إليها بعد النفخ في الصور ، واجتماعها في مجمع قائم القيامة[29] صاحب النفخة الثانية ، والظهور . وفي قوله أعلى الله قدسه جلاء لقلوب العارفين ، وتنبيهاً لما تصعد به النفوس في جوار الحدود المخلصين ، فقائم القيامة (ع) ، هو صاحب النفخة الثانية ، وهو من النطقاء كالخلق الآخر من خلقة الجنين ، وكالإمام في الحدود في عالم الدين ، فبه تم تمامهم ، وإتسق نظامهم ، وكمل مجمعهم ، وهو كالولاية من شريعة النبي (صلعم) التي جعلها آخر ما دعا إليه من دعائم الإسلام ، فدلهم فيها على ولاية الإمام ، الذي بطاعته الخروج من مشابهة الإنعام ، والعروج في منازل الملائكة الكرام ، والإنتهاء إلى الكمال والتمام ، فلولا ولاية الولي ، لم تعم الشريعة ، ولا تبلغ الرسالة ، ولم تتضح الدلالة .

وكذلك لولا ظهور القائم وبروز المعنى الكلي الجامع ، لما أتى به النطقاء ، والأسس ، والأئمة ، ولم يكمل خلق الدين ، ويتم توحيد الموحدين ، ويرتقي إلى مراتب العالم الروحاني ، المكنى[30] عنه بعليين . فهو السلطان الذي به النفوذ من أقطار السموات ، والبلوغ إلى المبادىء الأولى (365) ، والنهاية في دار القرار ، ومجمع الأنوار ، ولب المعاني وسر الأسرار ، حيث تضيء شمس الإبداع ، وقمر الإنبعاث ، وتستغني عن الشمس الجرمانية ، والكواكب المرئية ، بإضاءة الشمس الروحانية ، والنجوم العقلية ، وسطوع الأنوار الإلهية في النفوس الكلية ، في الدور الأزلية ، ذات الآلاء البهية[31] ، والنعم السرمدية التي يقف عنها الواصف ، ويقصر عن الإحاطة بها الفطن العارف ، هنالك النور والبهاء ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء .

وناطق دورنا (صلعم) يقوم من المجمع الشريف القائمي مقام الدماغ موضع

---

(28) صعود : صمود في ن .

(29) القيامة : القامة في ن .

(30) المكنى : الكوان في ن .

(31) البهية : البهيمة في م .

العقل ، لكونه (صلعم) رأس النطقاء ، ورئيسهم ، ووصيه (صلعم) كالقلب بيت الحياة ، ومنشأ الروح والأنبياء ، والأولياء ، والأئمة صلوات الله عليهم ، كسائر الأعضاء .

وهذا تمثيل لتقريب المعنى ، وإلاّ فإن ذلك المجمع الشريف[32] نوراني إلهي روحاني لا يقاس بالأجساد ، ولا يوصف بصفات الجسم المحوي بالأبعاد ، والقائم (ع) ، فهو الإنسان الكلي الجامع لصفوة الإنسانية ، وهو النفس الكلية الجامعة للنفوس حتى صارت نفساً شريفة ، لطيفة ، علية مطمئنة[33] ، بثواب الله تعالى راجعة إلى ربها راضية مرضية ، ويكون كل من صعد من المقامات الشريفة الإمامية بمن في ضمنه ماكثاً في البرزخ المحمود ، في ضمن العاشر ، إلى أن يقوم القائم سلام الله عليه . ولذلك قيل : تخففوا تلحقوا ، فإنما ينتظر بأولكم قدوم آخركم . يعني بصعود الذين في رتبة الإستجابة إلى المكاسرين ، وصعود المكاسرين إلى المأذونين ، وإجتماع أهل كل جزيرة عند داعيهم ، ورجوع جميعهم إلى باب إمام زمانهم أولاً فأولاً على تواليهم . ثم يصيرون اللاهوت الشريف الإمامي ، ويتلقون المادة العالية الفائزة للعقول الروحانية ، وهم متصلون بذلك المقام السامي ، فإذا غاب الإمام إنتقل بهم إلى ضمن العاشر ، ووقفوا في ذلك البرزخ[34] العظيم إلى اليوم الآخر .

وقد قال (366) سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه في كتاب (راحة العقل) : والأنفس تعلم حالها عند التفرد والتجرد من مجاورة الأشخاص ، والتخلص من الأفعال التي شغلها وعملها لشخصها خيراً أم شراً ، ومكثها في البرزخ إنما هو ليتم الخلق الجديد ، بتوارد أمثالها من دار الطبيعة ، وإستتمام فعل الحدود فيها تعليماً وتصويراً ، فتكون بحملها مجموعة إلى ميقات[35] يوم القيامة الذي هو تكامل الدور السابع ، وقيام حكم صاحبه في عالم الطبيعة ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لمجمُوعُونَ إلى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[36] . قل أمر من الله تعالى من جهة الملائكة المقربين يريدون ، وعلم أن الأولين والآخرين يقول إن المقتدمين في الأدوار السالفة ،

---

(32) الشريف : سقطت في ن .

(33) مطمئنة : مطامنة في م .

(34) البرزخ : الورزاخ في ن .

(35) ميقات : أوقات في ن .

(36) سورة 56 آية 49 ، 50 .

والمتأخرين من يجيء إلى الكون في الأدوار الباقية ، صغاراً وكباراً لمجموعون .

يقول : ليعلمون من جهة من نؤيده بروحنا الذين يدعونهم بما يجمعهم في العبادة والتوحيد ، إلى نظام واحد يقومون به إلى ميقات يوم معلوم . يقول : إلى صاحب الدور السابع الذي هو اليوم الآخر ، واليوم المعلوم المبشر به فيصير الكل . أعني الأنفس الحاصلة في الوجود كصورة شخص واحد هي منها كالأعضاء الكثيرة التي للشخص ، ولكل نفس صورة في ذاتها ، ويجميع[37] تلك الأنفس تتم تلك الصورة التي هي النشأة الآخرة ، والخلق الجديد . كما أن بتلك الأعضاء كلها[38] يتم الشخص ، وتسري بروح القدس فيها بإنبعاث صاحب الدور السابع ، فيقوى الكل على العبور في مضائق الأجسام ، والحصول في الصفحة الأعلى منها كما يسري روح الحس من مضيق الأحشاء ، وحصول تمامية الدور السابع . وخروج العلم إلى الفعل في أيامه هو السلطان ، والقوة التي لا يمكن النفوذ من أقطار الأجسام إلاّ بها[39] . كما قال الله تعالى : ﴿ يَا مَعشَرَ الجِنّ وَٱلإِنسِ إِنِ ٱستَطَعتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمواتِ وَالارضِ فَٱنفُذُواْ لَا (367) تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلطَانٍ ﴾[40] أي يا أهل المعارف ، والقائمين بالعبادة ظاهراً وباطناً ، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات . يقول : إن أمكنكم أن تفارقوا الأجسام فانفذوا . يقول : لا تفارقونها إلاّ بقوة مكتسبة من جهة الحدود ، وبجماعتكم وإنبعاث[41] صاحب الدور السابع ، وقيامه بالفعل . وإنما لا يمكن العبور بافراد النفس وحدانها إلاّ معاً ، ولا النفوذ إلاّ جملة ، لكون الأنفس في وجودها للنشأة الآخرة والخلق الجديد ، جارية مجرى الأعضاء التي بها يكون الشخص الذي هو النشأة الأولى وحاجتها في كمالها إلى أمثالها ،فإنها بافرادها ليست تبلغ كمالها كمالاً كلياً . فتكون محيطة بكون ما شمله الوجود ، وإنما يبلغ من الكمال بعضاً ، فيكون بالكل حصول الكل ، إلى قوله أعلى الله قدسه : ولما كان كل حد من حدود الله تعالى بدعوته وبعلومه وإفادته ، مجمعاً لمن في دوره ممن يتبعه على أمره ، ويتشوقه على ما جاء به ، كالرأس الذي هو مجمع الحواس ، والأعضاء الكثيرة ، وكالبدن الذي هو مجمع لأعضاء

---

(37) ويجميع : وجمع في م .

(38) كلها : كلاهما في ن .

(39) إلاّ بها : به في ن .

(40) سورة 55 آية 33 .

(41) وإنبعاث : واعاسات في ن ؛

كثيرة ، هي مثل ما في الرّأس ، كاليدين والرجلين إلاّ في كل منهما من الأعضاء ما في الآخرة ، ويجمعها الشخص ، شخص واحد .

ولعل ذلك تفسير لما في صدر الكتاب من بشارة من يقرأ الكتاب من طريق الديانة ،ولذلك جاء عن موالينا (ع) أن المرء يحشر مع من أحبه ، وعن النبي (صلعم) أن في[42] يوم القيامة يجيء صاحب كل دور بمن في دوره ، ممن إتبعه على أمره من الوصي ، والأئمة ، والدعاة ، والتابعين بإحسان . ولذلك قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[43] . يقول صاحب الدور السابع الذي هو يوم من أيام الله تعالى نقيمه ونؤيده ، وندعو كل تابع بمتبوعه للحساب ، والسؤال عما قام به من أوامر الله ، إلى قوله قدس الله روحه : فالكل صائر إلى البرزخ ماكث إلى يوم البعث . وهو من عالم الكبير الأقرب ، إلى عالم القدس الذي هو (368) خارجه ، كما أن الرحم الذي هو مقر الجنين إلى أن يتم خلقة أقرب العوالم من عالم الصغير إلى عالم الكبير ، الذي هو خارجه .

ثم قال قدس الله روحه . نافياً لقول أهل التناسخ ، ولا تعلق للأنفس بجثة أخرى كما بينا في كتابنا المعروف (بتنبيه الهادي والمستهدي)[44] استحالة الأمر فيه مما يقع به العلم ، إن تعلقها وإنتقالها محال باطل . وقد ذكرنا ذلك فيما سبق . فبين أعلى الله قدسه ، أن ذلك على غير ما يعتقده أهل التناسخ الضالين المضلين ، الذين يقولون إن النفوس تنتقل إلى أشخاص أخر ، فتكون مثابة فيها بنعم الدنيا ، ومعاقبة بما تكون فيه من النغص والبؤس[45] والآلام ، نعوذ بالله من الاعتقاد المردي في مهاوي الضلال ، ونسأله أن يقيمنا على محجة الهدى ، المفضية إلى الفوز في المآل ، بحق محمد وآله أهل الفضل والأفضال ، فالنفوس ليست تخرج من أجساد إلى أجساد كما يظن الجاهلون ، بل النفس المثابة إذا خرجت وتجردت عن الجسد إتصلت بعمود النور الساري من عالم اللطافة ، وعلقت[46] به فتصير متصلة به ممازجة لصورة حدها ، مجاورة لنفسه ، إلى أوان إنتقاله ، وصارت الصورة والنفس ممتزجة ، وليس إتصالها إتصال[47] حلول ، بل

---

(42) في : سقطت في ن .

(43) سورة 17 آية 71 .

(44) لدينا نسخة مخطوطة لم تنشر بعد من هذا الكتاب .

(45) البؤس : السواس في ن .

(46) وعلقت : ولاقت في م .

(47) إتصال : وصال في ن .

مقابلة ومماثلة بالمغناطيس العلمي الجاذب لها شوقاً إلى ما يعلوها ، وسوقاً إلى الكمال الذي تصير إليه بارتقائها في درج الصعود مرتقية فيها ، وليست سعادتها ، وفوزها ، ونعيمها ، إلّا بما يواصلها من دار القدس ، وعالم اللطافة المجردة من الشوائب الطبيعية الخالصة[48] من المواد الهيولانية ، فتصير في خيرات تفيض ، وبركات لا تنقص ولا تفيض ، متصلة بكمالها ، مترقية في درج الصعود إلى دار شرفها وجلالها ، فتصير منعمة في دار القدس ، آمنة من الرجوع إلى قناطر عكوس دار الحس ، مترقية في سلم الفضل ودرجاته ، (369) صعداً كائنة من الفائزين المحشورين مع الصعداء ، كلما إرتقت رتبة فتحت لها أبواب الجنان ، وتلقتها الملائكة بالبشرى والرضوان . هنالك لا ينقص نعيمها ، ولا يزول[49] مقيمها ، إلى أن تنتهي إلى المقام الأنور ، والحال الأعظم الأكبر ، في زمرة قائم الأدوار ، ومجمع أهل الإستيداع ، والاستقرار . قائم النطقاء ، والأئمة وخاتمها ، ومن به تمت ، وكملت معالمها ، وإليه أشار سيدنا المؤيد في الدين أعلى الله قدسه بقوله في بعض مناجاته : وأتوسل إليك بالسبت الذي هو الراحة ، وعنده تكون الإستراحة ، البحر الذي تستمد منه الأمطار ، وإليه تنقلب الأودية والأنهار الكلي الذي فيه الأجزاء تجتمع ، وبه يرتفع من يرتفع ، ويتصنع من يتصنع ، له تحركت المتحركات ، والسواكن سكنت ، وبه المتزمنات تزمنت ، والمتمكنات تمكنت ، فكنى عنه بالسبت ، لأن السبت سابع الأيام ، وبه لعدتها التمام .

وهو سابع النطقاء ، وناسخ شرائعهم الذي يزول في دوره التكليف ، وترتفع الأعمال . وهو المرجع لجميع النطقاء ، والأوصياء ، والأئمة ، وإليه المآل . وقد قيل إن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ، واستراح في اليوم السابع عن الحمل ، واستوى على عرشه فيه ، بعد أن أتم الخلق وأكمل . والمعنى في ذلك أنه أتم سموات[50] الدين الذين هم النطقاء صلوات الله عليهم ، والأرض وصي كل ناطق في سبع شرائع وأكملها[51] كلها بالدور السابع ، دور قائم القيامة عليه الصلاة والسلام ، وجعل دوره دور الإستراحة عن الأعمال . وهو دور المجازاة والثواب على المتقدمة من الأفعال ، والإستواء على العرش ، هو إستواء أمر النطقاء بقيام السابع ، وعرشه ، هو علمه الذي

(48) الخالصة : سقطت في م .

(49) يزول : زاول في ن .

(50) سموات : سمات في ن .

(51) وأكملها : وأوكلها في ن .

أمده الله به وأكمل الدين بسببه .

ولذلك قال سيدنا المؤيد في الدين قس في هذه المناجاة : بالسبت الذي هو الراحة ، وعنده تكون الإستراحة ، بما تستريح فيه من النفوس (370) الشريفة ، بمصيرها في المجامع الروحانية اللطيفة ، في زمرة السابع الذي به تمت الأدوار ، وبلغت الشرائع إلى معناها المتجلي عن[52] الحجب والأستار .

وقد روي عن موسى بن عمران كليم الله صلوات الله عليه ، وعلى جميع أنبيائه ، وأوليائه ، أنه قال لأهل ملته : ما دامت السموات تظلكم ، والأرض تقلكم ، فالزموا السبت . أي ما دامت العقول الروحانية تمدكم ، والأرض التي هي الدعوة تجمعكم ، وفيها تمهدكم ، فالزموا السبت . أي إلزموا طاعة المستقر من آل إسماعيل ، وهو قائم زمانكم ، لأن اسم القائم واقع على صاحب كل زمان بما يقوم به من نشر العلوم والحقائق ، لأهل الأبصار الذين[53] علت مراتبهم ، فهو يظهر لهم حد القائم وعلمه ، بلا إخفاء ولا أستار ، ويبشرهم بما يكون من الثواب في دوره ، ويرعبهم . وأما قول سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه فيه البحر الذي تستمد منه الأمطار . أي هو بحر العلم الذي منه تستمد النطقاء والأئمة المفيضون على النفوس بتعليم ما به الحياة الأبدية في دار القرار . وقوله : إليه تنقلب الأودية والأنهار ، فالأودية مثل النطقاء (ع) ، تشبيهاً لهم بما يجري في الأودية من الماء الذي هو مقابل ومماثل لعلم العلماء ، (الذين يهذبون)[54] حياة النفوس ، وبهذا حياة الأجسام ، وهذه حياة فانية ، وتلك حياة باقية .

وقوله : الكل فيه الأجزاء تجتمع ، يعني بأجزائه النطقاء ، والأوصياء ، والأئمة ، النجباء ، وهو كلهم الذي تموا به وكملوا ، ونالوا بوساطته ثواب ما عملوا . وقوله : وبه يرتفع من يرتفع ، ويتصنع من يتصنع ، فالمرتفعون أهل الثواب الراقون إلى عالم اللطافة في زمرته ، والمتصفون هم أهل العقاب المنكبون[55] على سوء أعمالهم ، الصائرون به إلى نار الله الكبرى ، المبعدون بها عن عفو الله ورحمته . وقوله : الذي له المتحركات

---

(52) عن : من في ن .

(53) الذين : سقطت في م .

(54) الذين يهذبون : لهذابه في ن .

(55) المنكبون : المنكوبون في ن .

تحركت ، والسواكن سكنت . فالمتحركات هم العقول الروحانية في عالم الأزل ، وكانت حركاتهم لظهور (371) الذي كان به كمال الفعل وتمام العقل ، فتحركوا بإمداد عالم الإجرام بالعناية السارية ، وإمداد أهل عالم الدين بموادهم الروحانية المتصلة الجارية .

وكذلك تحركت الأجرام والأفلاك ، بتدبير مدبرها ، لإستخراج القائم الذي هو صفوة العالم الجرمانية ، والجسمانية ، والدينية . وبظهوره كمال عملها ، وتمام صورها ، وكذلك حركات الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة ، والحدود ، لظهور معاني ما أتوا به بقيام المثيب المجازي الذي به الخلاص من روباس العالم الطبيعي والصعود .

وقوله : والسواكن سكنت[56] العقول عن العمل عند بلوغ عملها إلى غايته ، وانتهاء فعلها إلى أقصاه ، ومدى نهايته . فكذلك الأجرام الفلكية سكنت عن الدوران ، ووقفت متى يديرها ويدبرها بأمر الله الرحيم الرحمن ، وكذلك عقول عالم الطبيعة سكنت عن العمل حين نالت[57] ثوابها ، وارتقت إلى عالم اللطافة والأزل ، لاحقة بأربابها . وقوله : وبه المتزمنات تزمنت ، والمتمكنات تمكنت ، فالمتزمنات هي عالم الأجرام ، والمتمكنات هي عالم الأجسام . يعني أنه هو المتولي لتدبيرها ، والممد لها بصنعته الكاملة فيها وتقديرها ، وذلك بعد أن يخلف العاشر المدبر ، ويكون لما في عالم الأجسام الخالق الباريء المصور ، بأمر الله العالم الخبير ، ولطف مادته السارية في اللطائف العقلية ، بما يقدرها على الصنع ، لما ينسب إليها والتدوير ، وإلى هذا القائم الأعظم الذي هو غاية الغايات ، والقرآن الجامع المسور[58] والآيات ، أشار مولانا الظاهر صلوات الله عليه ، بقوله : في أئمة دور محمد (صلعم) المسلم آخرهم لصاحب الدعوة العقلية الذي رمزت الشرائع بعظيم منزلته ، ودلت الكتب النبوية على كمال هدايته وسعادته ، قاصم[59] الشجرة الملعونة ، ومظهر كلمة محمد (صلعم) ودينه على سائر الأديان .

وقال (صلعم) في دعائه : يا معفي آثار البغاة على أئمة الزمان . وقال : يا مهلك حزب النفاق ، والمين[60] والعدوان ، المجلبين بخيلهم (372) ورجلهم على صاحب الوصاية والإيمان ، القائم بعد شخص النبوة العظيم الشأن ، الحال من صورة

---

(56) سكنت : أسكتت في ن .

(57) نالت : سقطت في م .

(58) المسور : الصائر في م .

(59) قاصم : قاسم في ن .

(60) والمين : والسبن في ن .

الدين محل الخلق الآخر ، المجموع ليوم قيامة ببرهان الشرائع المبين ، لما أودع فيها من الودائع ، ممثول البحر الزاخر ، والمحيط القابل لهدايته ومعالمه لعالم القدس البسيط . معيد أواخر الأشياء إلى أوائلها ، ومواصل أطراف الدوائر المعقولة بعالمها المقاص بأمرك لأهل الأديان والنحل ، والمواقف لهم على ما فرطوا فيه من القبول والعمل ، مزيل أحكام الفراعنة القائمة بالعسف ، ومجلي حنادس الأمثال الناسوتية بقوة الكشف ، المفصح[61] عن الرموز المستغلقة[62] مباديها عن الحواس الخمس ، ومؤيد حدود دوره بتأييد العقول الإبداعية ، ومستخرج ما في الوجود من العقول الإنبعاثية نظير الأول المبدع الأول في بداية العوالم ، المتكلم بحقائق الأغراض والمعالم ، المقصود مقامه من سائر الفرق الشرعية ، المهدود بظهوره أتباع الطواغيت المبتدعة ، وذابح إبليس ومعفي عصره ، ومنجي أهل دوره ودعوته من غوايته وغروره[63] ، ومطهر العالم من نجاسته ومخازيه ، ومواقفه على غوايته لأهل دوره ، ومجازيه ومخلده في صورة هوانه ، وناظمه في سلك محبيه وأقرانه ، على حالة لا يموت كل من فيها ولا يحي ، ولا يجد طريقاً إلى الإستحالة إلاّ مستقصية فيبلى .

هذا قوله (صلعم) مشيراً إلى القائم (ع) وأنه[64] عنى به وصي الدور (ع) ، فإن ذلك من حيث دعوته العلمية التأويلية الذي القائم نهايتها ، وصفوتها ، وغايتها ، وهو مستخلص من الوصي (ع) ومنتسب إليه ، وهو الحوض الذي وعد الرسول (صلعم) أن وصيه يسقى منه من والاه ، ويذود عنه من ناصبه[65] وعاداه ، وأن عليه من الأقداح عدد نجوم السماء ، وهم في زمرته من الأنبياء والأوصياء ، وأئمة[66] الهدى العارفين من تيار علمه ، والساقين بيد الوصي من اعتصم بحبله ، بما يفيضون عليهم (373) من المواد العقلية ، والخيرات الشريفة العلوية .

وقال النبي (صلعم) : إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين . وذلك بتسلسل الإمامة في الذرية الشريفة ، والعترة النبوية من نجل محمد وعلي (صلعم) ،

---

(61) المفصح : الواضح في ن .

(62) المستغلقة : الغوالقة في م .

(63) وغروره : وغراره في م .

(64) وأنه : سقطت في م .

(65) ناصبه : نواصي في ن .

(66) وأئمة : ومامة في م

المصطفين ، المختارين ، المنتجبين ، الذين تسلسلت فيهم وبقيت كلمتها فيهم إلى ظهور صاحب القيامة . وهو الحوض المورود ، والمجمع المشهود ، فلا تزال دعوة النبي (صلعم) والمعاني منها مضمرة[67] فيها إلى أن يقوم القائم ، ويبرز المعنى الكلي ، والبرهان الجلي ، بظهور المقام الشريف القائمي ، المجموعة فيه قوى الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة ، فيقطع الشكوك عن الدعوة النبوية ، وتكون دعوة شريفة قائمية متجلية أنوارها عالي منارها ، لا شك ولا شبهة يعتريها ، متجلي نورها على ظهورها ، ولذلك يقال أن الدنيا تنقطع وذلك بانقطاع ما أتى به النطقاء (ع) من الشرائع الوصفية ، والأعمال التكليفية ، والأمثال المحجوبة معانيها ، المضمنة فيها ، المكمنة في غواشيها ، المضروب بها أمثالاً حسية ، وألفاظاً جسمانية .

وهي ظاهر المعاني المرموزة ، كما الدنيا ظاهر الآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾[68] أي دعوتك ، وان كانت خير أكلها فيما قصدت بها دون ما قصده المشبهون والضالون ، فإن دعوة الآخرة خير عند الله وأعلى ، ولا يعلمها إلاّ أهل الخير والصفا ، وأتباع أئمة الهدى ، الحافظون لأمرهم ، والكاتمون لسرهم ، كما قال بعض الأولياء (ع) :سرنا صعب لا يحتمله إلاّ نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، أو مؤمن امتحن قلبه للإيمان .

قد قال مولانا الشخص الفاضل صاحب الرسائل سلام الله عليه : فأما الإيمان فهو الإقرار بذلك الشيء ، والتصديق لقول المخبرين عنه من غير تصور له ، فالأنبياء (صلعم) وأولياءهم المخبرون عن الآخرة المتصورون لها ،العارفون حقيقتها (374) بعقولهم ، والمؤمنون هم المقرون بالآخرة بألسنتهم ،المصدقون للأنبياء في أخبارهم[69] ، المنتظرون لكشفها لهم .

وأعلم يا أخي بأن المنتظر لأمر الآخرة طائفتان من الناس : أحدهما ينتظر كونها وحدوثها في الزمان والمستقبل عند خراب السموات والأرضين ، وهم الذين لا يعلمون من الأمور إلاّ المحسوسات ، ولا من الجواهر إلاّ الجسمانيات ، ولا من أحوالها إلاّ ما ظهر . والطائفة الأخرى ينتظرونها[70] كشفاً وبياناً واطلاعاً عليها ، وهم الذين يعرفون

---

(67) مضمرة : مضرة في ن .

(68) سورة 93 آية 4 .

(69) أخبارهم : سقطت في ن .

(70) ينتظرونها : نظروها في ن .

الأمور المعقولة ، والجواهر الروحانية ، والحالات النفسانية . هذا قوله (ع) فافتكر فيه يا أخي وتدبره ، وانتبه من نوم الغافلين ، ورقدة الجاهلين ، الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون . ولا تكن ممن ينتظر الآخرة بالزمان فإنه لا زمان هناك ، وكن من المنتظرين لها بالبينات والمعرفة عند ظهور القائم الآخر ببيان[71] المعنى ، وكشف[72] الذين سبقت لهم منا الحسنى .

وإنما سبقت لهم الحسنى بما قدموه في سالف الأعصار ، وعرفوه من فضل وصي النبي المختار ، محبته حسنة لا تضر[73] معها سيئة ، يعني أن من تولاه حقيقة الولاء لم تضره السيئات الذين هم أضداده الجهلاء . وأعلم يا أخي هدانا الله وإياك إلى الصواب ، وجعلنا من العارفين بمعنى الكتاب ، إنا قد ذكرنا في كتابنا هذا كثيراً مما تأدى إلينا عن أولياء الله وحدودهم في ذكر القائم والقيامة والبعث للنفوس من الجهالة ، ومن تصور المحسوسات إلى تصور المعقولات ، وذلك هو البعث والحياة الباقية التي لا فناء فيها ، ولا زوال ، ولا تغير ، لمن اتصل بها من حال إلى حال .

وفي أقل ما أوردنا كفاية كافية ، ونعمة لمن عرفها شافية ، لأن القائم والقيامة ، والبعث في العلم المكنون والسر المخزون ، الذي لا يمسه إلّا المطهرون ، موجود ذلك عند أهل الصفا والبصائر المضية عند العقلاء (375) العرفاء ، وأما الجهلاء الغافلون فإن القيامة محجوب عنهم علمها ، لأنهم لا يبتعثون لمعرفة اللطائف ، ولا يبصرون غير ما يشاهدونه من الكثائف ، لكونهم في الكثافة المانعة لهم عن النظر ببصائرهم إلى العلوم الملكوتية ، والأسرار الحكمية ، والمعاني الجلية ، والبراهين المضية .

وقد قال صاحب الرسائل سلام الله وصلواته عليه : وأعلم يا أخي أيدك الله وأيانا[74] بروح منه بأن من أفضل مناقب العقلاء كثرة العلوم والمعارف ، وأن من أشرف العلوم وأجل المعارف[75] التي يبلغها العلماء ، ويهدي الله إليها[76] أولياءه من المؤمنين المصدقين ، ويكرمهم بها ، علم البعث ، ومعرفة حقيقة القيامة ، وكيفية تصاريف

---

(71) ببيان : بنيان في م .

(72) وكشف : وكفش في ن .

(73) لا تضر : لا ضرر في ن .

(74) وأيانا : سقطت في م .

(75) المعارف : العوارف في ن .

(76) إليها : إليه في ن .

أحوالها في نحو من ألف وسبعمائة آية ، وأشار إليها بأوصاف شتى ، وإشارات مفننة ، مثل قوله تعالى : ﴿ **يوم القيامة** ﴾ ﴿ **ويوم يبعثون** ﴾ ﴿ **ويوم الدين** ﴾ ﴿ **ويوم الفصل** ﴾ ﴿ **ويوم الحشر** ﴾ ﴿ **ويوم الأزفة** ﴾ ﴿ **ويوم التناد** ﴾ ﴿ **ويوم التغابن** ﴾ ﴿ **ويوم الحساب** ﴾ ﴿ **ويوم يخرجون** ﴾ ﴿ **ويوم تقوم الساعة** ﴾ وما شاكل هذه الأوصاف والإشارات ، التي قد تاهت عقول أكثر العلماء في طلب معرفة حقائقها ، وتصور كيفيتها ، بكنه صفاتها ، ولا يعلم تأويلها إلاّ الله والراسخون في العلم من أولياء الله وأصفيائه الذين يقولون كل من عند ربنا ولا يحيطون بشيء من علمه ، إلاّ بما شاء[77] ، ولا يطلع على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول ، وهم من خشيته مشفقون .

هذا قوله أعلى الله قدسه مبيناً لعلم القيامة والبعث ، وأن تأويلها لا يعلمها إلاّ الله والراسخون في العلم ممن نظرها بالعلم والمعرفة ، رأها[78] وشاهدها حقيقة لا مجاز فيها ، ولا شك يعتريها ، ومن انتظرها بالزمان والوقت فقد انتظر بعيداً ، ورام أمراً صعباً شديداً ، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾[79] ثبتنا الله وإياك أيها الأخ على سبيل المتقين ، وأرانا وإياك عين اليقين ، وجعلنا (376) من العارفين المتدبرين لآياته ، الراجعين فيما أشكل علينا إلى سؤال أوليائه ، وحشرنا معهم ، ولا قطعنا عنهم ، في الزمرة الشريفة ، الجامعة للأنوار اللطيفة ، والحمد لله على نعمه التي نحن من أداء شكرها من القاصرين ، وصلى الله على محمد نبيه ، وعلى الأئمة من ذريتهما الطيبين الطاهرين ، وسلم عليهم أجمعين ، سلاماً متصلاً إلى يوم الدين .

الباب الحادي والعشرون : في ذكر المخالفين والأضداد لأولياء الحق ، وما يردون فيه من موقن إدراك الجحيم ، ومواري العذاب الأليم ، على قدر أفعالهم المنكرة ، وعداواتهم[80] لأولياء الله الصفوة[81] المطهرة ، ومصيرهم إلى ذكر العذاب الأكبر الذي هو سجين ، أعاذنا الله من ذلك ، وجميع أتباع أوليائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

---

(77) شاء : سقطت في م .

(78) رأها : رواها في ن .

(79) سورة 70 آية 6 ، 7 .

(80) وعداواتهم : وعداتهم في ن .

(81) الصفوة : سقطت في ن .

نقول ومن الله نستمد المعونة والتأييد ، ومن بركات أوليائه نرجو مما اتصل بنا من نعمتهم المزيد : إنا قد ذكرنا في كتابنا هذا العالم اللطيف الروحاني الشريف الذي هو عالم العقل ، والملائكة المجردين عن الأجسام الذين من دونهم عالم الأفلاك والأجرام ، ومالهم من الكمال والتمام ، ومن ترتب من العقول الخارجة من عالم الطبيعة ، وترقيهم في درجات الثواب العالية الرفيعة صعداً صعداً ، وترفعاً من عالم الفناء إلى عالم اللطافة الباقي أبداً ، وما ينالون في ذلك من الثواب ، كما قال النبي (صلعم) : إن في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فلنذكر الآن حال من حيل بينه وبين رشده ، وخرج من حزب الله هاوياً في إدراك الجحيم ، وارداً[82] شر ورده ، وما وقعوا فيه من الهلاك ، وترددوا في قناطر العذاب والإدراك ، حتى انتهوا إلى السجين المكنى عنها بالصخرة ، وهي أشد العذاب المنتهية إليها الأبالسة المتكبرة المصرة . كما قال الله تعالى في محكم[83] الكتاب : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[84] . وقد ذكرنا الهبوط من عالم اللطافة إلى دار الكثافة (377) وترتب الهابطين بما استحقوه وبعدهم من الرحمة والرأفة ، فكان أشرهم ورودا أعظمهم خطية وجحوداً ، الذين أصروا واستكبروا وبعدوا عن عالم اللطافة ونفروا ، ومنهم الأبالسة في جميع الأدوار ، والفراعنة الملاقون أولياء الله بالإستنكاف ، والإستكبار ، ولا سيما في الدور المحمدي .

فإن دور محمد (صلعم) لما كان جامعاً للأنوار ، وخاتماً للأنبياء المطهرين الأخيار ، كان وصيه (ع) قائماً في مقامه ،ومرتقياً إلى الفضل[85] الذي وقف العالون والدانون عن معرفة تمامه ، فكان إبليسه أشد الأبالسة عنوداً ، وأعظمهم كفراً لنعمة الله جحوداً ، كما قال سيدنا المؤيد في الدين ، عمدة الموحدين : وعلى قدر قوة صاحب الدور قوة إبليسه ، ودوركم هذا خاتم الأدوار ، وإبليسه خاتم الأبالسة ، الأشرار ، وكل من جحد حداً من حدود الله ونعمته[86] ، وانقطعت عن الإتصال به عصمته ، وتمادى على الإصرار والعصيان ، وجحد ولي العصر والزمان ، كان لاحقاً بالأبالسة الأشرار ، مبعداً

(82) وارداً : ورداً في م .

(83) محكم : حكم في ن .

(84) سورة 40 آية 46 .

(85) الفضل : الوصل في م .

(86) ونعمته : ونعماته في ن .

عن رحمة الله العزيز الجبار ، معدوداً من أهل الإصرار والإستكبار ، لأن الأبالسة أصلهم في وجودهم من طينة الخبال وهي أخل الخبائث وشر ما هبط ممن يقبل دعوة الإنبعاث ، فلما وقعت الزلة ، وامتزج بعض العالم في بعض ، وصاروا جميعهم إلى الأرض ، وتميز الخبيث من الطيب ، بعد الوجود في القامات الألفية ، وظهر بعض عن بعضهم بما قدرته العناية الإلهية ، وذلك كظهور قابيل من آدم ، وهو ضد هابيل ، وكظهور ولد نوح الذي عاند وصيه سام الذي اختاره مرقياً له إلى مرتبة الوصاية بالتفضيل ، وكظهور أبي لهب من عبد المطلب ، وكظهور نزار من الإمام المستنصر بالله (ع) ، وكظهور محمد بن أبي قحافة ، وذلك كخروج[87] النور من الظلمة ، وكان محمد رضوان الله عليه من خلصاء شيعة[88] أمير المؤمنين وهو يعده في مقام الولد ، وأمه أسماء بنت عميش المتوالية لمولاها علي بن أبي طالب بما سمعت في فضله (378) من رسول الله محمد (صلعم) ، وكان أبوه يلقي أمير المؤمنين بالبشاشة ، واللطف ، ومحمد في صلبه .

فلما ظهر منه أظلم جوهره ، وفارقه النور الذي كان من شيعة ولي الله وحزبه ، وثواب ما قام به أبو بكر من طاعة النبي لولده محمد ، وباء[89] بالخسران لعتوه وعناده عن ولاية ولي الله المعظم في الأدوار الممجد .

وقد كان أمير المؤمنين (ع) حين سم معاوية مالك الأشتر ، وقتل محمد بن أبي بكر ، يقول : لعن الله معاوية ، أما مالك فقد كان مني قدا ، وأما محمد فكان لي ولداً ، وكان محمد رضوان الله عليه غير مرة ينهى أباه عن العصيان ، ويأمره بالإقلاع ، ويحذره عذاب النيران ، وهمّ بذلك فصده[90] ما هو عليه من الإستكبار ، وكونه من المصر المستكبر شر الأشرار ، وأطغاه[91] شيطانه الذي تبرأ منه ، وقال : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه . فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ، لأن مضادة[92] المقامات عليهم السلام هي شر مصير المستكبرين ، وإقلاعهم عن ذلك قليل لكونهم في العذاب مخلدين ، فإنهم لما عرضت عليهم الولاية ، ودعوا إلى من جعله الله من أوليائه الغاية ، قالوا : لم نؤمن لهم في حد اللطافة ، فكيف نؤمن لهم بعد أن تجلوا

---

(87) كخروج : خرج في ن .

(88) شيعة : شاع في ن .

(89) وباء : سقطت في م .

(90) فصده : ضده في م .

(91) وأطغاه : سقطت في ن .

(92) مضادة : ضدادة في ن .

بالشرائع وظهـروا بالكثـافة ؟ وذلـك قولـه تعالى حكـاية عنهم : ﴿ أَنُؤمن لِبَشَرين مِثْلِنَا وَقَومُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾[93] فكل مضاد لولي الـزمان خـارج عن أهل الإيمـان ، متماد عـلى الإستكبار ، والإنكار ، والعصيان ، فحل بأوامر الشريعة الغراء ، راجـع عن التقدم في علم التأويل إلى القهقرا . فإنه عند أوان موته ، وفراق شخصه ، تعاين أعمالـه الخبيثة ، وأفعاله الردية ، وصورته المقهقرة الظلمانية فينظر فيهـا ما يفـزع منه ويـرتاع ، ويعـاين ما قدمت يداه ، وقد حيل بينه وبين التوبة والإقلاع ، كما قال تعالى في قصة فرعون وقوله : عند وقوعه في اليم ، ودنوه من العذاب الوبيل : ﴿ قال آمَنتُ أنّـهُ لاَ إلَهَ إلاّ الّـذي آمَنَتْ بِهِ بَنُواْ إسرائيلَ ﴾[94] فلم ينفعه إيمـانه فكـان (379) جوابـه ما قـال تعالى في الكتـاب المبـين : ﴿ الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْـلُ وَكُنتَ من المُفْسِدِينَ ﴾[95] ويتصـور له ملكـا الرحمة فيريان له أعماله الردية ، فينكران عليه فيما قدم عند خروجه عن طاعة أولياء الله ، وتماديه في الشيطنة والإبليسية ، وهما للضد منكر ونكير ، كما أنهما للولي مبشر وبشـير ، فيبكتانـه عـلى سيء أعمالـه ، ويعرفـانه بمـا أعدلـه من عذابـه ووبالـه ، والملكان همـا إمـام عصره وحجته ، اللذان كسرا عليه عند مفارقته الدعوة ، وعرفاه بما يصير إليه أنه تمادى في الـزلة والهفوة ، ثم أنها تشيع نفسه الخبيثة في جسده وتكثف ليتهيأ للعـذاب ، ولا يفارقـه سوى التصور الخبيث من المضادة[96] والعداوة التي تمادى عليها ، ولم ينزح إلى المثاب ، فيطلب تلك الصـورة المترقيـة[97] إلى اللطافة ، فتصـد عن ذلك وتحجب ، وتـروم الرجـوع إلى جسدها الخبيث ، وقد حيل بينها وبينه ، جزاء بما اكتسبت ، فتردد[98] في الهواء ويكـون لهـا أنـين ، وتبقى معـذبـة في العـذاب اللعـين ، تصـد عن اللطافـة وتعكسهـا أشعـة الكواكب ، وتمنع أن ترجع في الجسد الذي حبه عليها غالب ، كمثل من يردم تصور عالم اللطافة بعلمه ، ويرده إلى الكثافة سوء فهمه ، فلا هو إلى المعرفة اللطيفة ارتقى ، ولا هو بـاقي على تصـور الأشياء الجسـانيات لعـظيم الحرمـان والشقاء ، فهـو عن الصعـود إلى اللطافة ممنوع ، وعن الرجوع إلى ما ألف من الكثافة محجوب مدفوع ، فيبقى بـين السماء والأرض متردداً ، فلا يجد سبيلاً إلى ما كان قبـل ، ولا يلقى إلى السماء صعـداً فيقيم على

---

(93) سورة 23 آية 47 .

(94) سورة 10 آية 90 .

(95) سورة 10 آية 91 .

(96) المضادة : الضدادة في م .

(97) المترقية : الرقي في ن .

(98) فتردد : فترادد في م .

ذلك مدة من الزمان ، ويترايا في المنام لأهل الضلال والعصيان ، فيحرضهم على ما هم فيه من جهلهم ، ويأمرهم بميلهم عن النهج القديم وعدلهم ، وذلك هو قول الله تعالى : ﴿ شياطِينَ الأنِسِ وَالجِنِ يُـوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَـولِ غُرُوراً ﴾[99] وهم الجن والشياطين بـالفعل الـذين كانـوا شياطيناً بالقـوة ، وهم في أشخاصهم (380) الظلمانية ، واعتقاداتهم الفاسدة بتوهم الأنوار اللطيفة على ما يعتادونه من الأمور الحسية .

فلما فارقوا القوالب وهم في الإصرار على البعد عن أولياء الله الأطايب ، شطوا[100] عن الحق ، وبعدوا ، وطفوا ، وتمردوا ، وصاروا في لطافة جسمانية ، وصور مشوهة شيطانية ، يترأون لأهل العقول الناقصة بما يوقعهم في الأوان بعد الأوان ، ولا يقول الغيلان غير الأعزاب والصبيان ، وهؤلاء هم الجن المذمومون من الأبالسة والشياطين ، الذين كانوا لأولياء الله (ع) معاندين معادين ، غير مقرين ولا معترفين بشرائعهم ، يدعون علم اللطافة ، وهم قد منعوا عنه لسوء أخلاقهم ، وكثافة طبائعهم ، فلذلك لا تراهم العيون إلاّ عند ظهورهم للجاهلين ، وسطواتهم على البلداء الغافلين ، ويكون مأواهم الغيطان وبيوت النيران ، والأماكن الوسخة البعيدة عن الإنسان ، ومنهم من يتخذ شخص امرأة ، أو صبي ، أو رجل ، ويتصور له فيصرعه ويحول بينه وبين الرجوع إلى عقله ويمنعه ، فيقيمون على ذلك مدة من الزمان ، وأولياء الله في كل عصر يدعونهم[1] إلى الإيمان ، وينظرون إليهم بما أعطوا من اللطافة التي أحاطوا بها بالاحتواء على معرفة الأنس والجن فمن كان ذنبه قليلاً وأراد الله أن يهتدي إلى الحق سبيلاً ، استجاب لولي من نبي ، ووصي ، وإمام ، حين يدعوه ، كان من الذين لم يخالفوه ولا يتنازعوه ، وكان كمثل الجن الذين استمعوا[2] للقرآن فقالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً ، وآمنوا به ، ولم يشركوا بربهم أحداً . وكمن استجاب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في بير ذات العلم ، وغيرها ممن آمن على يديه وأسلم ، كالهام بن الهيثم الذي استجاب لنوح (ع) وارتقى إلى فلك الشمس ، فخدم فيها ما شاء الله ، وهو يسلم في زمن كل نبي ، ويؤمن في أوان كل ولي ، حتى أتى أمير المؤمنين

---

(99) سورة 6 اية 112 .

(100) شطوا : شطفة في م .

(1) يدعونهم : يراعونهم في م .

(2) استمعوا : سامعوا في ن .

علي (ع) فاسلم على يديه ، ورجع بعناية المدبر إلى السحيق ، (381) وصعد إلى القامة الألفية ، فكان من أهل التحقيق .

وهؤلاء عند إيابهم ومصيرهم إلى القامات الألفية يتصلون بحد العصمة ، ويأمنون الرجوع في ظلم الشكوك المدلهمة ، وذلك لما سبق لهم من الخدمة ، والإسلام ، والطاعة للأنبياء والأوصياء والأئمة . ولأنهم قد نالوا حد اللطافة فتعلقوا وارتقوا مساعين في درج العلوم والمعارف ، فاستحقوا دخول المجمع الشريف الإمامي ، وصعدوا مع الصاعدين في زمرته آمنين من الزيغ في الدين والتعامي ، صاعدين[3] في درجات الثواب ، مرتقين مع أولياء الله في الأسباب ، وذلك تكون مضادتهم[4] قليلة ، وعداوتهم ليست بعظيمة ولا جليلة .

فأما الأضداد اللعناء الذين قد عصوا أهل الأدوار ، والأعصار ، وتمادوا في اللعنة والإصرار ، فلا رجوع لهم حتى يستوفوا إدراك العذاب ، ويدخلون جهنم الكبرى من كل الأبواب ، وإنهم يوقفوا في العقدتين الظلمانيتين الخارجتين عن الفلك الجرماني ، ويضادون الشمس والقمر اللذين زين الله بهما السموات وجعلها نور العالم بما قدر فيها من الضياء النوراني ، فيكون منهم عنها الكسوف ، والخسوف ، والطاري في الشمس والقمر ، وتنشأ عنهما الظلمة التي منها نشأ من جحد وأنكر ، وهاتان العقدتان هما اللتان تسميان الرأس والذنب ، وهما مجمع النفوس المظلمة الخبيثة عند العقدتين ما شاء المدبر . ثم تنسحق وتنتهي إلى القامة الألفية ، فيكون منها ضد ولي الله اللعين المستكبر .

وأما تلك الأجسام والنفوس التي شاعت فيها وتكثفت بجحدها مقامات أولياء الله وتوليها ، فإنها تنفطر جيفتها فتكون منها العفونات في العالم المهلكة للحيوان والإنسان[5] ، وتكون منها الصواعق والأهوال ، وكل مضرة تلحق بالعالم مما يكون به لمعدنه ونباته وحيوانه ، الهلاك والتباك ، فيكون ذلك ما شاء الله ، ثم يرجع إلى (382) السحيق ، ويرتقي إلى من هو أشبه بالقامات الألفية من الصور المشوهة المغيرة كالزنج ، وغيرهم من كل جنس خبيث وفريق .

وكلما ماتت ردتها[6] العناية الإلهية إلى السحيق ، وارتقت في الغذاء إلى

---

(3) صاعدين : عائدين في ن .

(4) مضادتهم : ضدادتهم في م .

(5) الإنسان : سقطت في ن .

(6) ردتها : ردها في م .

الأشخاص ، فيغتذي منها كل جنس خبيث أورد في الإنتكاس ، حتى يستوفي في كل جنس سبعين قميصاً ، وترد إلى ما دونه مما يكون بالنكال والوبال مخصوماً ، كالدب ، والقردة ، والخنازير ، وغيرها من كل ذي خلق مشوه نكير . فإذا استوفت القميص السبعين رجعت إلى ما دون ذلك من كل خلق مبين ، وذلك هو المسخ ، وقد قال الله تعالى فيهم : ﴿ الذينَ اعْتَدَواْ منكم في السَّبْتِ ﴾[7] هو المقام (ع) الذي هو صفو الوجود ، والسابع من الحدود ، فلتعديهم لمقاماتهم وردوا إلى تلك الحيوانات[8] الذميمة ، واستحقوا الإنحدار[9] في إدراك العذاب الشريرة الأليمة ، وأمثال القردة والخنازير في الناس الذين يتعدون الشريعة ، ويخرجون من حكم صاحبها ذي الرتبة السامية الرفيعة ، إقبالاً على الشهوات ، وإرتكاباً لما نهى عنه من الأمور المنكرات ، فإنهم وإن كانوا في صور الآدمين ، فإنهم في شر صور الحيوان من حيث نفوسهم المتقهقرة لعصيانها أولياء الرحمن ، كما قال الله وكفى بقوله هادياً ودليلاً : ﴿ إن هم إلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً ﴾[10] . ولا تزال تلك النفوس الخبيثة ترد في كل صورة منكرة من الحيوان . وتردد فيها حتى تستوفي في كل نوع منها سبعين قميصاً جزاء بما كانت عليه من الأفعال المورِدة لها موارد الهوان . ثم ترجع بعد ذلك إلى السحيق بفعل المدبر الحكيم ، ويكون منها كل نبت خبيث ذميم يستوفي فيه سبعين نوعاً مكملة العدة مذمومة ، بها هلاك الحيوان والإنسان من السموم القاتلة ، وكل نبت كريه الرائحة لا طيب فيه ، وكل حطب توقد به النيران ، وتصير بعد ذلك إلى المعادن الخبيثة والحجارة ، فيستوفي (383) فيها ما قدر لها ، كما قال تعالى : ﴿ كُونُواْ حِجارَةً أو حَدِيداً * أو خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾[11] وترقيها العناية الإلهية عن حد الإعتدال في الربع المسكون إلى ما هو أبعد لها ، فقوله تعالى : ﴿ مما يكبر في صدوركم ﴾ هو ما يكونون عليه عند الخروج عن حد الإعتدال والإستيفاء لما ورد فيه من المعادن الذميمة ، والإستكمال ، فيكونون على صور الحيوان وهم من الجبال ، ولا يزالون كذلك إلى قيام القائم (ع) : ﴿ وَسِيقَ الَّذينَ كفروا إلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتى إذا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أبوابُها وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبكُم وَيُنذِرُونكم لِقَاءَ يَومِكُمْ هَذَا قَالُواْ بَلَى وَلَكِن

(7) سورة 2 آية 65 .

(8) الحيوانات : الحيوان في م .

(9) الإنحدار : الاحدار في ن .

(10) سورة 25 آية 44 .

(11) سورة 17 آية 50 ، 51 .

حَقَّتْ كَلِمةُ العَذابِ عَلى الكافرينَ * قِيلَ ٱدْخُلُوا أبوابَ جهنَّمَ خالدينَ فِيهَا فَبِئسَ مَثْوَى المُتكَبِرِينَ ﴾[12] وذلك بعد أن يحضرون عند القائم (ع) ومن اجتمع في ضمنه من زمر المقامات والحدود ، ويبكتونهم على أعمالهم السيئة ، وتماديهم في الغواية والجحود ، ويذبحون كما تذبح الضحايا ، ويطرحون حتى تملأ جيفتهم الأرض ، ويتأذى من رائحتهم المؤمنون ، فينزل عليهم نار من السماء فتحرقهم حتى يصيروا دخاناً تلتقطه الأرض بمسامها ، وتجذبهم إلى أسفلها ، فيصيرون إلى الهاوية نار الله الحامية ، وهي جهنم الكبرى ، أشخاصاً ظلمانية ، مذمومة ذوات صور مشوهة ، وأشكال مغيرة ، فيبقون في العذاب الأليم بقاء الأفلاك[13] ويقيمون فيها يستولي عذابهم الأفلاك ، وتلك جهنم الكبرى ، وهي الصخرة ، كلما دارت الشمس احترقت عليهم تلك الكباريت والزاجات فاحرقتهم ، والتهبت عليهم فعذبتهم[14] وذلك عذاب الله الشديد ، وأسفل السافلين الذي هو من مرحمة الله بعيد .

وكلما قام قائم وصعد في ضمنه من الزمر الشريفة في درجات الثواب ، تجدد على أهل سجين الوبال والعذاب ، ثم أنهم بعد الكور الأعظم وخراب السموات والأرض يدعون فمن (384) أجاب وأناب ، وإلّا رد في إدراك العذاب ، ولا يزالون في الأكوار العظيمة يترددون حتى يخلصون عنها ويصعدون ، وكلما تاب تائب رقى وصار في من[15] تقدم من الأنوار السامية المشابة لاحقاً حتى تدركهم رحمة العزيز الجبار ، ويعتقون من النار ، ولا ينتهي إلى سجين أضداد أولياء الله غير تائبين ولا زاهدين ، فأما أتباعهم المفترون بما دانوا[16] وأوليائهم الذين لم يكن عندهم المضادة[17] والعداوة ، وقد خلطوا أعمالهم فأساؤا وأحسنوا فإنهم يرجعون بعد الإدراك ، بعد استيفاء ما استحقوه من العذاب ، ويردون إلى السحيق ، ويرتقون إلى القامة الألفية فيجيبون حين يدعون بمن أجاب .

أعاذنا الله من الورود في إدراك العذاب ، والحسرة والندامة ، عند الإنقلاب ،

---

(12) سورة 39 آية 71 ، 72 .

(13) الأفلاك : الفلاك في ن .

(14) فعذبتهم : عذابهم في ن .

(15) من : عن في م .

(16) دانوا : دينوا في ن .

(17) المضادة : الضدادة في ن .

فإن عذابها أليم شديد ، وما هي من الظالمين ببعيد ، وأن المرء ليؤذيه حر الشمس فكيف حر النار ؟ فكيف بنار الله الموقدة التي إليها مصير الأشرار من الأبالسة والكفار ؟ كما قال الله تعالى (نسأله سبحانه)[18] أن يقينا الورود في تلك القناطر الخاسرة ، ويجعلنا ممن فاز باتباع أولياء الله الذين بهم النجاة من الوقوع في الحافرة ، فقد فاز من اتصل بهم ، وكان من الناجين بسببهم ، بحق أولياء الله الذين اصطفاهم وانتجبهم واختارهم من خلقه ، فأهلك أضدادهم وعطبهم .

فقد ورد عن بعض أولياء الله (ع) أن إدراك العذاب هي درجات الثواب ، إلّا أن هذا أخذ في الإرتقاء والصعود ، وذلك هابط إلى عذاب الله المورود ، وذلك أنه لم يكن الإرتقاء إلّا في المعادن ، والنبات ، والحيوان ، وفيها استقام منها واحلته الشريعة الغراء للإنسان ، والهبوط ما تقهقر منها وانحدر من كل شيء خبيث ، منكر ، محرم على الإنسان ، مذموم من أهل الشرائع عليهم صلوات الله العزيز المنان ، وكل شيء موجود في دائرة الدعوة من الثواب والعقاب ، (385) كما قيل في الرمز بالقوة ، فأهل الثواب هم الذين ارتقوا في المعارف الحقيقية ، وتصوروا الصور الشريفة المعنوية ، فالتقطوا من ثمار العلوم التي هي ثمرات الجنة ، وصاروا من الشكوك والشبهات المردية في محل الأمنة ، والمعاقبون[19] هم المترددون في الشكوك والشبهات ، الحائرون فيها يضلهم ويهلكهم من الجهالات ، خروجاً عن أئمة الهدى ، وميلاً عن الحجة الوسطى فيترددون فيها يعذب نفوسهم ويؤذيها مما يحصل من الشرك والضلال فيها ، والملائكة هم أولياء الله الذين ملكهم الله أمور دينه ، وجعلهم وحدودهم رسله إلى خلقه ، والقوام بهداية المتصلين بهم لارواء[20] غلتهم من علمه بسائغه ومعينهم ، والأبالسة والشياطين هم الذين عاندوهم وباينوهم فتعدوا عليهم إذ جحدوهم وستروا عن أعين البشر من أهل الظاهر ، وادعوا علم الحقائق من الفلسفة المفكرين للشرائع ، التاركين لعمل الظاهر الشرعي ، المجنين للنفاق ، الجائلين من العلوم الفلسفية في الآفاق ، منهم الشياطين الذين هم عن[21] رحمة الله تعالى منقطعون مؤيسون ، فالمحمودون منهم هم الذين أقروا بشرائع الدين ، وعلموا سرها الكامن ، ومعناها التأويلي الباطن ، فقربوا من الملائكة

---

(18) نسأله سبحانه : سقطت في م .

(19) المعاقبون : العاقبون في ن .

(20) لارواء : رواء في ن .

(21) الذين هم عن : سقطت في م .

المطلعين على الحقائق ، وعرفوا المرموزات المكنونات المعنوية والدقائق .

قال سيدنا أبو يعقوب السجستاني قدس الله روحه في القاسطين من الجن : أنهم الذين اشتغلوا بعلوم الفلسفة من الرياضيات والطبيعيات ، ونوع من قاسطي الجن ومردتهم يقال لهم الغيلان ، قال : وهذا مثل مضروب لكل قائمة من العتاة الموسومين لتضليل عباد الله ودعوتهم من العلوم الربانية ، والحكم الإلهية إلى الخرافات السوفسطائية والمقدمات القدسانية .

وقال في هذا الفصل : وعند العوام أن المصروع إذا ضرب الأرض وهو (386) في كلامه وخلط قيل :[22] أنه مجنون ، فإن الجن قد أصابه ، ودخل في جسده الجن على ما ذكرنا ، والمصاب على أهل التقليد يعني أن لأهل الحقائق قدرة على صيد أهل التقليد ، والدخول عليهم وعلى مذاهبهم التي منزلتها منزلة الأجساد ، فإذا دخل واحد منهم في جسد إنسان هذا في كلامه يعني إذا كسر واحد منهم على ظاهري تحير في مذهبه وعقيدته ، فلا يكون له قرار ، بل يضطرب دائماً إلى أن يقع على الحق ، ومن هذه الجهة رموا الناطق (ع) بالجنون وهو يوهمهم أن بعض أرباب الديانة في ذلك الزمان قد أفسدوا عليه مذهبه حتى تحير في عقيدته ، وأبدى الهذيان والتخليط في كلامه فأكذبهم الله تعالى في قوله : ﴿ مَا أَنتَ بِنِعمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[23] يعني ما أنت بالوحي المنزل عليك بمتحير فيها يتصور في قلبك كتحير من مسه مكاسرة أهل الحقائق ،

وعند العوام أيضاً أن الجن قد رزقوا من صباحة الوجوه ما يضرب به المثل ، كقولهم : أحسن من جني . فمعناه أن أهل الحقائق قد رزقوا من حسن عبارة الكلام ، وجودة القريحة ، وسعة البيان ما عجز أهل الظاهر ، ومع هذا فإن الجن موصوفون بسرعة المشي لقطع المسافات ، وهذا مثل مضروب لسرعة مظنهم لدرك الغوامض من المطلوبات العلمية ، وينسب إلى الفئتين من الجن الشيطنة ، والشيطنة مشتقة من الشطن ، وهو البعد . فشياطين الأنس هم الذين عكفوا على الظواهر المعراة من الحقائق حتى تباعدت أسفارهم ، وشياطين الجن هم الذين اقتصروال على العلوم والعقليات الجارية بين أهل العالم من جهة فلاسفتهم فبعدوا عن إصابة الحق ، ودرك الخفيات ، فغر لهم الله عن السمع حتى صاروا عنه معذولين ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ

---

(22) قيل : سقطت في ن .

(23) سورة 68 آية 2 .

الشَّياطِينُ ﴾[24] . أي من الجن وما ينبغي[25] لهم ، وما يستطيعون بقـوة فطنهم اخـتراع مثله ، إنهم عن (387) السمع لمعزولون . ثم قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ على مَن تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ ﴾[26] أي من الأنس ﴿ تَنَزَّلُ على كُلِّ أفاكٍ أثِيمٍ ﴾[27] . يعني كل كذاب مبتدع ملعون ﴿ يُلقُونَ السَّمْعَ ﴾[28] يعني يزهدون وأتباعهم من استماع الحق وكلهم كاذبون .

هذا قوله أعلى الله قدسه مبيناً لحال الجن المحمود منهم والمذموم ، بياناً يظهر المتدبر له والمتفكر فيه من المجهول إلى المعلوم ، وقد يكون من البشر من يكـون لجهله ، وما هـو عليـه من التهاون بـأعمال الشريعـة ، وإنشـاء نفسـه عـلى تصـور الأشيـاء الجسـدانيـة ، انكباباً[29] على الملاذ الحسية ، وإعراضاً عن المعاني الحقيقية ، والأسرار الملكوتيـة ، من هو كالقـردة ، والخنازيـر ، وغيرهـا من الحيوان ، المنحـدرة عن القامـات الألفية بمـا هي معتقدة . كما قال سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه في بعض مجالسه موضحـاً ذلك ومبينـاً له ، لئن لا يفسد قصد من هو في سبيل المعرفة سالك ، قال قدس الله روحه : وأما قوله تعالى في كتابـه الكريم : ﴿ أفمن يَمشي مُكِباً على وَجهِهِ أهدى أمَّن يَمشي سَـوياً عَـلَى صِرَاطٍ مُستقِيمٍ ﴾[30] قيـل في المكب على وجهـه أنه البهيمـة المكبـة إلى الأرض لا تعـرف غـير علفها ، وأكلها ، وشربها ، وأن خلقها في الأكباب يدل على أنها تنظر إلى المركز الذي منه نشـأت ، ومن نباتـه أكلت ، وإليه عنـد انحلال تـركيبها إنحلت ، وللبهيمـة التي هـذه سبيلهـا أشباه من الصـور البشرية ، هم وإن انتصبـوا بالقـامة الألفيـة ، فهم في جلبـاب البهيمة من حيث حرصهم على الأكل والشرب ، والأحوال الطبيعية ، وجهلهم بالمقـادير النفسانية الملكوتية .

وقال أعلى الله قـدسه في مجلس آخـر : فقد علمنـا أن التغير وقـع عليهم من حيث نفوسهم الباطنة ، واعتقاداتهم الكـامنة ، وأن صـورهم من حيث الأجسام والخلق بـاقية

---

(24) سورة 26 آية 210 .

(25) ينبغي : سقطت في ن .

(26) سورة 26 آية 221 .

(27) سورة 26 آية 222 .

(28) سورة 26 آية 223 .

(29) انكباباً : اكباباً في ن .

(30) سورة 67 آية 22 .

على ما كانت عليه لم تتغير[31] ولم تتبدل[32] ، وكذلك ألفاظ القرآن الظاهرة محفوظة على ما كانت عليه ، وإنما دخل عليها التحريف من جهة معانيها . هذا قوله أعلى الله قدسه قد أوضح فيه أن التغير عليهم وقع من حيث نفوسهم (388) الباطنة ، وصورهم الجسدانية محفوظة بكونهم حافظين لألفاظ القرآن الظاهرة ، وقد أحالوها على ما هي عليه من حيث المعاني الكامنة تحريفاً لها عن مواصفها ، واتباعاً لغير أولياء الله أخذا للعلوم من غير عيونها ومنابعها ، وأن من يطلع على شيء من المعاني فيستخف بظاهره ، ويستحل ما حرمه الله تعالى ، ارتكاباً للفواحش ، وإظهاراً للمناكر ، لمشبه القردة ، والخنازير ، والحيوان المذموم النكير . بل هو شر من ذلك وأبعد ، وأسرع إلى الانحدار والهبوط من أن يرتقي ويصعد ، وهذا بالحقيقة ممسوخ في الذات لتركه الأوامر الشرعية ، وذلك ممسوخ في الصورة بما غير من المعنى ، وأحاله عن حالته الشريفة ، رجوعاً بالأمور العقلية إلى الحسية ، واللفظ عنده مستقيم ، وهو في معناه قد رد في أسفل سافلين بعد أن كان في أحسن تقويم ، وأن منهم من يصيرون إلى مشابهة الحجارة لبعده عن الحي الناطق ، وجحوده أن يجري فيه قسطه من روح البيان والحقائق ، فلم يسلك في الإرتقاء في معالم[33] الملكوت سبيلاً منجية ، ولم يستجب لله ولرسوله إذا دعاه إلى ما يحييه ، إعراضاً عن الوصي ، وميلاً إلى خوار العجل وفتنة السامري .

قال سيدنا المؤيد في الدين قس : حيث يقولون وأن هو فرط في جنبه ، ومال إلى الشيطان وحزبه ، مسخ عن استكمال الصورة الإنسانية المفضية به لو علم وعمل إلى الملكوتية مسخاً من حيث نفسه ، لا مسخاً من حيث جسمه ، على ما يظنون من سخف العقول ، وقلة المحصول ، وحيث ما يقولون أن قوماً مسخوا كلاباً ، وقردة ، وخنازيراً ، وأن بعضهم رأى في منامه كما يرى النائم أن جملاً كان يدور في طاحونة كلمة ، فقال : أنا أبوك ، وأنا بادارة هذه الطاحونة مكدود ، وبالجوع من اتصال[34] الكد مجهود . وأمثال ذلك مما ينفق على ذوي العقول السخيفة ، والآراء الضعيفة . إلى قوله أعلى قدسه : فلما جاز أن يكنى عن قلوب قوم بالحجارة ، وجب (389) أن يكون عنى بالحجارة ههنا أيضاً قوماً كنى عنهم بهذه الكناية ، لكونهم بامتناع من خشية الله تعالى

(31) تتغير : تغار في ن .

(32) تتبدل : بدل في ن .

(33) معالم : عوالم في ن .

(34) اتصال : وصال في م .

ومراقبته فيهم بالغاية ، وهم في حد التأويل قوم لم يتصلوا بحدود الدعوة ، ولم ينجع فيهم من الحكمة من حيث الإنسانية كالجهاد ، وإن كانت صورهم ألفية ، وأشكالهم إنسانية ، والناس الذين هم شركاءهم في النار ، قوم السوار أشدهم فباينوه وأنسوا به ثم نافروه مروقاً عن دين أبيه وغلواً في أولياء الله . كقول رسول الله (صلعم) : يمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية . فهاتان[35] الفرقتان قد كنى النبي (صلعم) عنهما ، وأشار إليهما ، فقال : يا علي هلك فيك اثنان : مفرط ، ومقصر . وهو موافق قول الله سبحانه : ﴿ وَقُودُها النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[36] فالمفرطون هم وإن باينوا المقصرين بولاية الوصي ، والأئمة ، والبرأة ممن تعدى عليهم من الأمة ، فلقد عادوا لمثل ما عليه رأى الحشوية المعبر عنهم بالحجارة قولاً بالهية ذوي الأجسام ، واعتقاداً في الثواب والعقاب ، لدرك[37] معتقدات العوام ، فوافقوهم في كثير من حشو كلامهم وهجرهم ، وزادوا عليهم بضلالهم وكفرهم ، قولاً في الوصي أو غيره من الأئمة (ع) أنهم الغاية والمعنى ، وأن محل العقاب دار الدنيا .

ولما كانت الصورة هذه جمعتهم والحشوية المنكرين للحق العامة فقربت عنهم المناسبة ، وقال الله سبحانه : ﴿ وَقودها النَّاسُ والحجارةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ الساترين للحق ، والناكثين عن منهج الصدق . هذا قوله أعلى الله قدسه ، ولم يزل في مجالسه للحقائق غير ملفز ولا ساتر تالياً لها على رؤوس المنابر . وأعلم يا أخي أن العاصين لإدلاء رشدهم ، المنكرين لمن جعله الله إلى دار ثوابه سبيل قصدهم ، مصفدون في الأغلال ، معذبون بما خبث أيديهم بالسلاسل الموثقة لهم عن الجولان غي الآفاق النفسانيات ، فلا خلاص لهم فيها ولا إرسال .

وقد أوضح ذلك سيدنا المؤيد في الدين أعلى الله قدسه حيث قال : قال العالم : هم جناة ذلك على نفوسهم (390) طول مدة الحياة الدنيا لعصيانهم لربهم ، وهيبانهم في وادي شركهم ، كانوا مقرنين في الأصفاد من وراء الحجاب ، وهم لا يعقلون ، فاعلين بأنفسهم ما تفعله دودة القز بنسيجها على نفسها ، فلما كشف الحجاب رأوا الأصفاد تمكنت منهم ، ومنعتهم عن الحركة نحو مقاصد لذاتهم ، وقال : ﴿ سَرَابِيلُهُم

---

(35) فهاتان : سقطت في ن .

(36) سورة 2 آية 24 .

(37) لدرك : سقطت في م .

مِّن قَطِرانٍ ﴾[38] والقطران يجذب النار بما بينه وبينها من قوة المناسبة . قال العالم : هم لبسوها إذا كانت أوساخ المعاصي والشرك مغناطيس النار ، ككون القطران مغناطيسها ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[39] . قال العالم : الإنسان بوجهه ، وهو سبب التعارف ، ولو كانوا عملوا لوجه الله تعالى لتعارفت الوجوه ، وما تناكرت ، وعن غشيان النار لها تمانعت ، وتشبهت بوجه الله فما هلكت . قال الله سبحانه : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾[40] . وقال : ﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[41] .

قال العالم : قد كان التصوير لجسمك وأنت في ظلمات المشيمة بيد غيرك ، وملاك التصوير لنفسك من جهة الدار الأخرى بيدك ، فانظر كيف تصورها ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به بلاغ لمن أنس بمعرفة ربه ، وأنس الفوز براشد دينه ، فهرب من دار الوحشة إلى دار الأنسة ، ومن محل العزبة إلى محل القربة ، وليعلموا إنما هو إله واحد . هذا قوله أعلى الله قدسه . فتفكر يا أخي في قول أهل الهدى ، وأقبل عليه إقبال من أمن واهتدى ، وأعمل لنفسك ما ينجيك ويرفعك في مراتب العالم ويرقيك ، لتصعد مع الصاعدين من عالم الطبيعة إلاَّ بالمحافظة على أعمال الشريعة ، ولا خلود مع أهل الثواب الأبدي من المقامات الرفيعة إلاَّ بالعلم الحقيقي ، المتلقية له النفوس المطيعة ، المستملي من عالم القدس والتأييد ، الذي (391) يَبقى به النفوس بقاء لا يبيد ، مجاورة في عالم القدس للملائكة الأبرار ، فائزة بالخلود في دار القرار ، آمنة من الورود فيما أورد فيه أهل النار ، من قناطر العكوس ، والرجوع في الحافرة إلى العالم المنكوس ، منحدرة بعد الصعود ، مبعدة عن مقامات الحدود ، واردة في معاده أشر الورود ، وذلك بميلها عن أهل الحق ، وإعراضها وإتباعها للشهوات الردية لها باهوائها وأغراضها ، بعداً عن اللطافة التي بها[42] تسمو النفوس ، ورجوعاً إلى الكثافة المستملاة من عالم الحس ، فكلما صعدت النفوس الصالحة بما يعليها من علومها وأعمالها ، هبطت وانحدرت في الإدراك مع أشكالها يتجدد عليها العذاب ،

(38) سورة 14 آية 50 .

(39) سورة 14 آية 50 .

(40) سورة 28 آية 88 .

(41) سورة 14 آية 51 .

(42) التي بها : سقطت في ن .

وتنقلب في الحافرة شر إنقلاب ، حتى تنتهي إلى الدردور ، وترد[43] مع الواردين الخارجين من الظل إلى الحرور ، وتنتهي إلى الهاوية المكنى عنها بالصخرة ، مع النفوس المتشيطنة التي هي على الإستكبار والمضادة[44] مصرة ، نادمة على ما قدمت ، وهل تنفعها إن هي ندمت ، وقد تركت التوبة في أوانها ، ووردت إلى أقصى هبوطها وهوانها ، فتصير هنالك معذبة أبد الأبدين ، مترادفة عليها اللعنات من الملائكة والحدود والمؤيدين ، في عذاب لن تجد مثله عذاباً ، وتتمنى لو أنها كانت تراباً قد بعدت عن الرحمة ودحرت ، وطال ندمها على ما قدمت وأخرت ، واحذروا أيها الإخوان ، هدانا الله وإياهم لمعرفة الحقائق ، وجعلنا ممن قوم نفسه بالأعمال الشرعية ، وعرف معناها التي هي له توازيه ، وتوافق مما أخذ عن المعلم الصادق أن يسلكوا سبيل قوم سلكوا الصراط ، وزلوا ورجعوا بعد اليقين فضلوا وأضلوا ، ناكصين على أعقابهم ، منقطعين من أولياء الله وأسبابهم ، راجعين بعد اقدامهم إلى الوراء[45] ، ومرتدين بعد علو مقامهم في القهقري ، فكانوا في أحسن تقويم ، فردوا إلى أسفل سافلين ، ورجعوا عن سبيل (392) العلماء إلى شكوك قصد الجاهلين ، بمنازعة أهل الفضل في مقاماتهم ، وتخطيهم علواً إلى ما لا يستحقوه من درجاتهم ، مبعداً لهم . وسحقاً لقد رجعوا عن التذكرة ، رجوع الأشقياء ، وعادوا بعد استقامة نفوسهم لتلقي مواد العقل إلى الشبهات المعوجة من الرأي والقياس ، الذين لا يحصلون منها إلا على الجهل ، كما قال سيدنا المؤيد في الدين أعلى الله قدسه ، حيث يقول : فأما الذين شقوا ففي النار لهم زفير وشهيق ، لأنهم خلقوا في أحسن تقويم نقلاً من قوة عالم منكوس إلى العقل الصحيح السليم ، فنازعوا العقول الذين أقامهم الله تعالى إعلاماً لعالم البعث ، وهم الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة (ع) ، فانقطعوا عن الإتحاد من جهتهم بالعالم السوي الذي كان سبب نشوء[46] العالم المنكوس ، ليعودوا كما بدأهم الله جل اسمه على ما قاله في كتابه : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[47] واكنوا إلى حولهم وقوتهم في مقاصدهم فلم يجدوا مثالاً يتبعوه غير العالم المنكوس ، وظاهر الشرح المعوج الذي يتبعه الرأي والقياس ، فسلكوا المسلك وكانوا كما قال الله جل اسمه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ

---

(43) وترد : وردد في م .

(44) والمضادة : والضدادة في ن .

(45) الوراء : الرواء في ن .

(46) نشوء : نشأ في م .

(47) سورة 21 آية 104 .

في أحسَنِ تَقويم * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾(48) بأن نكص على عقبيه راجعاً إلى التصور من المحسوسات المعكوسة دون المعقولات السوية ، صارت صورته عند نقص تركيبه صورة الشياطين الخالدين في العذاب المهين ، نعوذ بالله منه ، اللهم إني أسألك عفواً ، وغفراناً ، وبراً ، وإحساناً ، بحق محمد وآله الطاهرين .

هذا قوله أعلى الله قدسه واصفاً لمن كان قد استقام لتصور المعاني ، ومعرفة بيان تأويل القرآن والوجود الثاني ، ثم رجع إلى تصور المحسوسات ، وعاد بعد استنارة جوهرة يتخبط في الظلمات ، فلا هو بالمركز النوراني أسفل(49) ، ولا هو بقي على ظاهر الكتاب المنزل ، صار بين هذين حائراً ، وعاد عن الربح في الدار الآخرة خاسراً ، (393) كما قال أيضاً سيدنا المؤيد في الدين أعلى الله قدسه عمدة الموحدين : قال بعض الصادقين صلوات الله عليهم أجمعين : إن المركز اثنان : مركز الملائكة على تقريب اللفظ ، وهو النقطة النورانية الشفافة . ومركز ذوي الأجسام ، وهو نقطة الظلمة . وإن الذي انقطع سببه من المركز الترابي بالموت الطبيعي ، وهو سعيد باستكمال صورة نفسه ، وتجوهره بجوهر الملائكة الذي هو من جنسهم وهم من جنسه ، انتقل من مركز الظلمات إلى مركز النور ، وتعوض الظل بالحرور ، ومن مضى على غير هذه النصبة زلت إلى المركز(50) الظلماني قدمه ، ولم تتصل بعصمة المركز النوراني عصمة ، فصار منعكساً تارة بمقاساة حر السعير ، وتارة ببرد الزمهرير ، وتارة بالتخبط في قعر البحور . ﴿ إنطَلِقُواْ إلى ظِلٍ ذِي ثلاث شُعَبٍ * لا ظَليلٍ وَلاَ يُغني من اللَّهَبِ﴾(51) . هذا قوله أعلى الله قدسه محققاً لما صار فيه أهل العذاب ، وما انتهوا إليه عند خروجهم من حد الإعتدال ، ومصيرهم إلى شر المآل ، حيث يستولي عليهم الحر المفرط المكنى عنه بالسعير ، والبرد المفرط المكنى عنه بالزمهرير ، وأنهم بعد ذلك يصيرون في قعر البحور استيفاء للإدراك ، وروداً في جميع موارد الهلاك ، وكان خروجهم عند الإعتدال جزاء لهم لما خرجوا من الإعتدال في الدعوة ، وروداً من التقصير والتفريط في هوة ، فلم يعدلوا بين التنزيل والتأويل ، ولا تقابلوا المحسوس بالمعقول بل تناهوا غلواً ، وازدادوا علواً ، وتوهموا أنهم إن عملوا فلا حاجة لهم إلى العمل ، وذلك كالحر المفرط عليهم فلهم فيه شهيق وزفير ، والبرد المفرط لتقصيرهم في الأئمة عليهم السلام والحدود ، وتماديهم في الجحود لمقاماتهم

(48) سورة 95 آية 4 ، 5 .

(49) أسفل : سافل في ن .

(50) المركز : ركز في م .

(51) سورة 77 آية 30 ، 31 .

الشريفة والعنود ، وقوفاً على العمل عن العلم وخروجاً عن حال ذوي الدراية والفهم . ذلك لعتوهم ، واستكبارهم ، وجحودهم لمقامات أولياء الله ، وإنكارهم وروداً (394) في قعر البحور ، أخذا بالظواهر التي هي كالماء الأجاج ، وعوضاً فيما ليس لهم بعد وروده صدور ولا إخراج ، تموج بهم من علم صاحب الشريعة الأمواج ، وهم تاركون للسفينة التي كنى عنها بباب المدينة ، فقوبلوا عن فتحه بالإرتاج[52] كأنهم لم يسمعوا قول النبي (صلعم) : إن أهل بيتي كالسفينة ؟ ولم يعلموا أن علياً الباب وهو المدينة . فأداهم ذلك إلى السجين المكنى عنها بالصخرة بعد أن تكرروا في العذاب الدائم مرة بعد مرة ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾[53] . وقال الداعي الأجل حميد الدين حيث يقول أعلى الله قدسه : كلا حرف تحقيق لما يتلوه (إن كتاب الفجار) أن أنفس الفجار الذين يخالفون أمر الله تعالى فيما أمر به ويكذبونه ويتركون العبادتين ، ويخلون بهما أو بواحدة منهما لفي سجين . يقول : لفي البعد الأبعد من النهاية الأولى التي هي العليون على ما سبق ذكره ، وهو الشقاوة المعرب عنها بالسجين ، الذي به يعذب المجرمون كالحبس في دار الطبيعة التي فيها يعذب المذنبون ، وهي على ما ذكر أهل التفسير صخرة في أسفل سافلين . ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ . يقول : وما نعلم أن السجين ما هو كتاب مرقوم صفة له يقوم . يقول : هو نفس مرقومة رهينة بما اكتسبته من الأعمال والمعارف لا في رضى الله تعالى ، ولا في طاعته ، ولا في طاعة أولياء الله جامعة لأمثالها كالأرض المرقومة بكونها جامعة لجميع الصور الواقعة تحت الإحساس يلحقها العذاب بما ينطوي من أحوالها من صنوف الآلام ، كما يحدث في موجودات الأرض من الإستحالات التي جعلت مثالاً للعذاب ، فهذه كناية عن تلك الأنفس الحسية المفارقة ، ومن كان في مشاكلتهم مستحقاً لأصحاب السعير وتبعاً[54] لهم بما يحصل لهم من قبل الإنتقال في زمن صاحب الدور السابع من صنوف الغموم[55] في التعريض (395) لكل بلاء بما اختاروه لأنفسهم من العمل بغير ما أمر الله تعالى ورسوله . هذا قوله أعلى الله قدسه ، فالحذر كل الحذر من التقصير في العمل ، وسلوك الطريق المذمومة من الإعتقاد ، إن العلم ينجي بغير عمل ، فبذلك هلك كثير من الناس حين تهاونوا بالعمل الشرعي ظناً منهم كاذباً ورأياً لم يكن صائباً ، إن العلم ينفعهم بلا عمل فضل سعيهم ، وخاب أملهم ، وقصر حظهم ، فكان مثلهم كمثل من هتك ستره ، وأبدى عورته ،

---

(52) الارتاج : الارتجاج في ن .

(53) سورة 83 آية 7 .

(54) وتبعاً : ونبعاً في ن .

(55) الغموم : المغموم في ن .

وصارت صورهم لطيفة كصور الجن والشياطين ، لم يؤنسها العمل ، ولم يهذبها الورع ، ولم تصغها الأمانة ، ولم يزكها حسن الأخلاق ، ولم تطهرها التوبة ، ولم يمحضها الإختبار ، ولم يغسلها الإخلاص ، وصارت ملوثة بنجاسات المعاصي والكبر ، والحسد والغش ، والغلبة ، والبغضاء ، والنميمة ، وهي في الإقبال على أكلها وشربها كالبهيمة غير منتهية عن الأوزار ، ولا لابسة لباس الأبرار ، ولا نقية من العجب والإستكبار ، فصار ما تلتقيه من العلوم وهذه حالها عليها وبالاً ، ولها عذاباً ونكالاً ، مخلداً لها بعد الفراق لقالبها في العذاب المهين ، رابطاً لها إلى ورود سجين ، فالنفس تروم الإرتقاء بلطافة ما عندها من العلم ، ولم يرفعها العمل الصالح ، بل تجذبها نجاسات المعاصي والقبائح إلى ملائمة دار الحياة ، وهي متى تطلب الصعود إلى عالم العقل والنفس انحطت ، وإذا طلبت الثواب وقعت في أليم العذاب بما اختطت جزاء بما كانوا يعملون ، فهم عن الرحمة مبعدون ، وفي العذاب يترددون ، كما قال تعالى : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾[56] قد خسر الآخرة والدنيا .

وقد ذكر سيدنا حميد الدين في كتاب (راحة العقل) حال من اعتلق بالعلم وتهاون بالعمل ، وما يلحقهم لذلك من النكال والوبال ، حيث قال قس : لما كان لكل شيء طريق وطريق الجنة والخلوص إلى النعيم والمسرة العبادة ، وكانت العبادة عبادتين : عبادة بالعمل ، وعبادة بالعلم . وكانت العبادة بالعمل هي المأخوذة بها أولاً (396) ، وفي سلوك طريق الجنة فيها من تقويم النفس ورياضتها في كسبها الفضائل الخلقية التي هي كالمادة للفضائل الصورية ، التي تكسبها العبادة الأخرى التي تكون بالعلم ، وكان ما أوردناه في كتابنا هذا مما يتعلق بالعبادة العلمية ،قلنا إن من أقدم على (العبادة العملية)[57] ولما أصلح نفسه بالرياضة ولا قومها بالتوفر على العبادة ولأسلب منها إمارات الطبيعة ، ولا هو ممن يعتني بأمر دينه وبعبادة ربه ، بما جاء به النبي (صلعم) ولا استمرت من دوام المحافظة عادته بأداء الفرائض والسنن والوضائع ، ولا حسنت أخلاقه باستعمال الورع والديانة ، واعتماد الصدق ، وأداء الأمانة ، ولا أنه يتلاحق أمره بعد فراقه بالتوبة إلى الله ، والإنابة وإحياء مراسم العبادة إن كان مقصراً فيبقى متحير التقصير في عبادة ربه بالملة الحنفية راضياً بها ، قاعداً عنها ، معتقداً أنه ينجيه علمه دون عمله ، مصراً على إرتكاب المعاصي والكبائر ، فليستبشر بما يعقبه خمراً اعتقاده وفعله من الخمار الطويل ، والندامة والعويل ، أبد الأبدين ، وليعلم أن نفسه بما تحيط به من هذه المعالم الإلهية المبنية تكسب صورة تربطها إلى الأنجم العالية ، والعقول السرية فتبقى بذلك

(56) سورة 20 آية 74 .

(57) العبادة العملية : سقطت في ن .

بقاءً سرمداً ، وهي في ذاتها بتركها حكم العبادة والتوفر على إصلاح الأخلاق بالأحكام الشرعية ، واعتقادها جواز تركها أو بعضها ، والتقصير بالوفاء بها ذات صورة مباينة للصورة التي اكتسبتها بالإحاطة بما أحاطت به من المعارف الإلهية ، فتصير ذات صورتين متضادتين : صورة من حيث تصورت وجوب العلم ، والإكتفاء بما علمت تشبه صور الملائكة المقدسة لربها . وصورة من حيث تصورت جواز ترك العمل والإستغناء عنه تشبه صوره البهائم والوحوش التي لا تعبد ربها ، يعني بصورة الملائكة التي أحاطت بها ، والصورة الثانية هي التي قد تهيأت للهبوط إليه . نعوذ بالله من ذلك . ثم قال (397) : فتصير هذه الصورة التي تكتسبها بمعرفة الحدود حافظة لذاتها من أن تغنى ، وتلك الصورة الأخرى التي اكتسبتها باقية فيها ببقائها ، فتحدث من وجود الصورتين الآلام ويا لها من آلام يود واجدها الفداء والخلاص ، وانى له ذلك ، وقد تحصل في حيز الأزل ، والقيام ، وانتقل من قضية الإمكان إلى قضية الوجود والدوام ، فيظلم جوهره بظلمة وقتام ، تألم إحداهما بالأخرى مثل رجلين أحدهما عالم فاضل لا يكون طلبته وهمته إلاّ العلم ، ولا شغله إلاّ العبادة . والآخر جاهل معتوه محرف لا يكون همته إلاّ اللعب ، واللهو ، ولا شغله إلاّ الرقص (وارتكاب الموبقات والمحركات)[58] يجمعها موضع واحد ، وحيث لا يكون لأحدهما مخلص من الآخر ، ولا سبيل إلى مفارقته ، فيجد كل منهما من مجاورة الآخر الغم والأذى ، كل منهما لكل منهما مانعاً مما يهواه ، وتراوده نفسه فيمتنع كل منهما مفارقة الآخر والتفادي منه ، وليس إلى مرادهما سبيل فترد النفس بهاتين الصورتين على أهوال عظيمة وظلمة هاوية ، فتبقى متحيرة فلا هي تحيا حياة كلية ، ولا هي تغنى ، فتستريح إستراحة أبدية . كما قال : (لا يموت فيها ولا يحيى) فقوله أعلى الله قدسه فترد النفس بهاتين الصورتين على أحوال عظيمة ، وظلمة هاوية ، يعني ما منه نفسه الحسية وجسمه ، كما قال سيدنا المؤيد في الدين أعلى الله قدسه في رسالة المعاد حيث يقول : وإن ورد عليها ما ينافي جوهرها مما وجوده في دار الطبيعة وعالم الجسم ، وما يجري هذا المجرى مما يحرص عليه ذوي العقول السخيفة ، والآراء الناقصة من الطبائع البهيمية ، واتباع النفوس الحسية صار ذلك صورة لها ، وتصير مدبرة لنفس الحس سعيها لها ، فعند المفارقة يكون نظرها إلى ما يلائمها من الملأ الأعلى ، والصورة ما يجانسها من دار الدنيا كلاهما عن نظره ممنوع ، (398) وعن مركزه مرفوع ، وفيما بين المركزين الروحاني والجسماني مدفوع ، فيكون محصوراً مأسوراً ، وإلى أشد العذاب بالصورة الحسية المكتسبة مردوداً مدحوراً ، لا مخلص لأحدهما من الآخر أبد الدهور ،

(58) وارتكاب الموبقات والمحركات : سقطت في ن .

ولا يقدر أن يجاوزها إلى مركزها أبد الدهر ، بما تشبثت به من كدورات الدنيا وميلها إلى شهواتها ، ومطاوعتها لنفس الحس ، فتصير في حيز الحسية من الكثافة لا يقدر على بلوغ غايتها ، فتبقى في العذاب الشديد ، نعوذ بالله من الشقوة بعد النعمة ، ونسأله أن يجعلنا من الحافظين لحدوده الذين بهم النجاة للأنفس في الآخرة ، ومن تعدى بهم فقد ظلم نفسه .

هذا قول المؤيد في الدين أعلى الله قدسه ثم قال حميد الدين نسقاً على ما تقدم بقوله (لا يموت فيها ولا يحيى) فقال : تقاسي أليم العذاب في ذاتها من جهة شمس البرية ، في المدينة الملكية ، التي بنتها الأنوار القدسية في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، الجامعة لما فيها من خمر ، ولبن ، وعسل ، وماء ، وتكابد شديد العقاب ، تصب فوق رأسها الحميم ، ولا يكون طعامها إلاّ من غسلين ، تستغيث فلا تغاث ، إلاّ بما يليق بها ، ويصيبها من ألم الإنكار ، والتوبيخ من جهة أمثالها السابقين عليها في ورود حوض الكوثر ، فباستقبالهم إياها ، وقولهم لها لا مرحبا لا مرحبا ما تتمنى معه أن أمها ليتها لم تلدها ، ذلك بتأذيهم بموردها عليهم على تلك الصورة التي قد شاعت فيها الرذائل بتركها أحكام الله تعالى وأمره ، وازديادهم عذاباً بمكانها كازدياد لهب النار بازدياد الوقود فيكون كل مرة لمن قرأه على سبيل الديانة ـ كما ذكرناه ـ وفرح ، وترحا لمن قرأه لا على سبيل الديانة ، ولكل خير كذلك شر لهذا نعوذ بالله منه ، فليحذر كل الحذب قارىء هذا الكتاب وهو من أبناء الدنيا وطالبيها . أو هو غير معتقد لولاية الأئمة الطاهرين ، ومذاهبهم في العبادة (399) لله رب العالمين ، فإنه يبقيه ويعذبه دهر الداهرين ، خسوفاً ، وليجتهد من قرأه في لزوم العبادة ، ومنع النفس مرادها فيما منعت الشريعة ، وحظرته عليها ، ويتلاحق أمره قبل زوال الإمكان ، ليتخلص من مهاوي الهلكة ، متصوراً أن الذي حرضته عليه لنافع ، وأن ما حذرته منه بالمخالفين لواقع ، ﴿**إذا رجت الأرض رجاً وبست الجبال بساً**﴾[59] وليقبل إني له لمن الناصحين ، ولن يقبل إلاّ من كان اخانا حقاً ، جعلنا الله وجماعة المؤمنين ممن يتجنب معاصيه ، وأعاننا على المراد في ديننا ، واستغفر الله العظيم ، واستعينه ، وأقول لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العزيز الحكيم .

فهذا قوله أعلى الله قدسه ،يحض فيه على الأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، واجتناب الرذائل ، واكتساب الفضائل ، وما لن يتوهم أن علمه نعنيه ، وسعيه فيه ، يحمد ولم يعمل بأوامر الشريعة ، ويحافظ عليها ويقيم بواجباتها ، ويركن إليها ، فإن نفسه تصير إلى ما ذكرناها من العذاب الطويل ، والويل الوبيل ، لا يموت فيستريح ،

---

(59) سورة آية 4 ـ 5 .

ولا يحيي حياة تصعدها إلى المقام الفسيح ، فتبقى أبد الأبدين معذبة ، جزاء بما كانت له مكتسبة . وقوله : تقاسي أليم العذاب في ذاتها من جهة شمس البرية في المدينة الملكية التي بنتها الأنوار القدسية . يعني شمس البرية هو النبي (صلعم) الذي شرع الشريعة ووصفها ، وبين للسالكين شرعها ، فإنه الذي يتولى عذابه بما ضيع من أوامره ، ويسري إليه ما يؤلمه من الأمور الشرعية التي ضيعها في سالف دهره وغابره ، يندم على ما ترك من أوامرها ، وارتكب من نواهيها وزواجرها ، وقوله في المدينة الملكية يشير به إلى الصورة الشريفة اللطيفة المجتمعة في مجمع قائم القيامة أول الفكرة وآخر العمل ، الجامع لمن تقدمه من الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة ، والتابعين لهم قد أثبتت فيها صورهم ، واجتمع فيها (400) متقدمهم ومتأخرهم ، فشبهها بالمدينة الجامعة للخيرات بما جمعت تلك الدعوة الشريفة ، والزمرة اللطيفة ، من مجامع الفضل والبركات ، فصارت صوراً ملكية لطيفة أزلية شريفة روحانية ، قد إرتقت من عالم الأفعال إلى عالم الأقوال ، فصارت في جوار الكبير المتعال ، آمنة من الإستحالة والدثور ، مسرورة بما يواصلها من المواد القدسية ، التي جلال فضلها وشرفها غير محدود ولا محصور ، التي نبتها الأنوار القدسية ، وهي المواد الشريفة اللطيفة العقلية ، التي لا تغير عنها ولا تنقطع منها ، وقوله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة إشارة إلى دور الكشف الذي يتجدد فيه العذاب لأهل الصخرة ، ويتولى عليهم فيه الندامة والحسرة .

وقوله في صفة المدينة الملكية الجامعة لما فيها من خمر ، ولبن ، وعسل ، وماء . فالخمر هو المواد الشريفة العقلية المتصلة بتلك المقامات العالية السنية ، وهو محرم في الدنيا ، أي أن ذلك العلم الشريف اللطيف محرم على أهل المراتب الدينية لكونه سكرتهم ، ولا تقبله عقولهم ، ولا يحتمله افهامهم ، كما قال بعض الأئمة الصادقين (ع) : علمنا صعب مستصعب لا يحمله إلّا نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان . فإذا اتصل بهم ذلك الحد الشريف ، والبيان اللطيف ، لم يسكرهم ويحيرهم كما يحير القاصرين ، وقبلته تلك النفوس الشريفة ، والعقول السامية اللطيفة ، ولا لبن فهو ما استخلص من علوم النطقاء والأوصياء ، والأئمة الذين قال فيهم جل وعلا : يخرج ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً ﴾[59] أي يخرج من الأمثال المتشابهات ، والرموز المختلفات ، معاني شريفة يستخلصها الأوصياء والأئمة وتابعوهم من بين ما اعتقد الفلاة والمقصرون سائغاً للشاربين ، مباحاً للطالبين ، متاحاً للراغبين ، والعسل فهو علم الوصي (ع) الذي هو أمير النحل ، والنحل هم

(59) سورة 16 اية 66 .

(60) سورة 56 آية 77 ، 78 ، 79 .

المؤمنون ، وذلك علمهم ، و (401) شرابهم فيه شفاء للناس ، وإزالة الشكوك العارضة والوسواس ، والماء به حياة الأرواح ، وهو مثل المادة السارية المتصلة بالنبي (صلعم) من الملائكة ومنه الوصي والأئمة وتابعيهم ، فقد جمعت تلك الدعوة الشريفة العلية ، والمدينة الفاضلة الملكية ، والمجامع الرفيعة السنية ، جميع هذه العلوم وخرج ما فيها من المجهول إلى المعلوم ، وجميع من انتقل إليها من مقامات الأنبياء والأوصياء والأئمة والتابعين باحسان لهم ، هم المدبرون للعالم في مجمع القائم بعد صعوده من هذه الدار ، وخلافته للمدبر في دار القرار ، هم المتولون لعذاب أهل النار ، أعاذنا الله من ترك إتباع أمر الآمرين ، وجعلنا من التزم بالعبادتين فنجي أن يكون من الخاسرين ، فإنه لا بد من الثواب والعقاب ، والجزاء والحساب ، لا كما قوم جهلوا قصدهم ، وعموا رشدهم ، وأنكروا الثواب والعقاب ، وصاروا لجهلهم إلى أبعد البعد من الثواب .

وقد قال الصادق (ع) لبعض من حاجه في ذلك وناكره ، وأبى إلاّ البهت والمكابرة : إن كان على ما نقول ، وهو على ما نقول ، فقد نجونا وهلكتم ، وان كان على ما تقول وليس على ما تقول ، فقد نجونا ونجوتم ، وهيهات أن يساوي الله تعالى بين الأبرار والأشرار ، وأن يساوي الفجار والأخيار ، وبؤساً لمعتقد ذلك وله عقبى سوء الدار ، وقد قال الصادق جعفر بن محمد : لا يجمع الله من والانا ومن عادانا في دار واحدة .

وقد سنّ النبي (صلعم) في شرعه ، وأبان في وصفه ، أن لا يدخل المشركون وأهل النجاسات المساجد التي هي بيوت الطهارات ومقر العبادات ، وقال (صلعم) : لتمنعن مساجدكم يهودكم ونصاراكم وصائبكم ، أو ليمسخنكم الله قردة ، وخنازير ، ركعاً ، وسجداً . وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ المُطَهَّرُونَ﴾[65] (402) وجاء في السنة والقربان ألا يقرب إلّا السالم الصحيح الذي لا عيب فيه ، وفي الدعوة الهادية وما جرى به رسمها أن لا يؤتى العلم إلّا من يستحقه ، أو في دليل ، وأوضح سبيل ، على دار المعاد ، وأن الأبرار في دار النعيم ، والخير الأزلي القديم ، والفجار في العذاب الأليم ، والشر الدائم المقيم . جعلنا الله فمن التزم بعهوده ، ورجا وعده وحاذر من وعيده .

وقد أوردت في هذا الكتاب ما وعدت بإيراده من العلم المكنون ، والسر المخزون ، مما استفدته عن أتباع أولياء الله الطاهرين ، وجمعته من أقوالهم المشفوعة بالبراهين ، ما هو عقيدتي ، ومكنون صورتي ، رجاء لوجه الله تعالى ، وطلباً لعفوه

وغفرانه ، والمصير إلى دار أمنه وآمانه ، لا أريد جزاء ولا شكورا ، وأنا أعوذ بالله وبما عاذ به أولياءه الطاهرين من الخطأ والزلل ، وأسأله التوفيق لصالح القول والعمل.، وبه استعين ، وعليه أتوكل ، وله أسأل ، وإليه أتوسل ، أن يثبتني على ولاية أوليائه وطاعتهم ، وأن لا يجعلني ممن انقطع عن الإتصال بهم ، وأن يميتني من ولايتهم على ما أحياني ، ويلحقني بمن إتصل بهم في العالم النوراني ، بحق النور الأزلي الشعشعاني الذي هو زبدة الزبد ومعنى المعاني . والحمد لله الذي هو موحد الأول الواحد ومبدعه ، وإليه مرد كل شيء ومرجعه ، خالق الناس ليوم الحساب ، ومثيبهم ومعاقبهم على قدر العمل والإكتساب ، رافع أوليائه أعلى عليين ، ومخلدهم في جوار ملائكته العليين ، وموردا أضدادهم إلى أسفل سافلين ، ومعذبهم في مصيرهم بما كانوا عاملين ، وصلى الله على من ختم به الرسالات ، وأوضح به البراهين والدلالات ، محمد رسوله الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وقربه حتى صار كقاب قوسين أو أدنى ، رافعاً له على (403) جميع رسله ومختصاً ، وعلى وصيه باب المدينة ، ومعنى السكينة والسفينة ، علي بن أبي طالب وصيه وخليفته ، الخالف له في بيان ما أشكل من شريعته ، وعلى آله الطاهرين من ذريتهما ، والمستخلفين من عترتهما صفوة الله من البرية ، وخير آل وذرية ، وعلى بقيتهم الخالف لأنوارهم وخلفهم الزاكي نجاره وذكاة نجارهم ، صفوة الله الوارث لأسرارهم ، الإمام من ذرية الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين الراجي به أولياءه غفران ذنوبهم ، وتخفيف إصارهم ، وسلم عليهم أجمعين سلاماً يبقى أبد الأبدين . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب المبارك صبيحة يوم الخميس سابع شهر شوال سنة ثمان وثلاثين وثمان مائة ، ومؤلفه يسأل من أبدع الواحد أزلياً ، وجعله بسبقه ملياً ، واصطفى من خلقه محمداً وعلياً ، ورفعهما على أنبيائه وأوصيائه مكاناً علياً ، أن يتجاوز عن خطائه وزلله ، ويثبته في قوله وعمله ، ويجعله من الفائزين بجنته ، المحشورين في زمرة محمد نبيه ، وعلي وصيه ، والأئمة الطاهرين من ذريته ، وأن لا يخليه من المواصلة بفضله ورحمته ، إنه سميع الدعاء ، فعال لما يشاء ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

وقع الفراغ من نساخة هذا الكتاب المبارك في اليوم السابع عشر من شهر شعبان سنة 1288 من هجرة النبي المختار صلى الله عليه وآله الأطهار ، ما جن الليل وأضاء النهار .

1991 / 5 / 382

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع